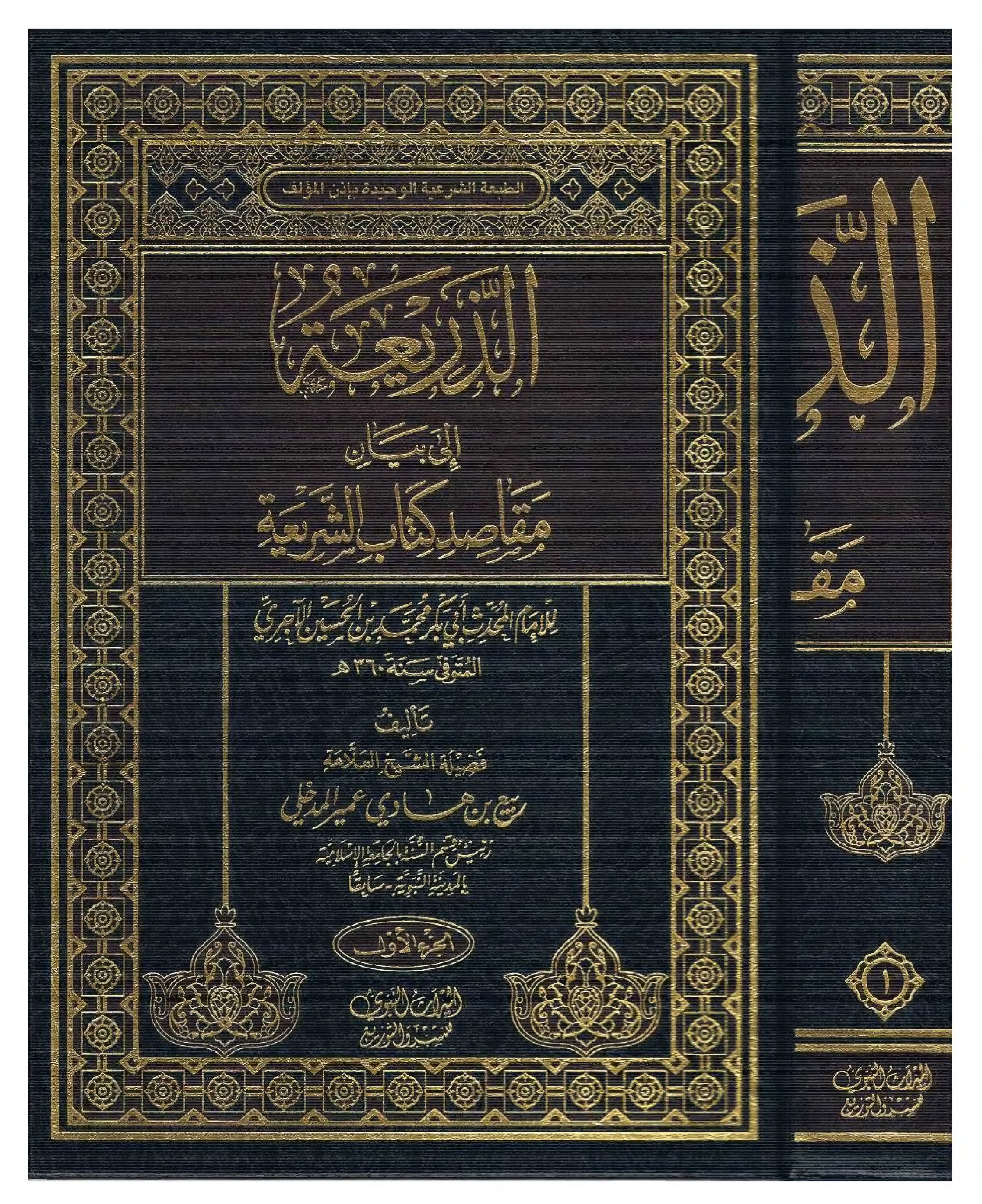

الطبعة الشرعية الوحيدة بإذن المؤلف
الذريعة
إلى بيان
مقاصد كتاب الشريعة
للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري
المتوفى سنة ٣٦٠ هـ
تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية - سابقاً
الجزء الأول
الميراث النبوي
للنشر والتوزيع
١

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارًا به وتوحيدًا، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسليمًا مزيدًا، وعلى آله وصحبه الذين سبقوا سبقًا بعيدًا، وعلى التابعين لهم الذين سلكوا سبيلهم تحريًّا وتسديدًا.

أما بعد؛

لقد ترك رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته على مثل البيضاء ليلها كنهارها، فقبضه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأمر هذه الأمة واضح مستقيم، فلبثت على هذا ما شاء الله لها أن تلبث، ثم جاءها ما كانت توعد، فافترق أهلها شيعًا وأحزابًا، يرمي بعضهم بعضًا بالضلالة والكفر إلا من رحم الله ممن استمسك بما كان عليه الرعيل الأول من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ومن فضل الله عَزَّ وَجَلَّ على هذه الأمة ورحمته أن أبقى فيهم هذه الطائفة التي تدعوهم إلى الخير الذي كان عليه نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الكرام، وتأمرهم بالمعروف من العقائد والأقوال والأعمال، وتنهاهم عن المنكر من محدثات الأمور وما يكرهه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويسخطه من جميع الشرور. فقامت هذه الطائفة بما وجب عليها من النصيحة والبيان وإقامة الحجة على المعاندين من أهل البدع والطغيان، فمنذ ظهرت البدع وأصحابها، وأهل الحق من أهل السنة والجماعة لهم بالمرصاد يقمعونهم بكتاب الله وسنة رسوله الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويكشفون زيفهم، ويحذرون الناس سبيلهم، فردوا على الخوارج والرافضة، والمعتزلة والقدرية، والمرجئة والجهمية، والصوفية والأشعرية، وجميع الفرق البدعية، والنحل الكفرية، إلى يوم الناس هذا.

وما كتبه علماء السنة في هذا الباب معلوم مشهور، منها:

- كتاب: «الرد على الجهمية والزنادقة» للإمام أحمد بن حنبل، و«أصول السنة» له، و«السنة» لابنه عبد الله.
- و«خلق أفعال العباد» للإمام البخاري.
- و«أصول الدين» لأبي حاتم وأبي زرعة الرازيين.
- و«السنة» لأبي بكر ابن أبي عاصم النبيل.
- و«الرد على الجهمية والنقض على بشر المريسي» للدارمي.
- و«التوحيد» لابن خزيمة.
- و«السنة» لأبي بكر الخلال.
- و«شرح السنة» للبربهاري.
- و«الشريعة» لأبي بكر الآجري.
- و«الإبانة الكبرى والصغرى» لابن بطة العكبري.
- و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» لهبة الله اللالكائي.
- و«عقيدة السلف أصحاب الحديث» للصابوني، وغيرها كثير.

ولهذه المؤلفات مكانتها الكبيرة عند أهل السنة والجماعة، إذ نقلت إلينا الاعتقاد الصحيح موثقًا محررًا، ولذا احتفى أهل السنة بهذه الكتب رواية ودراسة وتحقيقًا وتعليقًا واختصارًا، إلا أن هذه الكتب فيها المختصر وفيها المتوسط وفيها المطول، ومن هذه المطولات كتاب الشريعة للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠) رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنه ضمنه واحدًا وستين ومائتي باب من أبواب الاعتقاد، في ثلاثة وعشرين جزءًا، تزيد مروياته عن ألفي حديث وأثر، وقد ختمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله:

«قَدْ رَسَمْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَهُوَ كِتَابُ الشَّرِيعَةِ مِنْ أَوَّلِهِ لِآخِرِهِ مَا أَعْلَمُ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ شَمِلَهُ الْإِسْلَامُ مُحْتَاجٌ إِلَى عِلْمِهِ لِفَسَادِ مَذَاهِبِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَلما قَدْ ظَهَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَهْوَاءِ الضَّالَّةِ وَالْبِدَعِ الْمُتَوَاتِرَةِ مَا أَعْلَمَ أَنَّ أَهْلَ الْحَقِّ تَقْوَى بِهِ نُفُوسُهُمْ، وَمَقْمَعَةٌ لِأَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالَةِ عَلَى حَسَبِ مَا عَلَّمَنِيَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فَالْحَمْدُ للهِ عَلَى ذَلِكَ». ولما كان هذا المصنف الكبير بهذه المنزلة التي ذكر مؤلفه، ولما كانت حال أهل زمانه التي وصف أحسن بكثير من حال أهل زماننا وأفضل، كانت الحاجة لنشر هذا الكتاب أمسّ وأوكد، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ للْحَسَن بْن ثواب:

«مَا أَعْلَمُ النَّاسَ فِي زَمَانٍ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَى طَلَبِ الْحَدِيثِ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ»، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: «ظَهَرَتْ بِدَعٌ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ حَدِيثٌ وَقَعَ فِيهَا»[١].

وانطلاقًا من هذا المبدأ السامي، وحرصًا على تبليغ العلم، ونصيحة للأمة، ومعرفة بعظم الأمانة التي حمل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أهل العلم، رأى شيخنا العلامة المحدث ربيع بن هادي المدخلي - حفظه الله ومتع به وفسح في أجله في الصالحات- أن يتناول هذا الكتاب المبارك بالشرح والتبيين ليسهل على طالبي العلم والرشاد الوقوف على معانيه المكنونة وفوائده الغزيرة، ومراميه البعيدة، وإني أحسب من توفيق الله عَزَّوَجَلَّ لشيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ أن يسر له شرح هذا الكتاب الذي لم يطرقه طارق ولم يحم بفنائه حائم، فيما نعلم.

وأصل هذا الشرح دروس في كتاب الشريعة، كان الشيخ حَفِظَهُ ٱللَّهُ يلقيها على الطلاب في بيته العامر[٢]، ثم رأى الشيخ حَفِظَهُ ٱللَّهُ نسخها من الأشرطة وجمعها

---

(١) رواه قوام السنة الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» [٤٩٠]، وذكره ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٢/ ٣٧).

(٢) وكانت تنقل هذه الدروس نقلا مباشرا في الإذاعة المباركة - إذاعة ميراث الأنبياء- طيلة فترة تدريس الكتاب ليستمع إليها محبي السنة وطالبي العلم في مشارق الأرض ومغاربها، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء ونخص بالذكر الأخ المفضال أبا زياد خالد باقيس صاحب الإذاعة جعل الله =

وتحريرها، فجمعت هذه الدروس ، وأعاد الشيخ حَفِظَهُ اللهُ النظر فيها، فخرج الأحاديث والآثار[(١)]، وعلق على الأبواب، ومنها فضائل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخصائصه إلى الباب الخامس بعد المائة: (باب ذكر وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وبقيت أبواب الفضائل تركها الشيخ – وفقه الله- لوضوحها ووجود مؤلفات مفردة في هذا الباب، منها ما ألفه الشيخ حَفِظَهُ اللهُ، ومنها ما ألفه غيره من أهل السنة، وهي كافية ومغنية إن شاء الله.

ومن مميزات هذا الشرح المبارك أنه:

طرق مسائل هذا الكتاب بالبسط والتدليل والترجيح حسب القواعد المقررة عند أهل العلم، بأسلوب واضح، وألفاظ سهلة، وربما خالف المصنف في مسألة من المسائل، مقدِّمًا الدليل الصحيح، ومتمسكًا بالنص الصريح، مستعملًا الأدب مع أهل العلم.

ويستطرد في مناقشة العقائد المنحرفة والبدع المحدثة قديمها وحديثها عند كل مناسبة، حاثًّا على التمسك بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والسير على سنن السلف الصالح، في العقائد والأعمال والأحوال، مرشدًا ومحذرًا، وواعظًا ومذكرًا، وقد رأينا أن نمثل لبعض ما أشرنا إليه تحفيزًا للقارئين:

١ – لقد استطرد الشيخ حَفِظَهُ اللهُ في ذكر علامات الخوارج، وأفاض في كشف عوارهم، وكيف صاروا وبالًا على الأمة منذ ذر قرنهم إلى اليوم، وأبان عن زيف دعاويهم التي يخدعون بها أنفسهم، ويخادعون بها الناس إذ يزعمون الغيرة على تحكيم الشريعة، والحقيقة أنهم ما أخرجهم إلا حب الدنيا، كما نطق بذلك إمامهم الأول ذو الخويصرة التميمي، وكذلك صرح به أتباعه المتأخرون.

= ما يبذله في موازين حسناته.

(١) ونظرًا لكثرة أشغال الشيخ واشتغاله، ترك قسطًا من أحاديث الكتاب وآثاره لم يخرجه، وأوعز إلى الدار – دار الميراث النبوي- إتمام المهمة، وقد ميزنا تخريج الشيخ عن تخريج الدار بعلامة معكوفين [] يوضع داخلها رقم الحديث الذي قام الشيخ بتخريجه، فليتنبه لذلك.

٢- رد الشيخ حفظه الله على إمام التكفير في هذا العصر سيد قطب، وثنى بالرد على هؤلاء الغالين فيه وأنهم أحق بوصف الإرجاء ممن يرمونهم بالإرجاء من أهل السنة البريئين من البدع وأهلها.

٣- بين الشيخ حفظه الله عقيدة أهل السنة في أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وسلم في أكثر من مناسبة، وأغلظ القول في هؤلاء الذين يتجرؤون على النيل منهم من الرافضة المارقة، أو أذنابهم ممن يدعي أنه على السنة.

٤- تقرير الشيخ حفظه الله لمبدأ العدل مع الخصوم والتزامه، حيث قال: «نحن نبغض الخوارج، ونعتقد أنهم شر الخلق والخليقة، ومع ذلك لا نظلمهم لإيماننا بوجوب العدل الذي يفرضه الإسلام للمسلم والكافر، فلا نحكم عليهم بناء على الروايات الضعيفة».

٥- يقول الشيخ وهو بصدد التحذير من مجالسة أهل البدع: «فينبغي لطالب العلم أن لا يأمن على نفسه من أهل البدع،؛ فإنه ليس بأعلم من أيوب وابن سيرين ولا يدرك مرتبتهما، ومن يلحق هؤلاء؟!».

٦- توسع الشيخ حفظه الله في شرح حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، واستخرج منه فوائد جليلة.

٧- ركز الشيخ حفظه الله على نقد الغلو والغلاة، وأن كثيرًا من البلاء الذي أصاب الأمة من جراء هذا الغلو.

٨- توسع الشيخ حفظه الله في بيان مكانة السنة النبوية، ورد على العقلانيين الذين رغبوا عن السنة، ورد على دعاة الحاكمية الراغبين عن سبيله في الدعوة إلى الله.

٩- تقرير الشيخ حفظه الله في غير ما مناسبة أصل التحذير من أهل البدع، والاستدلال على ذلك من الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح.

١٠- قرر الشيخ حفظه الله مبدأ إقامة الحجة على المتأولين من أهل البدع المكفرة، قبل النطق بتكفيرهم.

١١- بسط الشيخ حفظه الله الكلام عند شرح أدلة عقائد أهل السنة والجماعة التي ساقها الإمام الآجري رحمه الله دليلًا دليلًا، إلا ما ندر، وفي غضون ذلك ردود على أهل العقائد المنحرفة.

١٢- تنويه الشيخ حفظه الله بالقاعدة المقررة عند أهل السنة: «إضافة الأعيان إضافة مخلوق إلى خالق، وإضافة الصفات -وهي المعاني- إضافة صفة إلى موصوفها الذي قامت به».

١٣- رد الشيخ حفظه الله على الذين يزعمون أن السلف اختلفوا في العقيدة، فقال في جواب على سؤال حول أقدمية العرش أو القلم:

«هذه ما تضر، هل أنكر العرش أو القلم أحد منهم؟

إذا أنكر الإنسان العرش أو أنكر القلم ماذا يكون مصيره؟

نقول: خلافهم إنما كان فيمسألة تاريخية كل واحد فهم هذا الفهم من نصوص أيهما أقدم تاريخًا ووجودًا،وهذا لا يضر ، الذي يضر هو: إنكار وجود العرش أو القلم؛ لأن هذا الإنكار مصادم لنصوص الكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح».

١٤- رد الشيخ حَفِظَهُ ٱللَّهُ في غير موطن على المخالفين في مسألة الإيمان، وكشف عن خبايا هؤلاء الذين يرمون أهل السنة بالإرجاء ويتعلقون بالمتشابه من كلام أهل العلم.

١٥- تجد في هذا الشرح تعليقًا للشيخ حَفِظَهُ ٱللَّهُ على فصل من «معارج القبول» للشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فيه شرح لشروط لا إله إلا الله.

١٦- كثيرًا ما ينبه الشيخ حَفِظَهُ ٱللَّهُ على طريقة أئمة السنة في مؤلفاتهم أنهم ربما ساقوا أحاديث وآثارًا ضعيفة إذا كانت معانيها صحيحة موافقة لما صح واستقر من عقيدة أهل السنة والجماعة.

١٧- ضمن الشيخ حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذا الشرح المبارك نقولًا من كلام المحققين من أهل العلم أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم والحافظ ابن كثير وغيرهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، في كثير من الأبواب.

١٨- ربما ساق الشيخ حَفِظَهُ ٱللَّهُ في تقرير مسألة ما نقولًا عديدة عن فطاحل أهل العلم، لو أفردت لكانت في كراسة أشبه ببحث علمي، كما صنع:

(أ) عند ذكر الآية من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ... الآية.

(ب) وكما فعل حَفِظَهُ ٱللَّهُ عند ذكر المصنف مسألة رؤية النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه عَزَّوَجَلَّ في المنام.

١٩- استعمال الشيخ حَفِظَهُ ٱللَّهُ للقواعد العلمية في الترجيح عند الاختلاف ، منها تمسكه بالمحكم من أدلة الكتاب والسنة وتقديم الصحيح منها على الضعيف.

والناظر في هذا الشرح المبارك سيجد فيه -إن شاء الله- من العلوم والفوائد أكثر مما ذكرنا وفوق ما وصفنا، والله يؤتي فضله من يشاء، والله واسع عليم.

ونسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجزي الشيخ حَفِظَهُ ٱللَّهُ خير الجزاء، وأن يبارك في علمه وعمله، وفي شأنه كله ، وأن يثبتنا وإياه على السنة إلى المات، وأن يدخلنا والمسلمين والمسلمات واسع الجنات، إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وليُّ الصالحين من المؤمنين والمؤمنات.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد خير البريات، وعلى آله وأزواجه الطاهرات، وصحابته ذوي المبرَّات، والتابعين لهم بإحسان في جميع الحالات، والحمد لله بالأصائل والبكرات، ملء الأرض والسموات.



ترجمة الحافظ الآجرِّي رَحِمَهُ اللَّهُ(١)

اسمه ونسبه ومنزلته:

هـو محمد(٢) بن الحسين بن عبدالله، أبو بكـر الآجُرِّي(٣) البغدادي، المكي، شـيخ الحـرم المكـي الشريف، الإمام، القدوة، الزاهد، الحافـظ، الحجة، إمام عصره في الحديث والفقه، الأثري، الأخباري.

ولادة الحافظ الآجري:

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ثمانين ومئتين ببغداد(٤).

---

(١) هذه الترجمة مقتبسة - وبتصرف يسير - من كتاب للشيخ إبراهيم بن منصور الهاشمي

(٢) له ترجمة في: «الفهرست» (ص: ٢٦٤)، «تاريخ مدينة السلام» (٣/ ٣٥)، «فهرسة ابن خير» (ص: ٢٨٥)، «الأنساب» (١/ ٩٤)، «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٥١٥)، «صفة الصفوة» (٢/ ٤٧١)، «المنتظم» (١٤/ ٢٠٨)، «تلقيح فهوم أهل الأثر» (ص: ٥٢٩)، «معجم البلدان» (١/ ٥١)، «الكامل في التاريخ» (٧/ ٣٠١)، «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٩٢)، «طبقات علماء الحديث» (٣/ ١٢٨)، «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٣٣)، «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٩٣٦)، «تاريخ الإسلام» (٨/ ١٥٣)، «العبر» (٢/ ١٠٧)، «الوافي بالوفيات» (٢/ ٣٧٣)، «مرآة الجنان» (٢/ ٢٨٠)، «إثارة الفوائد» (١/ ١٦٩)، «طبقات الشافعية الكبرى» (٣/ ١٤٩)، «طبقات الشافعية» للأسنوي (١/ ٥٠)، «البداية والنهاية» (١١/ ٢٨٨)، «العقد الثمين» (٢/ ٣)، «التبيان لبديعة البيان» (٢/ ١٠٢٢)، «توضيح المشتبه» (١/ ١٥٩)، «النجوم الزاهرة» (٤/ ٦٠)، «طبقات الحفاظ» (ص: ٣٧٩)، «المقصد الأرشد» (٢/ ٣٨٩)، «غربال الزمان» (ص: ٣١١)، «المنهج الأحمد» (٢/ ٢٧١)، «الدر المنضد» (١/ ١٧٥)، «قلادة النحر» (٣/ ١٧١)، «شذرات الذهب» (٤/ ٣١٦)، «كشف الظنون» (١/ ٣٧، ٥٢، ٥٢٣)، «ديوان الإسلام» (١/ ٧٤)، «تاج العروس» مادة «أجر»، «هدية العارفين» (٢/ ٤٦)، «الرسالة المستطرفة» (ص: ٤٢)، «الأعلام» (٦/ ٩٧)، «علماء الحنابلة» برقم [٦٦٠]، «معجم مصنفات الحنابلة» (١/ ٣٣٦).

(٣) **الآجُرِّي**: بفتح الألف وضم الجيم وتشديد الراء المهملة، هذه النسبة إلى عمل الآجر وبيعه، ونسبة إلى درب الآجر في بغداد بنهر المعلى أيضًا. «الأنساب» للسمعاني (١/ ٩٤)، «معجم البلدان» مادة «الآجر».

(٤) سـنة ولادته عرفناها من عمره حين وفاته، فقد مات سـنة (٣٦٠هـ) عن ثمانين سنة كما نص على ذلك الحافظ الذهبي. «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٣٥).

نشأة الحافظ الآجري:

نشأ الحافظ الآجُرِّي ببغداد، وسمع من علمائها، ورحل إلى مكة سنة (٢٩٩هـ)[١] وهو في التاسعة عشر من عمره وسمع في المسجد الحرام من المفضل بن محمد الجندي وغيره، ثم عاد إلى بغداد، وحدّث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاث مئة، ثم انتقل إلى مكة سنة ثلاثين وثلاث مئة، وسكنها والتقى فيها بجمع كبير من العلماء، ومدة إقامته في مكة ثلاثون سنة[٢]؛ وقد ذكر الحافظ الآجري أن من أسباب انتقاله من بغداد فشو البدع، فقال: «خرجت من بغداد ولم يمل لي المقام بها، قد ابتدعوا في كل شيء حتى قراءة القرآن وفي الأذان»[٣].

شيوخ الحافظ الآجري:

جاوز عدد شيوخ الحافظ الآجري المائة، وقد أفردتهم في رسالة باسم: «معجم شيوخ الحافظ أبي بكر الآجري».

تلامذة الحافظ الآجري:

تتلمذ على الحافظ الآجُرِّي وروى عنه خلق من العلماء، قال الحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): «روى عنه خلق كثير في مكة المكرمة من الحجاج والمغاربة، والمجاورين»[٤]؛ ولقد تتبعت أخبار تلامذته، فوقفت على ثلاث وسبعين تلميذًا، وإليك أسماءهم:

إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر، الشريف أبو جعفر الموسوي العلوي المكي، قاضي الحرمين، (ت: ٣٩٩هـ)، روى عن الحافظ الآجري بمكة[٥].

---

(١) انظر جزء «الثمانين» رقم [١٢].

(٢) اقتباسًا من «تاريخ مدينة السلام» (٣/ ٣٥)، «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٣٣).

(٣) «المدخل إلى تنمية الأعمال» (٢/ ٤٠٧).

(٤) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٩٣٦)، «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٣٥).

(٥) «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٥١)، «تاريخ الإسلام» (٨/ ٧٩٦).

أحمد بن إبراهيم البغراسي، روى عن الحافظ الآجري[(١)].

أحمد بن عبد الله، أبو نعيم الأصبهاني، الحافظ، صاحب «حلية الأولياء»، (٣٣٦هـ-٤٣٠هـ)، روى عن الحافظ الآجري بمكة[(٢)]، وأكثر عنه في كتاب: «حلية الأولياء»، وكتاب: «معرفة الصحابة».

أحمد بن عيسى، أبو الحسين الصايغ السهروردي، لقي الحافظ الآجري[(٣)].

أحمد بن محمد بن بطال بن وهب، أبو القاسم التيمي اللورقي (ت٤١٢هـ)[(٤)].

أحمد بن محمد بن معروف بن وليد، أبو عمر الجذامي القرطبي، القاضي، (ت ٣٧٢هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[(٥)].

أحمد بن محمد بن أحمد، أبو بكر البزاز المكي، روى عن الحافظ الآجري كتاب: «الشريعة»[(٦)].

أحمد بن محمد بن هشام بن جهور، أبو عمر المرشاني القرطبي، صاحب سنة واستقامة، (٣٥٥هـ- ٤٣٠هـ)، أجازه الحافظ الآجري في مكة سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة[(٧)]، وستأتي ترجمة أبيه برقم [٦٧].

أحمد بن موفق بن نمر، أبو القاسم الأموي القرطبي؛ (٣٢٣هـ-٣٩٦هـ)، أخذ عن الحافظ الآجري[(٨)].

---

(١) «معجم البلدان» مادة «بغراس».

(٢) «تاريخ مدينة السلام» (٣/ ٣٥)، «المنهج الأحمد» (٢/ ٢٧٢).

(٣) «تاريخ دمشق» (٣٥/ ٨٣).

(٤) «تاريخ الإسلام» (٩/ ٢٠٢).

(٥) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ٦٣)، «تاريخ الإسلام» (٨/ ٣٧١).

(٦) «الأنساب» (١٢/ ٢٢٦)، «العقد الثمين» (٣/ ١٧٨).

(٧) «تاريخ الإسلام» (٩/ ٤٧٢).

(٨) «الصلة في تاريخ أئمة الأندلس» (١/ ١٧).

أفلح مولى إبراهيم بن يوسف، أبو يحيى القرطبي، (ت: ٣٩٤هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[١].

أفلح مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين، أبو يحيى القرطبي (ت: ٣٨٥هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٢].

جعفر بن محمد بن عبدالله بن جعفر، أبو الفضل، راوي جزء «الثمانين»[٣].

جعفر بن محمد بن نصير الخلدي، سمع من الحافظ الآجري[٤].

حزم بن أحمد بن حزم بن كوثر، أبو بكر القيسي القرطبي، (ت: ٣٩٣هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٥].

حسن بن أحمد بن حزم بن كوثر، أبو بكر القيسي القرطبي (ت: ٣٩٣هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٦]، لا أدري هل هو أخو حزم السابق ذكره، أم إن اسم أحدهما تصحّف!!

الحسين بن حي بن عبد الملك، أبو عبدالله التجيبي القرطبي، الفقيه، ويعرف بالحزقة، (٣٣٦هـ - ٤٠١هـ)، أخذ عن الآجري كثيرًا من تصانيفه[٧].

حماد بن شقران، أبو محمد الطليطلي الإستجي، المجاهد، (ت: ٣٥٤هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٨].

---

(١) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ١٠٠)، «الصلة في تاريخ أئمة الأندلس» (١/ ٥١).

(٢) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ٩٩).

(٣) «الثمانون» (ص:). (٤) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٩٤).

(٥) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ١٣٧).

(٦) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ١٣٢).

(٧) «الصلة في تاريخ أئمة الأندلس» (١/ ١٣٩)، «تاريخ الإسلام» (٩/ ٢٩).

(٨) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ١٤٨).

حمزة بن موسى المؤدب، أبو محمد الإشبيلي، روى عن الحافظ الآجري بمكة[١].

خالد بن عبد الملك بن خالد، أبو بكر الاستجي، (ت٣٦٢هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٢].

خلاص بن منصور بن سملتون، أبو القاسم البزاز البطليوسي القرطبي، (ت٣٨٠هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٣].

خلف بن سعيد بن عبدالله، أبو القاسم ابن المرابط الكلبي القرطبي (ت: قبل ٤٠٠هـ)، سمع من الحافظ الآجري[٤].

خلف بن فرح بن عثمان، أبو محمد الكلاعي الإلبيري، (ت: ٣٧١هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٥].

خلف بن القاسم بن سهل، أبو القاسم الأزدي الأندلسي القرطبي، الحافظ ، الإمام المتقن، المعروف بابن الدباغ؛ (٣٢٥هـ-٣٩٣هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٦].

رشيد بن فتح الدجاج، أبو القاسم القرطبي، (ت: ٣٧٦هـ)، سمع من الحافظ الآجري كثيرًا من مؤلفاته[٧].

سعيد بن حمدون بن محمد، أبو عثمان القيسي القرطبي، الصوف (ت: ٣٧٨هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٨].

---

(١) «التكملة لكتاب الصلة» (١/ ٢٢٥).
(٢) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ١٥٦).
(٣) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ١٦٧).
(٤) «تاريخ الإسلام» (٨/ ٨٢٨).
(٥) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ١٦٢).
(٦) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ١٦٣)، «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٣١١).
(٧) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ١٧٤).
(٨) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ٢٠٦).

سعيد بن عثمان، أبو عثمان البنا، الشيخ الصالح، المجاهد؛ سمع من الحافظ الآجري بمكة، وقال: سمعته يقول: «من قبل يد سلطان فكأنما سجد لغير الله»(١).

سعيد بن محمد بن سيد أبيه، أبو عثمان الأموي الأندلسي، الزاهد، المجاهد، (٣٢٨هـ-٣٩٧هـ)، حج وأكثر عن الحافظ الآجري(٢).

سلمة بن سعيد بن سلمة، أبو القاسم الإستجي القرطبي الأنصاري، المحدث؛ (٣٢٧هـ-٤٠٦هـ)، لقي الحافظ الآجري، وسمع منه بعض مصنفاته(٣).

صخر بن سعيد بن صخر، أبو عمر المرشاني (٣١٤- وكان حيًا ٣٩٩هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة(٤).

طلحة بن أسد بن عبدالله، الرقي الأسدي نزيل دمشق، ثقة مأمون، (ت: ٣٩٤هـ)، روى عن الحافظ الآجري، وحدث بكتبه كلها(٥).

العباس، أبو الفتح الحمراوي، يعرف بمولى الخادم، (ت: ٤١٣هـ)، عنده عن الحافظ الآجري(٦).

عبد الحميد بن محمد بن عبدالله، أبو بكر الزهيري القرطبي، من ولد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ويعرف بابن عصيمة (٣٣٠هـ - نحو ٣٨٠هـ)، كتب بمكة عن الحافظ الآجري(٧).

---

(١) «الصلة في تاريخ أئمة الأندلس» (١/ ٢٠٦).
(٢) «تاريخ الإسلام» (٨/ ٧٧٢).
(٣) «الصلة في تاريخ أئمة الأندلس» (١/ ٢١٩).
(٤) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ٢٣٩).
(٥) «تاريخ الإسلام» (٨/ ٧٣٩).
(٦) «تاريخ الإسلام» (٩/ ٢١٨).
(٧) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ٣٣٥).

عبد الرحمن بن أحمد بن محمد، أبو المطرف البكري البزاز القرطبي، ويعرف بابن المنخرين، (ت: ٣٧٠هـ)، سمع من الحافظ الآجري كثيرًا من مؤلفاته[١].

عبد الرحمن بن خلف بن سدمون، أبو المطرف التجيبي (ولد ٣٠٠- حج سنة ٣٤٩هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٢].

عبد الرحمن بن عبيد الله بن موسى، أبو المطرف القرطبي، المحدث، ويعرف بابن الزامر، (٣٢٠هـ-٣٦٩هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٣].

عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد، أبو محمد التجيبي المصري، المالكي، الشيخ، الإمام، الفقيه، المحدث، مسند الديار المصرية، المعروف بابن النحاس؛ (٣٢٣هـ - ٤١٦هـ)، حدث عن الحافظ الآجري[٤].

عبد الرحمن بن عيسى بن محمد، أبو المطرف الطليطلي، المحدث، الزاهد، الورع، (ت: ٣٦٣هـ)، رحل بعد الأربعين فسمع من الحافظ الآجري بمكة[٥].

عبد الرحمن بن هشام بن جهور، أبو موسى المرشاني، شيخ حليم صالح، (ت: ٣٨٤هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٦].

عبدالعزيز بن أحمد بن يعقوب، أبو القاسم الحربي، الواعظ الحنبلي، المعروف بغلام الزجاج، (كان حيًا ٣٨٨هـ)[٧].

---

(١) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ٣٠٧).
(٢) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ٣١٠).
(٣) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ٣٠٧)، «تاريخ الإسلام» (٨/ ٣٠٧).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٣٥)، (١٧/ ٣١٣).
(٥) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ٣٠٥).
(٦) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ٣٠٨).
(٧) «تاريخ مدينة السلام» (١٢/ ٢٤٠)، «طبقات الحنابلة» (٣/ ٣٠٢).

عبـد الله بـن إبراهيم بن محمد، أبـو محمد الأصيلي الأندلسي، الحافظ الثبت، شيخ المالكية، لم يرَ مثله الدارقطني، (ت: ٣٩٢هـ)، كتب عن الحافظ الآجري بمكة[١].

عبـد الله بن بكر بن المثنى، أبو العباس السـهمي المـدني، (ت: ٤١٦هـ)، روى عن الحافظ الآجري[٢].

عبد الله بن سعد، أبو محمد القرطبي (ت: قبل ٣٧٠هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٣].

عبـد الله بـن محمد بن عبد الرحمن، أبو القاسـم القرطبي، محـدث صالح، رحل إلى المشرق فسمع من الحافظ الآجري[٤].

عبدالله بن يوسف، أبو محمد الفقيه، روى عن الحافظ الآجري بمكة[٥].

عبد الملك بن محمد بن عبدالله بن بشران، أبو القاسـم السكري الأموي مولاهم، البغدادي، الشيخ، الإمام، المحدث الصادق، مسند العراق؛ (٣٣٩هـ - ٤٣٠هـ)، سمع مـن الحافـظ الآجـري، وروى مؤلفاته، ومنهـا كتـاب: «الشريعة»، و كتـاب: «الثمانين» للآجري[٦].

عبدوس بن محمد بن عبدوس، أبو الفرج الطليطلي، ثقة، (ت: ٣٩٠هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٧].

---

(١) «تاريخ الإسـلام» (٨/ ٧١٢)، «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٥٦٠)، «طبقات الحفاظ» للسيوطي، ص: [٤٠٦].

(٢) «تاريخ الإسلام» (٩/ ٢٦٩).

(٣) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ٢٧٥).

(٤) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ٢٧٣).

(٥) «الجامع لشعب الإيمان» برقم (١٧١٦، ٧٨٨٤، ٧٨٨٦).

(٦) «تاريخ الإسلام» (٩/ ٤٧٦)، «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٤٥٠).

(٧) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ٣٨٣)، «فهرسة ابن خير» (ص٢٨٥).

عبيد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر، أبو القاسم السقطي البغدادي، الإمام، المحدث، الثقة؛ (ت: ٤٠٦هـ)، روى مؤلفات الحافظ الآجري، ومنها كتاب: «الشريعة»[١].

عبيد الله بن محمد بن محمد، أبو عبدالله العكبري، ابن بطة، الإمام، القدوة، العابد، الفقيه، المحدث، شيخ العراق الحنبلي، (٣٠٤هـ - ٣٨٧هـ)، روى عن الحافظ الآجري[٢].

عثمان بن سعد، أبو القاسم البزاز القرطبي، (ت: ٣٧٩هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٣].

علي بن أحمد بن عمر بن حفص، أبو الحسن الحمامي البغدادي، الإمام، المحدث، مقرئُ العراق؛ (٣٢٨هـ - ٤١٧هـ)، حدث عن الحافظ الآجري، وهو أحد رواة جزء: «الثمانين» للآجري[٤].

علي بن أحمد بن محمد بن الحسين بن أبي حامد، الأصبهاني، حدث عن الحافظ الآجري[٥].

علي بن محمد بن عبدالله بن بشران، أبو الحسين الأموي البغدادي المعدل؛ (٣٢٨هـ - ٤١٥هـ)، روى عن الحافظ الآجري[٦].

---

(١) «فهرسة ابن خير» (ص: ٢٨٥)، «الصلة في تاريخ أئمة الأندلس» (٢/ ٦٢٣)، «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٣٦).

(٢) «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» برقم (٨٢، ٢٢٩)، «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٥٢٩).

(٣) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (١/ ٣٥١).

(٤) «تاريخ مدينة السلام» (٣/ ٣٥)، «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٤٠٢).

(٥) «الجامع لأخلاق الراوي» برقم [٥٣٧].

(٦) «تاريخ مدينة السلام» (٣/ ٣٥)، «تاريخ الإسلام» (٩/ ٢٥٨)، «العقد الثمين» (٢/ ٣).

علي بن محمد بن علي، أبو القاسم الحسيني الزيدي الحراني، المقرئ الحنبلي السني، (ت: ٤٣٣هـ)، روى عن الحافظ الآجري[١].

علي بن معاوية بن مصلح، أبو الحسن الأندلسي، شيخ فاضل، ثقة، (٣١٣هـ-٣٩٧ هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٢].

عمر بن محمد بن عمر، أبو حفص الجهني الأندلسي (ت: ٤٠٩هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة، وحدّث بكتاب «الأربعين حديثًا» للآجري، وحدّث به عنه الحافظ الأثري أبو عمر أحمد بن محمد المقرئ الطلمنكي[٣].

عيسى بن إبراهيم بن سعد[٤]، أبو بكر الأنصاري القيرواني.

فتح بن إبراهيم، أبو نصر الأموي القشاري الطليطلي، شيخ صالح، يعرف بابن القشاري، (٣٢٣هـ-٤٠٣هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٥].

قاسم بن أبي شجاع السرتي، ذكره الحافظ ابن ميمون[٦]، والحافظ ابن شنظير[٧] في شيوخهما، حدث عن الحافظ الآجري[٨].

---

(١) «تعزية المسلم» لابن عساكر برقم [٩٢]، «تاريخ الإسلام» (٩/ ٥٢٩).

(٢) «تاريخ الإسلام» (٨/ ٧٧٦).

(٣) «الصلة في تاريخ أئمة الأندلس» (١/ ٣٧٥)، «تاريخ الإسلام» (٩/ ١٤٣).

(٤) «فرض طلب العلم» (ص٥٢).

(٥) «الصلة في تاريخ أئمة الأندلس» (٢/ ٤٣٥)، «تاريخ الإسلام» (٩/ ٦٢).

(٦) الحافظ ابن ميمون: هو أحمد بن محمد بن عبيدة بن ميمون، أبو جعفر الأموي الطليطلي، الإمام الحافظ؛ توفي سنة (٤٠٠هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٥٠).

(٧) الحافظ ابن شنظير: هو إبراهيم بن محمد بن حسين بن شنظير، أبو إسحاق الأموي، الإمام الحافظ؛ توفي سنة (٤٠٢هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٥١).

(٨) «معجم البلدان» مادة «سرتة»، «تكملة الإكمال» (٣/ ٣٢٤)، «توضيح المشتبه» (٥/ ٨٣).

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو بكر الهمداني الذكواني الأصبهاني العالم الحافظ الرحال، الثقة، (٣٣٣هـ-٤١٩هـ)، صاحب كتاب «طبقات الأصبهانيين»، روى عن الحافظ الآجري[(١)].

محمد بن الحسن، أبو الفتح الحمراوي، روى عن الحافظ الآجري بمكة[(٢)].

محمد بن الحسين بن محمد بن الفضل، أبو الحسين القطان البغدادي الأزرق، العالم الثقة، المسند، (٣٣٥هـ-٤١٥هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[(٣)].

محمد بن خليفة بن عبدالجبار، أبو عبد الله البلوي القرطبي، المؤدب، (ت:٣٩٢هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة، وروى كتبه[(٤)].

محمد بن سعدون، أبو عبدالله الأندلسي، الزاهد، الورع، (ت: ٣٩٢هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[(٥)].

محمد بن علي بن عطية، أبو طالب الحارثي المكي، مصنف كتاب «قوت القلوب»، (ت: ٣٨٦هـ)، روى عن الحافظ الآجري بمكة[(٦)].

محمد بن علي بن عمرو، أبو سعيد النقاش الأصبهاني، الإمام الحافظ، البارع الثبت، الحنبلي، من أئمة الأثر؛ (ت: ٤١٤هـ)، روى عن الحافظ الآجري[(٧)].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٤٣٣)، «تاريخ الإسلام» (٩/ ٣١١).

(٢) «مسند الشهاب» رقم [٧٤٠].

(٣) «تاريخ مدينة السلام» (٣/ ٣٥)، «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٣٣١).

(٤) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (٢/ ١٠٦)، «فهرسة ابن خير»، ص: [٢٨٥].

(٥) «تاريخ الإسلام» (٨/ ٧١٩).

(٦) «تاريخ الإسلام» (٨/ ٥٩٩).

(٧) «فوائد العراقيين» برقم (٢٠، ٨٢)، «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٣٠٧).

محمد بن محمد بن مسلمة بن سعيد، أبو محمد الأيادي الأندلسي، الفقيه الزاهد؛ (ت: ٣٩١هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[١].

محمد بن هشام بن جهور، أبو الوكيل المرشاني القرطبي، (ت: ٣٧١هـ)، رحل بعد الخمسين فسمع من الحافظ الآجري، قرئ عليه كتب الحافظ الآجري وأجازها للحافظ ابن الفرضي عبدالله الأزدي[٢] صاحب كتاب: «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس».

محمود بن عمر بن جعفر، أبو سهل العكبري الفارسي، الشيخ الأديب، (٣٢١هـ-٤١٣هـ)، سمع بمكة من الحافظ الآجري، وأجاز كتب الآجري[٣].

مسعود بن سعيد، أبو سعيد السرقسطي القرطبي، روى عن الحافظ الآجري[٤].

مسلمة بن محمد بن مسلمة، أبو محمد الأيادي القرطبي، الفقيه، الزاهد، الورع، المجاهد، (ت: ٣٩١هـ)، سمع من الحافظ الآجري يسيرًا[٥].

معاذ بن محمد بن عبدالغالب، أبو محمد الصيداوي، روى عن الحافظ الآجري بمكة[٦].

معاوية بن منتيل بن معاوية، أبو عبدالرحمن الطليطلي، (ت: ٣٧٥هـ)، سمع من الحافظ الآجري بمكة[٧].

---

(١) لم أقف على ترجمته في «تاريخ الإسلام» طبعة دار الغرب، ووقفت عليه في «تاريخ الإسلام» (٢٧/ ٢٦٠) طبعة دار الكتاب العربي.

(٢) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (٢/ ٨٤)، «تاريخ الإسلام» (٨/ ٣٧٠).

(٣) «تاريخ مدينة السلام» (٣/ ٣٥) (١٥/ ١١٥).

(٤) «التكملة لكتاب الصلة» (٢/ ١٩٥).

(٥) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» (٢/ ١٣٠)، «ترتيب المدارك» (٧/ ١٤).

(٦) «تاريخ دمشق» (٥٨/ ٤٦٤).

(٧) «الصلة في تاريخ أئمة الأندلس» (٢/ ٥٨٠).

يوسف بن عمر بن مسرور، أبو الفتح القواس البغدادي، الزاهد المحدث، الثقة، (٣٠٠هـ-٣٨٥هـ)، روى عن الحافظ الآجري[١].

مذهب الحافظ الآجري الفقهي:

لم يلتزم الحافظ الآجُرِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مذهبًا من المذاهب الأربعة المشهورة، إنما كان كغيره من المحدثين فقيهًا مجتهدًا.

ولقد تَنازع العلماء في تعيين مذهب الحافظ الآجري، فمن العلماء من عدَّه شافعي المذهب، ومن أوائل من جزم بذلك المؤرخ ابن النديم(ت: ٤٣٨هـ)، القائل: «الآجُرِّي، كان على مذهب الشافعي»[٢].

وبه جزم المؤرخ ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)؛ والفقيه المؤرخ ابن خلكان الشافعي (ت: ٦٨١هـ)؛ والمؤرخ الفقيه الصفدي الشافعي (ت: ٧٦٤هـ)؛ والفقيه يحيى العامري الشافعي (ت: ٨٩٣هـ)؛ والفقيه المؤرخ محمد الغزي الشافعي (ت: ١١٦٨هـ)؛ والحافظ محمد مرتضى الزبيدي الحنفي (ت: ١٢٠٥هـ)؛ والمحدث الكتاني المالكي (ت: ١٣٤٥هـ) بقولهم: «الآجُرِّي، الفقيه الشافعي»[٣].

وبذلك ترجم الفقيه السبكي الشافعي (ت: ٧٧١هـ) والفقيه الأسنوي الشافعي (ت: ٧٧٢هـ) للحافظ الآجري في طبقاتهم عن الشافعية[٤].

---

(١) «تاريخ دمشق» (٥١/ ٢٦٠)، «تاريخ الإسلام» (٨/ ٥٨٧).

(٢) «الفهرست» (ص٢٦٤).

(٣) «معجم البلدان» مادة «أجر»، «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٩٢)، «الوافي بالوفيات» (٢/ ٣٧٣)، «غربال الزمان»، ص: [٣١١]، «ديوان الإسلام» (١/ ٧٤)، «تاج العروس» مادة «أجر»، «الرسالة المستطرفة»، ص: [٤٢].

(٤) «طبقات الشافعية الكبرى» (٣/ ١٤٩)، «طبقات الشافعية» للأسنوي (١/ ٥٠).

ولعل من أدلة علماء الشافعية وغيرهم بشافعية الحافظ أبي بكر الآجري، التالي:

أن الحافظ أبي بكر الآجري ألف مصنفًا في مناقب الشافعي(١).

إفتاء الحافظ أبي بكر الآجري بمذهب الإمام الشافعي، واقتنائه لكتب الشافعي، وذلك في الحكاية التي وقعت بينه وبين الفقيه المحدث ابن بطة عبيد الله بن محمد العكبري الحنبلي(٣٠٤هـ - ٣٨٧هـ)، القائل: «سألت أبا بكر الآجري -وأنا وهو في منزله في مكة- عن هذا الخلع الذي يفتي به الناس - وهو أن يحلف رجل أن لا يفعل شيئًا لابد له من فعله، فيقال له: اخلع زوجتك، وافعل ما حلفت عليه، ثم راجعها-، واليمين بالطلاق ثلاثًا، وقلت: إن قومًا يفتون الرجل الذي يحلف بأيمان البيع ويحنث أن لا شيء عليهن ويذكرون أن الشافعي لم يرَ على من حلف بيمين البيعة شيئًا، فجعل أبو بكر يعجب من سؤالي عن هاتين المسألتين في وقت واحد؛ ثم قال لي: اعلم منذ كتبت العلم وجلست للكلام فيه، والفتوى ما أفتيت في هاتين المسألتين بحرف، ولقد سألت أبا عبدالله الزبيري الضرير عن هاتين المسألتين، كما سألتني عن التعجب ممن يقدم على الفتوى فيهما؛ فأجابني بجواب كتبته عنه، **ثم قام [أي أبو بكر الآجري] فأخرج لي كتاب أحكام الرجعة والنشوز من كتابي الشافعي**، وإذا مكتوب على ظهره بخط أبي بكر: سألت أبا عبدالله الزبيري فقلت له: الرجل يحلف بالطلاق ثلاثًا أن لا يفعل شيئًا، ثم يريد أن يفعله، وقلت له: إن أصحاب الشافعي يفتون فيها بالخلع؛ يخالع ثم يفعل فقال الزبيري: ما أعرف هذا من قول الشافعي، وما بلغني أن له في هذا قولًا معروفًا، ولا أرى من يذكر هذا عنه إلا محيلًا.

---

(١) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات»، ص: [١١٠]، «الجواهر والدرر» (٣/ ١٢٥٩).

وقلت له: الرجل يحلف بأيمان البيعة، فيحنث ويبلغني أن قومًا يفتونهم أن لا شيء عليه، أو كفارة يمين، فجعل الزبيري يتعجب من هذا، وقال: أما هذا فما بلغني عن عالم ولا بلغني فيه قول ولا فتوى، ولا سمعت أن أحدًا أفتى في هذه المسألة بشيء قط. قلت للزبيري: ولا عندك فيها جوابٌ، فقال: إن ألزم الحالف نفسه جميع ما في يمين البيعة، وإلا فلا أقول غير هذا.

قال الإمام أبو عبدالله ابن بطة: فكتبت هذا الكلام من ظهر كتاب أبي بكر وقرأته عليه، ثم قلت له: فأنت إيش تقول يا أبا بكر؟ فقال: هكذا أقول، وإلا فالسكوت عن الجواب أسلم لمن أراد السلامة إن شاء الله تَعَالَىٰ. ذكر هذا الإمام أبو عبدالله ابن بطة في جزء صنفه في الرد على من يفتي بخلع اليمين وذكر الآثار فيه عن السلف بالرد عليه وأنه مُحدث في الإسلام: وأبو عبدالله الزبيري **أحد الأئمة الأعلام من قدماء أصحاب الشافعي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[(١)].

بلد الحافظ أبي بكر الآجري الذي استقر به -أعني مكة المكرمة-، لأن جُل ساكنيها في تلك الفترة من الشافعية.

بيد أن الحافظ تقي الدين الفاسي المالكي المكي (ت٨٣٢هـ) عارض من قال بشافعية الحافظ أبي بكر الآجري، فقال: «وفيما ذكره ابن خلكان: من أن الآجُرِّي كان شافعيًا نظر؛ لأنه حنبلي»[(٢)].

ومن العلماء من عدَّ الحافظ الآجري حنبلي المذهب، من ذلك الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ)[(٣)]، والحافظ تقي الدين الفاسي المكي المالكي (ت:٨٣٢هـ)[(٤)]، والفقيه ابن مفلح الحنبلي (ت:٨٨٤هـ)[(٥)]، والفقيه ابن العماد الحنبلي (ت:١٠٨٩هـ)[(٦)].

---

(١) «بيان الدليل على بطلان التحليل»، ص: [٣٦].
(٢) «العقد الثمين» (٢/ ٤).
(٣) «مناقب الإمام أحمد»، ص: [٥١٥].
(٤) «العقد الثمين» (٢/ ٤).
(٥) «المقصد الأرشد» (٢/ ٣٨٩).
(٦) «شذرات الذهب» (٤/ ٣١٧).

ولعل من أدلة علماء الحنابلة وغيرهم، بحنبلية الحافظ أبي بكر الآجري، التالي:

بيئة الحافظ أبي بكر الآجري التي ولد فيها ونشأ فيها -أعني بغداد، فقد كانت من مساكن الحنابلة لفترات طويلة.

موافقة الحافظ أبي بكر الآجري للإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) في كثير من مسائل الاعتقاد على ما تشهد به كتبه ككتاب: «الشريعة»، وكتاب: «التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة»[١]، وكتاب «شرح قصيدة ابن أبي داود»[٢].

كون بعض فقهاء الحنابلة ينقل عنه في الفروع بعض الاختيارات[٣].

كون ابن الزاغوني ذكر في «الواضح» عن الإمام أحمد أن الجد كالأب يحجب الإخوة، وهي اختيار أبي حفص العكبري وأبي بكر الآجري، وعادة ابن الزاغوني ألا يذكر إلا اختيارات الحنابلة[٤].

مصنفه «النصيحة» في الفقه الحنبلي، كما قال الفقيه عبدالقادر بن بدران الحنبلي (ت١٣٤٦هـ) في كتابه «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل»، وهذا نصه: «الآجري محمد، له مصنفات منها: كتاب «النصيحة» في الفقه وعادته فيه أنه لا يذكر إلا اختيارات الأصحاب»[٥].

بيد أن الفقيه الأسنوى الشافعي(ت: ٧٧٢هـ) عارض من قال بحنبلية الحافظ أبي بكر الآجري، فقال: «نازع بعضهم في كونه شافعيًا، وادعى أنه حنبلي»[٦].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٨٦)، «صلة الخلف»، ص: [١٦٣].

(٢) «فهرسة ابن خير»، ص: [٢٨٥].

(٣) «المقصد الأرشد» (٢/ ٣٩٠).

(٤) «المقصد الأرشد» (٢/ ٣٩٠).

(٥) «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد»، ص: [٤١٧].

(٦) «طبقات الشافعية» للأسنوي (١/ ٥٠).

ومـن العلـماء من عد الحافـظ الآجري مالكي المذهـب، وقد رد هـذا القول الفقيه ابن مفلح الحنبلي (ت: ٨٨٤هـ)، فقال: «نُقل عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية أنه مالكي المذهـب، والأصح خلافـه»[١]، أي إنه حنبلي المذهب ولذلك ترجم له في كتابه «المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد».

ولعـل مـن أدلـة علمـاء المالكية وغيرهـم، بمالكيـة الحافظ أبي بكـر الآجري، التالي:

كثـرة الآخذيـن عـن الحافـظ أبي بكـر الآجـري مـن علـماء الأندلـس وحجـاج المغاربة[٢].

كون الحافظ أبي بكر الآجري على مذهب الإمام مالك في جملة من المسائل الفقهية، كتحريـم إتيان النسـاء في أدبارهـن[٣]، وتحريم النرد والشـطرنج والملاهي[٤]، ومسـألة الجهـر بالذكـر[٥]، وكذا مسـألة وضع المصلي يمينه على شـماله في الصـلاة[٦]، وكُل هذه المسائل ألف فيها الحافظ الآجري كتبًا[٧].

قلـت: والـذي أميل إليه أن الحافظ الآجـري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لم يلتزم مذهبًـا بعينه، إنما هو محدث فقيه مجتهد كالحفاظ المتقدمين البخاري، ومسلم، وغيرهم.

---

(١) «المقصد الأرشد» (٢/ ٣٩٠).

(٢) انظر: فصل (تلامذة الحافظ الآجري)، ص: (١٤ - ٢٤).

(٣) انظر: «صلة الخلف»، ص: [١٦٤].

(٤) انظر: «إيضاح المكنون» (١/ ٢٣٥).

(٥) انظر: «تاريخ التراث العربي» (١/ ٣٩٢).

(٦) انظر: «صلة الخلف»، ص: [١٦٤].

(٧) «الشريعة» للآجري (١/ ١٦٣).

فائدة: سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) عن الإمام البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي هل كانوا مجتهدين أم مقلدين؟ فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «أما البخاري، وأبو داود، فإمامان في الفقه من أهل الاجتهاد؛ وأما مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وأبو يعلى، والبزار، ونحوهم؛ فهم على مذهب أهل الحديث، ليسوا مقلدين لواحد بعينه من العلماء، ولا هم من الأئمة المجتهدين على الإطلاق، بل هم يميلون إلى قول أئمة الحديث، كالشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، وأمثالهم»(١).

وها هو الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو من أعلم الناس به، وقد ترجم له في أكثر من خمس مصنفات له، فلم ينسبه إلى أي من هذه المذاهب، بل قال: «كان أثريًا»، وقال: «إمام قدوة، فقيه».

ثم إن الأصل في السلف الأوائل وأهل العلم من المتقدمين أنهم لم يكونوا متمذهبين، فلا يعرف ذلك في الأئمة أنفسهم، بل نهوا أتباعهم عن ذلك فهذا الإمام أحمد يقول: «لا تقلدني ولا تقلد مالكًا ولا الأوزاعي، وخُذ من حيث أخذوا»(٢).

عقيدة الحافظ الآجري:

كان الإمام الآجُرِّي سلفي العقيدة، وكتبه شاهدة على سلفيته ونصرته للكتاب والسُّنة، وخاصة في كتابه: «الشريعة»، قال الحافظ محمد بن أحمد الصالحي (ت: ٧٤٤هـ) والحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): «الآجُرِّي، صاحب سُنَّة واتباع»(٣).

وقال الفقيه ابن العماد الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ): «الآجُرِّي، صاحب سُنَّة»(٤).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ٣٩-٤٠).

(٢) مقدمة كتاب «الشريعة» للآجري (١/ ٤٢).

(٣) «طبقات علماء الحديث» (٣/ ١٢٩)، «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٩٣٦)، «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٣٤).

(٤) «شذرات الذهب» (٤/ ٣١٧).

مصنفات الحافظ الآجري:

صنف الحافظ الآجُرِّي مصنفات كثيرة في شتى العلوم، قال المؤرخ ياقوت الحموي(ت: ٦٢٦هـ)، والحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): «له مصنفات كثيرة»[١]، وقال الفقيه ابن العماد الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ): «الآجُرِّي، صنف كثيرًا»[٢].

وقال المؤرخ الفقيه الصفدي (ت: ٧٦٤هـ): «الآجُرِّي، صنف في الحديث، والفقه كثيرًا»[٣]. وهي مع كثرتها قيمة ومفيدة، قال الحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): «حسن التصانيف»[٤]، وقال الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): «مفيدة»[٥]، وقال الفقيه ابن مفلح (ت: ٨٨٤هـ): «اختياراته حسنة»[٦].

ودونك المطبوع، والمخطوط من مصنفات الحافظ محمد بن الحسين الآجُرِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخبار عمر بن عبدالعزيز وسيرته»[٧]، مطبوع[٨].

«أخلاق حملة القرآن»[٩]، مطبوع[١٠]، قال الفقيه أبو شامة عبدالرحمن (ت: ٦٦٥هـ): «خرّج أبو بكر محمد بن الحسين الآجري جزءًا في حلية القارئ، جمع فيه أخبارًا وآثارًا حسنة»[١١].

---

(١) «معجم البلدان» مادة «آجر»، «البداية والنهاية» (١١/ ٢٨٨).

(٢) «شذرات الذهب» (٤/ ٣١٧).

(٣) «الوافي بالوفيات» (٢/ ٣٧٣).

(٤) «العلو»، ص: [٢٢٩].

(٥) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٨٨).

(٦) «المقصد الأرشد» (٢/ ٣٨٩).

(٧) «كشف الظنون» (١/ ٢٨)، «هدية العارفين» (٢/ ٤٦).

(٨) مطبوع، بتحقيق: د. عبدالله عسيلان، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٩) «فهرسة ابن خير»، ص: [٢٨٥]، «الأعلام» (٦/ ٩٧).

(١٠) مطبوع، بتحقيق: فواز زمرلي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. وطبع بتحقيق: د. عبدالعزيز القارئ، الناشر: مكتبة الدار، المدينة النبوية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م؛ وهي أجود من الطبعة الأولى.

(١١) «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز»، ص: [٤٣٩].

«أخلاق العلماء»[١]، مطبوع[٢].

«أدب النفوس»[٣]، مطبوع[٤].

«الأربعون»[٥]، مطبوع[٦]؛ قال المحدث الكتاني (ت: ١٣٤٥هـ): «الأربعون» لأبي بكر الآجري جزء لطيف في كراريس»[٧].

«الأمر بلزوم الجماعة وترك الابتداع»، مخطوط[٨].

«تحريم إتيان النساء في أدبارهن»[٩]، مطبوع[١٠].

«تحريم النرد والشطرنج والملاهي»[١١]، مطبوع[١٢].

---

(١) «كشف الظنون» (١/ ٣٧)، «هدية العارفين» (١/ ٤٦).

(٢) مطبوع، بتحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري وعبدالله آل الشيخ، الناشر: مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة، بدون تاريخ نشر. وطبع بتحقيق: أحمد حاج عثمان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

(٣) «الرسالة المستطرفة»، ص: (٥٣، ١٦٦).

(٤) مطبوع، بتحقيق: عبدالعزيز بن محمد المكي، الناشر: مكتبة لينة؛ وطبع ضمن مجموع بتحقيق: مشهور آل سلمان، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٥) «فهرسة ابن خير»، ص: [٢٨٦]، «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٣٤).

(٦) مطبوع، بتحقيق: بدر البدر، الناشر: مكتبة المعلا، الكويت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

(٧) «الرسالة المستطرفة»، ص: [١٠٢].

(٨) مخطوط في مكتبة الأسد بدمشق مجموع رقم: ٤٨ (ق ١٨-٢٩).

(٩) «صلة الخلف»، ص: [١٦٤].

(١٠) مطبوع باسم «تحريم اللواط»، تحقيق: خالد علي محمد، الناشر: الصفحات الذهبية، الرياض، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(١١) «إيضاح المكنون» (١/ ٢٣٥)، «هدية العارفين» (٢/ ٤٦).

(١٢) مطبوع، بتحقيق: عمر غرامة العمرواي، الناشر: دار البخاري للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ.

«التصديق بالنظر إلى الله تَعَالَى في الآخرة»[(١)]، مطبوع[(٢)]؛ وهو ضمن أبواب كتاب: «الشريعة» للآجري.

«التهجد وفضائل قيام الليل»[(٣)]، مطبوع[(٤)].

«الجزء فيه ثمانون حديثًا عن ثمانين شيخًا»[(٥)]، مطبوع.

«جزء فيه حكايات عن الشافعي وغيره»[(٦)]، مطبوع[(٧)].

«الشريعة»[(٨)]، مطبوع[(٩)]؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ): «وقد صنف الشيخ أبو بكر الآجري كتاب: «الشريعة»، وصنف الشيخ أبو عبدالله ابن بطة

---

(١) «صلة الخلف»، ص: [١٦٣]، «هدية العارفين» (٢/ ٤٦).

(٢) مطبوع، بتحقيق: سمير الزهيري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٣) «فهرسة ابن خير»، ص: [٢٨٥]، «صلة الخلف»، ص: [١٦٤].

(٤) مطبوع باسم «فضل قيام الليل والتهجد»، تحقيق: عبداللطيف الجيلاني، الناشر: دار الخضيري، المدينة النبوية، ١٤١٧هـ.

تنبيه: فرق الدكتور عبداللطيف الجيلاني بين كتاب «فضل قيام الليل والتهجد»، وكتاب «قيام الليل وفضل رمضان»، فقال: «والكتاب الذي بين أيدينا - يعني «فضل قيام الليل والتهجد»- لا يتضمن الحديث عن فضل قيام رمضان مما يقوي القول بأن ما ذكره ابن خير كتاب آخر». «فضل قيام الليل والتهجد» (ص٤٦).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٣٤)، «العقد الثمين» (٢/ ٤).

(٦) «فهرست الكتب» لابن المبرد، ص: [١١٧]، «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (المنتخب من مخطوطات الحديث)»، ص: [١٨].

(٧) مطبوع، بتحقيق: إبراهيم الهاشمي الأمير، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(٨) «فهرسة ابن خير» (ص٢٨٥)، «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٣٤).

(٩) مطبوع، بتحقيق: حامد الفقي بالقاهرة سنة ١٣٦٩هـ وهي طبعة ناقصة ورديئة -كما قال الدكتور عبد اللطيف الجيلاني محقق كتاب «فضل قيام الليل» للآجري-؛ وطبع بتحقيق: الوليد بن محمد سيف النصر، الناشر: مؤسسة قرطبة بمصر، والمكتبة المكية بمكة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦. وطبع بتحقيق:

كتـاب: «الإبانـة عن شريعة الفرقة الناجية»، وإنما مقصود هؤلاء الأئمة في السـنة باسـم «الشريعة»: العقائد التي يعتقدها أهل السـنة من الإيـمان، مثل اعتقادهم أن الإيمان قول وعمـل، وأن الله موصـوف بما وصف به نفسـه ووصفه به رسـوله، وأن القرآن كلام الله غـير مخلـوق، وأن الله خالق كل شيء وما شـاء الله كان وما لم يشـأ لم يكـن، وأنه على كل شيء قديـر، وأنهـم لا يكفـرون أهـل القبلة بمجرد الذنـوب، ويؤمنون بالشـفاعة لأهل الكبائر، ونحو ذلك من عقائد أهل السـنة، فسـمّوا أصـول اعتقادهم شريعتهم، وفرقوا بين شريعتهم وشريعة غيرهم»[١].

«الغرباء»[٢]، مطبوع[٣].

«فرض طلب العلم»[٤]، مطبوع[٥].

«مسألة الطائفين»، مطبوع[٦].

«وصول المشتاقين ونزهة المستمعين»[٧]، مخطوط[٨].

= د. عبدالله الدميجي، الناشر: دار الوطن، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. وطبع بتحقيق: عصام موسى هادي، ومحلى بأحكام العلامة الألباني، الناشر: دار الدليل الأثرية، الجبيل، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٣٠٦).

(٢) «فهرسة ابن خير»، ص: [٢٨٥]، «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٣٤).

(٣) مطبوع باسـم «صفة الغرباء من المؤمنين»، تحقيق: بدر البدر، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسـلامي، الكويت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٤) «فهرسة ابن خير»، ص: [٢٨٥]، «الإعلام» (٦/ ٩٧).

(٥) مطبـوع، بتحقيـق: عـلي الرازحي، النـاشر: مكتبة المعـارف للنشر والتوزيع، الريـاض، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠هـ.

(٦) مطبوع، بتحقيق: عمرو علي عمر، دار الكتبي، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٧) «هدية العارفين» (٢/ ٤٧).

(٨) مخطوط في أولو جامع في بورسـة تحت رقم (٢٠٦٧/ ١) (١أ-٤٧أ)، القرن السـابع الهجري. «معجم مصنفات الحنابلة» (١/ ٣٤٨).

ثناء العلماء على الحافظ الآجُرّي:

أثنى على الحافظ الآجُرِّي جمع كبير من العلماء، من ذلك:

الحافظ الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ) القائل: «الآجُرِّي، كان ثقة صدوقًا دينًا»(١).

والعالم الفقيه ابن البنا الحسن (ت: ٤٧١ هـ)، القائل: «الآجري، كان إمامًا ناصحًا، ورعًا صالحًا، وكلامه نيّرًا»(٢).

والحافظ السمعاني (ت: ٥٦٢هـ)، القائل: «الآجري، ثقة، صدوق، دين»(٣).

والمؤرخ الفقيه ابن خلكان (ت: ٦٨١) القائل: «الآجُرِّي، كان صالحًا عابدًا»(٤).

والحافظ محمد بن أحمد بن عبدالهادي الصالحي (ت: ٧٤٤هـ)، القائل: «الآجُرِّي، الإمام، القدوة، كان عالمًا، عاملًا، صاحب سُنَّة واتباع»(٥).

والحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) القائل: «الآجُرِّي، الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف، كان صدوقًا، عالمًا، عاملًا، خيرًا، عابدًا، صاحب سُنَّة واتباع»(٦).

والحافظ ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، القائل: «أبو بكر الآجري، إمام عصره في الحديث والفقه»(٧).

---

(١) «تاريخ مدينة السلام» (٣/ ٣٥).

(٢) «المختار في أصول السنة» ص: [٣٢].

(٣) «الأنساب» (١/ ٩٤).

(٤) «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٩٢).

(٥) «طبقات علماء الحديث» (٣/ ١٢٩).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٣٣، ١٣٤)، «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٩٣٦).

(٧) «اجتماع الجيوش الإسلامية»، ص: [١٨٥].

والحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) القائل: «الآجُرِّي، كان ثقة، صادقًا، دينًا»[١].

والفقيه إبراهيم الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، القائل: «الإمام العالم السني أبو بكر الآجري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[٢].

و الفقيه برهان الدين بن مفلح (ت: ٨٨٤هـ) القائل: «الآجُرِّي، كان من الفقهاء الكبار، له مصنفات، واختيارات حسنة»[٣].

والعلامة محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ) القائل: «الآجُرِّي، ثقة حافظ»[٤].

وفاة الحافظ الآجري:

توفي الحافظ الآجُرِّي في يوم الجمعة أول يوم من المحرم، سنة ستين وثلاث مئة بمكة -حرسها الله تَعَالَى-، ودفن بها[٥].



---

(١) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٨٨).

(٢) «الاعتصام» (٢/ ١٣٠).

(٣) «المقصد الأرشد» (٢/ ٣٨٩).

(٤) «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (المنتخب من مخطوطات الحديث)»، ص: [١٧].

(٥) «العقد الثمين» (٢/ ٣، ٤)، «شذرات الذهب» (٤/ ٣١٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم.

يقول عمر بن إبراهيم -عفا الله عنه-: أخبرنا الفقيه الإمام أبو الحسن أحمد بن مقبل -أيده الله وسدده-، قال: أخبرنا الفقيه الإمام أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن مسعود البريهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: أخبرني الفقيه الحافظ أبو الحسن علي بن أبي بكر بن حمير بن التبع بن فضيل، قال: أخبرنا الشيخ الفقيه أسعد بن خير بن يحيى بن عيسى بن ملامس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن أبيه خير بن يحيى، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد البزار المكي، عن محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أحق ما ابتدأت به الكلام: الحمد لله؛ مولانا الكريم، وأَجَلُّ الحمد ما حَمِد به الكريم نفسه، فأنا أحمده به:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾

[الفَاتِحَة: ٢ - ٤]

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾

[سَبَإ: ١ - ٢]

و﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأَنعَام: ١].

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١]

أحمده شكرًا لما تفضل به علينا من نعمه الدائمة، وأياديه القديمة، حمد من يعلم أن مولاه الكريم يحب الحمد، فله الحمد على كل حال.

وصلى الله على البشير النذير، والسراج المنير، سيد ولد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، المذكور نعته في التوراة والإنجيل، الخاتم لجميع الأنبياء، ذلك محمد، صلى الله عليه وآله الطيبين، وعلى أصحابه المنتخبين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين.

ورزقنا الله وإياكم التمسك بطاعته، وبطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما كان عليه صحابته والتابعون لهم بإحسان، وبما كان عليه الأئمة من علماء المسلمين، وعصمنا وإياكم من الأهواء المضلة. إنه سميع قريب.



١- حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا سعيد بن عبد الجبار الحمصي، قال: حدثنا معان بن رفاعة السلامي، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن العذري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

٢- أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، قال: حدثنا أبو الربيع الزهراني، قال حدثنا حماد بن زيد، عن بقية بن الوليد، عن [معان] بن رفاعة، عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

- أخبرنا محمد بن بكير، عن ابن سليمان، عن عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه، قال: «الفقيه: العفيف الزاهد المتمسك بالسنة، أولئك أتباع الأنبياء في كل زمان»[1].

قال محمد بن الحسين: جعلنا الله وإياكم ممن تحيا بهم السنن، وتموت بهم البدع، وتقوى بهم قلوب أهل الحق، وتنقمع بهم نفوس أهل الأهواء بمنّه وكرمه.

....

(١) إسناده ضعيف؛ لأن فيه سقطًا بين الآجري وبين محمد بن بكير، فهو قطعًا ليس شيخًا للآجري؛ لأنه ممن روى عن الدراوردي وهشيم وطبقتهما، ويظهر أنه من طبقة شيوخ البخاري، وذكر صاحب الكمال أن البخاري روى عنه؛ لكن المزّي أنكر ذلك.
انظر: «تهذيب التهذيب» (٩/ ٨١)، وقال الحافظ ابن حجر فيه: «صدوق يخطئ».
والأثر أخرجه ابن بطة العكبري في «الإبانة الكبرى» (١/ ٢٠١) رقم (٣٨-الإيمان)، وفي «إبطال الحيل» (ص١٧-المكتب الإسلامي)، من طريقين عن عبد الوهاب بن الحكم الوراق عن محمد بن بكر عن جعفر بن سليمان الضبعي به.

ابتدأ المصنف: كتابه «الشريعة» بحمد الله، ثم ثنَّى بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام، وأزواجه أمهات المؤمنين.

ثم دعا لنفسه وللمؤمنين بالتوفيق للتمسك بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

ثم ساق حديث: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

ساقه من طريقين، مدارهما على مُعان بن رفاعة السلامي[1]، وهو ضعيف، ثم على شيخه إبراهيم بن عبد الرحمن العذري[2]، وإبراهيم لم يدرك النبيَّ ﷺ، فهو مرسل مع جهالة إبراهيم.

لكن لهذا الحديث شواهد عن ابن عمر[3]، وأبي هريرة[4]، وعبد الله بن

(١) قال فيه الذهبي في «الكاشف»: «قال أبو حاتم: يُكتب حديثه، ولا يحتج به، وقال يحيى: ضعيف، وقال دحيم: ثقة».

وقال الحافظ ابن حجر: «لين الحديث، كثير الإرسال».

(٢) قال الذهبي في «الكاشف»: «لا يدرى من ذا».

وقال الحافظ في «التقريب»: «مجهول».

وقال في «الميزان» (١/ ٤٥): «تابعي مُقل، ما علمته واهيًا، أرسل حديث: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله»، رواه غير واحد عن مُعان بن رفاعة عنه، ومُعان ليس بعمدة، ولاسيما أتى بواحد لا يدرى من هو».

وقد قلنا: إن لهذا الحديث شواهد، وذكرنا من صححه.

(٣) رواه ابن عدي في مقدمة «الكامل في ضعفاء الرجال» (١/ ٢٤٨)، و«تمام الرازي في الفوائد» [٨٩٩].

(٤) رواه البزار [٩٤٢٣]، وضعفه، والطبراني في «مسند الشاميين» [٥٩٩]، والعقيلي في مقدمة «الضعفاء» (١/ ٩)، وابن عدي في مقدمة «الكامل» (١/ ٢٤٨)، والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث»، ص: [٢٨].

مسعود(١)، ومعاذ بن جبل(٢)، وأبي أمامة(٣)، وعلي بن أبي طالب(٤).

ومـع أن له هذه الطرق؛ فقد ضعَّفه ابنُ عدي وغـيرُه(٥)، وصححه الإمام أحمد(٦) والعلائي(٧)، والظاهر أنه لا يقلُّ عن درجة الحسن لغيره.

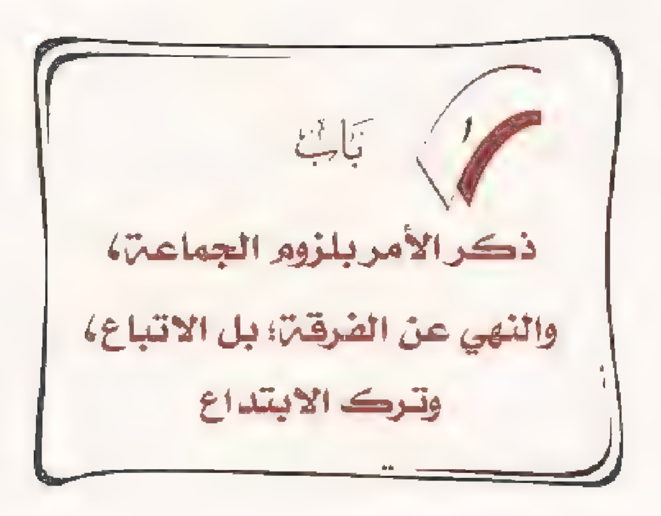
ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جعلنا الله وإيَّاكم ممن تحيا بهم السـنن، وتموت بهم البدع، وتقوى بهم قلوب أهل الحق، وتنقمع بهم نفوس أهل الأهواء بمنِّه وكرمه».

وأقـول وأدعو بمثل ما دعا به، وأسـأل الله أن يسـتجيب دعاءنا، إنه سـميع قريب مجيب.



(١) رواه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث»، ص: [٢٨].
(٢) رواه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث»، ص: [١١].
(٣) رواه العقيلي في مقدمة «الضعفاء» (١/ ٩)، وابن عدي في مقدمة «الكامل» (١/ ٢٤٩).
(٤) رواه ابن عدي في مقدمة «الكامل» (١/ ٢٤٧).
(٥) انظر: «الضعفاء» للعقيلي (٤/ ٢٥٦)، ومقدمة «الكامل» لابن عدي (١/ ٢٤٨)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٢١١)، و«مجمع الزوائد» للهيثمي (١/ ١٤٠)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (١/ ٣٦٤).
(٦) «شرف أصحاب الحديث»، ص: [٢٩].
(٧) رواه في «بغيـة الملتمس في سـباعيات حديث الإمام مالك بن أنـس»، ص: [٣٤]، من طريق معان بن رفاعة، عن أبي عثمان النهدي، عن أسامة بن زيد، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ».





باب
ذكر الأمر بلزوم الجماعة، والنهي عن الفرقة؛ بل الاتباع، وترك الابتداع

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إن الله عَزَّوَجَلَّ بمنه وفضله، أخبرنا في كتابه عمن تقدم من أهل الكتابين -اليهود والنصارى- أنهم إنما هلكوا لما افترقوا في دينهم، وأعلمنا مولانا الكريم أن الذي حملهم على الفرقة عن الجماعة، والميل إلى الباطل، الذي نُهوا عنه؛ إنما هو البغيُ والحسدُ، بعد أن قد علموا ما لم يعلم غيرُهم، فحملهم شدَّة البغي والحسد إلى أن صاروا فرقًا، فهلكوا، فحذَّرنا مولانا الكريم أن نكون مثلهم، فنهلك كما هلكوا.

بل أمرنا عَزَّوَجَلَّ بلزوم الجماعة، ونهانا عن الفرقة، وكذلك حذَّرنا النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفُرقة، وأمرنا بالجماعة، وكذلك حذَّرنا أئمَّتُنا ممن سلف من علماء المسلمين كلهم يأمرون بلزوم الجماعة، وينهون عن الفرقة».

قال الإمام الآجري:

«١-باب ذكر الأمر بلزوم الجماعة، والنهي عن الفرقة، بل الاتباع، وترك الابتداع».

ثـم قال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ ، بمنّه وفضلـه، أخبرنا في كتابه عمن تقدَّم من أهل الكتابين -اليهـود والنصـارى- أنهم إنما هلكـوا لما افترقـوا في دينهم، وأعلمنا مولانـا الكريم أن الـذي حملهـم على الفرقة عن الجماعة، والميـل إلى الباطل، الذي نهوا عنـه، إنما هو البغيُ، والحسد، بعد أن قد علموا ما لم يعلم غيرُهم، فحملهم شدةُ البغي والحسد إلى أن صاروا فرقًا، فهلكوا، فحذَّرنا مولانا الكريم أن نكون مثلهم، فنهلك كما هلكوا.

بـل أمرنا عَزَّوَجَلَّ بلزوم الجماعة، ونهانا عن الفرقة، وكذلك حذَّرنا النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفرقة، وأمرنا بالجماعة، وكذلك حذَّرنا أئمَّتُنا ممن سلف من علماء المسلمين كلهم يأمرون بلزوم الجماعة، وينهون عن الفُرقة».

ذكر: أن سـبب هلاك اليهود والنصارى هو الاختلافُ والتفرُّق، وأهمُّ الأسـباب الحسدُ والبغي؛ بل شدَّة هذا الحسد والبغي.

وهذه الأسـباب بعينهـا هي التي فرَّقت هذه الأمة إلى شـيع وأحـزاب، كلُّ حزب بما لديهم فرحون.

لاسـيَّما في هذا العصر المظلم، الذي اشتدَّت فيه غربة الإسلام وأهله، وتكالب فيه أهل الكفر الواضحون، والمنافقون المندسُّون، وأهلُ البدع الواضحون، تكالبوا على الحق وأهله، ولاسـيَّما المبتدعون، اللابسـون لباس المنهج السلفي، الذين زادوا على أهل البدع الواضحة بكثرة التأصيلات المناهضة لأصول أهل السـنة والجماعة، بل الهادمة لها، دفاعًا عـن البـدع؛ بل وأهـل البدع الكبرى، كل ذلـك نابع عن الكبر والحسـد والبغي، وحب الدينار والدرهم؛ بل هم من السمَّاعين للكذب، الأكَّالين للسحت، فجرَّتهم هذه الأدواء

المهلكة إلى أشد وأخطر منها، ألا وهو الدفاع عن أهل وحدة الأديان، وحرِّية الأديان، وأخوة الأديان، ومساواة الأديان.

ثم انحدروا أكثر إلى أسوأ من هذا المنحدر، ألا وهو مدح هذه الضلالات وتأييدها والدفاع عنها، والشهادة لها بأنها شارحة للإسلام، وتمثِّل وسطية الإسلام، والشهادة لمؤيِّديها من أئمة الرفض والعلمانيين وغلاة الصوفية وغلاة الأحزاب الضالَّة بأنهم ثقات، ويصفون مذاهبهم الضالَّة بأنها بريئة من التطرف.

في الوقت الذي يحارب فيه هؤلاء أهلَ السنة، ويعتبرونهم غلاةً وخوارج، ويحاربون منهجهم الحق، ويصفونه بأنه قائم على الغلوِّ.

وقد بيَّن لهم أهل السنة اتفاق المسلمين على أن المساواة بين الإسلام والأديان الأخرى كفر، فضلًا عن وحدة الأديان وحرية التدين وأخوة الأديان.

فلم يهزَّ ذلك وجدانهم، ولا حرَّك ذلك مشاعرهم؛ بل هم في طغيانهم يعمهون، وبضلالاتهم الكبرى متمسِّكون، ويزعمون للناس أنهم هم المهتدون ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].



قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فإن قال قائل: فاذكر لنا ذلك لنحذر ما تقوله، والله الموفِّق لنا إلى سبيل الرشاد.

قيل له: سأذكر من ذلك ما حضرني ذكرُه، مبلغ علمي الذي علمني الله عَزَّوَجَلَّ نصيحةً لإخواني من أهل القرآن، وأهل الحديث، وأهل الفقه، وغيرهم من سائر المسلمين، والله الموفِّق لما قصدت والمعين عليه، إن شاء الله».

قال الله تَعَالَىٰ في سورة البقرة: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تَعَالَىٰ في سورة آل عمران: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تَعَالَىٰ في سورة الأنعام: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

....

وقال تعالى في سورة يونس: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ٩٣].

وقال تعالى في سور حم عسق: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [الشورى: ١٤].

وقال تعالى في سورة لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٤ - ٥].

قال محمد بن الحسين رحمه الله:

فأعلمنا مولانا الكريم أنهم أوتوا علمًا، فبغى بعضهم على بعض، وحسد بعضهم بعضًا، حتى أخرجهم ذلك إلى أن تفرَّقوا، فهلكوا.

فإن قال قائل: فأين المواضع من القرآن التي فيها نهانا الله تعالى أن نكون مثلهم، حتى نحذر ما حذَّرنا مولانا في الفرقة، بل نلزم الجماعة؟

قيل له: قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٣]. إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

....

وقال تَعَالَى في سورة الأنعام: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تَعَالَى في سورة حم عسق: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال تَعَالَى في سورة الروم: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فهل يكون من البيان أشفى مِن هذا عند من عَقَلَ عن الله تَعَالَى، وتدبَّر ما به حذَّره مولاه الكريم من الفُرقة ؟

أقول: ساق المؤلِّف في هذا الباب عددًا من البراهين القرآنية التي تُدين بني إسرائيل من اليهود والنصارى بالاختلاف والتفرُّق، من بعد ما جاءتهم البيِّنات والعلم والهدىٰ، وأن سبب هذه الاختلافات إنما هو البغي والحسد.

ثم أورد قول الله تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

أورد هاتين الآيتين حثًّا للمسلمين على الاعتصام بالكتاب والسنة، وتحذيرًا لهم من اتباع اليهود والنصارى في الاختلاف والتفرُّق.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم اعلموا - رحمنا الله وإيَّاكم-، أن الله تَعَالَىٰ قد أعلمنا وإيَّاكم في كتابه أنه لابدَّ من أن يكون الاختلاف بين خلقه؛ ليضل من يشاء، ويهدي من يشاء، جعل ذلك عَزَّوَجَلَّ موعظة يتذكَّر بها المؤمنون؛ فيحذرون الفرقة، ويلزمون الجماعة، ويدعون المِراء والخصومات في الدين، ويتبعون ولا يبتدعون.

فإن قال قائل: أين هذا من كتاب الله تَعَالَىٰ؟

قيل له: قال الله تَعَالَىٰ في سورة هود: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هُود: ١١٨-١٢٠]

قال الحافظ ابن كثير: في تفسير هاتين الآيتين (١١٨-١١٩) من سورة هود(١):

«يخبر تَعَالَىٰ أنه قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة من إيمان أو كفر، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يُونُس: ٩٩].

وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾؛ أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم.

وقال عكرمة: مختلفين في الهدى.

وقال الحسن البصري: مختلفين في الرزق يُسَخِّر بعضهم بعضًا.

والمشهور الصحيح الأول».

وقوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾؛ أي: إلا المرحومين من أتباع الرسل، الذين تمسَّكوا بما أُمروا به من الدين، أخبرتهم به رسل الله إليهم، ولم يزل ذلك دأبهم حتى كان النبيُّ

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٣٦١-٣٦٢).

الأمي خاتم الرسل والأنبياء، فاتبعوه وصدقوه ونصروه ووازروه، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة؛ لأنهم الفرقة الناجية، كما جاء في الحديث المرويِّ في المسانيد والسنن من طرق يشدُّ بعضها بعضًا: «إن اليهود افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن النصارى افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة. قالوا: ومن هم يا رسول الله؟

قال: ما أنا عليه وأصحابي». رواه الحاكم في مستدركه بهذه الزيادة.

وقال عطاء: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾؛ يعني: اليهود والنصارى والمجوس ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾؛ يعني: الحنيفية.

وقال قتادة: أهلُ رحمة الله أهل الجماعة وإن تفرَّقت ديارهم وأبدانهم، وأهل معصيته أهل فُرقة وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم». اهـ.



قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم إن الله تَعَالَىٰ أمر نبيَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتَّبع ما أنزل إليه، ولا يتَّبع أهواء من تقدَّم من الأمم فيما اختلفوا فيه، ففعل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحذَّر أمته الاختلاف والإعجاب واتباع الهوى، قال الله تَعَالَىٰ في سورة حم الجاثية: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٦- ١٩]. **[ثم] قال الله تَعَالَىٰ:** ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٠]».

يريد المؤلِّف: أن يبيِّن أن الله بيَّن لنبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أنعم الله به على بني إسرائيل من الكتاب والحكمة، وأنه رزقهم من الطيِّبات وفضَّلهم على العالمين، وآتاهم بيِّنات من الأمر، وأنهم ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم، وأن الحامل لهم على هذا الاختلاف إنما هو البغي واتباع الهوى.

ثم بيَّن الله أنه جعل رسوله على شريعة من الأمر، وهو ما أوحاه إليه من كتاب وسنة وما فيهما من الهدى والنور، وأمره باتباع هذه الشريعة الغرَّاء الكاملة، ونهاه عن اتباع أهواء هؤلاء الضالين، فامتثل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر ربه ونهيه، وحذَّر أمته من الاختلاف والإعجاب واتباع الهوى.

ساق المؤلف هذه الآيات لبيان هذه الأمور ليدرك المسلمون خطورة الاختلاف واتباع اليهود والنصارى في ذلك، وأن الواجب عليهم الاتباع والائتلاف والاجتماع.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «٤- **حدثنا أبو بكر عمر بن سعيد القراطيسي، قال: حدثنا أحمد ابن منصور الرمادي، قال: حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح**[(١)] **قال: حدثني معاوية ابن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس في قول الله** تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]. **وقوله:** ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون: ٥٣]. **وقوله:** ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، **وقوله:** ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾... الآية [الشورى: ١٣].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله** تَعَالَىٰ».

أورد المؤلف: تفسير ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لهذه الآيات، أورده بإسناده إليه، ويكفينا تفسير ابن عباس ترجمان القرآن وحبر الأمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



---

(١) أبو صالح عبد الله بن صالح الجهني، كاتب الليث، قال الذهبي فيه في «الكاشف»: «صاحب حديث، فيه لين، وقال أبو زرعة: حسن الحديث، لم يكن ممن يكذب، وقال ابن عدي: هو عندي مستقيم الحديث له أغاليط، وكذَّبه جزرة».
وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق، كثير الغلط، ثبت في كتابه».

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«هـذا مـا حضرني ذكرُه ممـا أمر الله تَعَالَىٰ به أمَّـة محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يلزموا الجماعة، ويحذروا الفرقة.

فإن قال قائل:

فاذكر من سنن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه حذَّر أمته ذلك.

قيل له: نعم. واجبٌ عليك أن تسـمعه، وتحذر الفرقة، وتلزم الجماعة، ونسـتعين بالله العظيم على ذلك».

بعد أن أورد المصنف: الآيات القرآنية في الحثِّ على الاتباع والاجتماع، وفي التحذير من التفرق والاختلاف، وعدَ بإيراد الأحاديث النبوية في هذا المجال.

وأكَّد ذلك على السامع أن عليه أن يسمع ذلك ويتبعه، وأن عليه أن يلزم الجماعة ويحذر الفرقة.

فجزاه الله خيرًا على دعوته إلى الاجتماع، وتحذيره من الفرقة والاختلاف، وعلى هذا الاجتهاد في إيراد الأدلة من الكتاب ومن السنة فيما سيأتي.





باب ذكر أمر النبي ﷺ أمته بلزوم الجماعة، وتحذيره إياهم الفرقة

[٥] حدثنا عبد الله بن العباس الطيالسي، قال: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد».

[٦] حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، قال: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر، قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالشام، فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مثل قيامي فيكم، فقال: «من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد»(١).

حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حسن إن شاء الله.

---

(١) هذان الإسنادان عن عمر رضي الله عنه مدارهما على عاصم بن أبي النجود، وهو أحد القرَّاء، قال فيه الذهبي في الكاشف: «وُثق، وقال الدارقطني: في حفظه شيء».
وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق له أوهام، حجة في القراءة».
وحديثه في الصحيحين مقرون، فحديثه هذا حسن إن شاء الله.

وقد قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الكلام انطلاقًا من فهمه وفقهه لكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذ القرآن والسنة مليئان بالوعد بالجنة للمتقين، المطيعين لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتبعين لكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المجتمعين على ذلك.

نسأل الله أن يوفِّقنا لطاعة رسوله واتباع كتاب الله وسنة رسول الله في عقائدنا ومناهجنا وسائر شئون حياتنا؛ حتى نكون من أهل الجنة بفضل الله ورحمته.

وفي لزوم الجماعة حمايةٌ من الشيطان الرجيم والعدو الألد، فليحذر العاقل الحريص على دينه أن يكون فريسة سهلة للشيطان.



٧- حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، قال: حدثنا هدبة بن خالد، قال: حدثنا أبان بن يزيد، قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير أن زيدًا حدَّثه، أن أبا سلام حدَّثه، أن الحارث الأشعري حدَّثه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله تَعَالَى أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن». وذكر الحديث بطوله.

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وأنا آمركم بخمس أمرني الله تَعَالَى بهن: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فمن فارق الجماعة شبرًا فقد خلع رِبقة الإسلام من رأسه، إلا أن يراجع».

٨- وحدثنا الفريابي، قال: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا أيوب، عن غيلان بن جرير، عن زياد بن رباح القيسي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، ومات؛ فميتته جاهلية».

حديث الحارث صحيح، رجاله ثقات، رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٠)، والترمذي في «جامعه» حديث [٢٨٦٣]، وقد رواه غيرهما مثل الطيالسي وعبد الرزاق وابن حبان، وهو حديث طويل كما أشار المؤلف، وفي آخره: «وَمَنِ ادَّعَى دَعوَى الجَاهِلِيَّة فَإِنَّهُ مِن جُثَى [1] جَهَنَّمَ».

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، وَإِن صَلَّى وَصَامَ؟

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِن صَلَّى وَصَامَ، فَادعُوا بِدَعوَى الله الَّذِي سَمَّاكُمُ المُسلِمِينَ المُؤمِنِينَ عِبَادَ الله».

---

(١) أي: حجارة جهنم.

وفي الحديث: حثٌّ على السمع والطاعة لأئمَّة المسلمين؛ فإن في ذلك الخير الكثير.

ومنها: الحفاظ على وحدة المسلمين وجمع كلمتهم.

وحقن لدماء المسلمين، وحفظ لأعراضهم وأموالهم.

وفي شق عصا المسلمين والخروج عليهم وعلى أئمتهم من الويلات ما لا يعلمه إلا الله؛ من ذلك: إضعاف المسلمين أمام أعدائهم، وإهدار لدمائهم وأموالهم وأعراضهم.

وفي الحديث: الحث على الهجرة من ديار الكفر إلى دار الإسلام؛ فإن الذي يعيش في ديار الكفار لا يستطيع أن يقيم شعائر الإسلام، ومع ذلك لابد أن يعيش ذليلًا خاضعًا لهم ولأنظمتهم وقوانينهم الكافرة.

وفيه: الحث على الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام.

وفيه: عزة الإسلام والمسلمين، وإعلاء لكلمة الله على سائر الأديان.

وفي التفريط فيه وإضاعته هوان المسلمين وإذلال الأعداء لهم، كما هو واقع المسلمين منذ تفرَّقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله؛ بل آل الأمر ببعض أهل الضلال أن يعدُّوا الجهاد في سبيل الله جهاد الطلب والدعوة من العدوان، فإلى الله المشتكى!

وفيه: تحذير شديد من مفارقة الجماعة القائمة على دين الله الحق؛ فإن الجماعة هي الحق، والمتمسكون بالحق هم الجماعة، وإن خالفهم الأكثرون.

وتأمل هذا الوعيد والتهديد من الصادق المصدوق ﷺ: **«فَمَن فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبرًا؛ فَقَد خَلَعَ رِبقَةَ الإِسلَامِ مِن رَأسِهِ، إِلَّا أَن يُرَاجِعَ»**.

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٩- وحدثنا أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني، قال: حدثنا محمد بن بشار، ومحمد بن المثنى، أن محمد بن جعفر حدَّثهم عن شعبة، عن غيلان بن جرير، عن زياد بن رياح، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن فَارَقَ الجماعة، وخالف الطاعة مات ميتة جاهلية، ومن اعترض أمتي، بَرَّها وفاجرها، ولا يحتشم[1] من مؤمنها، ولا يفي لذي عهدٍ عهدهُ[2] فليس من أمتي، ومن قُتِل تحت راية عمِّيَّة يغضب للعصبية، ويقاتل للعصبية، ويدعو للعصبة له - أو قال: لعصبية - مات ميتة جاهلية». لفظ حديث أبي موسى.

١٠- حدثنا [أبو] محمد بن صاعد، قال: حدثنا محمد بن سليمان لوين، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن غيلان بن جرير، عن زياد بن رياح، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة؛ مات ميتة جاهلية».

حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخرجه مسلم في صحيحه في الإمارة، حديث [١٨٤٨] من طرق مدارها على غيلان بن جرير عن أبي قيس زياد بن رياح، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٣٠٦)، والنسائي (٨/ ١٢٣)، ح [٤١١٤].

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: تحذيرٌ من مفارقة الجماعة والخروج عن الطاعة.

وفيه: أن من فعل ذلك ومات فميتة جاهلية.

وفيه: أن الافتراق والخروج عن الطاعة من خصال أهل الجاهلية.

---

(١) في «صحيح مسلم»: ولا يتحاشى.

(٢) في الأصل: لذي عهدها.

وفيه: أن من خرج على أمة محمد ﷺ يضرب برَّها وفاجرها، ولا يحتشم من مؤمنها.

وفي مسلم: «**وَلَا يَتَحَاشَى مِن مُؤْمِنِهَا**»؛ أي: لا يكترث بما يفعله من هذه الهمجية الجاهلية، فشرُّه شامل للبر والفاجر.

وفيه: تحذير شديد من التعصب للأشخاص أو للقبيلة أو للمذهب أو للحزب، وتحذير من الدعوة إلى شيء من ذلك، وإن قُتل تحت راية عِمِّيَّة يغضب للعصبية ويدعو للعصبية فميتته ميتة جاهلية.

وفي مسلم: «**ولا يَفِي لِذِي عَهدٍ عَهدَهُ؛ فَلَيسَ مِنِّي وَلَستُ مِنهُ**».

وكفى أهل التعصُّب شرًّا أن من مات منهم على هذه الحال أو قُتل فموته أو قتله ميتة أو قتلة جاهلية، وكفاهم شرًّا أن يتبرَّأ منهم رسول الله ﷺ، فليسوا منه، ولا هو منهم في شيء من هذه الجاهليات، نعوذ بالله من هذه التعصبات الجاهلية.

وليت المتعصبين العميان يفقهون الإسلام، ويفقهون هذه النصائح والتوجيهات النبوية، فيخرجون من هذه الأوحال القذرة، ويسلكون مسالك النبلاء الأعفَّاء الأتقياء، فلا يكون ولاؤهم إلا لله وفي الله، ولا بغضهم إلا في الله ولله.



قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١١-وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، قال: حدثنا عاصم، عن زر، عن عبد الله، قال: كنا جلوسًا عند النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقرأ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فخطَّ خطًّا، فقال: «هذا الصراط، ثم خط حوله خططًا، فقال: وهذه السبل، فما منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه».

١٢- حدثنا ابن عبد الحميد أيضًا، قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي قال: أخبرنا سليمان بن حرب قال: حدثنا حماد بن زيد، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: «خطَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا خطًّا، قال بإصبعه على الأرض خطه.

قال: هذه سبيل الله، ثم خطَّ خطوطًا عن يمين الخط ويساره، وقال: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم تلا: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»، الخطوط التي عن يمينه ويساره[1].

حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٤٣٥، ٤٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠/ ٩٥)، ح (١١١٠٩، ١١١١٠)، والدارمي في سننه (١/ ٦٠)، ح [٢٠٨]، وهو حسن؛ لاعتضاده بحديث جابر الآتي.

---

(١) أي: عن يمين الصراط وعن يساره.

وقد تضمَّنت الآية الكريمة مع هذا الحديث: الأمر الحاسم الأكيد باتباع صراط الله المستقيم المنزَّه عن العوج.

وتضمَّنت مع الحديث: النهي الحاسم الرشيد عن الخروج عن صراط الله المستقيم.

وكذلك: النهي عن اتباع السبل التي على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، وبئس المصير مصيرُ من يترك صراط الله المستقيم، الذي بيَّنه كتاب الله وسنة رسوله؛ ثم يسلك السبل الشيطانية.

والشيطان إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير.

وقد اخترع هذا الشيطان -العدو الألد لآدم وذريته- سبلًا كثيرة لإضلال البشر، وزيَّنها هو وذريته، وزخرفوها لمن انقادوا لهم من أهل الكفر وأهل البدع والضلال، حتى صاروا شيعًا وفرقًا وأحزابًا، كل حزب بما لديهم فرحون.

وكم حذَّر الله ورسوله من التحزب والتفرق، من ذلك ما في هذين الحديثين، وقبلهما قولُ الله في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال تعالى آمرًا للمؤمنين ومحذِّرًا لهم: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

ألَا هـل يفيـق أهل الأهواء والتعصب والتحزب؛ فيستجيبون لأوامر الله ونواهيه ولأوامر رسول الله ونواهيه؟!

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا ... ولكن لا حياة لمن تنادي

﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]. إن لم يستجيبوا ويستقيموا.



قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣ـ حدثنا أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضي قال: حدثنا أبو سعيد عبدالله بن سعيد الأشج قال: حدثنا أبو خالد الأحمر، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر، قال: «كنا عند النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخطَّ خطًّا، وخطَّ خطَّين عن يمينه، وخطَّ خطَّين عن يساره، ثم وضع يده في الخطِّ الأوسط فقال: هذا سبيل الله، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]».

حديث جابر هذا أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٩٧)، وابن ماجه في المقدمة حديث [١١]، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٣)، ح [١٦] وغيرهم.

وهو حديث حسن بما قبله من حديث ابن مسعود.

وتقدَّم بيانُ معناه في شرح حديث أبي هريرة، فلا داعي لإعادته.



قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤- حدثنا الفريابي، قال: حدثنا ميمون بن الأصبغ، وأبو مسعود أحمد بن الفرات، قالا: حدثنا عبد الله بن صالح -أبو صالح- قال: حدثنا معاوية بن صالح، أن عبد الرحمن بن جبير حدَّثه، عن أبيه، عن النواس بن سمعان، قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران وأبواب مفتحة، وعلى الأبواب سُتُور مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: يا أيها الناس؛ ادخلوا الصراط جميعًا ولا تتعوجوا، وداعٍ يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد إنسان فتح شيء من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه؛ فإنك إن تفتحه تلجه.

فالصراط: الإسلام، والستور: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله.

وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم».

١٥- وحدثنا أبو بكر ابن أبي داود، قال: حدثنا يزيد بن محمد بن عبد الصمد، قال: حدثنا آدم بن أبي إياس، قال: حدثنا الليث بن سعد، عن معاوية ابن صالح، عن عبدالرحمن بن جبير، عن أبيه، عن النواس بن سمعان الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران، بينهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: يا أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعًا ولا تتفرَّقوا، وداعٍ يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد إنسانٌ فتح شيء من تلك الأبواب، قال له: ويحك لا تفتحه؛ فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط: الإسلام، والستور: حدود الله، والأبواب: محارم الله، والداعي على

....

رأس الصـراط: كتـاب الله تَعَالَىٰ، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم».

حديث النواس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحيح بمجموع طرقه؛ لأن ابن أبي عاصم رواه في كتاب «السنة»، ح [١٨] من طريق بقية قال: حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير ابن نفير عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم ساقه بنحوه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

ففي القرآن أمثلة كثيرة تدفع العقلاء الموفَّقين إلى فهمها وإدراك معانيها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ٤٣].

وفي سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدد من الأمثال الرائعة منها هذا الحديث.

وقد شرح رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الحديث، ففسَّر الصراط بأنه الإسـلام، وأن الستور المرخاة حدود الله: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وأن الأبواب المفتحة: محارم الله، **وأن الداعي على رأس الصراط:** كتاب الله تَعَالَىٰ، وواعـظ الله في قلـب كل مؤمـن فسِّر بأنه لَمَّة الملك في قلب المؤمـن، واللَّمَّة الأخرى هي لـمَّة الشيطان، وقد يكون استحضار المؤمن اطِّلاع الله على ما في قلبه ومشاهدته لحركاته وسكناته، والله أعلم.



قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٦ـ وحدثنا الفريابي، قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي وائل، قال: قال عبد الله: «إن هذا الصراط محتضر، تحضره الشياطين ينادون: يا عبد الله هلُمَّ هذا الصراط؛ ليصدوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله؛ فإن حبل الله هو كتاب الله».

أثر ابن مسعود صحيح.

وفيه: أن الشياطين لها وجود وحضور عند صراط الله الحق، الذي أوحاه الله إلى رسله جميعًا.

ومن مكايدهم: أنهم يدعون الناس إلى سبلهم المهلكة، موهمين أتباعهم أنهم على صراط الله، وأنهم مهتدون، وهم ما يقومون بهذه المخادعة إلا ليصدُّوا الناس عن صراط الله المستقيم الذي كلَّف الناس باتباعه.

وبعد هذا التنبيه من ابن مسعود حثَّ الناس على الاعتصام بحبل الله وهو كتاب الله؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وكتاب الله يدعو إلى التمسك بسنة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[١٧] حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني قال: حدثنا جدي، قال: حدثنا موسى بن أعين، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن المجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن ثابت بن قطبة، أن عبد الله بن مسعود قال في خطبته: «أيها الناس؛ عليكم بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة، خير مما تحبون في الفرقة»(١).

في إسناد هذا الأثر ضعف؛ لأن فيه مجالد بن سعيد، أما المعنى فصحيح، فالله يدعو الناس إلى طاعته وطاعة رسوله، ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى طاعة الله وطاعته.

والله يدعو إلى الجماعة، ويحذر من التفرق والاختلاف.

وكذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى الجماعة، ويحذر من التفرق والاختلاف.

وكذلك الصحابة الكرام ومن اتبعهم بإحسان: يدعون إلى الجماعة، ويحذرون من التفرق والاختلاف.

وشياطين الإنس والجن وأهل الأهواء: يدعون الناس إلى التفرق والتحزب والاختلاف.

وفي هذا الأثر: أن ما يكرهه المسلمون في الجماعة خير مما يحبون في الفرقة، فالفرقة شرٌّ على كل الأحوال.

فعلى المسلمين أن يحرصوا على الجماعة؛ لما في ذلك من سعادتهم في الدنيا والآخرة، وأن يحذروا الفرقة؛ لما فيها من الشرور والعواقب الوخيمة في الدنيا والآخرة.

---

(١) أثر ابن مسعود هذا فيه مجالد، وهو ضعيف.

قال فيه الذهبي في الكاشف: «ضعَّفه ابن معين، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال مرة: ثقة».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٨- حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي قال: حدثنا عبد الله بن موسى، عن عيسى الحناط، عن الشعبي، قال: كان يقال: «من أراد بحبحة الجنة فعليه بجماعة المسلمين»[1].

تقدَّم في أوَّل هذا الباب قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نحو كلام الشعبي، وقد شرحناه هناك.



---

(١) هذا الأثر في إسناده عيسى الحناط، وهو ابن أبي عيسى ميسرة المدني الحناط وهو الخياط والخباط.
قال الذهبي في «الميزان» (٣/ ٣٢٠): «روى عن أنس، والشعبي، وعنه وكيع، وعبد الله بن موسى، وقال الفلاس والنسائي: متروك. وقال أحمد: لا يساوي شيئًا».
وقال في التقريب: «متروك».
وعبد الله بن موسى الراوي عن عيسى الحناط يغلب على الظن أنه عبيد الله بن موسى العبسي، تحرف من عبيد الله إلى عبد الله؛ فإنه يروي عن الحناط، ويروي عنه زهير بن محمد، انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٩/ ٤١٢) ترجمة: زهير بن محمد المروزي، و(١٩/ ١٦٤) ترجمة: عبيد الله بن موسى، و(٢٣/ ١٥-١٦) ترجمة: عيسى الحناط.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٩- وحدثنا ابن عبد الحميد أيضًا، قال: حدثنا زهير بن محمد، قال: حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن عاصم الأحول، قال: قال أبو العالية: «تعلَّموا الإسلام، فإذا تعلَّمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم؛ فإنه الإسلام، ولا تحرفوا الصراط يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسنة نبيِّكم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي عليها[1] أصحابه؛ فإنا قد قرأنا القرآن من قبل أن يفعلوا الذي فعلوه خمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأهواء التي تُلقي بين الناس العداوة والبغضاء، قال: فحدَّثت به الحسن، فقال: صدق ونصح، وحدثت به حفصة بنت سيرين فقالت: يا بني، أحدثت بهذا محمدًا؟ قلت: لا. قالت: فحدِّثه إذن».

هذا الأثر عن أبي العالية صحيح الإسناد إليه، وقد رواه عدد من الأئمة منهم عبد الرزاق (١١/ ٣٦٧)، وابن وضاح، ص: [٦١]، برقم: (٨١- عمرو عبد المنعم) والمروزي، ص: [١٣]، برقم (٢٦-سالم السلفي)، وابن بطة (١/ ٢٩٩-٣٠٠) برقم [١٣٦]، واللالكائي (١/ ٥٦-٥٧) برقم [١٧].

وفيه: حثٌّ على تعلُّم الإسلام، وتحذيرٌ من الرغبة عنه، وحثٌّ على اتباع الصراط المستقيم وأنه الإسلام.

وفيه: تحذيرٌ من الانحراف عن هذا الصراط يمنة أو يسرة.

وفيه: حثٌّ على اتباع سنة النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله وفعله وتقريره.

وفيه: بيان أن الصحابة الكرام كانوا على هذا الصراط.

وفيه: تحذيرٌ من الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء.

---

(١) الصواب: عليه.

والأمر كما ذكر، وقد أيَّده في هذه النصيحة الحسن البصري؛ بل يؤيِّده كل مسلم متبع للكتاب والسنة ومقتف آثار الصحابة؛ لأن في اعتصام الأمة جميعًا بالكتاب والسنة واتباع صراط الله المستقيم: الخير كل الخير في الدنيا والآخرة، والسعادة والعزة في الدنيا والآخرة، وفي الاختلاف والتفرُّق: الشرَّ والذل والشقاء في الدنيا والآخرة.

نسأل الله أن يجمع المسلمين على كتاب ربهم وسنة نبيهم، وأن يذهب عنهم كيد الشياطين؛ شياطين الإنس والجن.





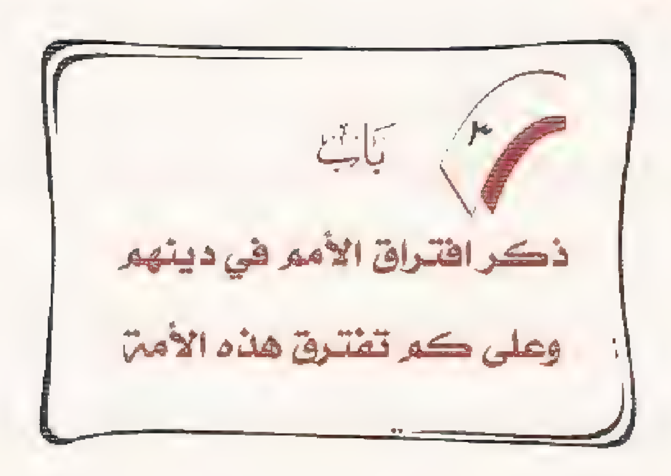
قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

علامة من أراد الله به خيرًا سلوك هذا الطريق: كتاب الله، وسنن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسنن أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمَّة المسلمين في كل بلد، إلى آخر ما كان من العلماء؛ مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهب يذمُّه هؤلاء العلماء، وسنبيِّن ما يرضونه، إن شاء الله.

لقد صدق الإمام الآجرِّي: أن اتباع كتاب الله وسنن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنهج صحابة رسول الله الكرام، ومن تبعهم بإحسان كالأئمة الذين ذكرهم أن ذلك كله علامة على أن الله قد أراد بهذا العبد الصالح المتبع لهدي الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح خيرًا.

نسأل الله أن يجعلنا من المتَّبعين الصادقين لكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومتبعين سبيل السلف الصالحين.





قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا النبيُّ صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عن أمة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «أنهم اختلفوا على إحدى وسبعين ملة، كلها في النار إلا واحدة».

وأخبرنا عن أمة عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنهم اختلفوا عليه على اثنتين وسبعين ملة، إحدى وسبعون منها في النار، وواحدة في الجنة.

قال صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وتعلو أمتي الفريقين جميعًا تزيد عليهم فرقة واحدة، ثنتان وسبعون منها في النار وواحدة في الجنة».

ثم إنه سئل صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من الناجية؟».

فقال في حديث: «ما أنا عليه وأصحابي».

وفي حديث قال: «السواد الأعظم».

وفي حديث قال: «واحدة في الجنة، وهي الجماعة».

قلت أنا: ومعانيها واحدة إن شاء الله تَعَالَى.

....

٢٠. حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا المسيب بن واضح قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: أصول البدع أربع: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، ثم تتشعب كل فرقة ثماني عشرة طائفة، فتلك اثنتان وسبعون فرقة، والثالثة والسبعون الجماعة التي قال النبي ﷺ: «إنها الناجية»(١).

[٢١] أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري قال: حدثنا عبدة بن عبد الرحيم المروزي قال: أخبرنا النضر بن شميل قال: أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تفرق اليهود والنصارى على إحدى، أو اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

[٢٢] حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا علي بن خشرم قال: أخبرنا الفضل ابن موسى، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تفرقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، واختلفت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»(٢).

---

(١) هذا الأثر في إسناده المسيب بن واضح، قال أبو حاتم: «صدوق يخطئ كثيرًا، فإذا قيل له لم يقبل».
وقال ابنُ عدي: «كان النسائي حسن الرأي فيه، ويقول: الناس يؤذوننا فيه».
وساق ابن عدي له عدة أحاديث تستنكر، ثم قال: «أرجو أن باقي حديثه مستقيم، وهو ممن يكتب حديثه». وقال الدارقطني: «ضعيف». «ميزان الاعتدال» (٤/ ١١٦-١١٧).
رواه ابن أبي عاصم في «السنة» [٩٥٣]، وابن بطة في «الإبانة» (٢٧٧-رضا نعسان) من طريق المسيب ابن واضح بسياق أطول.

(٢) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ساقه الآجري بإسنادين، مدارهما على محمد بن عمرو الليثي، وهو حسن الحديث كما قال الذهبي في «المغني» (٢/ ٦٢١).

[٢٣] وأخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي قال: حدثنا الهيثم بن خارجة قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل: تفرق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين، تزيد عليهم، كلها في النار إلا ملة واحدة»، فقالوا: من هذه الملة الواحدة؟ فقال: «ما أنا عليها وأصحابي».

[٢٤] حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال: أخبرنا أبو بكر بن زنجويه قال: حدثنا محمد بن يوسف الفريابي قال: حدثنا سفيان يعني الثوري، عن عبد الرحمن بن زياد، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليأتين على أمتي مثل ما أتى على بني إسرائيل مثلا بمثل حذو النعل بالنعل، وإن بني إسرائيل تفرقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا ملة واحدة» قيل: من هي يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[١].

[٢٥] حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني قال: حدثنا عاصم ابن علي قال: أخبرنا أبو معشر وأخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي قال: حدثنا ابن بكار قال: حدثنا أبو معشر، عن يعقوب بن زيد بن طلحة، عن زيد بن أسلم، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكر حديثًا طويلًا قال فيه: وحدثهم

....

(١) حديث عبد الله بن عمرو ساقه الآجري بإسنادين مدارهما على عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، قال الذهبي: «ضعفوه، وقال الترمذي: رأيت البخاري يقوي أمره، ويقول: هو مقارب الحديث، فحديثه مقارب»، ويتقوى بالشواهد، مثل حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي قبله.

رسـول الله ﷺ عـن الأمـم فقـال: «تفرقـت أمـة موسـى عليه السلام علـى إحدى وسـبعين ملة، سـبعون منها في النـار وواحدة في الجنة، وتفرقت أمة عيسـى عليه السلام على اثنتين وسبعين ملة، إحدى وسبعون منها في النار وواحدة في الجنة».

وقـال رسـول الله ﷺ: «وتعلو أمتي على الفرقتين جميعًـا بملة واحدة، اثنتان وسبعون منها في النار، وواحدة في الجنة».

قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «الجماعة».

قـال يعقـوب بن زيد: فكان علي بن أبي طالـب رضي الله عنه إذا حدث بهذا الحديث، عـن رسـول الله ﷺ تـلا فيـه قرآنـا ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٩]. ثـم ذكر أمة عيسـى فقـرأ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٥-٦٦].

قال: ثم ذكر أمتنا فقرأ: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١]

[٢٦]وأخبر نا أبو عبيد علي بن الحسـين بن حرب القاضي قال: حدثنا الحسـن ابن محمد بن الصباح الزعفراني قال: حدثنا شـبابة - يعني: ابن سـوار - قال: أخبرنا سـليمان بـن طريـف، عـن أنـس بن مالـك رضي الله عنه قال: قـال رسـول الله ﷺ: «يا ابن سلام، على كم تفرقت بنو إسرائيل؟».

قـال: علـى واحـدة وسـبعين أو اثنتـين وسـبعين فرقـة، كلهـم يشـهد علـى بعـض بالضلالـة، قالوا: أفـلا تخبرنا لو قد خرجت مـن الدنيا فتفـرق أمتك، على

....

ما يصير أمرهم؟ قال نبي الله ﷺ: «بلى، إن بني إسرائيل تفرقوا على ما قلت وستفترق أمتي على ما افترقت عليه بنو إسرائيل، وستزيد فرقة واحدة لم تكن في بني إسرائيل».

[٢٧] وحدثنا أبو عبد الله أحمد بن أبي عوف البزوري قال: حدثنا سويد بن سعيد قال: حدثنا مبارك بن سحيم، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس عن النبي ﷺ قال: «افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا السواد الأعظم»[1].

---

(١) أسانيد حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مدارها على أبي معشر وسليمان بن طريف ومبارك بن سحيم، والثلاثة ضعفاء.

أبو معشر نجيح السندي، قال فيه الحافظ الذهبي في «الكاشف»: «قال أحمد: صدوق، لا يقيم الإسناد، وقال ابن معين: ليس بالقوي، وقال ابن عدي: يكتب حديثه مع ضعفه».

وقال الحافظ ابن حجر: «ضعيف .. أسنَّ واختلط».

وسليمان بن طريف: لم أقف على ترجمة لمن يسمى سليمان بن طريف، وإنما وقفت على ترجمة لطريف ابن سلمان أبي عاتكة، روى عن أنس.

قال البخاري في «التأريخ الكبير» (٤/ ٣٥٧ - ٣٥٨): «طريف بن سلمان أبو عاتكة سمع أنسًا: «طلب العلم فريضة»..، منكر الحديث».

وقال فيه أبو حاتم: «ذاهب الحديث، ضعيف الحديث»، انظر: «الجرح والتعديل» (٤/ ٤٩٤).

وقال الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين»، ص: [٢٥٥]: «طريف بن سلمان أبو عاتكة كوفي، ضعيف الحديث عن أنس».

وقال الحافظ ابن حجر: «أبو عاتكة البصري، اسمه طريف بن سلمان، أو بالعكس، ضعيف، وبالغ السليماني فيه».

ومبارك بن سحيم، قال فيه الذهبي في «الكاشف»: « قال أبو زرعة وغيره: منكر الحديث».

وقال الحافظ: «متروك».

[٢٨] وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال: أخبرنا أبو بكر بن عياش، عن موسى بن عبيدة، عن ابنة سعد، عن أبيها سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين ملة، ولن تذهب الأيام والليالي حتى تفترق أمتي على مثلها أو قال: عن مثل ذلك، وكل فرقة منها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»[١].

[٢٩] أخبرنا إبراهيم بن موسى الجوزي قال: أخبرنا محمد بن هارون أبو نشيط، وإبراهيم بن هانئ النيسابوري قالا: حدثنا أبو المغيرة قال: حدثنا صفوان قال: حدثني أزهر بن عبد الله الحرازي، عن أبي عامر الهوزني، عن معاوية ابن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قام حين صلى الظهر بالناس بمكة فقال: ألا إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام فينا فقال: «ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»[٢].

....

(١) في إسناده موسى بن عبيدة: ضعيف.
قال الذهبي فيه في «الكاشف»: «ضعَّفوه».
وقال الحافظ: «ضعيف، ولا سيما في عبد الله بن دينار».

(٢) حديث حسن، في إسناده أزهر بن عبد الله الحرازي.
أورده ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ٣١٢)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.
وقال الذهبي في «الكاشف»: «ناصبي».
وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق، تكلموا فيه للنصب».
فهذه الأحاديث يعضد بعضها بعضًا، فترتقي إلى درجة الصحيح لغيره.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

رحم الله عبدًا حَذِرَ هذه الفرق، وجانبَ البدع ولم يبتدع، ولزِمَ الأثر فطلب الطريق المستقيم، واستعان بمولاه الكريم.

[٣٠] حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا معاذ قال: حدثنا ابن عون، عن محمد - يعني: ابن سيرين - قال: كانوا يقولون: «إذا كان الرجل على الأثر فهو على الطريق».

فقد ذكر المؤلف: في الباب السابق باب وجوب الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعقَّب ذلك بهذا الباب؛ باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، وعلى كم تفترق هذه الأمة؛ فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وجاء التبويب على مضمون هذه الآية: أمر بالاعتصام بحبل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وفي هذا آيات كثيرة، وأوامر بالاتباع وأوامر تنهى عن معصية الرسول وعن الاختلاف والتفرق.

والخير كلُّ الخير في اجتماع هذه الأمة على كتاب ربها وسنة نبيها، وأن تعتصم بهذا الكتاب وبهذه السنة، والشر كل الشر في الدنيا والآخرة بمخالفة الكتاب والسنة والافتراق؛ لأن الافتراق لا ينشأ إلا عن مخالفة هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومفارقته، إلا من بقي متمسكًا بهديه وعاضًا بنواجذه على ما كان عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفاءه الراشدون وصحابته الأكرمون عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ورضوان الله عليهم أجمعين-.

فالسعادة كل السعادة والخير كل الخير في سلوك الصراط المستقيم، واتباع النبي الأمين، واتباع صحابته الأكرمين؛ فإنهم ما حادوا عن طريقه، ولا خالفوا هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا في عقائدهم، ولا في عباداتهم -رضوان الله عليهم أجمعين-.

ولقد كانوا مجتمعين على عقيدة واحدة، وعلى منهج واحد، وليس في أحد منهم أي بدعة -رضوان الله عليهم-.

وإن حصل بينهم اختلاف اجتهادي تبقى بينهم آصرة الإخوة؛ لكنهم لا يرجع اختلافهم إلى اختلاف في المنهج، ولا يرجع إلى اختلاف في العقيدة -رضوان الله عليهم-؛ لهذا احترمهم السلف الصالح، وقالوا: نسكت عما جرى بينهم، ورأوا أن من الشر أن نذكر شيئًا مما اختلفوا فيه أو نذكر شيئًا من مثالبهم، وقالوا فيمن تنقصهم: إنه زنديق، وإنه رافضي خبيث.

هذا الباب استهله بحديث الافتراق، هو ذكر أن الرسول أخبر بالجملة أن الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ثم ساق الأحاديث في هذا وساق حديث سعد بن أبي وقاص، وحديث أبي هريرة، وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وحديث معاوية، وحديث أنس -رضوان الله عن الجميع-[1] ومعنى أحاديثهم واحد؛ المعنى واحد كلها تدور على إخبار النبي ﷺ عن أن أمة موسى: افترقت إلى إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى -أمة عيسى- إلى اثنتين وسبعين فرقة.

وأخبر عن أمر مستقبل لم يكن في عهده؛ وهو أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، أو ما أنا عليه وأصحابي، والمعنى

---

(١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه وحديث عبد الله بن عمرو، وحديث أنس بن مالك، وحديث سعد بن أبي وقاص، وحديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم: هذه الأحاديث فيها الحسن وفيها الضعيف؛ ولكنَّها في مجموعها ترتقي إلى درجة الصحيح لغيره.

واحد، ومن هذا الباب قول الرسول ﷺ: **«لَتَتبَعُنَّ سَنَنَ من كان قَبلَكُم شِبرًا بشبرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حتى لو دَخَلُوا جُحرَ ضَبٍّ تَبِعتُمُوهُم»**[(١)].

هـذه النبـوة تحققت، ونحن مـا نفرح بهـذا؛ إنما نخـاف ونحذر، ونعـرف الحقيقة والواقع والمخرج من هذه المتاهات.

فـكل فرقـة تدَّعي أنهـا على الحق، وأن الإسـلام عندها، وأنهم هم أتباع الرسـول، لكـن الفيصل هو ما قال الرسـول ﷺ: **«من كان على ما أنا عليه وأصحابي»** أو **«الجماعـة»**؛ يعني: التـي اجتمعت على الحق الجماعة، الذي جاء به محمَّدٌ ﷺ، وكان عليـه هـو وأصحابـه رضي الله عنهم عقيدة وشريعة وسياسـة، وفي كل شـأن من شئون الحياة؛ قال الله، قال رسول الله.

هذا المنهج لا تجده إلا عند أهل الحديث، وهو العض بالنواجذ على ما جاء به محمَّدٌ ﷺ، وعـلى فهم السـلف، وعلى منهجهـم، وعلى طرائقهم في الاسـتدلال، وعلى منهجهم في العقيدة والعبادة، لا نجد هذا إلا عند فرقة واحدة التي شـهد لها خيار الأمة من فجر تاريخها إلى يومنا هذا أنهم أهل الحديث؛ لأن عقيدتهم تقوم على الكتاب والسنة والأحاديث، لا يقولون كما يقول أهل البدع: الأخبار الآحاد لا تصلح في العقيدة، وأخبار الآحـاد لا تُبنـى عليها العقيدة حتى لـو كانت في الصحيحين، وحتى لـو كانت متواترة؛ وذلك لجهلهم ولاتباعهم لأهوائهم؛ لكن أهل السنة والجماعة -أهل الحديث- إذا صح الحديـث في أي مجـال من المجالات؛ في العقيدة، أو العبـادة، أو غيرها في الغيبيات، أو في

(١) أخرجـه البخـاري في «الاعتصـام» حديـث [٧٣٢٠]، ومسـلم في «العلـم» حديـث [٢٦٦٩]، مـن حديث أبي سـعيد الخـدري رضي الله عنه والبخاري [٦٨٨٨]، وأحمـد (٢/ ٣٢٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

غيرها؛ فإنهم يدينون الله به، ويعتقدون ما دل عليه في أي مجال كان، خلاف أهل الأهواء؛ فإنهم يشتركون الآن؛ أعني: كل الفرق من المعتزلة والخوارج والروافض بفرقهم.

وغالب الأشاعرة: كلهم يردون سنة رسول الله ﷺ؛ بل يتلاعبون بنصوص القرآن القطعية، ويقولون: هي ظنية الدلالة، ويتلاعبون فيها، ويحرفونها، ويسمون تحريفهم تأويلًا، ويعطلون صفات الله، وينفون عن الله صفة الاستواء، وصفة النزول، وصفة المجيء؛ فالصفات الخبرية كلها ينفونها -نسأل الله العافية-، ويثبتون الصفات التي يزعمون أن العقل دلَّ عليها، وهم لا يبنون على النصوص أولًا؛ إنما يقدمون العقل؛ فإذا جاء الشرع بما يوافقهم أخذوا به، وإلا أداروا له ظهورهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فهذا الهدى، وهذا النور، وهذا الأمر الذي كان عليه رسول الله وأصحابه، وكان عليه من تبعهم بإحسان من خيار التابعين، ومن تابعهم من أئمة الهدى الذين ساروا على هذا المنهج أهل السنة والجماعة وإن شئت قلت أهل الحديث رحمهم الله وجزاهم الله خيرًا. فعلى الأمة أن يسيروا على هذا المنهج ويعضوا عليه بالنواجذ.

وفيهم يقول الرسول ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله»**[1]؛ أي: حتى تقوم الساعة على هذا المنهج على الحق، والحق هو ما جاء به محمدٌ ﷺ، و﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]. كما قال الله تبارك وتعالى.

---

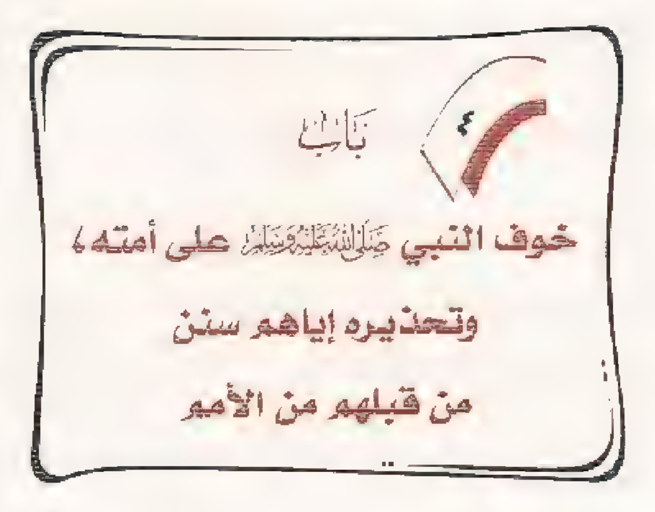
(١) أخرجه البخاري في «الاعتصام»، حديث [٧٣١٢]، ومسلم في «الإمارة»، حديث [١٠٣٧م]، عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما نحوه.

وهذا الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ عن ربه تبارك وتعالى، ودان به الصحابة والتابعون في عقائدهم وعباداتهم: هو الذي يجب أن يتمسك به كل مسلم، وعليه أن يفارق هذه الفرق الضالة، ويرجع إلى الله، وإلى رسوله، وإلى هذا القرآن، وإلى هذه السنة، ويعتصم بحبل الله، ولا يذهب مع المتفرقين والمفارقين لكتاب الله وسنة الرسول، والمخالفين لما كان عليه رسول الله، وصحابته الكرام، والمفارقين للجماعة الثابتة على هذا الحق، الداعية إلى هذا النور، الداعية للهدى.

فمَن أراد النجاة؛ فهذا هو طريق النجاة؛ السنة هي سفينة النجاة، لا تحريف ولا تأويل في صفات الله، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل؛ بل نؤمن بما جاء من النصوص في صفات الله وبما جاء في أحاديث الجنة والنار والصراط والميزان والقبر وما فيه من نعيم وما فيه من عذاب، وكذلك الأحكام والتشريعات، ما نتأول ما نقدم الرأي ما نقدم آراء الرجال على النصوص التي جاءت في كتاب الله وفي سنة الرسول في أبواب الحلال والحرام وفي السياسة وغيرها، فهذا هو الهدي الذي يجب أن يلتزم به كل المسلمين، فإذا التزموا به حكَّموا قول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وإلا فالأمر كما ذكر الرسول ﷺ أن مصير هؤلاء المتفرقين -والعياذ بالله- النارَ -نسأل الله العافية-.

فهذه الطرق كلها على كل طريق منها شيطان يدعو إليها؛ فأنت عليك بهذا الصراط الذي دعا إليه ربنا ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥]. ودعا إليه محمد ﷺ.



بَابُ
خوف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته، وتحذيره إياهم سنن من قبلهم من الأمم

قال الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٣١] حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، فقال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: حدثنا ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لتأخذن أمتي بأخذ الأمم والقرون قبلها، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع»، قيل: يا رسول الله، كما فعلت فارس والروم؟ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ومن الناس إلا أولئك»(١).

[٣٢] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي، قال: أخبرنا سنيد بن داود قال: حدثني حجاج، قال: قال ابن جريج، أخبرني زياد بن سعد عن محمد بن [زيد] بن المهاجر، عن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، وباعًا بباع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»(٢).

....

(١) رواه البخاري في «الاعتصام» حديث [٧٣١٩]، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٢٥-٣٣٦)، وابن ماجه حديث [٣٩٩٤].

(٢) أخرجه البخاري في «الاعتصام» حديث [٧٣٢٠]، ومسلم في «العلم» حديث [٢٦٦٩]، ونسبة الحديث إلى أبي هريرة خطأ؛ إنما هو من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[٣٣] وحدثنا ابن عبد الحميد أيضًا، قال: حدثنا زهير بن محمد قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي أويس، قال: حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني، عن أبيه، عن جده، قال: كنا قعودًا حول رسول الله ﷺ في مسجده بالمدينة، فجاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالوحي - فذكر حديثًا طويلًا - قال فيه: «جاءكم جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يتعاهد دينكم، لتسلكن سنن الذين من قبلكم حذو النعل بالنعل، ولتأخذن بمثل أخذهم، إن شبرًا بشبر، وإن ذراعًا بذراع، وإن باعًا بباع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتم فيه»[١].

[٣٤] أخبرنا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بالبغوي، قال: حدثنا علي بن الجعد، قال: أخبرنا عبد الحميد بن بهرام قال: حدثنا شهر - يعني: ابن حوشب -، قال: حدثنا عبد الرحمن بن غنم، أن شداد بن أوس حدثه عن رسول الله ﷺ، قال: «ليحملن شرر هذه الأمة على سنن الذين خلو من قبلهم حذو القذة بالقذة»[٢].

[٣٥] حدثنا إسحاق بن أبي حسان الأنماطي، قال: حدثنا هشام بن عمار الدمشقي، قال: حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين، قال: حدثنا الأوزاعي، قال: حدثنا يونس بن يزيد، عن الزهري، عن الصنابحي، عن حذيفة بن اليمان، قال: «لتتبعن أثر من كان قبلكم، حذو النعل بالنعل، لا تخطئون طريقهم، ولا تخطئنكم، ولتنقضن عرى الإسلام عروة فعروة، ويكون أول نقضها الخشوع حتى

....

(١) ضعيف: لضعف كثير بن عبد الله المزني.
قال ابن حجر في «التقريب»: «ومنهم من نسبه إلى الكذب».
(٢) في إسناده شهر بن حوشب مختلف فيه، فيحسن لاعتضاده بما قبله.

لا ترى خاشعًا، وحتى يقول أقوام: ذهب النفاق من أمة محمد، فما بال الصلوات الخمس؟ لقد ضل من كان قبلنا حتى ما يصلون بصلاة بينهم، أولئك المكذبون بالقدر، وهم أسباب الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال»[1].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من تصفح أمر هذه الأمة من عالم عاقل علم أن أكثرهم -العام منهم- تجري أمورهم على سنن أهل الكتابين، كما قال النبي ﷺ، وعلى سنن كسرى وقيصر وعلى سنن أهل الجاهلية، وذلك مثل السلطنة وأحكامهم، وأحكام العمال والأمراء وغيرهم، وأمر المصائب والأفراح، والمساكن واللباس، والحلية، والأكل والشرب، والولائم والمراكب والخدم والمجالس والمجالسة، والبيع والشراء، والمكاسب من جهات كثيرة، وأشباه لما ذكرت يطول شرحها؛ تجري بينهم على خلاف الكتاب والسنة، وإنما يجري بينهم على سنن من قبلنا، كما قال النبي ﷺ، الله المستعان، ما أقل من يتخلص من البلاء الذي قد عم الناس، ولن يميز هذا إلا عاقل قد أدبه العلم، والله الموفق لكل رشاد، والمعين عليه.

ساق الآجري في هذا الباب عددًا من الأحاديث، فيها ما هو صحيح، مخرج في الصحيحين، ومنها ما هو حسن، ومنها ما فيه ضعف؛ لكنه يعتضد بالأحاديث الصحيحة والحسنة.

وعلّق الإمام الآجري على هذه الأحاديث بما يدل أن ما حدثنا رسول الله ﷺ عنه أنه سيحدث في هذه الأمة، وقد حدث فعلًا في عهد المؤلف وما قبله في أكثرها، وعلى مرِّ الأيام يزداد البلاء، وتزداد الفتن والبعد عن منهج الله الحق، والازدياد في متابعة أمم

---

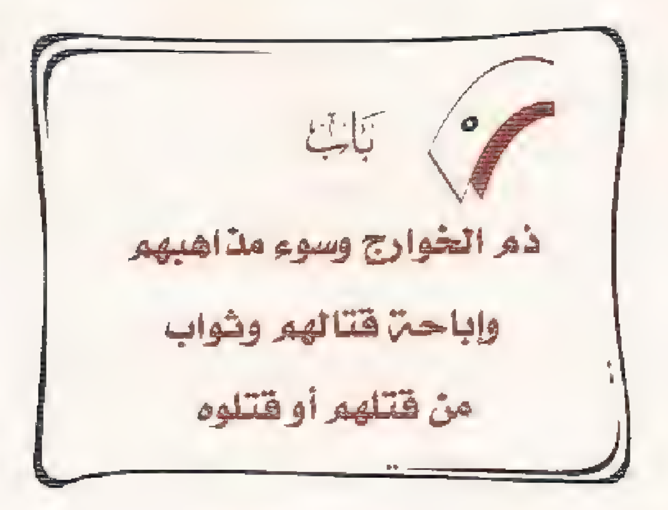
(١) إسناده حسن، ومثله لا يقال بالرأي، فله حكم الحديث المرفوع.

....

الضلال في العقائد والمناهج والسياسات إلا من سلَّمه الله من الطائفة الناجية المنصورة؛ فإنها لا تزال على ما كان عليه رسول الله ﷺ، ولا تزال هذه الطائفة على الحق ظاهرين.

نسأل الله أن يهدي ضال المسلمين، وأن يردهم ردًّا جميلًا إلى جادَّة الحق والصواب.





باب
ذم الخوارج وسوء مذاهبهم وإباحة قتالهم وثواب من قتلهم أو قتلوه

قال الإمام محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ:

«لم يختلف العلماء قديمًا وحديثًا أنّ الخوارج قوم سوء، عصاة لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن صلوا وصاموا، واجتهدوا في العبادة؛ فليس ذلك بنافع لهم، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم؛ لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، يموهون على المسلمين. وقد حذرنا الله عَزَّوَجَلَّ منهم، وحذرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحذرناهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذرناهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان، رحمة الله تَعَالَىٰ عليهم.

والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديمًا وحديثًا، ويخرجون على الأئمة والأمراء، ويستحلون قتل المسلمين.

فأول قرن طلع منهم على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هو رجل طعن على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يقسم الغنائم بالجعرانة، فقال: اعدل يا محمد، فما أراك تعدل، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ويلك، فمن يعدل إذا لم أكن أعدل؟».

....

فأراد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتله، فمنعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قتله، وأخبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أن هذا وأصحابًا له يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأمر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في غير حديث بقتالهم، وبيّن فضل من قتلهم أو قتلوه.

ثم إنهم بعد ذلك خرجوا من بلدان شتى، واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى قدموا المدينة، فقتلوا عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد اجتهد أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن كان في المدينة في ألّا يقتل عثمان، فما أطاقوا ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يرضوا بحكمه، وأظهروا قولهم، وقالوا: لا حكم إلا لله، فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كلمة حق أرادوا بها الباطل، فقاتلهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأكرمه الله عَزَّ وَجَلَّ بقتلهم، وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفضل من قتلهم أو قتلوه، وقاتل معه الصحابة - رضوان الله تَعَالَى عليهم -، فصار سيف علي بن أبي طالب في الخوارج سيفَ حق إلى أن تقوم الساعة». اهـ.

بدأ المؤلف كتابه هذا بدعوة المسلمين إلى الاعتصام بكتاب ربهم وسنة نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وساق في ذلك آيات وأحاديث، وثنّى بوجوب لزوم السنة، وثلّث بتحريم الفرقة والاختلاف، والآن بدأ يذكر أول طائفة فارقت المنهج الإسلامي، وخرجت على أمّة الإسلام وعلى ولاة أمور المسلمين، عثمان ثم علي، ثم من بعدهم.

تعلق الخوارج بقضايا الأموال منذ ذرّ قرنهم إلى اليوم

وقد أشار إلى الأحاديث التي بينت صفاتهم وشرهم، وخبثهم وفتنتهم للأمّة، وسفكهم للدّماء؛ يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، وكل هذه الصفات التي وصفهم بها رسول الله ﷺ ظهرت فيهم جليّة واضحة، وهكذا من سار على دربهم إلى يوم القيامة.

فهذا ذو الخويصرة أول شيء أنكره على الرسول ﷺ، وطعن في عدالته في قضية المال.

والخوارج -وخاصة في هذا العصر- يتعلقون بقضايا الأموال، والرسول أخبر أنَّ ولاة الأمر يستأثرون بالأموال والمناصب، فأمر المسلمين بالصبر ﷺ، بالصبر على الأثرة أصحابه من الأنصار[1].

فأهل السنة ما يثيرون قضية مال، قضية عدالة، وقضية شيء ما... إلخ؛ بل يصبرون حتى يروا الكفر البواح، كما أمرهم رسول الله ﷺ؛ فأول رئيس للخوارج بدأ يدندن حول الاقتصاد.

وللخوارج الآن في عصرنا إحصائيات للأموال وعدّها من البترول وكذا وكذا وكذا... ويُهَيِّجون الناس بهذه القضايا، ويتظاهرون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما هو شأن الخوارج، فهذه طريقتهم.

(١) إشارة إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه في «الفيء»، حديث [٣١٤٥]: عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الأَنصارَ لِيَكتُبَ لَهُم بِالبَحرَينِ، فَقَالُوا: «لَا وَالله حَتَّى تَكتُبَ لِإِخوَانِنَا مِن قُرَيشٍ بِمِثلِهَا. فَقَالَ ذَاكَ لَهُم مَا شَاءَ الله عَلَى ذَلِكَ يَقُولُونَ لَهُ، قَالَ: فَإِنَّكُم سَتَرَونَ بَعدِي أَثَرَةً، فَاصبِرُوا حَتَّى تَلقَونِي». والحديث عند المصنف (٤/ ١٦٤٠) برقم [١١١٥].

وأول ما خرجوا في عهد عثمان في مصر وفي غيرها؛ بدءوا يهيِّجون الناس على الخليفة بالمناصب وبالأموال وبكذا وبكذا و... ويتظاهرون بالغيرة على الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالتاريخ يعيد نفسه -كما يقال-؛ فالأمور والقضايا التي يدندن حولها الخوارج منذ ذرّ قرنُ فتنتهم؛ هي هي إلى يوم القيامة، هي نفسها؛ التظاهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقضايا المال، وقضايا المناصب، وهذه الأشياء.



الصبر على ولاة الأمر وإن جاروا هو أمر الرسول ﷺ، وهو منهج أئمة السنة بعده.

الرسول ﷺ أخبرنا بهذه الأشياء كلِّها، الرسول الرحيم المجاهد الذي لا يطيق الباطل أبدًا ينظر إلى ما يصلح المسلمين، وإلى ما يفسدهم، ويرجح بين المصالح والمفاسد، فظلم الحكام وانحرافهم مفسدة كبيرة؛ لكن الرسول أمر بالصبر عليهم مهما بلغ فسادهم إلى أن يخرجوا من دائرة الإسلام خروجًا واضحًا لا غبار عليه، ولا ضباب[١].

الرسول غيور على الدين؛ بل هو أكثر الناس غيرة بعد الله على محارمه[٢]، ومع ذلك يأمر بالصبر ﷺ، وأهل السنة والجماعة من عهد الصحابة إلى يومنا هذا موقفهم لا يختلف، ولا يخرج عن توجيهات الرسول الكريم ﷺ الذي أخبر بانحراف الحكام، وأمر بالصبر عليهم.

---

(١) إشارة إلى حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه في البيعة؛ وفيه: قال رضي الله عنه: «فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَن بَايَعَنَا عَلَى السَّمعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكرَهِنَا، وَعُسرِنَا وَيُسرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَينَا، وَأَلَّا نُنَازِعَ الأَمرَ أَهلَهُ، إِلَّا أَن تَرَوا كُفرًا بَوَاحًا، عِندَكُم مِنَ الله فِيهِ بُرهَانٌ».

أخرجه البخاري في «الفتن» حديث (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، ومسلم في «الإمارة» حديث [١٧٠٩].

(٢) أخرج البخاري في «الحدود» حديث [٦٨٤٦]، ومسلم في «اللعان» حديث [١٤٩٩] كلاهما من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَتَعجَبُونَ مِن غَيرَةِ سَعدٍ؟! فَوَالله لَأَنَا أَغيَرُ مِنهُ، وَالله أَغيَرُ مِنِّي؛ مِن أَجلِ غَيرَةِ الله حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا شَخصَ أَغيَرُ مِنَ الله، وَلَا شَخصَ أَحَبُّ إِلَيهِ العُذرُ مِنَ الله؛ مِن أَجلِ ذَلِكَ بَعَثَ الله المُرسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، وَلَا شَخصَ أَحَبُّ إِلَيهِ المِدحَةُ مِنَ الله؛ مِن أَجلِ ذَلِكَ وَعَدَ الله الجَنَّةَ».

فعن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «خيار أئمتكم: الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم: الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم.

قالوا: قلنا يا رسول الله؛ أفلا ننابذهم عند ذلك؟

قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة.

ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله؛ فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعة». «صحيح مسلم» (٣/ ١٤٨٢).

الصحابة -رضوان الله عليهم- رأوا انحراف الحجاج، كعبد الله بن عمر، وجابر، وأبو سعيد، وأنس بن مالك، وغيرهم، ورأوا انحراف يزيد؛ فما كانوا يزيدون على أن يأمروا الأمّة بالصبر[(١)]، وبعض الناس خالفوا الصحابة، خالفوهم وثاروا فأريقت الدِّماء، وانتهكت الأعراض، وحصل من المفاسد ما لا يعلمه إلَّا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ حتى القراء خرجوا، ولكنهم ندموا بعد ذلك[(٢)].

---

(١) قال الزبير بن عدي: أَتَيْنَا أَنَسَ بنَ مَالِكٍ فَشَكَوْنَا إِلَيهِ مَا نَلقَى مِنَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اصبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأتِي عَلَيكُم زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعدَهُ شَرٌّ مِنهُ، حَتَّى تَلقَوا رَبَّكُم! سَمِعتُهُ مِن نَبِيِّكُم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». أخرجه البخاري في «الفتن» حديث [٧٠٦٨].

وقال نافع: جَاءَ عَبدُ الله بنُ عُمَرَ إِلَى عَبدِ الله بنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِن أَمرِ الحَرَّةِ مَا كَانَ، زَمَنَ يَزِيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: «اطرَحُوا لأَبِي عَبدِ الرَّحمَنِ وِسَادَةً.

فَقَالَ: إِنِّي لَم آتِكَ لأَجلِسَ، أَتَيتُكَ لأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«مَن خَلَعَ يَدًا مِن طَاعَةٍ لَقِيَ الله يَومَ القِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَن مَاتَ وَلَيسَ فِي عُنُقِهِ بَيعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»**. أخرجه مسلم في «الإمارة» حديث [١٨٥١].

(٢) قال سليمان بن حرب: حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال: قيل لابن الأشعث: إن سرَّك أن يقتلوا حولك كما قتلوا حول جمل عائشة، فأخرج مسلم بن يسار معك. قال: فأخرجه مكرهًا.

=

وتحريم الخروج ليس عمالة ولا جاسوسية -كما يقوله الخوارج الآن[1]-؛ وإنَّما هو امتثال لأوامر الله، وسيرًا على منهج الله، والمنهج الذي شرعه هذا الرسول الكريم، وسار عليه أئمة الهدى في كل زمان ومكان.

= قال: حدث حماد بن زيد قال: ذكر أيوب القراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث فقال: لا أعلم أحدًا منهم قتل إلا قد رغب له عن مصرعه، ولا أحد منهم نجا إلا قد ندم على ما كان منه.

قال: فصحب أبو قلابة مسلم بن يسار، قال: فقال: يا أبا قلابة إني أحمد الله إليك إني لم أطعن فيها برمح، ولم أضرب فيها بسيف، ولم أرم فيهم بسهم.

فقال له: يا أبا عبد الله كيف بمن رآك واقفًا فقال: هذا أبو عبد الله، والله ما وقف هذا الموقف إلا وهو على الحق، فتقدم فقاتل حتى قُتل؟ قال: فبكى حتى تمنيت أني لم أقل شيئًا.

رواه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٢-٥٣)، والسياق له، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨/ ١٤٦-١٤٧)، ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ١٨٧) مفرَّقًا، وأخرجه مختصرًا البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٣٠٢)، برقم [٢٥٤٤].

(١) روى ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٧-٣٤٨) برقم (١٢٠٢٥، ١٢٠٢٦) من طريقين: عن عمران بن حدير، قال: أتى أبا مجلز ناسٌ من بني عمرو بن سدوس - وفي الطريق الأخرى: نفر من الإباضية-، فقالوا: يا أبا مجلز، أرأيت قول الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، أحق هو؟ قال: نعم!

قالوا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] أحق هو؟ قال: نعم!

قالوا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، أحق هو؟ قال: نعم!

قال فقالوا: يا أبا مجلز، فيحكم هؤلاء بما أنزل الله؟ قال: هو دينهم الذي يدينون به، وبه يقولون، وإليه يدعون، فإن هم تركوا شيئًا منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنبًا! فقالوا: لا والله، ولكنك تَفَرَقُ!

قال: أنتم أولى بهذا مني! لا أرى، وإنكم أنتم ترون هذا ولا تحرَّجُون -وفي الطريق الأخرى: ولكنكم تعرفونه، ولكن يمنعكم أن تمضوا أمركم من خشيتهم!-؛ ولكنها أنزلت في اليهود والنصارى وأهل الشرك أو نحوًا من هذا.

والأثر قال فيه الشيخ أحمد شاكر: إسناداه صحيحان. وكذا الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٦/ ١١٤) (ح رقم ٢٥٥٢).

فهذا أحمد بن حنبل؛ الحاكم والخليفة في زمانه أعلن الدعوة إلى القول بخلق القرآن، وهذا كفر، فكان العلماء يأتون إليه يستشيرونه في الخروج، فيأبى، ويقول: هذا سيهلك المسلمين، سيضر بالمسلمين، سيسفك دماءهم، وينتهك أعراضهم، وكذا وكذا، وأبى الخروج(١).

فهل أحمد بن حنبل عميل؟ هل هو جاسوس؟!

لقد سُجن وضُرب، وسُجن إخوانه، وامتُحنوا أشدَّ الامتحان، وقُتل بعضهم؛ وهو مع ذلك كلّه يأمر بالصبر.

هذا هو المنهج الصحيح؛ حتى لو ظهر الكفر البواح، وفي خروجك ضرر بالمسلمين: لا تخرج إذا كانت المفسدة أكبر من المصلحة، ولو كان كافرًا كفرًا بواحًا، فما دام الخروج يضر بالمسلمين، ويؤدي إلى سفك دمائهم، وانتهاك أعراضهم: فلا تتسبب في هذه المفاسد.

وأهل السنة والجماعة ملتزمون بهذا المنهج، لا من منطلق عمالة وجاسوسية كما يصفهم أعداء السنة، وأعداء هذا المنهج.



---

(١) انظر: «محنة الإمام أحمد»، لحنبل بن إسحاق (ص٧٠-٧٢)، و«السنة» للخلال (١/ ١٣١-١٣٤) برقم (٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠)، و(١/ ١٤٠-١٤٥) برقم (١٠٢-١٠٥)، (١٠٨-١١٠)، و«الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١٩٦).

غلوّ خوارج زماننا في الحاكمية ورثوه من إمامهم ذي الخويصرة، ومن خرج من ضئضئه

والشعارات اليوم هي شعارات ذي الخويصرة ومن بعده.

فذو الخويصرة قد انتقد الرسول ﷺ في المال، وأتباعه الذين خرجوا من ضئضئه انتقدوا عليًّا في الحكم والمال، وخوارج اليوم حرَّفوا الدين كله وحصروه في الحاكمية.

نسوا التوحيد وأنسوه الناس، وأغفلوا الناس عن الشرك وعن السحر والبدع والضلالات التي تنخر في كيان المسلمين، وقد يهلك كثير منهم فيدخل النار -والعياذ بالله-.

ولا يمسُّون هذه العقائد المنحرفة التي حاربها الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبدءوا بحربها.

همُّهم الوحيد الحاكمية الحاكمية، وإذا حاربوا العلمانيين وغيرهم؛ إنَّما يحاربونهم من أجل التنافس على الكراسي، فيشتدون على العلمانيين إذا حاربوهم على الكراسي، وإذا اتفقوا يتحالفون معهم ويتعاونون معهم، ومع غيرهم من شيوعيين ونصارى، ومع كل نحلة؛ هذا واقعهم الآن للأسف.

أمَّا أهل السنة: فثابتون على منهج معيَّن في عقيدتهم، وفي منهجهم، وفي تعاملهم مع أهل البدع، وفي تعاملهم مع الحُكَّام، ينطلقون في ذلك كلّه من منهج صحيح، فهذا كتاب الله، وهذه سنة رسول الله، وهذا فقه السلف الصالح بيننا وبينهم.

فالآن شغلتهم الحاكمية والحكام، والذي يُبَصِّر المسلمين ويدلهم على المنهج الصحيح- الذي يَسلَمُ فيه دينهم، وتسلم فيه أعراضهم، وتصان فيه دماءهم-: هو جاسوس وعميل للغرب عند الخوارج الجدد.

وما الذي جعلهم يعيشون في أوربا، ويشيدون هناك القصور والمباني، ويدخلون أولادهم في مدارس النصارى والملاحدة، ويعيشون في ظل «تاتشر» وفي ظل «كلنتون» و«بوش» وأمثالهم؟

اللهمَّ إلَّا العلاقات الوطيدة بينهم؛ فهذه الزلازل والمحن التي تنصب على المسلمين من الغرب؛ كلها من تدبير وخطط أعداء الإسلام، ويفرحون بهذه الزلازل والأعاصير والمحن هنا وهناك، في أفغانستان، وفي الجزائر، وفي كل مكان تجد فتن هؤلاء يفرح بها أعداء الإسلام.

من يموِّل هذه الحركات الآن؟

هذه الحركات التي تسمى جهادية من يموِّلها؟

من الذي يموِّل الثوار في الجزائر وغيرها؟

من أين تأتيهم الأموال هذه؟

تأتيهم من أعداء الإسلام، وهم يضحكون على الناس.

هذا مذهب الخوارج، وأشرس من مذهب الخوارج الأولين، يتعلقون به ويربون عليه الشباب، فيجب أن يفقه المسلمون في كل زمان ومكان مشكلة الخوارج وخطرها.

ثـم هؤلاء يضمون إلى مشـكلة الخوارج مشـكلةَ الإرجـاء الغالي، فـرءوس البدع والضـلال الذيـن عندهم كفريـات كبرى يدافعون عنهم، ولو سـبّوا الأنبياء، ولو سـبُّوا الصحابة ولو كفَّروهم، ولو، ولو، فهم مقدسون عندهم.

المرجـئ الغالي يـرى الذنوب ذنوبًا، ولا يطبق على المذنبـين نصوص الوعيد، وهذا ضـلال مبـين، ولكن أضـل منهم هـؤلاء الذين يرون أهـل وحدة الوجود، ومن يسـب الأنبياء والصحابة..إلخ: مجددين، وخيرًا عندهم من أئمة السنة.

وأهل السـنة ليسـوا بشيء عندهم؛ بـل يحاربونهـم وينبزونهم بالألقاب الشـنيعة، فجمعوا بين سوءات -و العياذ بالله-.

فيجب أن ينتبه لهم الشـباب المسـلم، وأن يبحث عن المنهج السلفي المتمثل في هذا الكتـاب وفي غـيره، كـ«السـنة » للخلال، «شرح أصـول اعتقاد أهل السـنة» للالكائي، «الإبانتين» لابن بطة، هذه وأمثالها هي التي تمثل منهج السـلف، ليس كتب سـيد قطب، وكتـب الضـلال، وكتب أهل البدع، وكتـب الروافض، وكتب الخوارج المندسّـين منهم والمعلنين.

فنحن ما عندنا إلَّا كتاب الله وسـنة رسـول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما انبثق عنهما من حقٍّ ومن فقه السلف، فنعضُّ على ذلك بالنَّواجذ، كما أمرنا بذلك رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالآن لوثُّوا أهل السـنة وشـوَّهوهم بهذه الطعون الخبيثة، التي ما كانت تصدر من الخوارج ولا من الروافض.

الخـوارج والروافـض الآن لا يـؤذون أهل السـنَّة كـما يؤذيهم هـؤلاء؛ فهم ورّاث للخـوارج والروافـض والمرجئـة في حرب أهل السـنة، ويسـمُّون أنفسـهم أهل السـنة، ويسمون أنفسهم سلفيين!!

والله لا يجتمـع منهـج سـيد قطـب والبنـا والـمودودي مـع المنهـج السـلفي أبـدًا، لا يجتمعـان أبـدًا، فلا يجتمع الضـلال والهدى، فافهموا يا أيُّها الشـباب، وعليكم بمنهج السلف الصالح.

والله لا تخـرج الأمَّة من مشـاكلها، وما تعيش فيه من ذلٍّ وهـوان؛ إلَّا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة الرسول وفقه السلف الصالح، في قضايا الخوارج وقضايا غيرهم.

يقول الآجري: «لم يختلف العلماء قديمًا وحديثًا في أنَّ الخوارج قوم سـوء، عصاة لله ولرسوله، وإن صلوا وصاموا، واجتهدوا في العبادة».

الرسـول ﷺ ذكـر عنهـم قائـلًا: إنَّكـم تحقـرون صلاتكـم إلى صلاتهـم، وقراءتكـم إلى قراءتهم، وصيامكم إلى صيامهـم؛ لغلوِّهم في العبادة الذي جرَّهم إلى هذا الانحراف، وأوقعهم في الغرور والانحراف؛ فأهلكهم، فصاروا شرَّ الخلق والخليقة على لسان رسول الله ﷺ[(١)]، وصاروا كلاب أهل النَّار[(٢)] -والعياذ بالله-.

هذا فكر الخوارج الذي يرفع رايته الآن سيد قطب، ومن تبعه.

---

(١) أخرجه مسلم في «الزكاة» حديث [١٠٦٧]، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٥٥)، وابن ماجه في الإيمان حديث [١٧٣]، من طريق ابن أبي أوفى به، وله شاهد من حديث أبي أمامة أخرجه ابن ماجه في الإيمان حديث [١٧٢]، وأحمد (٥/ ٢٥٣)، والترمذي في التفسير حديث [٣٠٠٠].

رفع سيد قطب راية الخوارج والروافض، وراية ملاحدة الصوفية، وهو مقدس عند هؤلاء، فهم في حالة سيِّئة جدًّا في أسوأ الأحوال، ويحسبون أنفسهم أنَّهم هم الذين يمثلون الإسلام، وهذا هو الضلال.

الخوارج كانوا يواجهون عليًّا، ويواجهون الصحابة على أنَّهم هم الذين يمثلون الإسلام، وأنَّ الصحابة قد ضلُّوا وكفروا، وهم الذين يمثلون الإسلام.

والآن نفس الشيء، فالتاريخ يعيد نفسه -كما يقال-، الآن علماء السنة -عند هؤلاء الخوارج- ضُلَّال وعُبَّاد للحكام، وجواسيس، وعملاء وأهل الصحون والتّباسي، و... و... إلى آخر التشويهات التي يصدُّون بها شباب الأمّة عن الحقِّ، وعن سبيل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فالحق في هذا كلِّه -في قضايا السياسة والصراع السياسي القائم الآن- أن نرجع إلى توجيهات الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلى فقه سلفنا الصالح؛ فنتشبث به مهما طعنوا ومهما شوهوا، وسيجعل الله للحقِّ وأهله فرجًا ومخرجًا ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

والله إنَّنا لنبرأ من أخطاء الحكام وغيرهم، ونحب من يطبق شريعة الله، ونكره جدًّا مخالفة هذه الشريعة، ولا نؤيِّد أيَّ مخالفة أو باطل أبدًا، والرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول -كما في حديث أم سلمة-: «ستكون أمراء، فتعرفون وتنكرون فمن عرف بَرِئ، ومن أنكر سَلِمَ؛ ولكن من رضي وتابع.

قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا». «صحيح مسلم» (٣/ ١٤٨٠).

فنحن ننكر المنكرات -إن شاء الله- بقدر ما نستطيع بقلوبنا وبألسنتنا وبأقلامنا، في حدود طاقتنا، وإذا عجزنا عن شيء ننكره بقلوبنا[(١)]، ولا نرضاه أبدًا[(٢)] «ولكن من رضي وتابع».

---

(١) روى ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ١٧٤)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٠٧)، برقم: [٨٥٦٤]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣٥)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٣/ ٢٨٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٩٥)، برقم (٧٥٨٨-زغلول)، عن طارق بن شهاب قال: قَالَ عِتْرِيس بن عرقوب الشيباني لِعَبْدِ الله- هو ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: هَلَكَ مَنْ لَمْ يَأْمُرْ بِالْـمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْـمُنْكَرِ، فَقَالَ عَبْدُ الله: «بَلْ هَلَكَ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْـمَعْرُوفَ بِقَلْبِهِ وَيُنْكِرِ الْـمُنْكَرَ بِقَلْبِهِ». قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٧٤١): «رجاله رجال الصحيح».

وروى ابن أبي شيبة (١٥/ ٧٤، ١٧٤)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها»، ص: [٩٣]، والحميري في «جزئه» [٤٩]، وابن أبي الدنيا في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (٧٨، ١١٢)، وابن المقرئ في معجمه [٧٠٢]، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٣/ ٢٨٣)، (٢٤/ ٣١٣-٣١٤) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٩٦) برقم (٧٥٨٩-زغلول): عن الربيع بن عميلة عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إِنَّهَا سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَبِحَسْبِ امْرِئٍ إِذَا رَأَى مُنْكَرًا لَا يَسْتَطِيعُ لَهُ غَيْرَ أَنْ يَعْلَمَ الله مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ لَهُ كَارِهٌ». والأثر صححه الألباني «الضعيفة» (٤/ ١٦٥) برقم: [١٦٦٩].

(٢) قال مطرف بن عبد الله بن الشخير رَحِمَهُ اللَّهُ: «لئن لم يكن لي دين حتى أقوم إلى رجل معه مائة ألف سيف أرمي إليه كلمة فيقتلني؛ إن ديني إذن لضيق».

رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٠٩)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٣/ ٢٨٣) من طريقين عن إسماعيل بن إبراهيم بن علية عن أيوب به.

وجاء في هذا المعنى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والحسن البصري، وغيرهما.

انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٢٣/ ٢٨٢-٢٨٣).

فنحن على هذا المنهج الذي وضَّحه لنا رسول الله ﷺ وتركنا -في كل القضايا بما فيها قضايا الأمراء والحكام- على المحجَّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلَّا هالك[1].

فنحن -إن شاء الله- متشبِّثون بهذا، عاضُّون عليه بالنَّواجذ، لا نتزحزح عنه، ولو كثرت سهام هؤلاء؛ فإنَّها طائشة -إن شاء الله-، ولن تصيب -إن شاء الله- إلَّا نحورهم في الدنيا والآخرة.

قال الآجري: «فليس ذلك بنافع لهم».

ماذا يريد؟ هل يريد أنَّ أعمالهم حابطة؟ الله أعلم! لأنَّ أكثر أعمالهم بدع؛ فعباداتهم قائمة على غير الوجوه المشروعة.

قد يخلصون من الكفر، وينجون من النَّار بعد أن يعاقبهم الله، أو يعفو عنهم كما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، نحن لا نتدخل في الجنَّة والنَّار، ففي الجملة: نؤمن أنَّهم من أهل النَّار؛

---

(١) إشارة إلى ما أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦)، وابن ماجه في المقدمة حديث [٤٣]، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٤٧)، وفي «الشاميين» [٢٠١٧]، وأبو نعيم في «المستخرج» (١/ ٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧٥) برقم (٣٣١- مصطفى عطا)، والآجري في «الشريعة» (٨٨، ٨٩)، واللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٧٤) برقم [٧٩]، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٣٤٦- ٣٤٧) برقم (١١٩٥، ١١٩٦)؛ من طرق عَن مُعَاوِيَةَ بنِ صَالِحٍ عَن ضَمرَةَ بنِ حَبِيبٍ عَن عَبدِ الرَّحمَنِ ابنِ عَمرٍو السلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ العِربَاضَ بنَ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ مرفوعًا، ولفظه: «**قد تَركتُكُم عَلَى البَيضَاءِ لَيلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغُ عَنهَا بَعدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَن يَعِش مِنكُم فَسَيَرَى اختِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيكُم بِمَا عَرَفتُم مِن سُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيكُم بِالطَّاعَةِ وَإِن عَبدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّمَا المُؤمِنُ كَالجَمَلِ الأَنِفِ حَيثُمَا قِيدَ انقَادَ**». والحديث في «الصحيحة» للألباني برقم [٩٣٧].

لكـن الأفـراد والآحاد لا نسـتطيع أن نحكم عليهم، وقوله: «ليـس بنافع لهم» هل قصد أنها حابطة؟

إن كان يكفرهـم فهـو يقصد الحبـوط، وإن كان لا يكفرهم فتكـون فائدتها قليلة، وجـدوى هـذه العبادة قليلة؛ لأنَّهـا قائمة على الهوى، وقائمة على الجهـل وعلى غير اتِّباع الرسول الكريم ﷺ[1].



(١) قال شيخ الإسـلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتناول نصوص الوعد للشـخص مـشروط بأن يكون عمله خالصًـا لوجه الله موافقًا للسـنة؛ فـإن النبيَّ ﷺ قيل له: «الرَّجُـلُ يُقَاتِلُ شَـجَاعَةً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ لِيُقَالَ؛ فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ الله؟

فَقَالَ: «مَن قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُليَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله».

وكذلـك تنـاول نصوص الوعيد للشـخص مشروط بألا يكون متأوِّلًا ولا مجتهـدًا مخطئًا؛ فإن الله عفا لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان». «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٧٤).

البدع الكبرى والمنكرات العظمى عند الخوارج الجدد ليست بشيء أمام الحاكمية

وذكر الإمام الآجري: من عيوبهم: «ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، كما هو حال الخوارج الآن؛ يدندنون كثيرًا حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لكن البدع الكبرى ليست منكرًا عندهم، البدع الشركية التي ركَّز أهل السنة عليها أكثر من المعاصي وقضايا الحكام، وركزوا على البدع؛ لماذا؟

لأنَّ الذي يقع في البدع الشركية شرٌّ من الحاكم المنحرف، وشرٌّ من العصاة لماذا؟

لأنَّ هذا يفسد دين الله ويحرفه، ويقدمه للنَّاس على أنَّه دين الله؛ بينما الحاكم يقول: والله أنا هذا أخذته من أوربا، وهذا من أمريكا وهذا... ولا يقول لك: أخذته من عند الله، لكن هؤلاء يقولون: إن دينهم من عند الله.

ولهذا أنا لفت أنظار المسلمين غير مرَّة إلى: أنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أنزل القرآن على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان يقول له: كسرى، قيصر، النجاشي... كما يقول هؤلاء الآن؛ فلان وفلان، ما يقول هذا الكلام؛ وإنَّما صبَّ غضبه على اليهود الذين حرَّفوا الدين، وعلى النصارى الذين حرفوا الدين، وأفسدوا الرسالات.

فهؤلاء المبتدعون المنحرفون، الذي تؤدِّي بهم بدعهم إلى الخروج من الإسلام: هم أخطر الأخطار على الإسلام؛ فهؤلاء الخوارج الآن على صلح مع الروافض، ومع الخوارج، ومع غلاة الصوفية الباطنية، ومع القبوريِّين؛ فهم ما شاء الله على صلح ووفاق، وقلَّما يتعرَّضون لهم؛ اللهمَّ إلَّا من باب ذرِّ الرماد في العيون، حتى يبقى لهم ستارة من

ملابس أهل السنة، وإلَّا فهم سائرون على طريقة الخوارج، على المنهج الذي رسمه لهم سيد قطب الذي يفسِّر (لا إله إلَّا الله) بـ: لا حاكم إلَّا الله، ليس عندهم إلَّا الحاكمية.

ونحن جاريناهم على الحاكمية، وقلنا لهم: إذا قلنا بالحاكمية؛ فيجب أن نبدأ بالعبادة، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

يجب أن نبيِّن للنَّاس توحيد العبادة، ونحارب الشرك الذي يقع فيه الحاكم والمحكوم، ونوجِّه دعوتنا إلى الحكام والمحكومين، فأوّل ما نصلح: عقائدَهم، قبل أن نصلح سياستهم، كما فعل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

الأنبياء جاءوا والحكام منحرفون، ليس عندهم شيء من شرائع الإسلام ليسوسوا به أممهم؛ إنَّما يسوسونهم بالأباطيل والضلالات، والانحرافات التي تخالف منهج الرسل.

ما جاء الأنبياء يقولون: والله أنتم عندكم انحراف في الحاكمية، ولا حكم إلَّا لله، وتعالوا نصارعكم على الحاكمية.

لا؛ إنما يبدءون بالعقائد، يبدءون بهداية الحاكم والمحكوم إلى العقيدة الصحيحة.

يا أخي: إذا صلحت عقيدة الحاكم وصلحت عقيدة المحكوم: استقامت الأمور، إذا صلحت عقيدته: التزم أمر الله، وعرف قدر الله وعظمته وجلاله وحقّه عليه، ومن حقوقه على عباده: أن يحكموا بشريعته؛ لكن تأتي تناوشه في الحاكمية، وتجمّع الشعب من خلفك؛ هذا خرافي، وهذا رافضي، ويمكن هذا نصراني، وهذا يهودي، وهذا شيوعي،

فتجمع الشعب وتحشد الأمة وراءك فقط؛ حتى تسقط هذا الحاكم لتصل إلى الكرسيِّ، وإذا وصلت لن تطبق شريعة الله.

وهذا قائم الآن وموجود لماذا؟ لأنَّ البداية فاسدة، والنهاية أفسد.

قد يبدأ الإنسان بداية صحيحة وينحرف، فكيف إذا كان من البداية منحرفًا، ماذا ينتظر منه؟

فالانحراف عن دعوة الأنبياء انحراف خطير كبير جدًّا.

هل أنت أعلم من الله؟

هل أنت أعلم من الأنبياء؟

هل أنت أعلم بسعادة الأمة من ربِّ العالمين، ومن رسول ربِّ العالمين ومن الأنبياء أجمعين؟

تعالى الله عن ذلك، وحاشا رسوله ﷺ من ذلك.

هذا منهج واضح في القرآن، عرضه الله من عهد نوح إلى عهد محمد ﷺ ما اختلف فيه الأنبياء أبدًا ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

يا أخي؛ هم الآن يكفرون الشعوب، لماذا؟

يقولون: لأنَّهم يعبدون الحكام.

تقول لهم: كيف يعبدون الحكام؟

يقولون لك: يقنِّنون لهم قوانين، وهم يطيعون هذه القوانين.

❁ أنا أقول: إنّ الشعوب الإسلامية بريئة من هذه التهمة، هذا كذب؛ لأنَّهم ليسوا راضين عن هذه القوانين، التي فيها ضرائب ومشاكل تصيبهم في دمائهم وأموالهم،

وتنهب أموالهم؛ فهم لا يريدون هذه القوانين ويكرهونها حتى من النَّاحية الدنيوية؛ لا يحبونها فضلًا عن الناحية الدينية، فهم لا يعبدون الحكام إذن.

❁ العبادة يشترط فيها أمور، منها: الحب والخضوع؛ قد يخضعون لسلاطينهم لكن لا يحبونهم، ولا يحبون قوانينهم؛ فليسوا بعابدين لهم، فكيف تكفرهم -يا أخي- بحجة أنهم عبدوا الحكام، وتقول عبدوا الحكام وهم ما يعبدونهم؟!

الحقيقة أنَّ كثيرًا منهم يعبدون القبور؛ لماذا لا تحاول القضاء على عبادة القبور قبل عبادة الحكام المزعومة؟

فهم أخطئوا طريق الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والخطأ هذا من البداية، ولا يكون في النهاية إلَّا أفسد وأفسد.

ولهذا يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**والله إنَّا لا نعطي هذا الأمر أحدًا سأله ولا أحدًا حرص عليه**»[1].

الآن هؤلاء كلهم حريصون على الكراسي، ويسلكون طرقًا فظيعة جدًّا للوصول إلى الكراسي بطريقة «ميكيافلي» وغيرها من الطرق السيِّئة، فكيف يؤتمن هؤلاء على أموال المسلمين ودمائهم وأعراضهم وهذه هي أهدافهم؟!

وقد بيَّن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سوء نيَّة من يبدأ من هذا المنطلق، فيجب أن يحذرهم الناس وأن يتهموهم، ولا يقولوا: والله لا ندخل في نوايا الناس!!

مادامت أعماله هكذا واضحة مخالفة لمنهج الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من الحرص الشديد على الكراسي والدعوة إلى الديمقراطية وتعدد الحزبية، ويؤيِّد كلَّ هذه الضلالات التي جاءت من الغرب الذي يتظاهرون بحربه!!

---

(١) «صحيح مسلم» كتاب: «الإمارة»، حديث [١٧٣٣].

بدع الغرب وضلالاتهم من ديمقراطية وغيرها، هم أول الناس ركضًا إليها، وأكثر الناس حرصًا عليها، وأكثر الناس تشبثًا بها؛ فأين حربكم للغرب؟

أُمّ الكفر: هي الديمقراطية، وهي روح الإسلام عندهم.

كم من الكفريات تنبثق من الديمقراطية، وهم يطبلون لها إرضاءً للغرب، وتحقيقًا لأهداف الغرب.

هم يروِّجون الآن بضاعة الغرب في بلاد المسلمين، كيف تحاربون الحكام في السياسة المنحرفة، وأنتم تدعون إلى قواعد الانحراف هذه؟!

هؤلاء الحكام المنحرفون الآن عندكم ما انحرفوا إلّا بالديمقراطية هذه، فكيف تؤيِّدونها؟

الشاهد: أنَّ الخوارج الأوائل كان تعلقهم بالمال والحكم، وهؤلاء اليوم نفس الشيء متعلقون بالاقتصاد وبالحكم؛ فترى دندنتهم حول الاقتصاد، ويتخصصون في الاقتصاد ويتخصصون في السياسة، ولا يعرفون فقهًا إسلاميًّا، ولا يعرفون عقيدة، وإذا عرفوها همَّشوها، وهكذا نفس البلاء.

وقد سئلنا: ما رأيك في الذي يقول: عقيدتي سلفية، وأنا على المنهج الفلاني؟ أنا عقيدتي سلفي، ومنهجي إخواني؟

فكيف تُفرِّق الدين؛ فالدين عقيدة ومنهج، كيف تفرق بينهما؟

أم هذا المنهج الذي اخترته معناه: أنّ السلفيين منهجهم فاسد في الدعوة، وفي التفقه، وفي الاستدلال، وفي الولاء والبراء؛ يعني: منهجهم الذي هو منهج السلف؛ فاسد!!

لـو أخذت بمنهج السـلف الأولين - منهـج أحمد وابن تيميـة وغيرهما- لالتقيت مع السـلفيين الذين تسميهم جواسـيس وعملاء، إذا نظرت إليهم من خلال هذا المنهج تبـددت هـذه التهم الكاذبة؛ ولكن أنت تنظر إلى السـلفيين من خـلال مذهب الخوارج، وتنظـر إليهـم من خلال سياسـة الغرب، وتنظر إليهـم من زوايا خبيثـة، فترى صورتهم شـوهاء؛ لكـن لـو نظرت إليهـم من منظار هـدي محمد ﷺ، ومن خـلال ما كان عليـه السـلف؛ لوجدتهم أحسـن النـاس صورة، وأنَّهم هـم أهل الحـقِّ، وأنَّك أنت على ضلال وانحراف سواء في العقيدة، أو العقيدة والمنهج.

والذي ينحرف في المنهج: فقد وقع في انحراف خطير.

❁ وقلنـا: إنَّ الخوارج الأوائل الذين قتلهم علي وأمر الرسـول ﷺ بقتلهم: لم يكن عندهم تعطيل في الأسـماء والصفات، فهم في باب الأسـماء والصفات على منهج السلف، وعلى منهج الصحابة، وعلى منهج القرآن.

وكذلـك مـا كانوا يعبدون القبور؛ فهم في توحيـد العبادة وفي مفهوم لا إله إلَّا الله: على منهج السلف، وعلى ما جاء به القرآن.

ومع ذلك؛ لـمَّا انحرفوا في الفهم: أمرَ الرسـول ﷺ بقتلهم، وسـمَّاهم: شرُّ الخلـق والخليقـة، ولو أدركهم لقتلهم قتل عاد[1]، ووعد بالثـواب الجزيل لمن قتلهم[2]، وهـم أقـلّ انحرافًـا من هؤلاء، فهـؤلاء عندهم انحـراف عقائدي، وانحـراف منهجي، وانحرافات كثيرة.

---

(١) ثبـت ذلك عند البخـاري في أحاديث الأنبياء، حديث [٣٣٤٤]، ومسـلم في كتاب: «الزكاة» حديث [١٠٦٤].

(٢) انظر: «صحيح البخاري» حديث [٣٦١١]، ومسلم حديث(١٠٦٦)؛ الحديث عن علي رضي الله عنه.

فأنـا أقـول لهم: اتَّقوا الله، وارجعوا إلى كتاب الله، وإلى سـنة رسـول الله، وإلى اتِّباع سبيل المؤمنين، الذين من فارقهم فموعده النَّار -والعياذ بالله-.

فارجع إلى هذه الأشياء، وانظر إلى السلفية الموجودة الآن من خلال الكتاب والسنَّة، ومن خلال منهج السلف الصَّالح الذي تدَّعي أنَّك من أهله؛ وانظر نظرة صحيحة إليهم تجدهم على الحقِّ والصواب، وأنَّك على انحراف وضلال.

إعلانهـم بالأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس بنافعهـم؛ لماذا؟ «لأنَّهم يتأوَّلون القرآن على ما يهوون»؛ أي: والله هذا موجود «ويموهون على المسـلمين»؛ فسـبحان الله؛ يتضاءل تمويه الخوارج في العهد السابق أمام تمويه هؤلاء الآن.

المعاصرون تخصصوا في التمويه، وعندهم دربة هائلة في التمويه والتلبيس.

نفـس المـرض موجود وهو: سـوء الفهم لكتاب الله، وسـنَّة الرسـول ﷺ، والتمويه وكل ذلك ناشئ عن الهوى -والعياذ بالله-.

- قال المصنف: «وقد حذرنا الله تَعَالَىٰ منهم».

ما المقصود بحذرنا الله تَعَالَىٰ منهم؟

هل لفظ الخوارج مذكور في القرآن؟

فالعصاة الذين يعصون الله ورسـوله قال الله فيهم: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

والخوارج ما كانوا يردون مسائل النزاع إلى الله والرسول؛ وإنما كانوا يردون إلى أهوائهم وتفسيراتهم الفاسدة[1] هؤلاء الآن وقعوا في هذا ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾

[النساء: ١١٥]

شاقُّوا الله ورسوله، واتَّبعوا غير سبيل المؤمنين، فهي نفس طريقة الخوارج.

فهذا تحذير من الله بهذه الأصول العامَّة، ويدخل فيها كلُّ عاص، وكلُّ منحرف في المنهج، وكلُّ منحرف في العقيدة لا يحتكم إلى الله، ولا إلى رسول الله، لا في عقيدته، ولا في منهجه، ولا في خلافاته.

❁❁❁

---

(١) قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّهُمُ انطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَت فِي الكُفَّارِ فَجَعَلُوهَا عَلَى المُؤمِنِين».
علقه البخاري في صحيحه، في كتاب استتابة المرتدين، باب: «قَتلِ الخَوَارِجِ وَالـمُلحِدِينَ بَعدَ إِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيهِم»، ووصله الطبري في «تهذيب الآثار» (مسند علي) بسند صحيح.
قاله الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٢٨٦). ووصله كذلك ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٣/ ٣٣٥).
انظر: «تغليق التعليق» لابن حجر (٥/ ٢٥٩).
ومما يصدق قول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيهم: قولُ ابن الكواء في ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما أتاهم يناظرهم: «يَا حَمَلَةَ القُرآنِ إِنَّ هَذَا عَبدُ الله بنُ عَبَّاسٍ، فَمَن لَم يَكُن يَعرِفهُ فَأَنَا أُعَرِّفُهُ إِيَّاهُ مِن كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ؛ هَذَا مِمَّا أُنزِلَ فِيهِ وَفِي قَومِهِ: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].
فَرُدُّوهُ إِلَى صَاحِبِهِ وَلَا تُوَاضِعُوهُ كِتَابَ الله»! رواه أحمد (١/ ٨٦)، وأبو يعلى (١/ ٣٦٧) برقم [٤٧٤]، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٦٥) برقم [٢٦٥٧]، وقال: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي، وعنه البيهقي (٨/ ١٧٩)، والضياء المقدسي في «المختارة» (٢/ ٢٢٢-٢٢٦) برقم [٦٠٥]، وقال محقق الكتاب: «إسناده صحيح»، من رواية عبد الله بن شداد رَحِمَهُ اللَّهُ. وأورده الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٢)، وصححه.

قال الآجري: «وحذرنا الخلفاء الرَّاشدون بعده وحذَّرناهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

عثمان أنكر عليهم، وعمر ضرب صبيغ بن عِسْل، وقال: هات رأسك كيف هو؟ فلمَّا كشفه؛ فإذا به عنده وفرة، فقال: لو رأيت رأسك محلوقًا لضربت هذا.

يعني: لأنه يكون حينذاك من الخوارج؛ فهذا من تحذيره منهم، ثم نفى هذا الرجل[1].

كذلك ابن عمر تبرأ من أهل القدر[2] وتبرأ من الخوارج -أيضًا- وقد عاصرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وابن عبَّاس وجابر وأبو سعيد وغيرهم: تبرءوا من هؤلاء، وكشفوا عوار الخوارج وعليٌّ قاتلهم وقتلهم[3].

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة» (٢/ ١٥٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٤١٢)، وهو عند الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣٩٢) مختصر، ومن طريقه رواه أبو إسماعيل الأنصاري في «ذم الكلام وأهله»، ج [٤]، رقم [٧٠٧]: من طريق سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي أن: «صبيغًا سأل -وفي طريق: سأل رجل من بني يربوع أو من بني تميم- عمر بن الخطاب عن الذاريات والمرسلات والنازعات أو عن بعضهن.

فقال له عمر: ضع عن رأسك! فإذا له وفرة! فقال عمر: أما والله لو رأيتك محلوقًا لضربت الذي فيه عيناك! قال: ثم كتب إلى أهل البصرة -أو قال: إلينا- ألا يجالسوه! قال: فلو جاء ونحن مائة لتفرقنا!».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إسناده صحيح».

انظر: «الصارم المسلول» (٢/ ٣٥٧- شودري).

(٢) أخرجه مسلم في «الإيمان» حديث رقم [٨]، وأحمد (٢/ ١٠٧)، وابن حبان في صحيحه: «الإحسان» حديث [١٦٨]، والبغوي في «شرح السنة» حديث [٢].

(٣) كما في «الصحيحين»؛ البخاري في «المناقب» [٣٦١٠]، ومسلم في «الزكاة» [١٠٦٤]. من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال الإمام الآجري: «والخوارج: هم الشُّراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج...».

مذهب الخوارج في التكفير يتضاءل مرات عديدة أمام تكفير سيد قطب

الـذي يقـول: إنَّ الـذي يطيـع الحاكـم المشرِّع في جزئيـة واحـدة خرج مـن دائرة الإسـلام[1] ! وهو بهذا يحكم على نفسـه بالكفر؛ لأنَّه أطاع في كثير من الأشـياء وليس في جزئيَّة واحدة؛ بل في جزئيَّات!!

هذا الرجل يحلق لحيته؛ فمن أطاع؟

هل أطاع الله في حلق لحيته؟

ويلبس (الكرافتا) وأشياء كثيرة من أفكاره وعقائده؛ أطاع مَن؟

فهـو مسـكين يحكـم على نفسـه بالكفر مـن حيث لا يـدري؛ وهـذا مذهب خطير يا إخوة.

فمن أطاع الحاكم في جزئيَّة واحدة خرج من دائرة الإسلام؛ سواء رضي أم لا؟

مستحل أو غير مستحل؛ فهو مرتد بمجرد إطاعته!!

نقول: هل الناس من عهد الحجّاج إلى اليوم كفَّار؛ لأنَّهم أطاعوا الحكام في معاصي الله؟

لم يكفرهم أحد؛ حتَّى الخوارج لعلهم لا يكفِّرون هذا التكفير، فالخوارج ما وصل بهم الغلو إلى هذه الدرجة؛ فعندهم الكبيرة هي التي تخرج من دائرة الإسلام، أمَّا الصغيرة فلا تخرج عندهم، ولو عشرات المعاصي.

---

(١) انظر: «في ظلال القرآن» لسيد قطب (٣/ ١١٩٨)، بواسطة: «انقضاض الشهب السلفية على أوكار عدنان الخلفية»، ص: [٢٦].

لكن عند سـيد قطب: لو أطاع في أيِّ جزئيَّة يخرج من دائرة الإسـلام تمامًا؛ يعني: تكفير لا نظير له، ثم يزعم أتباعه أنه لا يُكَفِّر!!

مع أن كتبه مليئة بالتكفير؛ فهذه من مغالطاتهم وتمويهاتهم.

المهم: إنَّ فتنة هذا الرجل ومن معه هي فتنة العصر، وهي: أشدُّ فتنة في هذا العصر؛ لأنها تلبس لباس المنهج السلفي.

فاحذروهـم يـا إخـوة؛ فعندهـم مـن التلبيـس ومـن التمويه ومـن المكـر والحيل ما لا يعلمه إلا الله، وشغلهم جلُّه في تصيُّد الشباب السلفي، ولا يهتمون بدعوة النصارى ولا اليهود ولا الروافض ولا الصوفية إلى المنهج الحقّ؛ لماذا؟

لأنَّ فاقد الشيء لا يعطيه، فشـغلهم الآن إفساد الصالحين، ومن هداه الله إلى منهج ربِّ العالمين، شـغلهم الآن في العالم -جلُّه- تصيُّد الشباب السلفي، ويلبسون له اللباس السـلفي؛ ليتمكنوا من زحزحته، وإبعاده عن هذا المنهج، ويستخدمون أساليب شتى في تشويه علماء هذا المنهج، وتشويه المنهج نفسه -والعياذ بالله-.

ويلمِّعون منهج سيِّد قطب، ولو كان فيه سبٌّ للأنبياء، ولو كان فيه تكفير لبعض الصحابة، ولو كان فيه تكفير للأمَّة ... إلخ.

فالعقائـد الضالَّـة، ومنها الحلول ووحـدة الوجود، وتعطيل صفـات الله، والقول بخلق القرآن... إلخ.

هذا كلُّه لا ينافي التجديد عندهم؛ فهو عندهم مجدِّد!!

نحن نقول: نعم هو مجدِّد؛ لكنه مجدِّد لكلِّ البدع الكبرى، من مذهب الخوارج، ومذهب الروافض، ومذهب المرجئة، ومذهب الجبرية، ومذاهب الصوفية، فكلُّها جدَّدها، وبيننا وبينهم كتب سيد قطب ومؤلفاته.

فهذا مجدد عندهم وإمام يوالون ويعادون عليه!

فأيُّ بلاء على الإسلام أشدُّ من هذا البلاء؟!

ثم عرَّف المصنفُ الخوارجَ فقال: «... الخوارج ومن سار على دربهم إلى يوم القيامة: يتوارثون هذا المذهب قديمًا وحديثًا، ويخرجون على الأئمَّة والأمراء، ويستحلُّون قتل المؤمنين».

يعني يقولون لك[1]: إن بني أميَّة وبني العبَّاس كانوا مسلمين، أمَّا حكام اليوم فهم كفَّار.

يا أخي: أنت ربِّ المسلمين على التَّوحيد قبل مصادمة الحكام كفَّارًا كانوا أو مسلمين.

ربِّ المسلمين على منهج الأنبياء، وسيتربَّى الحاكم والمحكوم على هذا المنهج، وغايتك التي تنشدها (الوصول إلى الكرسي) وإن كانت غير محمودة؛ يمكن أن تصل إليها بسهولة، أسهل من الطريق التي تسلكها أنت الآن.

أولًا- تُحقق شيئًا ينفع المسلمين.

وثانيًا- تُحقق غايتك التي تطمح إليها، وهذا الطريق أسهل وأيسر.

---

(١) يعني: خوارج العصر.

وأمَّا من أول مرة: تناوش الحاكم، فيحصل ما حصل في سوريا، ويحصل ما حصل في مصر، وما حصل في العراق، وما حصل في الجزائر، وما حصل من الدمار والدمار على هذه الأمَّة؛ كلُّ هذا الدمار لصالح أعداء الإسلام، لا ينفع الإسلام والمسلمين بشيء.

ابتعدوا عن قاعدة الأنبياء، وقاعدة قواعدهم: التوحيد وكل ما جاء به الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إنَّما كان يخدم هذا التوحيد، فابدأ به -يا أخي- وسِرْ على نهجهم، وسيحقق الله لك ما تريد: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥].

فعلى المسلمين جميعًا -حكامًا ومحكومين- أن يؤمنوا بكتاب الله، وسنَّة رسول الله، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، ويقيموا شريعة الله بدءًا بالعقيدة، ونهاية بالحاكمية، فالحاكمية هي آخر المراحل، وهؤلاء يجعلونها أول المراحل.





أخبرنا الليث بن سعد، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من حنين، وفي ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض منها فيعطي منها.

فقال: يا محمد، اعدل فقال: «ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل».

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، دعني فأقتل هذا المنافق فقال: «معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[(١)].

---

(١) رواه مسلم حديث [١٠٦٣]، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٣٥٣)، وابن ماجه حديث [١٧٢]، وابن أبي عاصم في «السنة»، حديث [٩٤٣].

وهذا الحديث رواه النسائي في «فضائل القرآن» [١١٢] عن عيسى بن حماد عن الليث عن يحيى بن سعيد عن أبي الزبير به. فذكر بين الليث وأبي الزبير يحيى بن سعيد الأنصاري.

وهكذا رواه مسلم في «صحيحه» في «الزكاة» [١٠٦٣]، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٨٥) عن محمد بن رمح، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٨٥) من طريق يحيى بن بكير، (محمد بن رمح ويحيى ابن بكير) كلاهما عن الليث عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن أبي الزبير به.

=

٣٧- وحدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف قال: حدثنا ابن أبي عمر - يعني: محمد العدني-، قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزبير عن جابر أن النبي ﷺ كان يقسم الغنائم بالجعرانة، غنائم حنين والتبر في حجر بلال، فقال له رجل: يا رسول الله؛ اعدل فإنك لم تعدل، فقال: «ويلك فمن يعدل إذا لم أكن أعدل؟».

فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فقال: «لا؛ دعه، فإن هذا في أصحاب له يقرءون القرآن فلا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

٣٨- حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا ابن المقرئ قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقسم الغنائم بالجعرانة، فقام رجل فقال: اعدل، فإنك لم تعدل فقال: «ويحك: فمن يعدل إذا لم أكن أعدل؟».

فقال عمر رضي الله عنه: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «دعه فإن هذا أصحاب له - أو في أصحاب له- يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

[٣٩] حدثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي قال: حدثنا منصور ابن أبي مزاحم قال: حدثنا يزيد بن يوسف، عن الأوزاعي، عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، والضحاك الهمداني، عن أبي سعيد الخدري قال: بينا رسول الله ﷺ يقسم ذات يوم قسمًا؛ إذ قال ذو الخويصرة التميمي:

....

وعليه؛ فالصواب ذكر يحيى بن سعيد في الإسناد. ويقوي احتمال سقوطه من سند الآجري أن يكون من قبل الناسخ. والله أعلم.

يا رسول الله اعدل، فقال رسول الله ﷺ: «ويحك: فمن يعدل إذا لم أكن أعدل».

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، أتأذن لي أضرب عنقه؟

قال: «لا؛ إن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، سبق الفرث والدم، يخرجون على حين فرقة من الناس، آيتهم رجل أدعج، إحدى يديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة، تدردر».

قال أبو سعيد: أشهد: لسمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أني كنت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قتلهم، والتمس في القتلى، فأتى به على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ[1].

٤٠- حدثنا عمر بن أيوب قال: حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال: حدثنا يزيد ابن يوسف، عن الأوزاعي، عن قتادة بن دعامة، عن أنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، ثم قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون حتى يرتد على فوقه، هم شر

....

(١) متفق عليه، رواه البخاري في «المناقب»، حديث [٣٦١٠]، وفي مواضع أخرى، ومسلم في «الزكاة»، حديث [١٠٦٤].

الخلـق والخليقـة، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه، يدعون إلى كتاب الله، وليسـوا منه في شيء، من قتلهم كان أولى بالله منهم».

قالوا: يا رسول الله، ما سيماهم؟ قال: «التحليق»[1].

أحاديث رسول الله ﷺ في الخوارج كثيرة قد تبلغ حد التواتر، أورد منها مسلم في صحيحه عن عدد من الصحابة من طرق كثيرة: عن جابر وأبي سعيد وعلي وأبي ذر وسهل ابن حنيف، انظر: «صحيح مسلم» (١٠٦٣-١٠٦٨).

وأورد البخاري حديث أبي سـعيد في عدد مـن المواطن من صحيحه، وروى باقي الأحاديث عدد من الأئمة منهم الإمام أحمد وعبد الرزاق وابن أبي عاصم وغيرهم.

بيان المفردات الواردة في هذه الأحاديث:

النصل: حديدة السهم والرمح.

والنضي: نصل السهم، والقذذ: ريش السهم.

والبضعة: قطعة اللحم، وتدردر: ترجرج.

وفوق السهم: موضع الوتر منه.

---

(١) هذا الحديث في إسناده يزيد بن يوسف، وهو الصنعاني الشامي.

قال الذهبي في «الكاشف»: «تركوه».

وقال الحافظ في «التقريب»: «ضعيف».. وباقي رجاله ثقات.

ويوسـف بن يزيد لم يتفرد به، بل تابعه الوليد بن مسـلم عند أبي داود [٤٧٦٥]، ومبشر بن إسـماعيل عنـد أبي داود [٤٧٦٥]، وأبي يعلى (٥/ ٤٢٦) برقـم [٣١١٧]، وأبـو المغيرة عبـد القدوس الخولاني عنـد أحمد (٣/ ٢٢٤)، والطحاوي في «مشـكل الآثار» (٢/ ٢٨٦)، والبيهقـي (٨/ ١٧١)، وابن نصر في «تعظيـم قدر الصـلاة» (١/ ٢٠) برقم [٥٢]، و«الوليد بن مزيد» عند البيهقـي (٨/ ١٧١)، وبشر بن بكر عند الطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٢٨٧)، والحاكم (٢/ ١٦١) برقم [٢٦٥٠]؛ خمستهم (الوليد بن مسلم ومبشر وأبو المغيرة والوليد بن مزيد وبشر) عن الأوزاعي به.

والرصف: الشد والضم، ورصف السهم إذا شده بالرصاف، وهو عقب يلوى على مدخل النصل.

وفي هذه الأحاديث: بيان جرأة أصل الخوارج -ذي الخويصرة- على أكرم الخلق وأعدلهم، فيرى أن هذا الرسول ﷺ لم يعدل في القسمة، وهذه الروح الخبيثة وجدت في وراثه؛ فقد وصفوا عثمان بما هو بريء منه وبعدم العدل، وكفروا عليًّا ومن معه، ورأوا أنه جائر، لا يحكم بما أنزل الله، وكفَّروا معاوية ومن معه بسبب الفتنة التي أججوا نيرانها.

والصحابة من الطرفين مجتهدون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، للمصيب منهم أجران، وللمخطئ أجر واحد، كما هو مذهب أهل السنة والحق والعدل.

وفي هذه الأحاديث بيان حكمة رسول الله ﷺ، وسداد منهجه في درء المفاسد، ومراعاة المصالح، وحماية رسالته وعرضه ﷺ؛ فإنه لم يقتل ذا الخويصرة الطاعن في عدالته، وكذلك لم يقتل المنافقين لئلا يقال: إن محمدًا يقتل أصحابه، فينفر الناس عن دعوته ورسالته، فصلى الله عليه وسلم.



[٤١] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا هارون بن عبد الله قال: حدثنا سيار بن حاتم قال: حدثنا جعفر بن سليمان قال: حدثنا أبو عمران الجوني، عن عبد الله بن رباح الأنصاري، عن كعب الأحبار قال:

«للشهيد نوران، ولمن قتله الخوارج عشرة أنوار له، ولجهنم سبعة أبواب: باب منها للحرورية، ولقد خرجوا على داود نبي الله في زمانه»(١).

قال محمد بن الحسين: هذه صفة الحرورية، وهم الشراة الخوارج، الذين قال الله تعالى: ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧] ... الآية.

وقد حذر النبي ﷺ أمته ممن هذه صفته.

[٤٢] حدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف قال: حدثنا ابن أبي عمر قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧]... الآية.

فقال: «إذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين عنى الله تعالى: فاحذروهم»(٢).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ١٥٥) من طريق جعفر بن سليمان وعبد الله بن أحمد في «السنة» [١٥٢٤] عن أبيه عن يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن أبي عمران به، وإسناده إلى كعب حسن؛ لكن كلامه من الإسرائيليات.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في تفسير سورة آل عمران، حديث [٤٥٤٧]، ومسلم في «العلم» حديث =

في هذه الآية: بيان جلي لحال أهل الزيغ والأهواء في تعاملهم مع نصوص كتاب الله؛ فهم يتركون محكمات القرآن التي يجب أن تُرد إليها المتشابهات، ويتبعون المتشابهات، ولا يلتفتون إلى الآيات المحكمات، لماذا؟

لأنهم أهل أهواء وفتن، لا يريدون الحق؛ وإنما يريدون الفتن والتلبيس على الجهلاء.

فالله بيّن حالهم، وأكد ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سمى الله؛ فاحذروهم**».

فمن أراد الله به خيرًا يأخذ حذره منهم، ويتبع سبيل المؤمنين والعلماء الراسخين، فيؤمن بالمحكم ويرد إليه المتشابه؛ لأنه يؤمن بأن القرآن من الله، ليس فيه اختلاف ولا تناقض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].



=

[٢٦٦٥] كلاهما من طريق ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة به، إلا قوله: «**فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله**»؛ فإنه في البخاري: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم**»، وفي مسلم بنحوه.

[٤٣] حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا يحيى بن حكيم قال: حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد قال: حدثنا أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلا هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

فقال: «يا عائشة، إذا رأيتم الذين يجادلون فيه: فهم الذين عنى الله تَعَالَىٰ؛ فاحذروهم».

[٤٤] حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا المثنى بن أحمد قال: حدثنا عمرو بن خالد قال: حدثنا ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير، في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ قال: «أما المتشابهات: فهن آي في القرآن، يتشابهن على الناس إذا قرءوهن.

من أجل ذلك يضل من ضَلَّ ممن ادعى هذه الكلمة، كل فرقة يقرءون آيات من القرآن، ويزعمون أنها لهم، أصابوا بها الهدى، ومما تتبع الحرورية من المتشابه قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ويقرءون معها: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفرَ عدَل بربه فقد أشرك؛ فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت؛ لأنهم يتأولون هذه الآية»[1].

---

(١) ضعيف: فيه ابن لهيعة، تغير بعد احتراق كتبه، وهو مدلس، وفيه المثنى بن أحمد: لا يعرف.

[٤٥] **وحدثنا أبو بكر بن عبد الحميد قال: حدثنا ابن المقرئ قال: ثنا سفيان، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: ذكر لابن عباس الخوارج وما يصيبهم عند قراءة القرآن؟ قال: «يؤمنون بمحكمه، ويضلون عند متشابهه وقرأ: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ [آل عمران: ٧]»[١].**

[٤٦] **حدثنا ابن عبد الحميد أيضًا قال: حدثنا ابن المقرئ قال: حدثنا سفيان، عن عبيد الله بن أبي يزيد قال: سمعت ابن عباس وذكر له الخوارج واجتهادهم وصلاتهم، قال: «ليس هم بأشد اجتهادًا من اليهود والنصارى، وهم على ضلالة»[٢].**

قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يؤمنون بمحكمه، ويضلون عند متشابهه».

أقول: هذا واقع كل أهل البدع والأهواء، من الخوارج، والروافض، والصوفية، وأحزاب الضلال يؤمنون بمحكمات القرآن، ويضلون عند متشابهه!

بل كثير من أهل الأهواء: يضلون عند محكمات القرآن فضلًا عن متشابهه!!

وأثره الثاني: يرد فيه على من يغتر الناس باجتهادهم؛ فليس مجرد الاجتهاد في العبادة دليلًا على استقامة هذا المجتهد أو ذاك؛ بل دليل الاستقامة؛ إنما هو صدق الاتباع مع الإخلاص لله رب العالمين؛ ففي اليهود والنصارى من يجتهد في العبادة ويغلو في ذلك، ومع ذلك فهم من أضل أهل الضلال.



---

(١) إسناده صحيح.

(٢) إسناده صحيح.

[٤٧] وأخبرنا عبد الله بن صالح البخاري قال: حدثنا مخلد بن الحسن بن أبي زميل قال: حدثنا أبو المليح الرقي عن سليمان بن أبي نشيط عن الحسن: وذكر الخوارج فقال: «حيارى سكارى، ليس بيهود ولا نصارى، ولا مجوس فيعذرون».

[٤٨] وحدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين قال: حدثنا الصلت بن مسعود قال: حدثنا جعفر بن سليمان قال: حدثنا المعلى بن زياد قال: قيل للحسن: «يا أبا سعيد؛ خرج خارجي بالخريبة فقال: المسكين رأى منكرًا فأنكره فوقع فيما هو أنكر منه»[١].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام - عدلًا كان الإمام أو جائرًا - فخرج وجمع جماعة، وسلّ سيفه، واستحل قتال المسلمين؛ فلا ينبغي له أن يغترّ بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه، ولا بحسن ألفاظه في العلم، إذا كان مذهبه مذهب الخوارج.

وقد روي عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما قلته أخبار لا يدفعها كثير من علماء المسلمين؛ بل لعله لا يختلف في العلم بها جميع أئمة المسلمين».

....

(١) أورد المصنف أثر الحسن بإسنادين:
في أولهما سليمان بن نشيط، ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ١٤٧)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.
وفيه مخلد بن الحسن الحراني.
قال فيه الذهبي في الكاشف: «ثقة».
وقال الحافظ ابن حجر: «لا بأس به».
وثانيهما إسناده حسن، فيه الصلت بن مسعود الجحدري.
قال فيه الذهبي في الكاشف: «وثق»، أقول: وهو من رجال مسلم.

فقد ساق المؤلف: جملةً من الأحاديث في بيان حال الخوارج، وذَمَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم، ووصفهم بما هم عليه من الضلال والانحراف، وما فيهم من الشر؛ لأجل ذلك أمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتلهم، وأخبر أن لمن قتلهم أجرًا عند الله، ولمن قتلوه كذلك؛ فقال: «خير قتيل من قتلوه»(١). ولا يعلم إلا الله ما أعدَّه لعباده الذين يقتلون هؤلاء.

وقتلهم كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: لا لأجل أنهم قطاع طرق؛ قاطع الطريق أو العصابة التي تقطع الطريق على الناس يُقاتلون لإزالة شرهم فقط؛ فإذا زال شرهم أو رجعوا بأنفسهم: عفا الله عنهم.

وليسوا بغاة أيضًا؛ فالبغاة يقاتَلون لتكسر شوكتهم، ثم يعودون إلى صفوف المسلمين.

أما هؤلاء؛ فأمر الرسول بقتلهم لمروقهم من الدين، فقتالهم ليس قتال المحاربين، ولا قتال البغاة؛ وإنما قتالهم لمروقهم من الدين(٢)، فهم شرٌّ من البغاة الذين يبغون على الحكام، ويخرجون لا من أجل عقيدة ومنهج؛ وإنما من أجل أمور دنيوية، وهم شرٌّ من قطاع الطرق الذين يخرجون، يحدوهم الطمع في الأموال وما شاكل ذلك.

هؤلاء الخوارج؛ أمر الرسول بقتلهم لفساد دينهم ومروقهم من دين الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أخرجه الترمذي في «التفسير» حديث [٣٠٠٠]، وابن ماجه في «الإيمان» حديث [١٧٢]، وأحمد (٥/ ٢٥٣)، من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: «الصارم المسلول» (٢/ ٣٤٦-٣٤٩).

ومن هنا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بالصبر على الحكام ويأمر بقتل أهل البدع»[1]؛ لأن أهل البدع يفسدون الدين، والحكام يفسدون في الغالب دنيا الناس، وهؤلاء يفسدون دينهم وعقائدهم وعقولهم، وبلاؤهم وشرهم خطير؛ هذا هو الفقه في دين الله.

الفقيه في دين الله من يفقه هذا، وأمّا من يسير على طريقة الخوارج في مصاولة الحكام والربت على أكتاف أهل البدع، ومدحهم وتمجيدهم والدفاع عنهم؛ فهذا ضلَّ عن طريق محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن طريق السلف الصالح، وما عرف كيف يسير بنفسه وبغيره من المسلمين.

[أخبرنا عبد الله بن صالح البخاري قال: حدثنا مخلد بن الحسن بن أبي زميل[2] قال: حدثنا أبو المليح الرقي[3] عن سليمان بن أبي نشيط عن الحسن: وذكر الخوارج فقال: حيارى سكارى]. أسكرهم الهوى، وحيَّرهم الباطل والضلال والهوى؟

[ليسوا بيهود ولا نصارى ولا مجوس]، فإن صحَّ هذا عن الحسن؛ فكأنه لا يكفرهم؛ لأن السلف اختلفوا في تكفيرهم.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٧٠-٤٧١).

(٢) مخلد بن الحسن بن أبي زميل الحراني.
قال الذهبي في «الكاشف»: «ثقة».
وقال الحافظ ابن حجر: «لا بأس به».

(٣) أبو المليح اسمه الحسن بن عمر الرقي.
قال الذهبي في «الكاشف»: «وثقه أحمد وأبو زرعة».
وقال الحافظ ابن حجر: «ثقة».

فالصحابة لم يكفروهم[١] ومنهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يكفرهم[٢]؛ لكن هم شر الخلق والخليقة في نظرهم؛ ولذلك قاتلوهم.

فهذا يدل على فقه السلف وورعهم على أن هناك من السلف من كفرهم وله وجهة نظر محترمة وهو أخذ هذا من قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**».

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٤٧-٢٤٨): «ومما يدل على أن الصحابة لم يكفروا الخوارج أنهم كانوا يصلُّون خلفهم، وكان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من الصحابة يصلُّون خلف نجدة الحروري، وكانوا أيضًا يحدِّثونهم ويفتونهم ويخاطبونهم كما يخاطب المسلم المسلم؛ كما كان عبد الله بن عباس يجيب نجدة الحروري لما أرسل إليه يسأله عن مسائل وحديثه في البخاري، وكما أجاب نافع ابن الأزرق عن مسائل مشهورة، وكان نافع يناظره في أشياء بالقرآن كما يتناظر المسلمان، وما زالت سيرة المسلمين على هذا؛ ما جعلوهم مرتدين كالذين قاتلهم الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا مع أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتالهم في الأحاديث الصحيحة.

وما روي من أنهم: «شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتيل من قتلوه». في الحديث الذي رواه أبو أمامة، رواه الترمذي وغيره؛ أي: أنهم شرٌّ على المسلمين من غيرهم؛ فإنهم لم يكن أحد شرًّا على المسلمين منهم لا اليهود ولا النصارى؛ فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم، مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم، وقتل أولادهم، مكفرين لهم، وكانوا متدينين بذلك؛ لعظم جهلهم وبدعتهم المضلة، ومع هذا فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعون لهم بإحسان لم يكفروهم، ولا جعلوهم مرتدين، ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل؛ بل اتقوا الله فيهم، وساروا فيهم السيرة العادلة».

(٢) روى ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ٣٣١)، ومحمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٩١، ٥٩٣) من طريقين عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سئل عَن أَهلِ النَّهرِ: «أَمُشرِكُونَ هُم؟ قَالَ: مِنَ الشِّركِ فَرُّوا، قِيلَ: فَمُنَافِقُونَ هُم؟ قَالَ: إِنَّ الـمُنَافِقِينَ لَا يَذكُرُونَ الله إِلَّا قَلِيلًا، قِيلَ لَهُ: فَمَا هُم، قَالَ: قَومٌ بَغَوا عَلَينَا».

انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٢٣/ ٣٥٥)، و«منهاج السنة» لابن تيمية (٥/ ٢٤٢-٢٤٣)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٢/ ٣٠١)، و«إيثار الحق على الخلق» لابن الوزير، ص: [٣٨٨].

ومعنى هذا الوصف كما جاء في أحاديث أخرى: «تنظر في هذا السهم فلا ترى شيئًا، تنظر في القدح فلا ترى شيئًا، تنظر في القذذ فلا ترى شيئًا سبق الفرث والدم».

فهذا حال من خرج من الدين لم يتعلق به شيء؛ فهم كفار في ضوء هذا الحديث عند من يُكفِّرهم[(١)]، وأناس آخرون نظروا إلى اعتبارات أخرى فلم يُكفِّروهم[(٢)].

قوله: **فيُعذرون**: هذا كلام فيه اشتباه هل هو يعذرهم أو لا يعذرهم؟

هل يعذرهم فلا يُكفِّرهم لجهلهم؟

فلا نقول: إنهم كفار، لا نقول: إنهم مجوس؛ فليس فيهم صفات المجوس **ولا نقول**: نصارى؛ النصارى يعبدون عيسى وهؤلاء لا يعبدون عيسى.

نقول: إنهم ليسوا من هذه الأصناف، ويُعذرون فلا نكفرهم، ولا نلحقهم بهذه الأمم الكافرة؛ كأنه يريد هذا.

أما أنهم مبتدعة، وأنهم كلاب أهل النار، وأنهم كذا وكذا -كما وصفهم الرسول-؛ فهو لا ينفي هذا عنهم، هذا ما يظهر لي من كلام الحسن: إن صحَّ عنه.

---

(١) انظر: «المغني» لابن قدامة (٩/ ٤)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٢/ ٢٩٩-٣٠١).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥١٨): «الأُمَّةَ مُتَّفِقُونَ عَلَى ذَمِّ الخَوَارِجِ وَتَضلِيلِهِم، وَإِنَّمَا تَنَازَعُوا فِي تكفِيرِهِم، عَلَى قَولَينِ مَشهُورَينِ فِي مَذهَبِ مَالِكٍ وَأَحمَد، وَفِي مَذهَبِ الشَّافِعِيِّ أَيضًا نِزَاعٌ فِي كُفرِهِم.

وَلِهَذَا كَانَ فِيهِم وَجهَانِ فِي مَذهَبِ أَحمَد وَغَيرِهِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الأُولَى:

أَحَدُهُمَا- أَنَّهُم بُغَاةٌ.

وَالثَّانِي- أَنَّهُم كُفَّارٌ كَالـمُرتَدِّينَ يَجُوزُ قَتلُهُم ابتِدَاءً وَقَتلُ أَسِيرِهِم وَاتِّبَاعُ مُدبِرِهِم، وَمَن قُدِرَ عَلَيهِ مِنهُم أُستُتِيبَ كَالمُرتَدِّ فَإِن تَابَ وَإِلا قُتِلَ، كَمَا أَنَّ مَذهَبَهُ فِي مَانِعِي الزَّكَاةِ إِذَا قَاتَلُوا الإِمَامَ عَلَيهَا هَل يَكفُرُونَ مَعَ الإِقرَارِ بِوُجُوبِهَا؟ عَلَى رِوَايَتَينِ».

وانظر: «شرح البخاري» لابن بطال (٨/ ٥٨٥-٥٨٧).

الأثر الثاني: «قيل للحسن: يا أبا سعيد خرج خارجي بالخريبة!

فقال: المسكين رأى منكرًا فأنكره فوقع فيما هو أنكر منه!».

الخريبة: مكان في العراق[1].

فقال: «المسكين رأى منكرًا فأنكره فوقع فيما هو أنكر منه»[2]؛ **يعني:** المنكر يُغيَّر باليد لمن يملك وهذا لا يملك التغيير باليد، يمكن أن ينكر باللسان بالطريقة الشرعية عند أهل السنة، ثم بالقلب؛ فكان عليه أن يأخذ بواحدة من هاتين المرتبتين حسب استطاعته، فإذا خرج بالسيف فلا شك أنه ستسفك الدماء، وتنتهك الأعراض، ويترتب على هذا الخروج من المفاسد ما هو أكبر من المفاسد التي دفعته إلى الخروج.

فقال هذا الكلام، وهذا ما يقوله السلفيون الآن، وهذه النتيجة التي حصلت لأهل السنة والجماعة، فبعد قصة الحسين وأهل المدينة والقراء في العراق، أجمع السلف واتفقت كلمتهم على أنه لا يجوز الخروج؛ لأن النصوص اتضحت لهم، لكن كثيرًا من الذين خرجوا لا يعرفون هذه النصوص؛ فهم معذورون.

لكن السلف درسوا النصوص، والمتأخرون تجمعت لهم النصوص وعرفوها وفقهوها، وأخذوا منها عقيدة صحيحة واضحة: أنه لا يجوز الخروج على الحاكم ما دام في دائرة الإسلام، فإذا خرج عن دائرة الإسلام حينئذٍ يجوز للمسلمين الخروج عليه، إذا كان عندهم قدرة وطاقة لهذا الخروج ولم يترتب مفسدة أكبر من المفسدة التي يعالجونها.

---

(١) قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٢/ ٣٦٣): «الخريبة: بلفظ تصغير خربة موضع بالبصرة، وسميت بذلك فيما ذكره الزجاجي؛ لأن المرزبان كان قد ابتنى به قصرًا وخرب بعده، فلما نزل المسلمون البصرة ابتنوا عنده وفيه أبنية وسموها الخريبة».

(٢) هذا الأثر يمكن أن يحسن.

أجمعوا على تحريم الخروج على الحاكم مادام مسلمًا -سواءٌ عدلًا أو كان جائرًا- لا يجوز الخروج عليه؛ لأن الشرع يمنع من ذلك، ولأن الأيام والتجارب والخبرات درَّستهم وازدادوا فقهًا في النصوص؛ لاسيما والذين خرجوا مع القراء ندموا أشد الندم وقيل فيهم: «من قُتِل منهم فقد رغب به عن مصرعه ومن بقي منهم فقد ندم».

نُقِل هذا الندم عن الشعبي[(١)] وسليمان بن يسار[(٢)]، والبقية منهم نُقل عنهم ندمهم على هذا الخروج لما ترتب عليه من المفاسد، ولم يترتب على الخروج أيُّ مصلحة من فجر تاريخ المسلمين إلى يومنا هذا[(٣)].

---

(١) عن الشعبي أنه لما أدخل على الحجاج قال له: «وأنت يا شعبي فيمن خرج علينا وكثر!
قلت: أصلح الله الأمير، أحزن بنا المنزل، وأجدب الجناب، وضاق المسلك، واكتحلنا السهر، واستحلسنا الخوف، ووقعنا في خزية لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء.
قال: صدق والله، ما برُّوا في خروجهم علينا، ولا قووا علينا حيث فجروا. فأطلقوا عني».
رواه خليفة في «تاريخه» (٢٨٧-٢٨٨)، وابن سعد في «الطبقات» (٦/ ٢٤٩)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (٢/ ٤٩٣-٤٩٤)، ويعقوب الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٣٤٤)، وابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢/ ٦٤٦)، وابن حيان في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣/ ٧٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٢٥)، والمعافى بن زكريا في «الجليس الصالح» (٣٢-٣٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٥٢)، وأبو العرب التميمي في «المحن»، ص: [٤١٧]، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ٣٩٥-٤٠٠) من طرق عن الشعبي مطولًا ومختصرًا، مثله ونحوه.
وانظر: «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٥٢٩).

(٢) سبق ذكره وتخريجه.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : في «منهاج السنة» (٣/ ٣٩١): «ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم؛ كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبيِّ ﷺ؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته، والله =

فالمسألة مسألة منهج وليست مسألة عواطف، والرسول يعالج القضايا وهو أغير الناس على دين الله.

يقولون: السيف، يقول: لا؛ الصبر.

ألا نسل سيوفنا؟

يقول:اصبروا لماذا؟

لأن الرسول ﷺ يرى أن في الخروج أضرارًا فادحة، كيف وهو الذي لا ينطق عن الهوى، وأخبره الله وأعلمه.

والعقلاء من المسلمين يدركون هذا، فالخروج وتربية الناس على الثورة وتهييجهم يضر بالإسلام والمسلمين، ولكم عبرة في الصومال، ولكم عبرة في اليمن، ولكم عبرة في العراق، ولكم عبرة في الجزائر، ولكم العبرة في هذا العصر في كل بلد حصل فيه خروج، فما يترتب على هذا الخروج إلا ضياع الإسلام والمسلمين، وسفك الدماء وانتهاك الأعراض، وتدمير الأموال والتخريب، فهذه بعضها تكفي العاقل لأن يتمسك بأهداب المنهج السلفي، وأنه هو الحق وأنه هو المستمد فعلًا من كتاب الله وسنة الرسول، ويدعمه هذه النصوص، ويدعمه العقل والتجارب والخبرات.

= تعالى لم يأمر بقتال كل ظالم وكل باغ كيفما كان، ولا أمر بقتال الباغين ابتداءً، بل قال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

فلم يأمر بقتال الباغية ابتداءً؛ فكيف يأمر بقتال ولاة الأمر ابتداء؟!».

وانظر: «منهاج السنة» (٤/ ٤٢٧-٤٢٨).

فنحن إذا قلنا بهذا المنهج فليس عمالةً للحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله، فنحن والله نبغضهم ونبرأ إلى الله منهم ومن قوانينهم، ونقول: عندهم كفر دون كفر، وقد يكون عند بعضهم كفر أكبر؛ إذا كان يرى أن هذه القوانين أفضل من حكم الله، وإذا كان يرى أنها تماثل القرآن والسنة فهو كافر، وإذا قال إنها دون الكتاب والسنة ويجوز الحكم بالقوانين فهو كافر.

نحن لا نعرف ما في القلوب؛ نرى أنهم يدَّعون الإسلام، فهؤلاء حكمهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

نقول: عندهم كفر دون كفر، ومن تبيَّن لنا منهم أنه يحتقر كتاب الله، ويجيز الحكم بغير ما أنزل الله -بهذه التفاصيل التي ذكرناها- فهذا كافر، ونقدر أن نصدع بكفره؛ لكن يصلون ويصومون وإلى آخره، ويدعون الإسلام، ولهم أعذار يتحلونها لا نصدقهم فيها؛ لكن لا نقدر أن نكفرهم؛ نقول عندهم كفر دون كفر، يقال له: اتق الله، ارجع إلى الله، لا يجوز، هذا حرام، هذا يجرك إلى الكفر وقد تكون في نفس الأمر كافرًا لكن نحن ما نقدر أن نحكم عليك حتى نرى الكفر البواح.

يقال هذا له سرًّا، وبالحكمة، وعلى وجه النصيحة، لا علانية؛ لأن إعلان هذا الإنكار يؤدي إلى الخروج[1].

---

(١) روى أحمد في «المسند» (٣/ ٤٠٣)، وابن أبي عاصم في «السنة بظلال الجنة» (١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨)، وغيرهما: عن عياض بن غنم قال لهشام بن حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَوَ لَمْ تَسْمَعْ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ بِأَمْرٍ فَلَا يُبْدِهِ لَهُ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ فَيَخْلُو بِهِ، فَإِنْ كَانَ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا قَدْ كَانَ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ**».

وصححه الألباني في «ظلال الجنة تخريج السنة» لابن أبي عاصم.

٤٩ـ قال: حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني قال: حدثنا عاصم بن علي، قال حدثنا أبو معشر.

قال: وأخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي قال: حدثنا محمد بن بكار قال: حدثنا أبو معشر، عن يعقوب بن زيد بن طلحة، عن زيد بن أسلم، عن أنس بن مالك قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجل ذو نكاية للعدو واجتهاد، فقال رسول الله ﷺ: «ما أعرف هذا».

فقالوا: يا رسول الله، نعته كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «ما أعرفه»، فبينا هم كذلك إذ طلع الرجل، فقالوا: هذا، يا رسول الله.

فقال: «ما كنت أعرف هذا، هذا أول قرن رأيته في أمتي، إن به لسفعة من الشيطان».

قال: فلما دنا الرجل، سلم، فرد عليه القوم السلام قال: فقال له رسول الله ﷺ: «نشدتك بالله، هل حدثت نفسك حين طلعت علينا، أن ليس في القوم أحد أفضل منك؟».

قال: اللهم نعم، قال: فدخل المسجد يصلي قال: فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «قم فاقتله» فدخل أبو بكر المسجد فوجده قائمًا يصلي، فقال أبو بكر في نفسه: إن للصلاة لحرمة وحقًا، ولو استأمرت رسول الله ﷺ؟

قال: فجاء إليه، فقال له: «أقتلته؟» قال: لا ؛ رأيته قائمًا يصلي، ورأيت للصلاة حقًا وحرمة، وإن شئت أن أقتله قتلته. قال: «لست بصاحبه».

....

ثم قال: «اذهب يا عمر فاقتله» قال: فدخل عمر المسجد، فإذا هو ساجد قال: فانتظره طويلًا، ثم قال: في نفسه: إن للسجود لحقًا، ولو أني استأمرت رسول الله ﷺ فقد استأمره من هو خير مني.

قال: فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: «أقتلته؟» قال: لا، رأيته ساجدًا، ورأيت للسجود حقًا، وإن شئت يا رسول الله ﷺ أن أقتله قتلته قال: «لست بصاحبه».

«قم يا علي فاقتله، أنت صاحبه إن وجدته» قال: فدخل علي - كرم الله وجهه - المسجد، فلم يجده قال: فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «لو قتل اليوم ما اختلف رجلان من أمتي حتى يخرج الدجال» وذكر باقي الحديث.

هذا الحديث في إسناده أبو معشر، وهو ضعيف؛ لكنه يعتضد بحديث نحوه، رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[1].

هؤلاء الصحابة الذين أمرهم الرسول ﷺ بقتله فوجدوه يصلي، والرسول لا يقتل المصلين[2]؛ ففيه: فقههم، وفيه: أدبهم، وفيه: احترامهم للمصلين.

---

(١) انظر: «الصحيحة» للألباني [٢٤٩٥].

(٢) روى أحمد في «المسند» (٥/ ٤٣٢، ٤٣٣)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ١٦٣)، وعبد بن حميد في «مسنده» [٤٩٠]، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ١٠٧)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٩٥٦، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (١٣/ ٣٠٩) رقم [٥٩٧١]، وابن قانع في «معجم الصحابة» [٦١٤]، والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ٣٦٧)، و(٨/ ١٩٦)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٠/ ١٦٤ و١٦٥): «أَنَّ النَّبِي ﷺ بينا هُوَ جَالِسٌ مَعَ أَصحَابِهِ جَاءَهُ رَجُلٌ فَاستَأْذَنَهُ فِي أَن يَسَارَّهُ، قَالَ: فَأَذِنَ لَهُ، فَسَارَّهُ فِي قَتلِ رَجُلٍ مِنَ الـمُنَافِقِينَ.
فَجَهَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَلَيسَ يَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟» قَالَ: بَلَى وَلَا شَهَادَةَ لَهُ. قَالَ: «أَلَيسَ =

والخوارج يقتلون الناس وهم في الصلاة، فيتحرون وقت الصلاة ليقتلوا الناس في مساجدهم، وهذا حصل في بعض البلدان، فيهجمون عليهم ويقتلونهم وهم في الصلاة.

فهذا رجل أمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتله فذهب الصدِّيق وذهب عمر، كل واحد منهم يتوقف في قتله؛ لماذا؟

لأنه يصلي والصلاة لها حرمة ومكانة عند الله عَزَّ وَجَلَّ، وعند رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فمن أجل ذلك لم يستطيعا أن يقدما على قتله.

وهكذا يجب على المسلم أن يحترم الإسلام، وأن يحترم المسلمين، وأن يحترم المصلين؛ فلا يقتل إلا من أوجب الإسلام قتله، فهم يعتقدون أن الرسول ما يعلم الغيب، فأمر بقتله ولا يدري الرسول أنه يصلي، وإلا لو أمرهم وقال لهم: اقتلوه وهو في الصلاة لقتلوه، لكن أمرهم بقتله ولا يدري ما حاله يصلي أو لا يصلي.

= يُصَلِّي؟» قَالَ: بَلَى وَلَكِن لَا صَلَاةَ لَهُ. قَالَ: «**أُولَئِكَ الَّذِينَ نُهِيتَ عَنهُم**».

قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٧١): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

وقال الحافظ في «الإصابة» (٤/ ١٧٨): «إسناده صحيح».

وفي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قصة الرجل الذي اعترض على النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قسمه: قال خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ: يَا رَسُولَ الله، أَلَا أَضرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: «**لَا، لَعَلَّهُ أَن يَكُونَ يُصَلِّي**».

فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَم مِن مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيسَ فِي قَلبِهِ.

قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي لَم أُومَر أَن أَنقُبَ قُلُوبَ النَّاسِ، وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُم**». رواه البخاري في «المغازي»، حديث [٤٣٥١]، ومسلم في «الزكاة»، حديث [١٠٦٤].

....

فلما أمر أصحابه ولم يقتله أحد منهم قال: لو قُتل لم يختلف المسلمون بعده أو بعدي، فلو قُتل لكان أراح الله الإسلام والمسلمين من شر الخوارج وما تفرع منهم، وكلُّ مبتدع يعتبر خارجًا عن تعاليم الإسلام -نسأل الله العافية-.



٥٠ـ قال: حدثنا أبو بكر قاسم بن زكريا المطرز قال: حدثنا فضل بن سهل الأعرج قال: حدثنا زيد بن الحباب قال: أخبرني موسى بن عبيدة قال: حدثني هود ابن عطاء الحنفي، عن أنس بن مالك قال: كان فينا شاب ذو عبادة وزهد، فوصفناه للنبي ﷺ وسميناه باسمه، فلم يعرفه، فبينا نحن كذلك إذ أقبل.

فقلنا: يا رسول الله، هو ذا.

فقال: «إني لأرى على وجهه سفعة من الشيطان» فجاء فسلم على القوم، فردوا السلام.

فقال له رسول الله ﷺ: «اجعلت في نفسك أن ليس في القوم أحد خير منك؟» قال: نعم، ثم ولى، فدخل المسجد.

فقال رسول الله ﷺ: «من يقتل الرجل؟».

فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، فدخل المسجد، فوجده يصلي فقال أبو بكر: وجدته يصلي، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين.

فقال: «من يقتل الرجل؟».

فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا يا رسول الله، فدخل المسجد فوجده ساجدًا، فقال: أقتل رجلًا يصلي، وقد نهانا عن ضرب المصلين فجاء.

فقال له النبي: «مه يا عمر؟».

قال وجدته ساجدًا، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين.

ثم قال: «من يقتل الرجل؟».

فقال علي ـ كرم الله وجهه ـ: أنا.

....

فقال: «أنت تقتله إن وجدته»، فذهب علي فجاء فقال له النبي ﷺ: «مه يا علي؟».

قال: وجدته قد خرج.

فقال: «أما إنك لو قتلته لكان أولهم وآخرهم، وما اختلف من أمتي اثنان».

هذا الحديث فيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو شديد الضعف[1]؛ وكأن قصد المؤلف أنك لا تغترَّ بأهل البدع وإن بالغوا في التدين والزهد والورع وفي الصلاة، لا تخدعن بهم كما لا تخدع بالخوارج الذين وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم، وقراءتكم إلى قراءتهم؛ يعني: هم يبالغون في العبادة فالمبتدع إذا بالغ في العبادة احذره، ولا تغرنك عبادته أبدًا[2]؛ بل ازدد بعدًا منه وحذرًا؛ فإن تدينه وتعبده قائم على الغلو وعلى النظر الفاسد[3]، وليس بقائم على هدي محمد ﷺ، فالخوارج يبالغون في الصلاة وفي الصيام وفي قراءة القرآن وإلى آخره، ويحقر الصحابة صلاتهم إلى صلاتهم، أترون هذا مدحًا لهم؟

هذا ذم لهم؛ لأنهم غلاة، فهكذا تجد كثيرًا من أهل البدع عندهم غلو في التعبد، فلا يخدعنك غلوهم ومبالغتهم في التعبد؛ لأنهم يصلون.

---

(١) انظر ترجمته في «ميزان الاعتدال» للذهبي (٤/ ٢١٣)، رقم [٨٨٩٥]، وغيره.

(٢) قال أبو سعيد الأشج: سمعت عبد الله بن إدريس وذُكر له صعق الحسن بن صالح، فقال: تبسم سفيان أحب إلينا من صعق الحسن بن صالح. رواه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٣٢) عن محمد بن أبي عتاب المؤدب قال: حدثنا سليمان بن الأشعث -أبا داود- حدثنا أبو سعيد الأشج؛ فذكره.
وهذا إسناد رجاله ثقات غير محمد بن أبي عتاب؛ وهو ابن أحمد بن داود بن سيار، قال الدارقطني: «بغدادي لا بأس به». «سؤالات الحاكم» للدارقطني، ص[١٤٤]، رقم[١٩٣]، و«تاريخ بغداد» (١/ ٣٠١).

(٣) انظر: «الاستقامة» لشيخ الإسلام (١/ ٢٥٨-٢٦٠).

جماعة التبليغ يصلون، ويذكرون الله، ويسيحون في الأرض للدعوة؛ لكن انظروا إلى بدعهم وضلالاتهم، فلا تخدعوا لا بجماعة التبليغ ولا بالتيجانية، ولا المرغنية ولا النقشبندية، ولا السهروردية ولا غيرها من أهل الطرق الصوفية ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٢-٤].

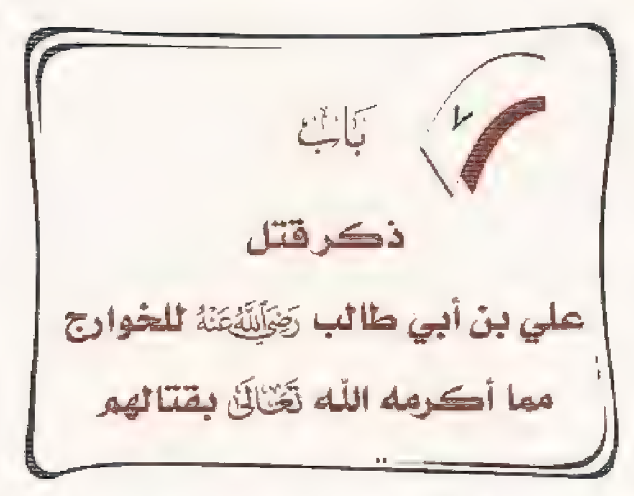
فيتعبدون؛ لكنهم من أبعد الناس عن دين الله؛ لماذا؟

لأنهم خالفوا الرسل في عقيدتهم وفي منهجهم، وعباداتهم نابعة لا من هدي محمد صلى الله عليه وسلم؛ وإنما من هدي شياطينهم وقادتهم، قادة الشر والبدع والسوء.

والرسول صلى الله عليه وسلم قال: «مَن رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيسَ مِني»[١]، وسنته التوسط والاعتدال في كل شيء، ومن ذلك العبادة.



(١) رواه البخاري في «النكاح» حديث [٥٠٦٣]، ومسلم في «النكاح» حديث [١٤٠١]، في حديث له قصة عن أنس رضي الله عنه.



باب

ذكر قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج مما أكرمه الله تعالى بقتالهم

[٥١] حدثنا الفريابي، قال: حدثنا صفوان بن صالح، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا ابن لهيعة، قال: حدثني بكير بن عبد الله بن الأشج، عن بسر بن سعيد، عن عبيد الله بن أبي رافع، مولى أم سلمة، قال: إن الحرورية لما خرجوا وهم مع علي بن أبي طالب، فقالوا: لا حكم إلا لله، فقال علي رضي الله عنه: أجل، كلمة حق أُريدَ بها باطل، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف أناسًا، إني لأعرف صفتهم: يقولون الحق لا يجاوز هذا منهم، وأشار إلى حلقه، هم أبغض خلق الله إلى الله، فيهم أسود إحدى يديه طبي شاة، أو حلمة ثدي، فلما قتلهم علي رضي الله عنه قال: انظروا، فنظروا فلم يجدوا شيئًا، فقال: ارجعوا فوالله ما كَذبت ولا كُذِّبت، مرتين أو ثلاثًا، ثم وُجِدَ في خربة، فأتوا به علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حتى وضعوه بين يديه، قال عبيد الله ابن أبي رافع: أنا حضرت ذلك من أمرهم.

[٥٢] وحدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: حدثنا أحمد بن صالح، قال: حدثنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني عمرو -يعني: ابن الحارث-، عن بكير -يعني: ابن الأشج-، عن بسر بن سعيد، عن عبيد الله بن أبي رافع، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

....

قال: إن الحرورية لما خرجت وهم مع علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالوا: لا حكم إلا لله، فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصف ناسًا إني لأعرف صفتهم في هؤلاء؛ يقولون الحق بألسنتهم، ولا يجاوز تراقيهم، وأشار إلى حلقه، هم أبغض خلق الله إليه تَعَالَى، منهم أسود، إحدى يديه طبي شاة، أو حلمة شاة قال: فلما قتلهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: انظروا، فنظروا فلم يجدوا شيئًا، فقال: ارجعوا، فوالله ما كَذبت ولا كُذبت - مرتين أو ثلاثًا - ثم وجدوه في خربة، فأتوا به عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى وضعوه بين يديه، قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم، وقول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيهم.

[٥٣] أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن ناجية، قال: حدثنا محمد بن سليمان لوين، قال: أخبرنا جعفر بن سليمان الضبعي، قال: حدثنا عوف، وهشام، عن ابن سيرين، عن عبيدة - يعني: السلماني - قال: شهدت مع علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النهر، فلما قُتلت الخوارج قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن فيهم رجلًا مخدج اليد، أو مودن اليد، قال: فنظروا فلم يقدروا عليه، فقال ذلك ثلاثًا ثم قال: انظروا وقلبوا القتلى، فاستخرجوا رجلًا آدم مثدنًا يده اليمنى كأنها ثدي المرأة، فلما رآه استقبل القبلة ورفع يديه فحمد الله عَزَّ وَجَلَّ فأثنى عليه وشكر الله عَزَّ وَجَلَّ الذي ولّاه قتلهم، والذي أكرمه بقتالهم، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: لولا أن تبطروا لحدثتكم بما سبق على لسان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكرامة لمن قاتل هؤلاء القوم.

قال عبيدة: فقلت: يا أمير المؤمنين، أشيء بلغك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو شيء سمعته منه؟ قال: بل شيء سمعته منه ورب الكعبة.

....

[٥٤]وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن صالح البخاري، قال: حدثنا عبد الله بن عمر الكوفي، قال: حدثنا وكيع، عن جرير بن حازم، وأبي عمرو بن العلاء النحوي، عن ابن سيرين، عن عبيدة السلماني، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سيخرج قوم فيهم رجل مودن اليد، أو مثدون اليد، أو مخدج اليد، ولولا أن تبطروا لأنبأتكم ما وعد الله تعالى الذين يقتلونهم على لسان نبيه».

قال عبيدة: فقلت لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنت سمعته من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: نعم، سمعته ورب الكعبة، سمعته إي ورب الكعبة، سمعته إي ورب الكعبة سمعته[1].

[٥٥]وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري، قال: حدثنا لوين محمد ابن سليمان، قال: حدثنا عبد الله بن الزبير، عن عبد الله بن شريك العامري، عن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما كان يوم قتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخوارج نظرتُ إلى وجوههم وإلى شمائلهم، فشككت في قتالهم، فتنحيت عن العسكر غير بعيد، فنزلت عن دابتي، وركزت رمحي، ووضعت درعي تحتي، وعلقت برنسي مستترًا به من الشمس، وأنا معتزل من العسكر ناحية، إذ طلع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على بغلة

....

(١) أسانيد حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منها الصحيح، ومنها الحسن، وهو من المتفق عليه عند الشيخين، أخرجه البخاري في «المناقب» حديث [٣٦١١]، ومسلم في «الزكاة»، باب: «التحريض على قتل الخوارج» حديث [١٠٦٦]، كلاهما من حديث سويد بن غفلة.
ومسلم بالرقم نفسه عن ابن سيرين عن عَبيدَة السلماني عن علي ثم عن زيد بن وهب الجهني مطولًا، ثم عن أبي رافع مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
وأخرجه مسلم عن جابر حديث [١٠٦٣] مكررًا.
وأخرجه البخاري في «فضائل القرآن» حديث [٥٠٥٨]، ومسلم حديث [١٠٦٤]. ولحديث الخوارج طرق أخرى رواها مسلم وغيره.

رسول الله ﷺ، فقلت في نفسي: ما لي وله؟ أنا أفر منه، وهو يجيء إليَّ، فقال لي: يا جندب، ما لك في هذا المكان تنحيت عن العسكر؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، أصابني وعك، فشقَّ عليَّ الغبار، فلم أستطع الوقوف. فقال: أما بلغك ما للعبد في غبار العسكر من الأجر؟ ثم ثنى رحله، فنزل، فأخذت برأس دابته، وقعد فقعدت، فأخذت البرنس بيدي فسترته من الشمس، فقال: فوالله إني لقاعد إذ جاء فارس يركض، فقال: يا أمير المؤمنين، إن القوم قد قطعوا الجسر ذاهبين، فالتفت إليَّ، وقال: إن مصارعهم دون النهر وإن الذي أجده عنده واقف، إذ جاء رجل آخر، فقال: يا أمير المؤمنين، قد والله عبروا، فما بقي منهم أحد قال: ويحك، إن مصارعهم دون النهر، قال: فجاء فارس آخر يركض، فقال: يا أمير المؤمنين، والذي بعث نبيه محمدًا ﷺ بالحق لقد رجعوا، ثم جاء الناس، فقالوا: قد رجعوا، حتى إنهم ليتساقطون في الماء زحامًا على العبور، ثم إن رجلًا جاء، فقال: يا أمير المؤمنين إن القوم قد صفوا الصفوف، ورموا فينا، وقد جرحوا فلانًا، فقال علي رضي الله عنه: هذا حين طاب القتال، فوثب فقعد على بغلته، فقمت إلى سلاحي فلبسته، ثم شددته علي، ثم قعدت على فرسي، وأخذت رمحي، ثم خرجت، فلا والله يا عبد الله بن شريك، ما صليت العصر، قال أبو جعفر لوين: أو قال: الظهر حتى قتلت بيدي سبعين»[1].

[٥٦] وأخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفي، قال: حدثنا محمد بن بكار، قال: حدثنا إسماعيل بن زكريا، عن يزيد بن أبي زياد، قال:

....

(١) أثر جندب بهذا الإسناد ضعيف، فيه عبد الله بن الزبير الزبيري، قال فيه الذهبي في «الميزان» (٢/ ٤٢٢): «ضعَّفه أبو نعيم الكوفي، وأبو زرعة»، وقال في «المغني» (١/ ٣٣٨): «ضعفه أبو نعيم».

سألت سعيد بن جبير عن أصحاب النهر؟ فقال: حدثني مسروق، قال سألتني عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عنهم فقالت: أبصرتَ أنتَ الرجلَ الذي يذكرون ذا الثدية؟ قال: قلت: لم أره، ولكن قد شهد عندي من قد رآه، قالت فإذا قدمت الأرض فاكتب إليّ شهادة نفر قد رأوه أُمناء، فجئت والناس أشياع قال: فكلمتُ من كلِّ سبع عشرة ممن قد رآه قال: فقلت: كل هؤلاء عدلٌ رضى، فقالت: قاتل الله فلانًا، فإنه كتب إليّ أنه أصابه بمصر.

قال إسماعيل: قال يزيد: وحدثني من سمع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إنهم شرار أمتي يقتلهم خيار أمتي» وما كان بيني وبينهم إلا ما كان بين المرأة وأحمائها»[١].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: رضي الله عن علي بن أبي طالب، ورضي عن عائشة أم المؤمنين، ونفعنا بحبهما، وحب جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

لقد ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب بعض ما ورد في وصف الخوارج وفي مشروعية قتلهم وقتالهم، أورد حديث علي وسبقت أحاديث كحديث أبي سعيد الخدري وغيره -رضوان الله عليهم-.

ولم يختلف أصحاب محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مشروعية قتال الخوارج؛ بينما اختلفوا في قتال أهل صفين والجمل، أما هؤلاء فقد أطبقت كلمتهم على مشروعية قتال الخوارج[٢]،

---

(١) ضعيف، في إسناده يزيد بن أبي زياد الكوفي، قال الذهبي فيه في «الكاشف»: «شيعي، عالم، فهم، صدوق، رديء الحفظ، لم يُترك»، وقال الحافظ ابن حجر: «ضعيف، كبر فتغير وصار يتلقن، وكان شيعيًّا».

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: في «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٥٤-٥٦): أَمَّا جُمْهُورُ أَهلِ العِلمِ فَيُفَرِّقُونَ بَينَ الخَوَارِجِ المَارِقِينَ، وَبَينَ أَهلِ الجَمَلِ وصفين، وَغَيرِ أَهلِ الجَمَلِ وصفين مِمَّن يُعَدُّ مِنَ البُغَاةِ المُتَأَوِّلِينَ. =

وَهَـذَا هُوَ المَعرُوفُ عَنِ الصَّحَابَةِ وَعَلَيهِ عَامَّةُ أَهلِ الحَدِيثِ وَالفُقَهَاءِ وَالمُتَكَلِّمِين، وَعَلَيهِ نُصُوصُ أَكثَرِ الأَئِمَّةِ وَأَتبَاعِهِم مِن أَصحَابِ مَالِكٍ وَأَحمَد وَالشَّافِعِيِّ وَغَيرِهِم.

وَذَلِـكَ أَنَّـهُ قَد ثَبَـتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**تَمـرُقُ مَارِقَةٌ عَلَى حِـينِ فُرقَةٍ مِنَ المُسلِمِينَ تَقتُلُهُم أَولَى الطَّائِفَتَينِ بِالحَقِّ**»، وَهَذَا الحَدِيثُ يَتَضَمَّنُ ذِكرَ الطَّوَائِفِ الثَّلاثَةِ، وَيُبَيِّنُ أَنَّ المَارِقِينَ نَوعٌ ثَالِثٌ لَيسُوا مِن جِنسِ أُولَئِكَ؛ فَإِنَّ طَائِفَةَ عَلِيٍّ أَولَى بِالحَقِّ مِن طَائِفَةِ مُعَاوِيَةَ.

وَقَالَ فِي حَقِّ الخَوَارِجِ المَارِقِينَ: «**يَحقِرُ أَحَدُكُم صَلاتَهُ مَعَ صَلاتِهِم وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِم وَقِرَاءَتَهُ مَـعَ قِرَاءَتِهِـم يَقـرَءُونَ القُـرآنَ لا يُجَـاوِزُ حَنَاجِرَهُم يَمرُقُونَ مِنَ الإِسـلامِ كَمَا يَمرُقُ السَّـهمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، أَينَمَا لَقِيتُمُوهُم فَاقتُلُوهُم؛ فَإِنَّ فِي قَتلِهِم أَجرًا عِندَ اللهِ لِمَن قَتَلَهُم يَومَ القِيَامَةِ**».

وَفِي لَفظٍ: «**لَو يَعلَمُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَهُم مَا لَهُم عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِم لَنَكَلُوا عَنِ العَمَلِ**».

وَقَـد رَوَى مُسـلِمٌ أَحَادِيثَهُم فِي الصَّحِيحِ مِن عَشَرَةِ أَوجُهٍ، وَرَوَى هَـذَا البُخَارِيُّ مِن غَيرِ وَجهٍ، وَرَوَاهُ أَهلُ السُّـنَنِ وَالمَسَـانِيدِ؛ وَهِيَ مُستَفِيضَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُتَلَقَّاةٌ بِالقَبُولِ أَجمَعَ عَلَيهَا عُلَمَاءُ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنِ اتَّبَعَهُم، وَاتَّفَقَ الصَّحَابَةُ عَلَى قِتَالِ هَؤُلاءِ الخَوَارِجِ.

وَأَمَّا أَهلُ الجَمَلِ وصفين: فَكَانَت مِنهُم طَائِفَةٌ قَاتَلَت مِن هَذَا الجَانِبِ، وَأَكثَرُ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ لَم يُقَاتِلُوا لا مِـن هَـذَا الجَانِبِ وَلا مِـن هَذَا الجَانِبِ، وَاسـتَدَلَّ التَّارِكُـونَ لِلقِتَـالِ بِالنُّصُوصِ الكَثِيرَةِ عَـنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي تَركِ القِتَالِ فِي الفِتنَةِ، وَبَيَّنُوا أَنَّ هَذَا قِتَالُ فِتنَةٍ.

وَكَانَ عَـلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ مَسرُورًا لِقِتَالِ الخَوَارِجِ، وَيَـروِي الحَدِيثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأَمرِ بِقِتَالِهِم؛ وَأَمَّا قِتَالُ صِفِّينَ فَذَكَرَ أَنَّهُ لَيسَ مَعَهُ فِيهِ نَصٌّ؛ وَإِنَّمَا هُوَ رَأيٌ رَآهُ، وَكَانَ أَحيَانًا يَحمَدُ مَن لَم يَرَ القِتَالَ.

وَقَد ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الحَسَـنِ: «**إِنَّ ابنِي هَذَا سَـيِّدٌ، وَسَيُصلِحُ اللهُ بِهِ بَينَ فِئَتَينِ عَظِيمَتَينِ مِنَ المُسلِمِينَ**».

فَقَـد مَدَحَ الحَسَـنَ وَأَثنَى عَلَيهِ بِإِصـلاحِ اللهِ بِهِ بَينَ الطَّائِفَتَينِ: أَصحَابِ عَـلِيٍّ وَأَصحَابِ مُعَاوِيَةَ، وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ تَركَ القِتَالِ كَانَ أَحسَنَ، وَأَنَّهُ لَم يَكُنِ القِتَالُ وَاجِبًا وَلا مُستَحَبًّا.

وَقِتَـالُ الخَـوَارِجِ: قَد ثَبَتَ عَنهُ أَنَّهُ أَمَرَ بِهِ وَحَضَّ عَلَيهِ، فَكَيفَ يُسَـوِّي بَينَ مَا أَمَـرَ بِهِ وَحَضَّ عَلَيهِ وَبَينَ مَا مَدَحَ تَارِكَهُ وَأَثنَى عَلَيهِ؛ فَمَن سَوَّى بَينَ قِتَالِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ اقتَتَلُوا بِالجَمَلِ وصفين وَبَينَ قِتَالِ ذِي الخويـصرة التَّمِيمِـيِّ وَأَمثَالِهِ مِنَ الخَوَارِجِ المَارِقِينَ والحرورية المُعتَدِينَ كَانَ قَولُهُم مِن جِنسِ أَقوَالِ أَهلِ الجَهلِ وَالظُّلمِ المُبِينِ.

وَلَـزِمَ صَاحِـبَ هَـذَا القَولِ أَن يَصِيرَ مِـن جِنسِ الرَّافِضَـةِ وَالمُعتَزِلَةِ الَّذِيـنَ يُكَفِّرُونَ أَو يُفَسِّـقُونَ المُتَقَاتِلَينِ بِالجَمَلِ وصفين كَمَا يُقَالُ مِثلُ ذَلِكَ فِي الخَوَارِجِ المَارِقِينَ؛ فَقَد اختَلَفَ السَّلَفُ وَالأَئِمَّةُ فِي كُفرِهِم عَلَى قَولَينِ مَشهُورَينِ مَعَ اتِّفَاقِهِم عَلَى الثَّنَاءِ عَلَى الصَّحَابَةِ المُقتَتِلِينَ بِالجَمَلِ وصفين وَالإِمسَاكِ عَمَّا شَجَرَ بَينَهُم.

وكان عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ متوقفًا عن قتالهم حتى تبيَّن له حقيقة أمرهم، فرأى أنه قد آن الأوان لقتلهم، وأن ما وعد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به من الثواب في قتل هؤلاء قد كتبه الله له ولمن معه ممن قضى على فتنة هؤلاء واستأصل شأفتهم.

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن قتال الخوارج ليس من جنس قتال البغاة وقُطَّاع الطرق؛ وإنما هذا راجع إلى فساد دينهم ومروقهم من الإسلام»(١).

وقد ذكرنا سابقًا أن بعض السلف كفَّرهم استنادًا إلى هذا الحديث الذي يَنُصُّ أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، والحديث بهذا الإسناد فيه ابن لهيعة، وهو كما تعرفون فيه كلام في حفظه، لاسيما إذا روى عنه غير العبادلة، لكن الحديث أصله في مسلم؛ بل نصه في مسلم من طرق أخرى، يقول فيه عن عبيد الله بن أبي رافع(٢) مولى أم سلمة: أن الحرورية لما خرجوا وهم مع علي بن أبي طالب، قالوا: لا حكم إلا لله... إلخ.

يعني: لما دار القتال بينه وبين معاوية في صفين، وانتهى الأمر إلى التحكيم، كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرى مواصلة القتال حتى النصر، فأجبره هؤلاء على قبول التحكيم، فاضطُرَّ إلى قبول التحكيم؛ لأن جيشه يطلب هذا، وفيهم هؤلاء الخوارج الذين قتلوا عثمان، هم الذين طالبوه بقبول التحكيم، فلما عَيَّن معاوية حكمًا وعيَّن عليٌّ حكمًا، وشرعوا في التحكيم وانتهت بالفشل على كل حال وما نجحوا، قالوا: أنت حكَّمت في كتاب الله وهذا كفر، وأنت تنازلت عن الخلافة وهذا كفر... وصاروا يقولون: لا حكم إلا لله، فيجيبهم عليٌّ بقوله: «كلمة حق أريد بها باطل».

---

(١) انظر: «الصارم المسلول» (٢/ ٣٤٦-٣٤٩).

(٢) روى حديث عليٍّ في قتال الخوارج وذمهم وفضل من قتلهم: عبيدة السلماني وزيد بن خالد الجهني وسويد بن غفلة وعبيد الله بن أبي رافع، وكل ذلك في «صحيح مسلم».

لأن كثيرًا من الناس يرددون كلمة الحق لكن لهم مغزى من وراء هذا الكلام الذي يرددونـه أمام الناس، ولهم مقاصـد ولهم مآرب، فعرف عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما يرمون إليه، أنهم ما يريدون تحكيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ وإنما يريدون الشغب.

(لا حكـم إلا لله) حـقٌّ، لكـن أنتم لا تريدون هـذا، أنتم كذابـون تكذبون في هذا تريدون الفتنة تريدون الخروج وسفك الدماء.

فقـال عـليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أجـل كلمة حـق أريد بهـا باطل، إن رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصف أناسًـا، إني لأعرف صفتهم، يقولون الحق لا يجـاوز هذا منهم -يعني: ما عندهم إخلاص فيما يقولون ولا عندهم فقه وأشار إلى حلقه-، هم أبغض خلق الله إلى الله، فيهم أسود إحدى يديه طُبيُ شاة، أو حلمة ثدي».

يعـني: وصفهم رسـول الله وصفـا دقيقًا، ووصف هـذا الرجل الـذي بينهم بهذه الصفـات، فعـليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقن بهذا الوصف من الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهـوى أن هؤلاء هم الذين أشـار إلى قتلهم ووصفهـم بأنهم شر الخلق والخليقة، وأن لمن قتلهم أجرًا عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ولمـا فرغ مـن قتلهم قال: ابحثوا عن هذا الرجل، فبحثـوا فقالوا: ما وجدنا فقال: «والله مـا كَذَبـتُ» يعني: ما كذبـت عليكم، مـا أخبرتكم بالكـذب، أخبرتكم بالصدق «ولا كُذِّبتُ»: ولا كذبني رسول الله، رسول الله حدثني بالصدق، فعليٌّ موقن أن ما يقوله حق؛ لأنه تلقاه عن الذي لا ينطق عن الهوى «ما كَذَبتُ ولا كُذِّبتُ» واثق من صدق نفسه.

ثـم أكـد عليهم فرجعوا يبحثون مرتين أو ثلاثًا فوجـدوه في خربة، مرميًا في خربة، فأتـوا بـه علي بن أبي طالـب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى وضعوه بـين يديه، قال عبيد الله بـن أبي رافع:

أنا حضرت ذلك من أمرهم، يعني: يؤكد رواية علي للحديث، وقتله للخوارج، وإحضارهم لهذا الرجل، حضر ذلك كله من أمرهم وعاينه، فهو يخبر عن علم، ويقول: أنا شهدت القصة وذلك يكون أوثق للخبر، فخبره موثق.

ثم ساق الحديث في الخوارج مرات أعاده على هذا الوصف، والشاهد: أنهم شر الخلق والخليقة وأنهم كلاب النار، وأن قتالهم مُقدَّمٌ على قتال الكفار، ولهذا أوقف علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الجهاد واشتغل بقتال هؤلاء؛ لأن هؤلاء ضررهم بالأُمَّة على ما يقولون يفتت الجبهة الداخلية ويمزقها ويضيعها.

العدو من الخارج ما يستطيع أن يفعل هذا؛ لكن العدو الداخلي يستطيع أن يفتت تفتيتًا من الداخل، فبدأ بتطهير الصف من هذا الصنف الرديء فقتلهم؛ لأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حثَّ على قتلهم، وعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقيه ومن معه فقهاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ قتال هؤلاء خيرٌ من قتال الكفار؛ لأن في قتالهم المحافظة على رأس المال، وقتال الكفار حرص على المكسب وعلى الربح»[1].

فالذي يُطهِّر صفوف المسلمين من أمثال هؤلاء هذا يحافظ على رأس ماله، يحافظ على الأمة كي تبقى الأمة متماسكة إذا خلت من هذا الدغل ومن هذا الصنف الخبيث الذي يضعف الأمة.

فهذا فقه الصحابة -رضوان الله عليهم-، وفقه الرسول قبلهم، أمرَ بقتالهم ووَصَفَهم بأنهم شَر الخلق والخليقة، وكلما أعادوا هذا الكلام -أي: لا حكم إلا الله- يقول لهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كلمة حق أريد بها باطل».

---

(١) انظر: «الفتح» (١٢/ ٣٠١).

الشاهد من هذا الكلام: أن المؤلف: والسلف الصالح يرون أن قتال الخوارج حق، وأن من يقاتلهم -سواء علي أو غيره- فهو على حق؛ كما سبق معنا أن هذا السيفُ سيفُ حقٍّ إلى يوم القيامة.

لهذا كان العلماء والفضلاء من هذه الأمة يقاتلون، حتى مع حُكَّام الجور حتى مع الحجاج الظالم المفسد، كانوا يرون أنه على حقٍّ في قتال هؤلاء.

وأهل البدع شرٌّ وخطر، حتى إن سلام بن أبي مطيع كان من أفضل علماء الكوفة وأعقلهم يقول: «والله لأن ألقى الله بصحيفة الحجاج أحبُّ إليَّ من أن ألقاه بصحيفة عمرو بن عبيد»[1].

عمرو بن عبيد زاهد ناسك، لكنه ضال مبتدع، والحجاج ظالم سفاك، وكلا الصحيفتين سوداء، لكن صحيفة عمرو أشدُّ سوادًا وأملأ بالخبث من صحيفة الحجاج.

هذا هو الفقه هذا فقه السلف؛ ولهذا تجد المؤلفات لا تُحصى في فضح أهل البدع وكشف عوارهم وبيان شرهم وشر معتقداتهم وأخطارهم على الأُمَّة.

وهذا هو منهج السلف الذي يجب أن يفقهه الناس، وأن يقفوا من أهل البدع هذا الموقف الواعي؛ لأن البدع تهدم الدين، والبدع تشريع مضاد لتشريع الله أكثر من أهل المعاصي وأهل الظلم وأهل سفك الدماء، هؤلاء ما يقولون أن هذا دين الله، ولو قالوا دين الله لكذَّبهم الناس؛ لكن هؤلاء يخدعون الناس ويقولون دين الله وينفق باطلهم،

(١) ذكر هذا أبو داود السجستاني كما في سؤالات أبي عبيد الآجري، ص: [٣٠٩]، رقم [٤٦٤]، ونقله الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٢٨).

....

ولو كان إلحادًا وزندقة وكفرًا وضلالًا يروج على الناس وينفق، وفعلًا راج على كثير من الناس.

الحجاج بغيض من ذلك الوقت إلى يومنا هذا، يبغضه الناس، وعمرو بن عبيد كثيرٌ من الناس يمدحونه مع الأسف الشديد، وكثيرٌ من أهل البدع مقدسون لماذا؟ لأن الناس يُخدعون بهم وهم أشدُّ خطرًا على الإسلام من الحكام الظلمة.

علـم الكلام الذي هو جزءٌ الآن من ضلال الفرق الضالة الموجودة الآن، جزء من ضلالهـم، أهل الكلام عندهم كلام؛ لكـن ما عندهم قبور ما عندهم خرافات ما عندهم تصوف، عندهم علم الكلام وهو خبيث.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما عدا الشرك أحب إليَّ مِن أن ألقاه بعلم الكلام»[(١)].

فعلم الكلام شر اعتنقه فرق الضلال، وأضافوا إليه ضلالات.

وقال بعض السلف: «إنا لنستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية»[(٢)].

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١١١)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ١٤٦)، رقم (٣٠٠، ٣٠١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ١٩٢) رقم (٩١٣-زمرلي)، وفي «الانتقاء» ص: [٧٨]، والتيمي في «الحجة في بيان المحجة» (١/ ١١٥، ٢٢٤)، وابن عساكر في «تبيين كذب المفتري»، ص: [٣٣٧] وغيرهم.

(٢) رواه البخاري في «خلق أفعال العباد»، ص: [٣١]، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٦/ ٢٤)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ١١١/ ٢٣) و(١/ ١٧٤/ ٢١٦) ومن طريقه أبو بكر النجاد في الرد على من يقول بخلق القرآن برقم [٧١]، والآجري في «التصديق بالنظر»، ص: [٣٣]، رقم [٩] عن عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ.

هذا كلام السلف في أهل الكلام والجهمية، قبل أن يوجد الفكر الصوفي بوحدة الوجود والحلول يقولون هذا الكلام، فكيف لو أدركوا من يقول بالحلول ويقول بوحدة الوجود؟!.

فالبدع خبيثة ودمار على الإسلام والمسلمين؛ ولهذا تجد المؤلفات في بيان حال الخوارج والمرجئة والمعتزلة والروافض وغيرهم؛ لخطورتهم على الإسلام، فيجب أن نترك هذه الاتجاهات البدعية والسياسية التي تُمَيِّع الإسلام، وتريد أن تُجَمِّع وتُكَتِّل المسلمين على أيِّ حالٍ كانوا في وجه الكفار، في مواجهة الكفار هذا التجميع ما يصلح.

نُجَمِّع الناس على كتاب الله وعلى سنة رسول الله، أما أن نجمعهم على الحلول وعلى وحدة الوجود وعلى الرفض وعلى القبورية وعلى العقائد الكافرة التي هي أكفر من اليهودية ومن النصرانية، نُجَمِّع الناس على هذا ونقول: هذا هو الإسلام؛ فهذا هو الضلال؛ فلهذا يجب أن يفقه المسلمون دينهم، وأن يسعوا في تخليص الإسلام وتصفيته، وتربية الناس على دين الله الحق؛ لينالوا من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الكرامة والعزة والنصر في الدنيا والنجاة والسعادة في الآخرة.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم وأن يفقهنا في الدين «**ومن يرد الله به خيرًا يفقه في الدين**».

نسأل الله أن يرزقنا هذا الفقه في أمور ديننا في تربيتنا في توجيهنا في مواجهتنا للباطل بكل أشكاله، والباطل يتفاوت وأخطر شيء البدع والمحدثات.

....

ولهذا كان الرسول ﷺ قبل أن توجد هذه البدع يخطب ويغضب ويَحمَرُّ وجهه ويعلو صوته كأنه منذر جيش يقول: «**صبحكم ومساكم**» ثم يقول: «**فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها**»[(١)].

وحرَّضَ على قتل الخوارج قبل أن يوجدوا، وُجِد ضئضئهم وأصلهم أو الذين يخرجون من ضئضئه وهو ذو الخويصرة، فمن ذلك الوقت بدأ يحذر رسول الله عليه ﷺ منهم ويبيِّنُ شرَّهم، ويحث على قتلهم، ويبيِّن ما لمن قتلهم من الأجر والثواب العظيم عند الله، حتى إن عليًّا لا يُخبرهم بهذا الجزاء العظيم الذي ادَّخره الله لقتلتهم؛ لئلَّا يغتروا ولئلَّا يتكلوا أو ينكلوا عن العمل، أمرٌ عظيمٌ جدًّا قد يكون أكثر من ثواب قتال الكفار.

ولهذا لما قتل هشام بن عبد الملك -وكان يتورع عن سفك الدماء- غيلان ورجلًا آخر اسمه صالح، فَنَدِم وتأسف وتحسر، فكتب إليه أحد العلماء في ذلك الوقت -وهو رجاء بن حيوة-: «أما بعد فقد بلغني أنك تحسرت وندمت من قتل فلان، والله لقتله أفضل عند الله من قتل ألفين من الترك والروم»[(٢)] يعني: الكفار؛ لأن هذا بلاء وفساد ينخر في دين الأمة وفي جسم الأمة، مثل السرطان، ومثل الإيدز مثل هذه الأمراض وأخطر.

فهذا هو الفقه، فيجب أن يفقه الناس، ويجب أن يتربى الناس على هذا المنهج الواعي، وليس على المناهج السياسية البلهاء، التي لا همَّ لها إلا تجميع الناس على الباطل وعلى الفساد وعلى الضلال وعلى الضياع.

---

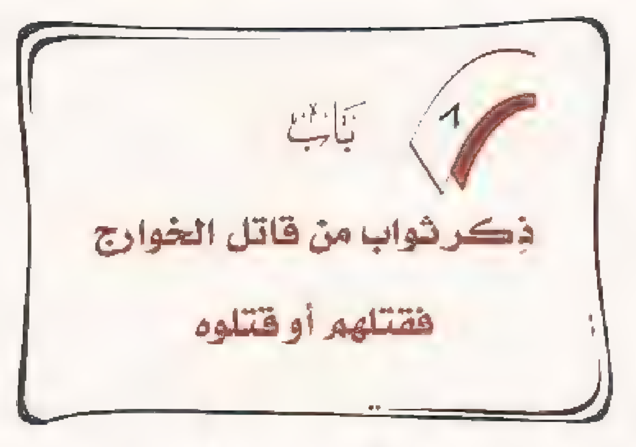
(١) رواه مسلم في صحيحه: في الجمعة حديث [٨٦٧]، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «الشريعة» (٢/ ٩٢١-٩٢٢) و«شرح اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٤/ ٧١٧).

فنسأل الله أن يفقهنا في دينه، وأن يهيأ لهذه الأمة رجالًا صادقين وشبابًا مخلصين، يرفعون راية التوحيد والسنة، وينهضون بهذه الأمة من كبوتها ليكرمنا الله في هذه الدنيا وفي الآخرة.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.



باب
ذكر ثواب من قاتل الخوارج فقتلهم أو قتلوه

[٥٧] حدثنا موسى بن هارون أبو عمران، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول الناس، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، فمن لقيهم فليقتلهم، فَإِن قَتَلَهُم أُجِرَ عندَ اللهِ»[١].

[٥٨] أخبرنا أبو سعيد المفضل بن محمد الجندي، بالمسجد الحرام قال: حدثنا علي بن زياد اللحجي قال: حدثنا أبو قرة موسى بن طارق قال: سمعت الأزهر بن صالح يقول: حدثني أبو غالب أنه سمع أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ يقول: وخرجت خارجة بالشام فقتلوا، فألقوا في جُبٍّ أو بئر، قال: فأقبل أبو أمامة وأنا معه، حتى وقف عليهم ثم بكى، ثم قال: سبحان الله، ما فعل الشيطان بهذه الأمة؟ كلاب النار، كلاب النار - ثلاثًا -، شر قتلى تحت ظل السماء، شر قتلى تحت ظل السماء، خير قتلى تحت ظل السماء، خير قتلى تحت ظل السماء، خير قتلى تحت ظل السماء من قتلوه.

....

(١) في إسناده عاصم بن أبي النجود، وحديثه حسن في الشواهد، وله شواهد من حديث علي وأبي سعيد وجابر وغيرهم تقدم ذكرها قريبًا.

قال: قلت يا أبا أمامة، أشيء تقوله برأيك، أم شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: إني إذن لجريء، إني إذن لجريء - ثلاثًا -، بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة، ولا مرتين، ولا ثلاثًا، حتى عد عشرًا.

سمعت من رسول الله يقول: «سيأتي قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، أو لا يعدو تراقيهم، يمرقون من الإسلام، كما يمرق السهم من الرمية، لا يعودون في الإسلام حتى يعود السهم على فوقه، طوبى لمن قتلوه أو قتلهم».

[٥٩]وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا عمي قال: حدثنا عصمة بن المتوكل قال: حدثني المبارك بن فضالة، عن أبي غالب قال: كنت بالشام، وبها صدي بن عجلان أبو أمامة، صاحب رسول الله ﷺ، وكان لي صديقًا قال: فجيء برءوس الحرورية فألقيت بالدرج، فجاء أبو أمامة فصلى ركعتين، ثم توجه نحو الرءوس قال: فقلت: لأتبعنه حتى أسمع ما يقول، قال: فتبعته حتى وقف عليهم قال: فبكى، ثم قال: سبحان الله ما صنع إبليس بأهل هذه الأمة؟

قال: ثم قال: كلاب أهل النار، كلاب النار، كلاب النار، ثلاثًا، ثم قال: شر قتلى قُتلوا تحت ظل السماء، وخير قتلى الذين قتلوهم، قال: ثم تلا هذه الآية[1]: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

[٦٠]وحدثنا أبو بكر بن أبي داود -أيضًا- قال: حدثنا يعقوب بن سفيان قال: حدثنا بكر بن خلف قال: حدثنا قطن بن عبد الله الحداني قال: حدثني أبي قال:

---

(١) نحو هذين الحديثين عن أبي أمامة في «مسند أحمد» (٥/ ٢٥٠، ٢٥٣).

حدثني أبو غالب قال: كنت في مسجد دمشق فجاءوا بسبعين رأسًا من رءوس الخوارج، فنصبت على درج المسجد، فجاء أبو أمامة فنظر إليهم فقال: كلاب جهنم، شر قتلى قتلوا تحت ظل السماء، ومن قَتَلُوا خير قتلى تحت ظل السماء، وبكى فنظر إليَّ، فقال: يا أبا غالب، إنك ببلدٍ هؤلاء به كثير، قال: قلت: نعم.

قال: أعاذك الله تَعَالَىٰ منهم، ثم قال: تقرأ القرآن؟ قلت: نعم قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ [آل عمران: ٧] قال: قلت: يا أبا أمامة: إني رأيت تغرغرت لهم عيناك قال: رحمة لهم، إنهم كانوا من أهل الإسلام قال: فقال له رجل: يا أبا أمامة، أمِن رأيك تقوله أم شيء سمعته من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: إني إذن لجريء، سمعته من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير مرة ولا مرتين، ولا ثلاث ولا أربع ولا خمس ولا ست ولا سبع[(١)].

[٦١] حدثنا حامد بن شعيب البلخي قال: حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب قال: حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق، عن الأعمش، عن ابن أبي أوفى: عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الخوارج كلاب النار»[(٢)].

قال محمد بن الحسين: قد ذكرت من التحذير من مذاهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله تَعَالَىٰ عن مذاهب الخوارج ولم يَرَ رأيَهم، وصبر على جور الأئمة، وحيف

....

(١) حديث أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أورده الآجري من ثلاث طرق، مدارها على أبي غالب البصري، واسمه حزور أو سعيد، قال فيه الذهبي في «الكاشف»: «صالح الحديث، صحّح له الترمذي»، وله شواهد سلفت، ويشهد لبعضه حديث ابن أبي أوفى الآتي.

(٢) إسناده صحيح، غير أن الأعمش مدلس، ولم يسمع من ابن أبي أوفى، أشار إلى ذلك الحافظ في «تهذيب التهذيب» (٤/ ٢٢٢)؛ حيث قال في روايته عن عبد الله بن أبي أوفى: «يقال: إنه مرسل».
لكن له متابعة رواها الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٣٨٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٤٣٨)، وصحّح هذا الحديث الألباني.

الأمراء، ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله تَعَالَىٰ كشف الظلم عنه وعن المسلمين، ودعا للولاة بالصلاح، وحج معهم، وجاهد معهم كل عدوٍّ للمسلمين وصلى خلفهم الجمعة والعيدين، وإن أمروه بطاعة فأمكنه أطاعهم، وإن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروه بمعصية لم يطعهم، وإذا دارت الفتن بينهم لزم بيته وكف لسانه ويده، ولم يهو ما هم فيه، ولم يعن على فتنة، فمن كان هذا وصفه: كان على الصراط المستقيم -إن شاء الله-.

باب ذكر ثواب من قاتل الخوارج فقتلهم أو قتلوه، أي: أن الذي يقتلهم ينال الأجر الجزيل وإن قتلوه نال أفضل جزاء عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهذا فيه فضيلة قتلهم وقتالهم؛ لأنهم شرٌّ على الأمة، كلاب النار وشرُّ من تحت أديم السماء، إلى آخر الأوصاف التي جاءت.

وهذا الحديث جاء من طريق عاصم بن أبي النجود، وهو ثبت في القراءة، فهو أحد القراء الكبار؛ ولكنه فيه كلام في الرواية.

قال -وهذه أوصافهم احفظوها-: «**يخرج في آخر الزمان أقوام:**

١- أحداث الأسنان. ٢- سفهاء الأحلام.

٣- يقولون من خير قول الناس - فهؤلاء يلتبس أمرهم على الناس-.

٤- يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية.

٥- فمن لقيهم فليقتلهم - هذا حكمهم -، فَإِن قَتَلَهُم أُجِرَ عِندَ الله».

فهم أحداث الأسنان: شباب لا يستمعون لأقوال العلماء، ولا يرجعون إلى العلماء؛ وإنما يشتطون هكذا ويحتقرون العلماء، ويقولون عنهم: لا يفهمون وعلماء حيض وعلماء نفاس، إلى آخر ما يصفون به العلماء.

هم أحداث الأسنان؛ ليس فيهم رجل رشيد، سفهاء الأحلام، كلهم ما فيهم رجل عاقل رشيد، كلهم وصفهم جميعًا، ما استثنى منهم أحدًا.

وهذا الواقع في كل زمان ليس في زمان واحد؛ لأنهم لا يزالون يخرجون هكذا حتى يأتي الدجال، كلما ذهب منهم قرن جاء منهم قرن آخر، فهم بهذه الصفة يتمردون على العلم والعلماء، وعلى منهج الكتاب والسنة، ويحكمون على الأمة بالكفر وعلى الحكام بالكفر، ويرون الخروج ويسلون السيوف ويثيرون الفتن ويسفكون الدماء -والعياذ بالله-؛ لهذا أوقف عليٌّ الجهاد وذهب يقاتل هؤلاء، وبيّن لهم عظيم الأجر في قتل هؤلاء.

فهم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام كما هو الآن؛ ترى أحقر الناس عندهم العلماءُ، ويصفونهم بأنهم لا يعرفون الواقع، وعلماء حيض ونفاس وعملاء وجواسيس، وغير ذلك من الأوصاف السيئة.

والخوارج الأوائل ما وصلوا إلى هذه الدرجة، فنحن نناديهم أن يتوبوا إلى الله، وأن يرجعوا إلى صف المؤمنين، وأن يحترموا العلماء ولا ينقادوا لسفهاء الأحلام أحداث الأسنان؛ فإن قادتهم من هذا النوع.

قال ﷺ: **«يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية»**.

يأتون إلى الآيات في قصص الأنبياء فيحرفونها إلى الحاكمية، ويأتون إلى الأحاديث النبوية فيحرفونها إلى هواهم، ظاهر الكلام حق، لا حكم إلا لله، كلام حق؛ لكن يريدون به باطلًا.

هؤلاء متهمون، الآن عندما تقول: هذا العمل غلط، يقولون: يتدخل في النوايا.

الله بيَّن لنا نياتهم والرسول بيَّن لنا نياتهم، وواقعهم يشهد عليهم، كيف لا نتكلم على مقاصدهم، يحرفون كلام الله وكلام رسوله ﷺ إلى أهوائهم ولا نتكلم عن مقاصدهم، يلعبون بعقول الناس.

«يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» لا حول ولا قوة إلا بالله! **«يقرءون القرآن، تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وقراءتكم إلى قراءتهم»** ومع ذلك لا يجاوز حناجرهم، وهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية فنسأل الله العافية، هذا بلاء، بلاء وفي كل زمان ينكب بهم الإسلام والمسلمون؛ ولهذا هم شر الخلق والخليقة، وهم كلاب أهل النار -والعياذ بالله- وإن قرءوا القرآن وقاموا الليل وصاموا النهار وفعلوا وفعلوا، هم كلاب أهل النار وشر الخلق والخليقة وخير قتيل من قتلوه، وهم شر قتلى تحت أديم السماء.

هذا الصحابيُّ الجليل لما رآهم ماذا قال: «شر قتلى تحت أديم السماء شر قتلى تحت أديم السماء شر قتلى تحت أديم السماء» ما قال هذا الحاكم جائر، هذا الحاكم ظالم، هذا الحاكم كذا، وهو حاكم ظالم الذي قتلهم، والله يعرف أنه ظالم .

في عهد عبد الملك يكفيه أن من عُمَّاله الحجاج السفاك، كان في عهده فلان في مصر ظالم جدًّا، سفاك وفي العراق الحجاج السفاك، ومع هذا إذا خرج إليهم الحجاج هذا السفاك إلى قتالهم وجب على المسلمين أن يخرجوا معه، وأن يقتلوهم تنفيذًا لحض الرسول ﷺ على قتلهم.

....

هـذا الصحابي الجليل الذي أدرك هذه المعركـة أدان قتلى الخوارج بقوله: «شر قتلى تحت أديم السماء».

ولهـذا يقـول أحد فقهاء الإسـلام سـلام بـن أبي المطيـع: «لأن ألقـى الله بصحيفة الحجـاج أحـب إلي من أن ألقاه بصحيفة عمرو بن عبيـد»، عمرو بن عبيد ما هي بدعته؟ إنها تتضاءل إذا قُرنت ببدع زعماء خوارج هذا العصر.

الآن يقولـون نحـن لسـنا خوارج ويصفـون السـلفيين بأنهم خـوارج! انظر كيف يقلبون الأمور ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ [التوبة: ٤٨].

يسـمون السـلفيين خوارج! مع أن السـلفيين ليل نهار يحاربون مذهـب الخوارج ويقولون هم الخوارج! يحاربون الإرجاء يقولون هم مرجئة! يحاربون الكفر يقولون هم كفار!

كيف يُسكت على هذا كيف؟!

يا إخوة، الإسـلام يتمثل في المنهج السـلفي، ليس في منهـج الإخوان ولا في منهج التبليـغ ولا في منهـج القطبيين ولا غيرهـا من المناهج، ولا في منهج أبي الحسـن وحزبه؛ لأنهـم مـع الخوارج، ومن شر المميعـين المدافعين عن أهل البـدع، ويؤصلون لهذا الدفاع أصولًا باطلة.

كل هـؤلاء عندهم بلايا وضلالات ترميهم بعيدًا عن منهج أهل السـنة والجماعة، وهم يلبسون ويفرضون أنفسهم فرضًا على منهج أهل السنة والجماعة بالأكاذيب.

هذا حديث أبي أمامة إسناده لا بأس به، وجاء من طرق مدارها على أبي غالب.

أبو غالب روى عنه ثلاثة:

الأول- يقول: سمعت الأزهر بن صالح؛ لكن الظاهر أن هذا خطأ وأنه زمعة ابن صالح؛ لأنه هو الذي يروي عن أبي غالب.

والثاني- الذي يروي عنه بالإسناد عند أبي داود: مبارك بن فضالة، وهو صدوق فيه كلام، حديثه يتقوى ويعتضد بغيره.

والطريق الثالث- قطن بن عبد الله الحداني، وهو يرويه عن أبي غالب، وهو يقول هنا: عن أبي؛ لكن وجِدَ أنه هو من تلاميذ أبي غالب، فالطرق الثلاثة هذه يشد بعضها بعضًا.

ثم له شاهد من حديث ابن أبي أوفى؛ فيرتقي إلى درجة الحسن.

وهذا الحديث: رواه إسحاق بن يوسف الأزرق عن الأعمش عن أبي إسحاق عن ابن أبي أوفى، قال: «الخوارج كلاب النار، وشر قتلى تحت أديم السماء».

حديث أبي أمامة: قال أبو غالب: إنه سمع أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ يقول: خرجت خارجة بالشام فقتلوا، وألقوا في جبٍّ، أو بئر.

مثل ما ألقي صناديد قريش في القليب في معركة بدر، أولئك قُتلوا في بدر فجمعهم رسول الله ورماهم في طوي في بئر.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**يا فلان! يا فلان! هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؛ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا؟**» فقال له عمر: أتكلم أجسادًا لا أرواح لها؟ فقال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**». قال قتادة: أحياهم الله له ليسمعوا هذا التبكيت[1].

---

(١) أخرجه البخاري في «المغازي»، حديث [٣٩٧٦]، ومسلم في «صِفَةِ القِيَامَةِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ»، حديث [٢٨٧٣]، عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

....

وهذا أبو أمامة بكَّتهم، ألقوا في بئر أو في جُب، والجب هي البئر، فبكتهم كما بكتَّ رسـول الله أهل بـدر، أي: قتلى قريش قتـلى الكفار، وأظنه يرى أنهم كفار -كما سيأتي- كانوا في الإسلام فخرجوا.

«قـال: فأقبل أبو أمامة وأنا معه حتى وقف عليهم، ثم بكى، ثم قال: سبحان الله، ما فعل الشيطان بهذه الأمة؟ كلاب النار، كلاب النار، ثلاثًا» هذا الوصف الأول.

«شر قتلى تحت ظل السماء» كل هذا سمعه من رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ضموها للأوصاف السابقة، تلك أوصافهم في حياتهم وهذه أوصافهم بعد موتهم، هذه تلحق تلك يُشَيِّعُونَ بها إلى النار وبئس القرار.

«شر قتلى تحت ظل السماء، شر قتلى تحت ظل السماء، خير قتلى تحت ظل السماء من قتلوه» تأكيدات حتى يفهم الناس خطر الخوارج وشرَّهم على الأمة، فلا يخرج أحد، فتبقى الأمة أمةً واحدة متماسكة، تسلم من الخلل والضياع.

والله ما ضيَّع الإسلام والمسلمين وأهانهم إلا هذه الأنماط من أهل البدع والضلالات من الخوارج وأمثالهم، ومن هم شرٌّ منهم كالروافض، الروافض شرٌّ من الخوارج، ويتولاهم الإخوان المسلمون ويقولون إخواننا، الفرق بيننا وبينهم كالفرق بين مالك والشافعي، يعني: الاختلاف بيننا وبينهم اجتهادي، إذا اختلف الشافعي ومالك في قضايا فكلهم مأجور، وإذا اختلفنا مع الروافض فنحن وهم مأجورون.

الروافض أيها الملبسون سبُّوا الصحابة وكفَّروهم، سبُّوا زوجات الرسول، قالوا: القرآن محرَّف، وعندهم شركيات وتأليه لأئمة أهل البيت، كلُّ هذا ما يضرهم، أليس هذا هو الإرجاء؟!

«قلت: يا أبا أمامة، أشيء تقوله برأيك» هذا من التثبت، يسأل يتفقه أمرٌ خطير هل قال هذا الكلام من عنده فيكون له وجهة نظر، أو يكون قاله رسول الله فيسلِّم له؟ لأنه قال كلامًا خطيرًا ليس سهلًا.

«قال: إني إذن لجريء، ثلاثًا؛ بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة، ولا مرتين، ولا ثلاثًا، حتى عدَّ عشرًا» إني لجريء يحتمل أن يكون إني جريء فأقول من عند نفسي، أو جريء على الله، كلها جرأة على الله لو كان قالها من عنده وحاشاه من ذلك، لقد أسندها لرسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ونفى عن نفسه هذه الجرأة، وأكد أنه سمعها من رسول الله مرات وكرات حتى يقبل الناس هذا التأكيد، ويزداد الناس وثوقًا بما قاله ورواه عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

«حتى عدَّ عشرًا، سمعت من رسول الله يقول: سيأتي قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، أو لا يعدو تراقيهم، يمرقون من الإسلام، كما يمرق السهم من الرمية، لا يعودون في الإسلام» فهو -والله أعلم- يرى أنهم كفار، وكثيرٌ من العلماء على أنهم كفار من هذا الوصف: «يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» وتقدم لكم شرح هذا، يخرجون من الإسلام كما يخرج السهم من الرمية، وهي الصيد الذي يصاد بهذا السهم يخرج منه ما به شيء، نظيف تمامًا لا فرث ولا دم ولا شيء، يخرج كما دخل ما فيه شيء؛ فهؤلاء دخلوا في الإسلام وانطلقوا منه كالسهم ما عَلَقَ بهم شيء من الإسلام، دخلوا فيه وخرجوا بسرعة وبقوة وبعنف.

«ثم لا يعودون» المبتدع ما يرجع، العاصي وكثير من العصاة يرجع ويتوب، لكن المبتدعة قلَّ ما يرجعون إلى الحق، والله تُكتَب المجلدات في بيان وفضح البدع التي

تعلَّقوا بها وتربَّوا عليها لا يرجعون عنها لا يعودون، لماذا؟ لأنه قد تمكنت هذه البدع من نفوسهم فهي الإسلام عندهم؛ لكنه الإسلام الذي جاء به غير الرسول، إسلام رءوس أهل البدع.

قال ﷺ: «**سيأتي قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم**» صوت يجلجل في حناجرهم ويقف فيها ما ينزل إلى قلوبهم ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] فهؤلاء ما يصلُ إلى قلوبهم وما تلين جلودهم، جفاة ينظرون إلى الناس باستعلاء.

والله يا إخوة، أنا تتبعت منهج سيد قطب، يربي أتباعه على الاستعلاء والكبرياء على المجتمعات الإسلامية -وهم عنده كفار-، أما اليهود والنصارى والهنادك وغيرهم؛ فهم أحرار في عقائدهم وفي دعوتهم إلى عقائدهم، ويجب على الإسلام أن يحمي دعواتهم وعقائدهم؛ لأنه ما جاء إلا لحماية هذه الديانات، كما في كتاب السلام العالمي لسيد قطب، ويقرءون هذا الكلام السخيف الضال، يقرءونه ويرتفع هذا الكتاب وصاحبه إلى عليين عندهم، وفيه كل البلاء، وأيُّ كتاب تقرؤه من كتبه فيها كل البلاء، وهي مُقدَّسة.

ويشاركهم -والله- الروافض في تقديس سيد قطب وتقديس كتبه والاهتمام بها وترجمتها إلى لغات شتى، الروافض -يا إخوة- يحتفون بسيد قطب كما يحتفون بالخميني ويعتبر من رموزهم وضعوا له طابع بريد -كذا قطعة صغيرة تباع بعشر ريالات- مثل الخميني، كتبه توزع، يوزعها الروافض ويستشهدون بها، يكفيهم هذا لضلال سيد قطب لإدانته، يكفيكم هذا، إذا كنتم ما تعرفون اسمعوا وهذه أدلة أنا أسردها لكم.

الآن تعالوا أنا أريكم طابع البريد، وروحوا إيران وانظروا كيف يترجمون كتبه وكيف ينشرونها في العالم؛ لأن فكره وفكرهم واحد، الفكر واحد، نحن مضطرون لأن نقول هذا الكلام في هذا الرجل لأن بلاءه طبّق العالم؛ إذ أتباعه لا يحصون، لو كتبت مئات الصحف ومئات المقالات ومئات الكتب تصدر فيه لكانت قليلة في نصرة الإسلام.

شباب الأمة الذين يمكن أن يرفع الله بهم الإسلام هلكوا بمنهج هذا الرجل وضاعوا وصاروا بلاءً على الإسلام والمسلمين بسببه كيف يُسكت عنه؟!

على كل حال؛ أوصافهم هذه شرحناها سابقًا فيما سبق هذه، أوصافهم: يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، جمع ترقوة؛ وهي العظم بين ثغرة النحر والعاتق، تصل القراءة إلى الحنجرة فقط، صوت يجلجل إلى هنا، لكن ما يدخل في القلب وما يدخل في الدماغ وما يدخل في العقل، لا تدبر في كلام الله ولا شيء، يقرءون القرآن في وصف آخر صحيح: «يحسبونه لهم وهو عليهم» هؤلاء والله الآن يأتون بأقوال العلماء وهي عليهم، يأتون بنصوص من القرآن والسنة وهي عليهم، ويظنونها لهم نفس الشيء.

«قال: كنت بالشام، وبها صدي بن عجلان أبو أمامة صاحب رسول الله ﷺ وكان لي صديقًا» هذا أبو غالب من البصرة عراقي، وصدي بن عجلان هذا هو أبو أمامة يعيش بالشام، ووافق وصول أبي غالب وقوع هذه القصة، وافق هذه الحادثة أن أناسًا خرجوا بالشام وقُتِلوا ورُموا في بئر وهو يمشي مع أبي أمامة، وهو يقول هذا الكلام يرثي به هؤلاء؛ بل يبكتهم.

«قال: فجيء برءوس الحرورية، فألقيت بالدرج» يعني: البئر، وكأنها قريبة -والله أعلم- من الدرج وهو الطريق؛ لكن كأن البئر على طريق المسجد حتى يكونوا عبرة للناس.

«فجاء أبو أمامة فصلى ركعتين، ثم توجه نحو الرءوس قال: فقلت: لأتبعنه حتى أسمع ما يقول، قال: فتبعته حتى وقف عليهم فبكى، ثم قال: سبحان الله ما صنع إبليس بأهل هذه الأمة قال ثم قال: كلاب أهل النار، كلاب النار، كلاب النار -ثلاثًا-، ثم قال: شر قتلى قتلوا تحت ظل السماء، وخير قتلى الذين قتلوهم».

الله أكبر! هذه شهادة من رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كيف يقرءون القرآن ويصلون ويصومون، والصحابة يحقرون صلاتهم إلى صلاتهم، وهذا حالهم، هذه الصفات تُذكر لبيان جهلهم وغلظ قلوبهم، وهذا ذمٌّ لهم ليس من باب الموازنات، هذا ذم لهم وصفهم بأنهم غلاة، والغلو هذا أهلكهم، فما يسلكون طريق العلماء الراسخين في النظر إلى نصوص القرآن والسنة وجمع نصوص الكتاب والسنة للجمع بينها والتوفيق بينها.

لكن أهل السنة ثابتون راسخون، ينظرون نصوص الوعد ونصوص الوعيد ونصوص الإيمان ونصوص الكفر والنفاق، جمعوها وعرفوا مقاصد الشرع منها، واستنبطوا منها الأحكام الإسلامية الصحيحة.

ثم قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»(١) كيف؟ عند الخوارج كفر يخرج من الإسلام، فلا يلتفتون إلى قول الله تَعَالَى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟

(١) أخرجه البخاري في «الإيمان» حديث [٤٨]، ومسلم في «الإيمان» حديث [٦٤]، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

«لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»[1] يحملونها مثلًا على عليٍّ ومَن معه، ومعاوية ومَن معه، وأنهم كلهم كفار عندهم.

حتى لو كانوا تقاتلوا على عصبية -وحاشاهم- ما هم بكفار ما دام لم يستحل دم أخيه؛ فإذا كان هناك قبيلتان اقتتلتا يدخل العلماء والمصلحون بين القبيلتين، يصلحون بينهما ويصدق عليهم، وإن كانوا قد سفكت الدماء وأخذت الأموال لم تخرجهم هذه الكبائر عن دائرة الإسلام، فرابطة الإسلام تربط بينهم وهم إخوة ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

فالعلماء الراسخون نظروا في هذه النصوص التي فيها التكفير، وهذه النصوص التي فيها الأخوة وجمعوا بينها، الذي يسرق لعن الله السارق، وكذا وكذا، وعند الخوارج: السارق مرتكب الكبيرة كافر، فالذي يسرق كافر.

وكيف يقيم الرسول ﷺ عليه الحد؟!

والزاني عندهم كافر مرتكب الكبيرة فكيف الرسول يقيم عليه الحد؟!

(١) أخرجه البخاري في «العلم» حديث [١٢١]، ومسلم في «الإيمان» حديث [٦٥] عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

يحدُّه الرسول صلى الله عليه وسلم ويصلي عليه ويأمر بالصلاة عليه[١] فكيف يكون كافرًا[٢]؟!!

فهؤلاء المساكين لا يجاوز الإيمان تراقيهم، حدُّه التراقي فقط، لا ينفذ إلى القلوب، فلا تفقه ولا تستوعب النصوص، ولا تفهم مقاصد الشارع، لا شيء قلوبهم مقفلة -والعياذ بالله-.

على كل حال هذه صفات هؤلاء.

والسلف الصالح حفظوا لنا هذه النصوص ودوَّنوها وشرحوها لنحذر أن نقع فيما وقع فيه هؤلاء.

أما أن تعيش في دائرة الخوارج وأسوأ منها، وتقول: أنا لست بخارجي، خوارج خوارج أنتم خوارج؛ هذا كلام فارغ، هذا من التلاعب بعقول الناس، ارجعوا -إذا أردتم- إلى الإسلام الحق، واسلكوا مسلك أهل السنة والجماعة، واقرءوا هذه الكتب وافهموها، وسيروا في ركب أهل السنة والجماعة، يقودكم رسول الله والصحابة والتابعون وأحمد بن حنبل ومالك والشافعي وابن تيمية وأمثالهم.

ما يقودكم سيد قطب والبنا والمودودي وأهل الضلال والبدع، كيف ترشدون وهؤلاء قادتكم وسادتكم، والله ما دمتم متعلقين بهؤلاء فلن تعرفوا الحق؛ لأنهم

---

(١) كما في قصة الغامدية في «صحيح مسلم»: الحدود، حديث (١٦٩٥/ ٢٣)، و«مسند أحمد» (٥/ ٣٤٨).

(٢) وانظر لمزيد بيان كتاب «الإيمان» لأبي عبيد القاسم بن سلام، ص: [٨٩]، و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية: (٧/ ٢٨٧- ٢٨٨)، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز، ص: [٣٢١].

....

يقودونكم إلى المهالك، وهؤلاء تشبعوا بفكر الخوارج والروافض، وإن قلت: البنا يحب الروافض ويواليهم، وإن قلت: المودودي كذلك، وإن قلت: سيد قطب كذلك، هؤلاء قادتهم لا يُؤمَنون على الإسلام، يا أخي الذي يوالي الذين يسبون الأنبياء ويسبون الصحابة ويكفرون الأمة؛ كيف تتخذه إمامًا وكيف تركن إليه، وكيف -في نفس الوقت- تُهين من يحذرك منه ويبيِّن لك ضلاله، فكروا بعقولكم يا شباب، أين العقول[1] ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

الآن هم قادة كثير من الشباب في العالم كله، هؤلاء قادة شباب الأمة أو خلاصة شباب الأمة في العالم في الهند في باكستان في أوربا في أمريكا في الجزيرة... هم القادة الحقيقيون لهؤلاء، وعلى كتبهم يتربون وبأفكارهم يتغذون، وهم القادة الحقيقون لهم، نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يعافي الأمة.

والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**»[2] والله يخاف منهم أكثر من خوفه من الدجال، وهؤلاء عندهم قدرة هائلة على التلبيس وتقليب الأمور، فقلبوا الأمور لشباب الأمة فذهب المساكين يركضون وراءهم، أمر خطير فنسأل الله العافية، ونسأل الله أن ينقذ هؤلاء من براثن أهل الأهواء.

---

(١) عن عبد الصمد قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: «صاحب البدعة لا تأمنه على دينك، ولا تشاوره في أمرك، ولا تجلس إليه، فمن جلس إلى صاحب بدعة ورثه الله العمى». رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ١٣٨) رقم [٢٦٤].

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٧٨)، وأبو داود في سننه في «الفتن والملاحم» حديث [٤٢٥٢]، والترمذي في «جامعه» أبواب: «الفتن» حديث [٢٢٢٩] وقال: حسن صحيح.

ادعوا لهم يا إخوة وبإخلاص في صلاتكم في وقت السحر وفي سجودكم، ادعوا الله أن ينقذهم فإننا والله أرحم بهم من أنفسهم؛ لأنهم لا يرحمون أنفسهم ولا يدركون ما هم فيه من البلاء.



باب ٩

في السمع والطاعة لمن ولي أمر المسلمين والصبر عليهم وإن جاروا وترك الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٦٢] أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن البحتري الحنائي، قال: حدثنا محمد بن عبيد بن حساب، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا عمر بن يزيد -صاحب الطعام-، قال: سمعت الحسن أيام يزيد بن المهلب قال: وأتاه رهط فأمرهم أن يلزموا بيوتهم، ويغلقوا عليهم أبوابهم، ثم قال: «والله لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا، ما لبثوا أن يرفع الله ذلك عنهم، وذلك أنهم يفزعون إلى السيف [فيوكلون] إليه، والله ما جاءوا بيوم خير قط، ثم تلا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾»(١).

[٦٣] أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني، قال: حدثنا أحمد ابن حنبل قال: حدثني يحيى بني يحيى بن سعيد، قال: حدثنا الحسن، عن ضبة بن محصن، عن أم سلمة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تكون عليكم أمراء، تعرفون وتنكرون، فمن

....

(١) في إسناده عمر بن يزيد لا يعرف.

أنكر فقد بريء، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع»، قالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا» (١).

[٦٤] وحدثنا أيضًا أحمد بن يحيى الحلواني، قال: حدثنا هدبة بن خالد، قال: حدثنا همام، قال: حدثنا قتادة، عن الحسن، عن ضبة بن محصن، عن أم سلمة، أن رسول الله ﷺ، قال: «يكون عليكم أمراء، تعرفون وتنكرون، فمن عرف بريء، ومن كره وسلم، ولكن من رضي وتابع» قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا ما صلوا».

[٦٥] حدثنا أبو القاسم عبد الله بن حمد بن عبد العزيز البغوي، قال: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة قال: حدثني أبو التياح، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم حبشي كأن رأسه زبيبة» (٢).

[٦٦] وحدثنا الفريابي، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد، قال: أخبرني عبادة بن الوليد، قال: أخبرني أبي، عن أبيه، قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في اليسر والعسر، والمنشط والمكره، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم -أو نقول- بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم».

....

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في «الإمارة»، حديث [١٨٥٤]، والإمام أحمد (٦/ ٢٩٥، ٣٠٥)، وأبو داود في باب «قتل الخوارج»، حديث (٤٧٦٠، ٤٧٦١)، والترمذي في «الفتن» حديث [٢٢٦٥].

(٢) أخرجه البخاري في «الأحكام»، حديث [٧١٤٢]، وأحمد في مسنده (٣/ ١١٤)، وابن ماجه في «الجهاد»، حديث [٢٨٦٢]، وأخرج مسلم نحوه عن أبي ذر حديث [١٨٣٧].

[٦٧] حدثنا الفريابي، قال: حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الوهاب -يعني: الثقفي- قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: أخبرني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت أن الوليد بن عبادة، قال: أخبرني أبي قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمكره والمنشط»[١] فذكر مثله.

[٦٨] حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين، قال: حدثنا محمد بن بكار، قال: حدثنا فرج بن فضالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي أمامة الباهلي، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اسمعوا لهم وأطيعوا في عسركم ويسركم، ومنشطكم ومكرهكم، وأثرة عليكم، ولا تنازعوا الأمر أهله، وإن كان لكم»[٢].

[٦٩] وأخبرنا أحمد بن يحيى الحلواني، قال: حدثنا أحمد بن حنبل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل الحضرمي، عن أبيه، قال: سأل يزيد بن سلمة الجعفي رسول الله ﷺ: أرأيت إن قامت علينا أمراء، فسألونا حقهم، ومنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه،

....

(١) إسنادا حديث عبادة بن الصامت صحيحان، والمتن متفق عليه، أخرجه البخاري في «الأحكام»، حديث [١٩٩]، ومسلم في «الإمارة»، حديث [١٨٤]، ومالك في «الموطأ الجهاد» (٢/ ٤٤٥) حديث [٥]، والنسائي في «البيعة» (٧/ ١٣٨-١٣٩)، حديث (٤١٥١-٤١٥٤)، وابن ماجه في «الجهاد»، باب: «البيعة»، حديث [٢٨٦٦].

(٢) هذا الحديث لم أقف عليه بهذا اللفظ؛ لكن روى الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٥١، ٢٦٢) في الموضع الأخير عن عبد الرحمن -وهو ابن مهدي- عن معاوية بن صالح عن سليم بن عامر الكلاعي قال: سمعت أبا أمامة يقول: سمعت رسول الله ﷺ وفيه: «اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم، وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم».

وأخرجه الترمذي في «الصلاة»، حديث [٦١٦] من طريق زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح به، وأخرج الطبراني في معجمه «الكبير» نحوه (٨/ ١٨٩-١٩٠) من طرق، فهو من هذه الطرق حسن، وقد يرتقي بهذا اللفظ إلى الصحة.

ثم سأله الثانية أو الثالثة فجبذه الأشعث بن قيس وقال: «اسمعوا وأطيعوا؛ فإنما عليهم ما حملوا، وعليكم ما حملتم»(١).

[٧٠] حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني قال: حدثني جدي، قال: حدثنا موسى بن أعين، عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن سويد بن غفلة، قال: قال لي عمر بن الخطاب: «لعلك أن تخلف بعدي، فأطع الإمام، وإن كان عبدًا حبشيًا، وإن ضربك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن دعاك إلى أمر منقصة في دنياك، فقل: سمعًا وطاعة، دمي دون ديني».

[٧١] وأخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد الحنائي، قال: حدثنا محمد بن عبيد ابن حساب، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا ليث، عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن سويد بن غفلة، قال: قال لي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا أدري لعلك أن تخلف بعدي، فأطع الإمام، وإن أمر عليك عبد حبشي مجدع، فإن ظلمك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن دعاك إلى أمر ينقصك في دنياك، فقل: سمعًا وطاعة، دمي دون ديني»(٢).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في «الإمارة»، حديث [١٨٤٦]، والترمذي في «الفتن»، حديث [٢١٩٨]، وابن أبي عاصم (٢/ ٥١٥-٥١٦)، حديث [١٠٨٤].

(٢) أثر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحيح من الطريق الأولى، أما الطريق الثانية ففيها ليث بن أبي سليم، قال فيه الحافظ ابن حجر: صدوق اختلط جدًّا، ولم يتميز حديثه فترك خت م ٤.
وقال الحافظ الذهبي في «الكاشف»: فيه ضعف يسير من سوء حفظه، كان ذا صلاة وصيام وعلم كثير، احتج به بعضهم ٤ م مقرونًا، والصواب مع الذهبي كيف يقال ترك، وقد روى له مسلم والأربعة وروى له البخاري تعليقًا، فحديثه مما يتقوى بغيره، فالحديث من طريقه حسن؛ لأنه قد ضبط هذا الحديث.

قال محمد بن الحسين: فإن قال قائل: أيش الذي يحتمل عندك قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما قاله؟

قيل له: يحتمل - والله أعلم - أن نقول: من أُمِّرَ عليك من عربي أو غيره، أسود أو أبيض أو عجمي؛ فأطعه فيما ليس لله فيه معصية، وإن حرمك حقًّا لك، أو ضربك ظلمًا لك، أو انتهك عرضك، أو أخذ مالك، فلا يحملك ذلك على أن تخرج عليه بسيفك حتى تقاتله، ولا تخرج مع خارجي يقاتله، ولا تحرض غيرك على الخروج عليه، ولكن اصبر عليه.

وقد يحتمل أن يدعوك إلى منقصة في دينك من غير هذه الجهة، ذلك، أو بضرب ما لا يحل ضربه، أو بأخذ مال من لا يستحق أن تأخذ ماله، أو بظلم من لا يحل له ولا لك ظلمه، فلا يسعك أن تطيعه.

فإن قال لك: لئن لم تفعل ما آمرك به وإلا قتلتك أو ضربتك؛ فقل: دمي دون ديني؛ لقول النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عَزَّ وَجَلَّ»[1]، ولقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما الطاعة في المعروف»[2].

[٧٢] حدثني أبو جعفر أحمد بن خالد البرذعي - في المسجد الحرام سنة تسع وتسعين ومائتين -، قال: حدثنا علي بن سهل الرملي، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن ابن أبي جابر، قال حدثني زريق -مولى بني فزارة- قال: سمعت مسلم بن قرظة

....

(١) رواه البخاري في «الأحكام» حديث [٧١٤٥]، ومسلم في «الإمارة» حديث [١٨٤٠]، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري في «الأحكام» حديث [٧١٤٥]، ومسلم في «الإمارة» حديث [١٨٤٠]، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأشجعي، قال: سمعت عمي عوف بن مالك الأشجعي، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم». قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم على ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليكم منهم فرآه يأتي شيئًا من معصية الله، فلينكر ما يأتي به من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ».

قلت لزريق: آلله يا أبا المقدام؛ لسمعت مسلم بن قرظة يقول: سمعت عمي عوف ابن مالك، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول ما أخبرت به عنه؟

قال ابن جابر: فجثا زريق على ركبتيه، واستقبل القبلة، وحلف على ما سألته أن يحلف عليه. قال ابن جابر: ولم أستحلفه اتهامًا له، ولكني استحلفته استثباتًا[1].

هذه الأحاديث كلها تدور حول السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين في العسر واليسر والمنشط والمكره، ولو جاروا واستأثروا بالأموال والمناصب.

ويأمر فيها رسول الله ﷺ بالصبر عليهم في كل الأحوال ما داموا يصلون.

ولا يخالف هذه الأحاديث الثابتة الصحيحة المؤيدة بالقرآن إلا الخوارج الذين هم شر الخلق والخليقة وشر من تحت أديم السماء، والذين أمر رسول الله ﷺ بقتلهم وقتالهم، وأن في ذلك أجرًا عظيمًا؛ لأن الخروج على ولاة الأمور يترتب عليه مفاسد

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٢٤) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، ومسلم في «الإمارة»، حديث [١٨٥٥] من طريق الأوزاعي، ومن طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به.

عظيمة جدًّا، تفوق مفسدة ظلمهم بما لا يقاس، وعلى هذا المنهج الكريم الصحابة الكرام وأئمة الإسلام والسلف الصالح.

وانظر إلى أثر الخليفة الراشد: «فأطع الإمام، وإن كان عبدًا حبشيًّا، وإن ضربك فاصبر، وإن حرمك فاصبر... إلخ».

وانظر إلى قول الإمام الحسن البصري وقول الإمام الآجري، وقارن بينهما وبين دعاة الفتن وعشاق قوانين وأنظمة اليهود والنصارى كالديمقراطية المحاربة للإسلام، عقائده ونصوصه ومناهجه، وما انبثق منها كالمظاهرات التي هي من أعظم المنكرات ومن أعظم الفساد والإفساد في الأرض.

واعلم أن الخير كل الخير في الإسلام عقيدة وعبادة ومنهجًا وسياسة.

فالمسلم الصادق المخلص يتمسك بالإسلام في العسر واليسر وفي الشدة والرخاء وفي السراء والضراء، وصاحب الهوى الذي يطغى هواه على عقله ودينه وأخلاقه يتعشق الفتن، وما تجر إليه من مفاسد تضر بالأمة في دينهم ودنياهم.

نسأل الله العافية من الأهواء المضلة.





بَابُ
فضل القعود في الفتنة عن الخوض فيها وتخوف العقلاء على قلوبهم أن تهوى حالًا يكرهه الله تَعَالَىٰ ولزوم البيوت والعبادة لله تَعَالَىٰ

[٧٣] **حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا سعيد بن سليمان، عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله** ﷺ: «تكُونُ فِتنَةٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيرٌ مِنَ السَّاعِي. مَن يَستَشرِف لَهَا تَستَشرِف لَهُ، وَمَن وَجَدَ مِنهَا مَلجَأً أَو مَعَاذًا فَليَعُذ بِهِ»[(١)].

[٧٤] **حدثنا الفريابي قال: حدثنا وهب بن بقية الواسطي، قال: أخبرنا خالد - يعني: ابن عبد الله الواسطي -، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: قال رسول الله** ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيفِ، القَاعِدُ فِيهَا خَيرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ خَيرٌ مِنَ المَاشِي، مَن استَشرَفَ لَهَا استَشرَفَتهُ»[(٢)].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «الفتن»، حديث [٧٠٨١] من طريق إبراهيم بن سعد عن أبيه به، ومسلم في «الفتن» [٢٨٨٦] بإسناده إلى يعقوب بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم بن سعد به.

(٢) رجال إسناده ثقات، غير عبد الرحمن بن إسحاق؛ فإنه صدوق رمي بالقدر، فالحديث من أجله حسن، وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحيح لغيره.

[٧٥ / أ] حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال: حدثنا شيبان بن فروخ قال: حدثنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن رجل كان مع الخوارج ثم فارقهم.

[٧٥/ب] قال أبو القاسم وحدثني جدي، وأبو خيثمة قالا: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن حميد بن هلال، عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج، ثم فارقهم قال: دَخَلُوا قَرْيَةً فَخَرَجَ عَبدُ الله بنُ خَبَّابٍ ذَعِرًا، يَجُرُّ رِدَاءَهُ، فَقَالُوا: لَم تُرَع؟ لَم تُرَع؟ مَرَّتَينِ، فَقَالَ: وَالله لَقَد رُعتُمُونِي قَالُوا: أَنتَ عَبدُ الله بنُ خَبَّابٍ صَاحِبُ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: نَعَم، قَالُوا: فَهَل سَمِعتَ مِن أَبِيكَ حَدِيثًا يُحَدِّثُ بِهِ عَن رَسُولِ الله ﷺ تُحَدِّثُنَاهُ؟

قَالَ: سَمِعتُهُ يَقُولُ عَن رَسُولِ الله ﷺ: «أَنَّهُ ذَكَرَ فِتنَةً، القَاعِدُ فِيهَا خَيرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيرٌ مِنَ السَّاعِي، قَالَ: فَإِن أَدرَكتَهَا فَكُن عَبدَ الله المَقتُولَ» قَالَ أَيُّوبُ: وَلَا أَعلَمُهُ إِلَّا قَالَ: «وَلَا تَكُن عَبدَ الله القَاتِلَ» قَالُوا: أَنتَ سَمِعتَ هَذَا مِن أَبِيكَ يُحَدِّثُ بِهِ عَن رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: نَعَم، فَقَدَّمُوهُ عَلَى ضِفَّةِ النَّهرِ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَسَالَ دَمُهُ كَأَنَّهُ شِرَاكٌ مَا امذقرّ[1] يَعنِي: مَا اختَلَطَ بِالمَاءِ الدَّمُ، وَبَقَرُوا أُمَّ وَلَدِهِ عَمَّا فِي بَطنِهَا»[2].

---

(١) في «مسند أحمد» (٥/ ١١٠) وفي «مصنف ابن أبي شيبة» حديث [٣٨٨٩٢]: «ما ابذقر» أي: ما انقطع.

(٢) في إسناده رجل مجهول، وجاء من طريق أخرى أعلها الدارقطني، فقد سئل عن حديث قيس بن عباد عن علي في قصة أهل النهروان وقتلهم لعبد الله بن خباب، فقال: «حَدَّث به عمر بن شبة عن يحيى القطان عن التيمي، عَن أبي مِجلَز مرسلًا، وهو أصح»، انظر: «العلل» للدارقطني (٤/ ١٠١)؛ لكن المتن من غير قصة القتل يشهد له حديث أبي هريرة وأبي موسى، وكذا حديث أنس وأبي بكرة.

[٧٦] حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد أيضًا قال: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد قال: أخبرنا عاصم، عن أبي كبشة قال: سمعت أبا موسى يقول على المنبر: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَينَ أَيدِيكُم فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِم، يُصبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤمِنًا، وَيُمسِي كَافِرًا، أو يُمسِي مُؤمِنًا، وَيُصبِحُ كَافِرًا، القَاعِدُ فِيهَا خَيرٌ مِنَ القَائِم، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيرٌ مِنَ السَّاعِي» قَالُوا: فَمَا تَأمُرُنَا؟ قَالَ: «كُونُوا أَحلَاسَ بُيُوتِكُم»[١].

[٧٧] وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا عبد الملك بن شعيب قال: حدثني ابن وهب قال: حدثني الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد، عن خالد بن أبي عمران، أن الحكم بن مسعود النجراني، حدثه أن أنس بن أبي مرثد الأنصاري حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «سَتَكُونُ فِتنَةٌ بَكمَاءُ صَمَّاءُ عَميَاءُ، المُضطَجِعُ فِيهَا خَيرٌ مِنَ القَاعِدِ، وَالقَاعِدُ فِيهَا خَيرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي خَيرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَن أَبَى فَليَمدُد عُنُقَهُ»[٢].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب: فضل القعود في الفتنة عن الخوض فيها وتخوف العقلاء على قلوبهم أن تهوى ما يكرهه الله تَعَالَىٰ ولزوم البيوت والعبادة لله تَعَالَىٰ.

---

(١) في إسناده أبو كبشة السدوسي البصري، روى عنه عاصم فقط، فهو مجهول لكنه يصح من طريق أخرى رواها أحمد في مسنده، حديث (٤/ ٤١٦)، وأبو داود في سننه، حديث [٤٢٥٩]، وابن ماجه في سننه، حديث [٣٩٦١]، وغيرهم، كلهم عن هزيل بن شرحبيل عن أبي موسى.

(٢) في إسناده الحكم بن مسعود: مستور، روى عنه اثنان فقط، انظر: «الجرح والتعديل» (٤/ ١٢٧) لكن لبعض ألفاظه متابعة من الحديث السابق ومن حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

هذا فقه الأحاديث، فيرى المؤلف وغيره من أئمة السنة أن القعود في الفتنة أفضل؛ بل قد يكون القعود واجبًا في هذه الفتنة؛ لأن فيها سفك دماء وانتهاك أعراض، وفيها ضياع للأمة وضياع للدين، نسأل الله العافية.

والحديث الأول متفق عليه[١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وورد نحوه في صحيح مسلم[٢] من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان هذا الحديث هو السبب في قعوده، ويرى أن هذا الحديث ينطبق على ما جرى بين الصحابة، وفعلًا بعض الصحابة كأبي بكرة وسعد ابن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وأسامة بن زيد وعدد من فضلاء الصحابة[٣] - بل أكثرهم - ما دخلوا في الفتنة بين أهل الجمل وأهل صفين؛ بل توقفوا، أما في حروب علي للخوارج فإنهم أيّدوه جميعًا وأجمعوا على ذلك.

لكن قصة الجمل[٤] وصفين وما جرى فيهما من قتال؛ فإنه كان عن اجتهاد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فمنهم من رأى نصرة علي، ومنهم من رأى نصرة معاوية والمطالبة بدم عثمان، ومنهم من رأى عدم الاشتراك مع أحد الطرفين، وفضل القعود بناء على هذه الأحاديث التي تأمر بالقعود في الفتنة، واعتبروا هذا من الفتنة، ولا شك أن أهل السنة ما فضلوا هذا القتال، ولا أحبوه أبدًا[٥].

(١) سبق تخريجه قريبًا.

(٢) رواه مسلم في «الفتن وأشراط الساعة» حديث [٢٨٨٧].

(٣) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٢): «قد تقدم ما رواه أحمد عن ابن سيرين أنه قال: هاجت الفتنة وأصحاب رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشرات الألوف فلم يحضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين».

(٤) الفتنة ما كانت في قصة الجمل بمقصودة لا من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا من عائشة وطلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن معهم؛ وإنما أنشبها قتلة عثمان مكرًا وكيدًا لئلا تدور الدائرة عليهم.

(٥) انظر: «منهاج السنة» (١/ ٣٦٩-٣٧١).

ومن ذكرناهم سلفًا كرهوا القتال وقعدوا في بيوتهم، وابتعدوا عن هذا القتال لا مع هذا الطرف ولا مع ذاك الطرف، وكان الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما يرى هذا القتال في حياة أبيه، وعليٌّ ندم[1]، والصحابة الذين شاركوا ندموا[2].

---

(١) روى عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٣٢٦، ١٣٩٧)، والخلال في «السنة» (٢/ ٤٧٤)، والطبراني في «الكبير» (١/ ١١٤/ ٢٠٣) من طريق قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد قال: قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنه الحسن يوم الجمل: يا حسن، ليت أباك مات من عشرين سنة! قال: فقال له الحسن: يا أبت، قد كنت أنهاك عن هذا. قال: يا بني لم أر الأمر يبلغ هذا.

وروى الطبراني في «الكبير» (١/ ١٢٣/ ٢٤٢)، والحاكم (٣/ ٤٢٠/ ٥٥٩٨) من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن عن أبي بكرة أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال يوم الجمل لما رأى القتلى والرءوس تندر: يا حسن، أيُّ خير يرجى بعد هذا؟! قال: نهيتك عن هذا قبل أن ندخل فيه.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: في «منهاج السنة» (٤/ ١٧٠-١٧١): «فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال؛ وإنما خرجت لقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعدُ أن ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبلَّ خمارها، وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في الاقتتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم؛ فإنه لما تراسل علي وطلحة والزبير وقصدوا الاتفاق على المصلحة، وأنهم إذا تمكنوا طلبوا قتلة عثمان أهل الفتنة، وكان علي غير راض بقتل عثمان ولا معينًا عليه كما كان يحلف فيقول: «والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله» وهو الصادق البار في يمينه.

فخشي القَتَلَة أن يتفق عليٌّ معهم على إمساك القتلة، فحملوا على عسكر طلحة والزبير، فظن طلحة والزبير أن عليًّا حمل عليهم فحملوا دفعًا عن أنفسهم، فظن عليٌّ أنهم حملوا عليه فحمل دفعًا عن نفسه، فوقعت الفتنة بغير اختيارهم، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا راكبةٌ لا قاتلت ولا أمرت بالقتال. هكذا ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار».

على كل حال؛ هم في أول الأمر اجتهدوا، وقد قيل: الفتنة إذا أقبلت لا يعرفها إلا القليل، فإذا أدبرت عرفها الناس، فبعدما أدبرت عرفها الناس أنها كانت فتنة، وأن عدم القتال فيها خير من القتال، ونسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يرحمهم.

ونحن موقفنا أن ننزه ألسنتنا من الخوض في الصحابة، ونأخذ بالمقولة: «قوم صان الله سيوفنا من دمائهم، فلنصن ألسنتنا من الخوض في أعراضهم، رضوان الله عليهم»[1].

فهم مجتهدون -إن شاء الله-، وهي أول فتنة حدثت، وكلٌّ عمل بحسب اجتهاده -رضوان الله عليهم-، ونقول فيهم ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠] كلهم موعود بالحسنى، وكلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال الله تَعَالَى عنهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] فلقد رضي الله عنهم، ولقد وعدهم بالحسنى.

ونهانا رسول الله عن الكلام فيهم وقال: «**لو أَنَّ أَحَدَكُم أنفقَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[2].

---

(١) تؤثر هذه المقولة عن عمر بن عبد العزيز: كما في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٥/ ٣٩٤)، و«العلل» لأحمد (١/ ٢٢١/ ٥٢٦- المرُّوذي)، و«السنة» للخلال (١/ ٤٦١-٤٦٢/ ٧١٧)، و«جامع بيان العلم» لابن عبد البر (٢/ ١٨٩/ ٩٠٩)، و«الحلية» لأبي نعيم (٩/ ١١٤)، و«آداب الشافعي ومناقبه» للبيهقي، ص: [١٣٦]، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٥/ ١٣٣)، وعلق البيهقي على الأثر بقوله: «هذا جميل؛ لأن سكوت الإنسان عما لا يعنيه هو الصواب».

(٢) رواه البخاري في «المناقب»، حديث [٣٦٧٣]، ومسلم في «فضائل الصحابة»، حديث [٢٥٤٠]، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

....

ويروى عن عبد الله بن المبارك أنه سُئل: أيها أفضل عمر بن عبد العزيز أم معاوية؟ قال: «الغبار الذي دخل أنف معاوية وهو يغزو مع رسول الله أفضل من عمر بن عبد العزيز»[(١)].

فمزية الصحبة لا يلحقها أحد بشيء، لا بجهاد ولا ببذل الأموال الطائلة ولا بشيء، لو أن لك مثل جبال الدنيا ذهبًا تنفقها ما لحقت أحدهم، لا يسبقهم في الفضل إلا الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فعلينا أن نحترمهم، وأن نعرف منزلتهم، وأن نذب عن أعراضهم -رضوان الله عليهم أجمعين-.

ولقد قال من قال من السلف: من انتقص صحابيًّا واحدًا فهو زنديق فهو زنديق[(٢)]، وأخف العبارات أنه رافضي خبيث[(٣)]، فلا يجوز الخوض في أصحاب رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» (٥/ ٢٤٦٦)، والأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٤٠٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٧).

(٢) قال أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيتَ الرجلَ ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحابُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة». رواه الخطيب البغدادي في «الكفاية في علم الرواية» [٩٧]، طبعة دار الكتب الحديثة.

قال السرخسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشريعة إنما بلغتنا بنقلهم، فمن طعن فيهم فهو ملحد، منابذ للإسلام، دواؤه السيف إن لم يتب». «أصول السرخسي» (٢/ ١٣٤).

وقال يحيى بن معين رَحِمَهُ اللَّهُ: «كل من شتم عثمان أو طلحة أو أحدًا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دجال لا يكتب عنه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». «تاريخ ابن معين» رواية عباس الدوري (٣/ ٥٤٦)، و«تاريخ بغداد» للخطيب (٧/ ١٣٧).

(٣) قال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله -يعني: الإمام أحمد- وسئل عن رجل انتقص معاوية وعمرو =

والشاهد: أن هذه الفتن إذا جاءت فعلى المسلم أن يكون عاقلًا بصيرًا ورعًا تقيًّا؛ لأن دماء المسلمين وأعراضهم حرام: «**إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»[1]، حرمة دم المسلم مثل حرمة بيت الله الحرام، وفي الشهر الحرام، وفي هذا البلد الحرام، فعلى المسلمين أن يحترموا دماء المسلمين وأعراضهم.

والله تعالى يقول: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، فما أرخص الأعراض والدماء عند أهل الأهواء! وما أعظم حرمتها عند الله وعند المؤمنين أتباع محمد صلى الله عليه وسلم!

فالفتن هذه تؤدي إلى ضياع المسلمين في دينهم ودنياهم، فلنحافظ على مكانة المسلمين وعلى دمائهم وعلى أعراضهم، وأن نبذل الجهد المستطاع في إصلاح خللهم، والإصلاح ما يكون بالسكوت عن الباطل، وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إنما يكون بالنصح بحكمة، والدعوة إلى الله بحكمة، وبيان الأدلة والبراهين على المخطئ؛ ليعود إلى حظيرة الحق، هذا الذي يجب.

وليحاول المسلم عند هياج الفتنة أن يطفئها بمثل هذه النصوص من النبيِّ الناصح الأمين الرءوف الرحيم عليه الصلاة والسلام، التي تعالج، تفسر، تبين، وإذا لم يكن هيجان

= ابن العاص، أيقال له رافضي؟ قال: «إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما يبغض أحد أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وله داخلة سوء». «السنة» للخلال (٢/ ٤٤٧) رقم [٦٩٠].

(١) لفظ حديث أخرجه مسلم في «الحج»، حديث [١٢١٨]، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

فتن ولا ما يؤدي إليها؛ ننشر الإسلام الحق والمنهج الحق والعقيدة الصحيحة في أوساط المسلمين؛ فإن ذلك -إن شاء الله- يعصمهم من الوقوع في الفتن، أو يجنبهم كثيرًا منها.

فمعنى الحديث أنه تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي، مَن لَزِمَ بيته وجعل نفسه من أحلاس البيوت خير من الماشي، والماشي خير من الساعي الذي يركض فيها لا شك، ومن يستشرف إليها يتطلع إليها ويمد إليها عنقه تستشرف له، الذي يتطلع لها تأتيه -والعياذ بالله- ويقع فيها، فلا تستشرفوا للفتن، واستعيذوا بالله منها، وإذا وقعت بين المسلمين؛ فهذا هو الحل أن يقعد المؤمن في بيته، وإن كان هناك مجال للصلح؛ فلنصلح كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩].

فإذا كان هناك طائفتان تتقاتلان؛ فلنبادر إلى حقن الدماء وصون الأعراض، ونبذل ما نستطيع ونصلح بينهم؛ فإن بغت إحداهما على الأخرى وقفنا مع المظلومة؛ لأن نصرة المظلوم واجبة، نقف مع الطائفة المظلومة حتى نقضي على شر تلك الظالمة، وتعود إلى جادة الحق.

أو يخرج الإنسان على حاكم مسلم ولو كان جائرًا، فهذا باغٍ يجب أن يوقف عند حده، وأن يقضى على بغيه وشره؛ لأن الرسول صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمره بالصبر ما أقام هذا الحاكم الصلاة[1].

---

(١) كما ثبت عند مسلم [١٨٥٥] من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سَمِعتُ رَسُولَ الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُم وَيُحِبُّونَكُم، وَتُصَلُّونَ عَلَيهِم وَيُصَلُّونَ عَلَيكُم، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبغِضُونَهُم وَيُبغِضُونَكُم، وَتَلعَنُونَهُم وَيَلعَنُونَكُم». قَالُوا: قُلنَا: يَا رَسُولَ الله! أَفَلَا نُنَابِذُهُم عِندَ ذَلِكَ؟! قَالَ: «لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَن وَلِيَ =

أو ما لم نَرَ كفرًا بواحًا عندنا فيه من الله برهان(١)، وبعد ذلك له شروط أيضًا: شرط ألا تكون المفسدة أكبر من المصلحة(٢).

= عَلَيـهِ وَالٍ فَـرَآهُ يَأتِي شَـيئًا مِن مَعصِيَـةِ الله؛ فَليَكرَه مَا يَأتِي مِن مَعصِيَـةِ الله، وَلَا يَنزِعَنَّ يَدًا مِن طَاعَةٍ».

(١) كما في «صحيح البخاري» في «الفتن»، حديث (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، ومسلم في «الإمارة»، حديث [١٧٠٩] عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولفظه: دَعَانَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَينَا: أَن بَايَعَنَا عَلَى السَّمعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنشَطِنَا وَمَكرَهِنَا وَعُسرِنَا وَيُسرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَينَا، وَأَلا نُنَازِعَ الأَمرَ أَهلَهُ، قَالَ: «**إِلَّا أَن تَرَوا كُفرًا بَوَاحًا عِندَكُم مِنَ الله فِيهِ بُرهَانٌ**».

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «إعلام الموقعين» (٣/ ١٥-١٦): «شرع لأمته -**أي**: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إيجاب إنكار المنكر؛ ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: «**لا ما أقاموا الصلاة**» وقال: «**من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يدًا من طاعته**».

ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه؛ فقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك؛ لقرب عهدهم بالإسلام، وكونهم حديثي عهد بكفر؛ ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وجد سواء».

انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٧)، و«نيل الأوطار» للشوكاني (٤/ ٢٧٠-المكتبة الثقافية)، و«مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز» إعداد الشويعر (٧/ ١١٩) و(٨/ ٢٠٣-٢٠٤)، و(٢٨/ ٢٥٢-٢٥٣)، (٢٧٠-٢٧١)، و«السلسلة الصحيحة» للشيخ الألباني (٧/ ٢/ ١٢٤١-١٢٤٣)، و«الشرح الممتع على زاد المستقنع» للشيخ ابن عثيمين (١١/ ٣٢٤- ابن الجوزي).

وقولـه ﷺ في الحديث: «**مَن وَجَـدَ مِنهَا مَلجَأً أَو مَعَاذًا فَليَعُذ بِه**» أي: في بيته أو يفر إلى الجبال، يذهب إلى مكان، يعني: يحول بينه وبين الخوض في هذه الفتنة التي تعصف بالمسلمين.

هـذا الحديـث (٧٤): «ستكون فتـن كرياح الصيف القاعد فيها -ريـاح الصيف تكـون قوية عنيفة تعصـف بالناس- القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي» مثل الحديث الأول، هذا النص مثل النص في الحديث الأول فيه إرشاد إلى عدم الإسراع في الفتن، والبعد عنها، ولزوم البيوت، أو الفرار منها ولو إلى شعف الجبال، ولو إلى رعي الإبـل، ولـو إلى رعي الغنم، وفي بعض الأحاديث: «اكسر سيفك ولو على صخر..»[1] إلى آخره.

ويعـده حديـث (٧٥) فيه رجل مجهـول، قصة عبد الله بن خبـاب فيها راوٍ مجهول، يقول المصنف: حدثنا أبو القاسـم، وحدثني جدي وأبو خيثمة، قالا حدثنا إسـماعيل بن إبراهيـم -يعني: ابن علية- عـن أيوب عن حميد بن هلال عن رجل من عبد القيس! من هو هذا الرجل؟ الله أعلم ليس بصحابي، لو كان صحابيًّا قبلنا روايته، لكن ليس صحابيًّ فهـو مجهـول، يحتمـل أن يكون ضعيفًـا، ويحتمـل أن يكون ثقـة، نحن ما عندنـا تحامل. لا نصحح إلا ما ثبت لنا عدالة راويه وضبطه.

---

(١) كما في حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «صحيح مسلم» [٢٨٨٧]، ولفظه: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ، أَلا ثُمَّ تَكُونُ فِتنَـةٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيرٌ مِن المَاشِـي فِيهَا، وَالمَاشِي فِيهَا خَيرٌ مِن السَّاعِي إِلَيهَا، أَلا فَإِذَا نَزَلَت أَو وَقَعَت: فَمَن كَانَ لَـهُ إِبِلٌ فَليَلحَـق بِإِبِلِه، وَمَن كَانَت لَهُ غَنَمٌ فَليَلحَـق بِغَنَمِـهِ، وَمَـن كَانَت لَـهُ أَرضٌ فَليَلحَق بِأَرضِهِ**»، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله! أَرَأَيتَ مَن لَم يَكُن لَهُ إِبِلٌ وَلا غَنَمٌ وَلا أَرضٌ؟ قَالَ: «**يَعمِدُ إِلَى سَيفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنجُ إِن استَطَاعَ النَّجَاءَ**».

....

تعرفون من شروط الصحيح أن يكون الراوي عدلًا تام الضبط، متصل السند، أو على الأقل يكون عند الراوي ضبط خفيف فيكون حديثه حسنًا؛ لكن هذا ليس بصحيح ولا بحسن، إلا أنه يشترك في محاربة الفتنة، فيلتقي مع النصين السابقين في قوله: «الفتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي»، يلتقي مع النصيين الأوليين، والجديد فيه: «فإن أدركتها: فكن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل»[1]، هذه غريبة ولم تذكر في نصوص سابقة، وقد تقدم الكلام على هذا الأثر.

نحن نبغض الخوارج، ونعتقد أنهم شر الخلق والخليقة، ومع ذلك لا نظلمهم لإيماننا بوجوب العدل الذي يفرضه الإسلام للمسلم والكافر، فلا نحكم عليهم بناءً على الروايات الضعيفة.

على كل حال: يكفيهم خزيًا قول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**»[2]، الرسول أخبر بهذا أنهم يقتلون أهل الإسلام، وهذا فعلًا حاصل في غير هذه القصة، قتلوا كثيرًا من المسلمين واستباحوا دماءهم -والعياذ بالله-

---

(١) رويت هذه الكلمة في حديث جندب بن سفيان البجلي عند ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ١١٣)، وأبي يعلى في مسنده (٣/ ٩٢/ ١٥٢٣)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٧٧/ ١٧٢٤)، وفي إسنادها شهر ابن حوشب، قال الحافظ: «صدوق كثير الإرسال والأوهام»، «التقريب» [٢٨٣٠].
وفي حديث خالد بن عرفطة عند أحمد (٥/ ٢٩٢)، والحاكم (٤/ ٥٦٢/ ٨٥٧٨)، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان. قال الحافظ: «ضعيف»، التقريب.
قلت: قوّاه ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ٢٢٨)، والألباني في «الإرواء» (٨/ ١٠٣-١٠٤).

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري في «أحاديث الأنبياء»، حديث [٣٣٤٤]، ومسلم في «الزكاة»، حديث [١٠٦٤] من رواية أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأموالهم؛ لأن المسلمين عندهم كفار، وبلاؤهم هو التعلق الباطل بالحكم: «لا حكم إلا لله» وكان علي يقول: «كلمة حق أريد بها باطل».

وكثير ممن يقولها اليوم تصدق عليه كلمة علي في الخوارج؛ لأن الأمة تحتاج إلى إصلاح، أكثرهم -ما نقول: كلهم- عندهم انحراف عقائدي رهيب: في إثبات أسماء الله وصفاته، وفي باب العبادة: الشرك موجود، تجهم، تعطيل، اعتزال، إنكار القدر، الواجب: البدء بالإصلاح العقائدي والمنهجي وبتربية الأمة على كتاب الله وعلى سنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بفهم السلف الصالح، بفهم الصحابة الذين واجهوا أهل هذا الفكر، هذا الفكر المتطرف وهو أول الفتن، الفتن التي أثخنت في الأمة، وأوقفت سير الجهاد أمدًا طويلًا، وجعلت بأس المسلمين فيما بينهم بسبب هؤلاء وأمثالهم؛ بل ومن هم شر منهم كالروافض.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « **بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِمِ، يُصبِحُ الرَّجُلُ مُؤمِنًا وَيُمسِي كَافِرًا، أَو يُمسِي مُؤمِنًا وَيُصبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِن الدُّنيَا**»[1].

يعني هذا وقع، وهذا من علامات صدق هذا الرسول الكريم، وأنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فالفتن لا شك وقعت كما أخبر، وهي كقطع الليل المظلم؛ **يعني**: فتنة الخوارج، وفتنة الروافض، ومعارك طاحنة دارت بين المسلمين في الشرق والغرب، وفتنة الضلال العقائدي: فتنة الزحف الصوفي، والزحف الرافضي، والزحف الباطني، وزحف اليهود والنصارى وإعلامهم الرهيب

---

(١) أخرجه مسلم في «الإيمان» حديث [١١٨]، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٣).

الذي يفسد الحياة على المسلمين في عقائدهم وفي عباداتهم وفي أخلاقهم وفي سائر شئون حياتهم.

وكم من أناس انحرفوا! وكم من أناس وقعوا في الشيوعية! وكم من أناس وقعوا في الإلحاد والعلمانية! كم من أناس وقعوا ووقعوا..! وحفظ الله من حفظ من هذه الأمة وهم -ولله الحمد- كثير.

ونسأل الله أن يزيدهم ثباتًا، وأن يقمع بهم هذه الفتن، وهي فتن كثيرة كما أشرنا من هذه الأنواع التي ذكرناها وغيرها، ويتقلب فيها كثير من الناس يصبح مؤمنًا ويمسي كافرًا، يصبح كافرًا ويمسي مؤمنًا -والعياذ بالله-.

وما المراد بالكفر هنا؟ قد يكون على ظاهره بالنسبة لكثير من الناس، وقد يكون كفرًا دون كفر، وقد فُسر هذا بالخروج على الحكام[1]؛ لأنه خروج عن الدين، خروج عن الأمة، وهذه ثغرة يفتحها أهل الفتن في دين الله وفي حياة الأمة، فبلاؤها يعود على الإسلام والمسلمين.

على كل حال؛ يحتمل الكفر الأكبر والكفر الأصغر، منهم من يقول: يخرج إلى الكفر الأكبر، ومنهم من يقول: يخرج من الإيمان إلى الكفر الأصغر؛ لكونه مرتكبًا كبيرة في حق الأمة وفي حق الإسلام -والعياذ بالله-، وهذا كله تحذير لمن وفقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

---

(١) انظر: «شرح السنة» للبغوي (١٥/ ١٥- المكتب الإسلامي)، و«جامع الرسائل» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٣٢٦- العطاء)، و«تحفة الأحوذي» للمباركفوري (٦/ ٣٦٤-٣٦٥)، ط: الكتب العلمية.

وقال: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴾ [يس: ١١].

فمن كان عنده خشية الله ومراقبته يستفيد من هذه التوجيهات النبوية، ويحذر أشد الحذر من الفتن، ويا إخوة! من الفتن مخالطة أهل البدع والركون إليهم؛ فهم لهم نشاط، ولهم شبه، ولهم مشاكل، وأكثر من وقع في البدع بسبب هذا التساهل والركون إلى أهل الباطل.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود: ١١٣]، فالظلم هنا قد يكون كفرًا، وقد يكون بدعة، وقد يكون فسوقًا[(١)]؛ لأن الظلم يطلق على كل هذه الأنواع، فنحن نجتنب الركون إلى الفسقة، وإلى أهل البدع، وإلى الكفار، وإلى العلمانيين، وإلى غيرهم، ونحافظ على أنفسنا وعلى عقيدتنا، وعلى ما أعطانا الله من الإيمان والدين الصحيح.

ويكفيكم أن تذكروا هروب السلف من الفتن، وعدم مخالطتهم لأهل البدع ومجالستهم ومناظرتهم، حتى إن منهم مثل أيوب السختياني، ومثل ابن سيرين ما كان أحدهما يسمع كلمة من هؤلاء[(٢)]، ولما سُئل ابن سيرين: لماذا لا تتكلم؟ لماذا ما تسمع

(١) انظر: «تفسير البغوي» -طيبة- (٤/ ٢٠٣-٢٠٤)، و«تفسير القرطبي» (٩/ ١٠٨- عالم الكتب)، و«فتح القدير» للشوكاني (٢/ ٥٣٢-الفكر)، و«تفسير السعدي» (ص ٣٩٠- الرسالة).

(٢) رواه الدارمي في «السنن» برقم [٤١٢]، والفريابي في «القدر» برقم [٣٧٤]، والآجري في «الشريعة» برقم [١١٧]، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٤٤٧) برقم [٤٠٢]، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ١٤٣ برقم ٢٩١) عن سلام بن أبي مطيع قال: قال رجل من أصحاب الأهواء لأيوب: أسألك عن كلمة؟ فولى أيوب وهو يقول: لا ولا نصف كلمة مرتين، يشير بإصبعه.

منهم؟ قال: إن قلبي ليس بيدي[١] ! قلبي لا أملكه، أخاف على نفسي أن أضل[٢].

فمثل هؤلاء الأئمة يخافون على أنفسهم الفتنة والانحراف، وأنت المسكين الضعيف تمتلك من الشجاعة ما تستطيع أن تتحدى به أهل البدع، وإذا بك تقع فريسة رخيصة لهم!

كثير من الناس قالوا: نحن نجالس أهل الأهواء ونأخذ ونميز بين الحق والباطل، وما كان حقًّا أخذناه، وما كان باطلًا تركناه، وهو المسكين لا يميز بين حق ولا باطل، ولا يملك قلبه كما قال هؤلاء، فكم مِن شابٍّ فُتن بهذه النظرية الشيطانية وانتكس ورجع القهقرى على عقبيه -والعياذ بالله- ووقع فريسة في أحضان أهل الفتن!!

فينبغي لطالب العلم ألا يأمن على نفسه من أهل البدع؛ فإنه ليس بأعلم من أيوب وابن سيرين ولا يدرك مرتبتهما، ومن يلحق هؤلاء؟!

(١) وأخرج الدارمي في «السنن» (١/ ١٢٠)، رقم [٣٩٧]، والفريابي في «القدر» (٢٤٩رقم٣٧٣)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ١٣٨)، رقم [١٠٠]، وعنه الآجري في «الشريعة» (١/ ٤٤٠) رقم [١٢١]، وأخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٤٤٥)، رقم [٣٩٨]، واللالكائي في «شرح الاعتقاد» (١/ ١٣٣) رقم [٢٤٢]: دخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا! قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: لا! قال: تقومان عني، وإلا قمت. فقام الرجلان فخرجا، فقال بعض القوم: ما كان عليك أن يقرأ آية؟! قال: إني كرهت أن يقرأ آية فيحرفاها، فيقرَّ ذلك في قلبي!

وزاد عبد الله بن أحمد: فقال محمد: لو أعلم أني أكون مثل الساعة لتركتهما.

(٢) قال ابن عون: جاء رجل إلى محمد فذكر له شيئًا من القدر، فقال محمد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ قال: ووضع إصبعي يديه في أذنيه، وقال: إما أن تخرج عني، وإما أن أخرج عنك. قال: فخرج الرجل. قال: فقال محمد: إن قلبي ليس بيدي، وإني خفت أن ينفث في قلبي شيئًا فلا أقدر على أن أخرجه منه، فكان أحب إلي ألا أسمع كلامه. أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ١٩٧).

....

والله بعض العلماء يتعرض للفتن ويستخف بأهل البدع وبفتنتهم فيقع على أُمِّ رأسه، وكثير وقع في فتنة -والعياذ بالله- فلا تنس أن عبد الرزاق كان من أئمة السنة ووقع في شيء من التشيع بسبب مخالطته لمن هو دونه(١)، والبيهقي بسبب ابن فورك وقع في الأشعرية(٢)، أما هذا العصر فحدِّث ولا حرج كم وقع فريسة لأهل الأهواء! فيجب الحذر من المشبوهين، يجب أن يحذر من مجالستهم ومعاشرتهم.

لا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه فكم من جاهل أردى حليمًا حين آخاه!

والرسول ﷺ حذر، والصحابة حذروا، والسلف حذروا، ولعلكم تذكرون تحذير النبي عليه الصلاة والسلام خاصة لما تلا قول الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ٧]، ثم قال: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم**»(٣).

وقال: «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُم مَا لَم تَسمَعُوا أَنتُم وَلَا آبَاؤُكُم فَإِيَّاكُم وَإِيَّاهُم**»(٤).

---

(١) قال جعفر الطيالسي عن ابن معين: سمعت من عبد الرزاق كلامًا يومًا فاستدللت به على ما ذكر عنه من المذهب، فقلت له: إن أستاذيك الذي أخذت عنهم ثقات كلهم أصحاب سنة، معمر ومالك بن أنس وابن جريج وسفيان والأوزاعي، فعمن أخذت هذا المذهب؟ فقال: قدم علينا جعفر بن سليمان فرأيته فاضلًا حسن الهدي فأخذت هذا عنه. «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٦/ ١٨٧).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٨٧)، و(٦/ ٥٣، ٦٥١)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣/ ٣٩٥-٣٩٩)، و«التنكيل» للمعلمي (٢/ ٣٤٥)، وللشيخ عبد الرزاق عفيفي: تعقبات في مواضع من الاعتقاد تابع فيها البيهقي شيوخه الأشاعرة.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه مسلم في «مقدمة صحيحه» حديث [٦].

وللسلف دواوين في هذا التحذير، ولهم مواقف، وكانت الأمة تسمع لأئمة السنة والتوحيد، يسمعون نصائحهم، وكانوا في حصن حصين من إغواء أهل البدع، وكان أهل البدع في الجحور كلما طل رأس من رءوسهم ضرب وشدخ على رأسه، فيرجع إلى جحره حتى حصل التساهل وجاءت مثل هذه النظريات.

ابن عقيل كان الحنابلة ينصحونه ألا يأخذ عما يسمى بعلماء المعتزلة، فأبى، كان عنده نهم علمي، فراح يدرس على المعتزلة، فضلَّ، فغضب عليه الحنابلة في وقته، وهدده بعضهم بالقتل، كان راكبًا في سفينة فسمع أحد عوام الحنابلة ينذر على نفسه لئن وجد ابن عقيل ليقتلنه، فقال: إذا كنت وصلت إلى هذه الحال فلأرجعن وأتوب، فرجع وأعلن توبته وكتبها وهي مدونة، أعلن توبته، وتبرأ من المعتزلة وتبرأ من غيرهم من أهل البدع، فابن عقيل جبل من الجبال عقلًا وعلمًا، ومع ذلك لما ركن إلى أهل الباطل والهوى وقع في حبائلهم[1]، والأمثلة كثيرة جدًّا، وفي هذا العصر كل واحد منكم يعرف كثيرًا ممن وقع في الفتنة بسبب هذه النظرية.

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: في «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ١٤٤-١٤٥): «أصحابنا كانوا ينقمون على ابن عقيل تردده إلى ابن الوليد وابن التبان شيخي المعتزلة، وكان يقرأ عليهما في السر علم الكلام، ويظهر منه في بعض الأحيان نوع انحراف عن السنة، وتأول لبعض الصفات، ولم يزل فيه بعض ذلك إلى أن مات رَحِمَهُ اللَّهُ.

ففي سنة إحدى وستين اطلعوا له على كتب فيها شيء من تعظيم المعتزلة والترحُّم على الحلَّاج وغير ذلك، ووقف على ذلك الشريف أبو جعفر وغيره، فاشتد ذلك عليهم وطلبوا أذاه فاختفى، ثم التجأ إلى دار السلطان، ولم يزل أمره في تخبيط إلى سنة خمس وستين، فحضر في أولها إلى الديوان ومعه جماعة من الأصحاب، فاصطلحوا ولم يحضر الشريف أبو جعفر؛ لأنه كان عاتبًا على ولاة الأمر بسبب إنكار منكر قد سبق ذكره في ترجمته.

فمضى ابن عقيل إلى بيت الشريف وصالحه وكتب خَطَّه: يقول علي بن عقيل بن محمد: إني أبرأ إلى =

إذن هذه النظرية فاسدة، وعلينا بنصائح الرسول ﷺ ونصائح السلف، والأخذ بالحذر الحذر من الوقوع في الفتنة؛ فإن القاعد البعيد عنها وهو مختبئ في بيته خير من الماشي إليها، والماشي إليها خير من المهرول إليها المسرع إليها، والساعي إليها، فكل فتنة يحذرها المسلم كبيرة أو صغيرة يحذرها حفاظًا على دينه وحفاظًا على نعمة السنة. فإنها أعظم نعمة بعد الإسلام؛ أن يحفظك الله ويثبتك على ما عليه أهل السنة والجماعة

= الله تَعَالَى من مذاهب مبتدعة الاعتزال وغيره، ومن صحبة أربابه، وتعظيم أصحابه، والترحم على أسلافهم، والتكثر بأخلاقهم، وما كنت علّقته ووُجد بخَطِّي من مذاهبهم وضلالتهم فأنا تائب إلى الله تَعَالَى من كتابته، ولا تَحل كتابته، ولا قراءته، ولا اعتقاده.

وإنني علقت مسألة الليل في جملة ذلك، وإن قومًا قالوا: هو أجساد سود، وقلت: الصحيح: ما سمعته من الشيخ أبي عليٍّ، وأنه قال: هو عَدمٌ ولا يسمى جسمًا، ولا شيئًا أصلًا. واعتقدتُ أنا ذلك، وأنا تائب إلى الله تَعَالَى منهم.

واعتقدتُ في الحلاج أنه من أهل الدين والزُّهد والكرامات، ونصرتُ ذلك في جزء عملته، وأنا تائب إلى الله تَعَالَى منه، وأنه قُتل بإجماع علماء عصره، وأصابوا في ذلك، وأخطأ هو، ومع ذلك فإني أستغفر الله تَعَالَى وأتوب إليه من مخالطة المعتزلة والمبتدعة وغير ذلك، والترحم عليهم، والتعظيم لهم فإن ذلك كله حرام. ولا يحل لمسلم فعله لقول النبيِّ ﷺ: **«من عظَّم صاحب بدعة فقد أعان على هَدم الإسلام»**.

وقد كان الشريف أبو جعفر ومن كان مَعه من الشيوخ والأتباع سادتي وإخواني -حرسهم الله تَعَالَى- مصيبين في الإنكار عليَّ لما شاهدوه بحالي من الكتب التي أبرأ إلى الله تَعَالَى منها، وأتحققُ أني كنتُ مخطئًا غير مصيب.

ومتى حُفظ عليَّ ما ينافي هذا الخط وهذا الإقرار فلإمام المسلمين مكافأتي على ذلك، وأشهدت الله وملائكته وأولي العلم على ذلك غير مجبر، ولا مكرَه وباطني وظاهري -يعلم الله تَعَالَى- في ذلك سواء.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: ١٩٩].

وكتب يوم الأربعاء عاشر محرم سنة خمس وستين وأربعمائة، وكانت كتابته قبل حضوره الديوان بيوم، فلما حضَر شَهِدَ عليه جماعة كثيرة من الشهود والعلماء». اهـ.

من الهدى والنور والحق في العقائد والعبادات وفي السياسة والاجتماع وفي كل شأن من الشئون[١]، فعليك بهديهم.

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

هذا الحديث: «ستكون فتنة بكماء صماء عمياء المضطجع فيها خير من القاعد» ضعيف، ومع ضعفه فأصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا بلفظ: **«سَتَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ فيها خيرٌ من القَائِمِ، وَالقَائِمُ فيها خَيرٌ من المَاشِي، وَالمَاشِي فيها خَيرٌ من السَّاعِي، وَمَن يُشرِف لها تَستَشرِفهُ، وَمَن وَجَدَ مَلجَأً أو مَعَاذًا فَليَعُذ بِهِ»**.

ويشارك حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا حديث أبي بكرة في بعض الألفاظ، وفيه زيادة بعض الألفاظ.

فهذا الحديث الذي أورده المصنف من هذا الطريق فيه ضعف؛ لأن في إسناده فيه الحكم بن مسعود النجراني، وهو مجهول الحال، أي: مستور[٢]، والمصنف أورده

---

(١) قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

قال أبو العالية رَحِمَهُ اللَّهُ: «قرأت القرآن بعد وفاة نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعشر سنين، وقد أنعم الله علي بنعمتين ما أدري أيهما أفضل: أن هداني للإسلام أو لم يجعلني حروريًّا». رواه الفريابي في القدر برقم [٣٩٣]، والدولابي في الكنى (٢/ ٨٥٨/ ١٥١٠)، و(٣/ ١١٨٩/ ٢٠٨٧)، والهروي في «ذم الكلام» (٥/ ١٢/ ٧٩٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ١٢١-زغلول).

(٢) قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/ ١٢٧ برقم٥٧٧): «الحكم بن مسعود النجراني، روى عن أنس بن أبي مرثد الأنصاري، روى عنه خالد بن أبي عمران وعبد الرحمن بن البيلماني».اهـ.

....

للاستئناس لا للاعتماد؛ لأن في الباب حديثين صحيحين وهما حديث أبي هريرة وحديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اللذين ذكرناهما(١).



(١) انظر البخاري في «المناقب»، حديث [٣٦٠١]، ومسلم في «الفتن»، حديث (٢٨٨٦، ٢٨٨٧).

[٧٨] وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أسيد بن عاصم الأصبهاني قال: حدثنا إسماعيل بن عمرو قال: أخبرنا قيس، عن حصين بن عبد الرحمن، عن شقيق ابن سلمة، عن حذيفة.

[ح] وعن مجالد، عن عامر، عن مسروق، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «تَتَقَارَبُ الفِتَنُ، وَلَا يَنجُو مِنهَا إِلَّا مَن كَرِهَهَا، وَلَم يَأخُذِ المَالَ، فَإِن أَخَذَ المَالَ فَهُوَ شَرِيكُهُم فِي الدِّمَاءِ وَغَيرِهَا»(١).

قال محمد بن الحسين: قد ذكرتُ هذا الباب في كتاب الفتن في أحاديث كثيرة، وقد ذكرت هاهنا طرفًا منه؛ ليكون المؤمن العاقل يحتاط لدينه؛ فإن الفتن على وجوه كثيرة، قد مضى منها فتن عظيمة، نجا منها أقوام، وهلك فيها أقوام باتباعهم الهوى، وإيثارهم للدنيا، فمن أراد الله به خيرًا فتح له باب الدعاء، والتجأ إلى مولاه الكريم، وخاف على دينه، وحفظ لسانه، وعرف زمانه، ولزم المحجة الواضحة السواد الأعظم، ولم يتلون في دينه، وعبد ربه تعالى، فترك الخوض في الفتنة، فإن الفتنة يفتضح عندها خلق كثير، ألم تسمع إلى قول النبي ﷺ وهو محذر أمته الفتن؟ قال: «يُصبِحُ الرَّجُلُ مُؤمِنًا، وَيُمسِي كَافِرًا، وَيُمسِي مُؤمِنًا، وَيُصبِحُ كَافِرًا».

[٧٩] حدثنا أبو العباس عبد الله بن الصقر السكري قال: حدثنا محمد بن المصفى قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا الوليد بن سليمان بن أبي السائب،

---

(١) حديث حذيفة ضعيف، في إسناده إسماعيل بن عمرو البجلي، قال فيه أبو حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ١٩٠) رقم [٦٤٣]: «ضعيف الحديث»، وقال الذهبي في «الميزان» (١/ ٢٣٩): «قال ابن عدي: له أحاديث لا يتابع عليها، وقال أبو حاتم والدارقطني: ضعيف».

عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «سَتَكُونُ فِتَنٌ يُصبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤمِنًا وَيُمسِي كَافِرًا، إِلَّا مَن أَحيَاهُ الله بِالعِلم»(١).

[٨٠] حدثنا أبو بكر محمد بن هارون بن المجدر قال: حدثنا أحمد بن الحسن ابن خراش قال حدثنا عمرو بن عاصم قال: حدثنا معتمر قال: سمعت أبي يحدث عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «بَادِرُوا بِالأَعمَالِ، سَتَكُونُ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِم، يُصبِحُ الرَّجُلُ مُؤمِنًا، وَيُمسِي كَافِرًا، أو يُمسِي مُؤمِنًا وَيُصبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ الرَّجُلُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنيَا»(٢).

[٨١] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا عبد الوهاب الوراق قال: أخبرنا هاشم بن القاسم، عن الأشجعي، عن سفيان - يعني: الثوري -، عن أبي سنان الشيباني، عن سعيد بن جبير قال: قال لي راهب: «يَا سَعِيدُ! فِي الفِتنَةِ يَتَبَيَّنُ لَكَ مَن يَعبُدُ الله تَعَالَى، وَمَن يَعبُدُ الطَّاغُوت»(٣).

[٨٢] أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري قال: حدثنا محمد بن سليمان لوين قال: حدثنا حماد بن زيد، عن المعلى بن زياد، عن معاوية بن قرة،

---

(١) حديث ضعيف، في إسناده علي بن يزيد الألهاني، قال فيه الحافظ الذهبي في «الكاشف»: «ضعّفه جماعة ولم يُترك»، وقال الحافظ ابن حجر: «ضعيف»، ولبعضه شاهد من حديث أبي هريرة الآتي.

(٢) حديث صحيح، أخرجه مسلم في «الإيمان»، حديث [١١٨]، بإسناده إلى إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه به، وأحمد في مسنده، (٢/ ٥٢٣)، بإسناده إلى العلاء به، والترمذي في «الفتن»، حديث [٢١٩٥] بإسناده إلى العلاء به.

(٣) إسناده صحيح، رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٨٠)، وابن بطة في «الإبانة»، رقم [٧٨٠].

عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العِبَادَةُ فِي الهَرجِ كَالهِجرَةِ إِلَيَّ»[(١)].

[٨٣] حدثنا علي بن إسحاق بن زاطيا قال: حدثنا محمد بن سليمان لوين قال: حدثنا حماد بن زيد وذكر الحديث، مثله إلى آخره.

المؤلف: أشار إلى أن كثيرًا من الفتن قد وقع، وافتضح فيها أناس، وهلك فيها أناس أيضًا، مثل أبي مسلم الخرساني، وفتنة ابن الراوندي، وفتن كثيرة حصلت، منها فتن الخوارج والروافض، ومذابح حصل فيها وانحرافات وضلالات، يعني: إما بقتال وفتن سياسية، وإما بفتن عقائدية ومنهجية، وما شاكل ذلك مما وقع، هلك فيها من هلك من كثير من الناس، ونجا من حفظه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى واعتصم بالمنهج الحق -والحمد لله- وقد نجا كثير وكثير -الحمد لله- بسبب وضوح هذا المنهج وقيامه، وكما وعد الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه: **«لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي وعد الله»**[(٢)].

فحجة الله قائمة على الناس منذ بعث محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قيام الساعة، ولا يمر وقت إلا وحجته قائمة، يقوم بها وراث الأنبياء أهل العلم الصحيح الطائفة المنصورة التي يلازمها الحق لا ينفك عنها إلى قيام الساعة، فحجة الله بهم قائمة، وينجي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بسببهم خلقًا كثيرًا -ولله الحمد-.

---

(١) في إسناده المعلى بن زياد الفردوسي، قال الذهبي في «الكاشف»: «وثقوه»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق، قليل الحديث، زاهد». والحديث في «صحيح مسلم» في «الفتن»، حديث [٢٩٤٨] من طريق المعلى بن زياد به، وأخرجه الترمذي في الفتن، حديث [٢٢٠١]، وابن ماجه في «الفتن»، حديث [٣٩٨٥].

(٢) سبق تخريجه.

فعند حدوث كل فتنة لابد أن يعلنوا الحق ويبينوا للناس هذا الحق، ويميزون لهم بين الهدى والضلال والحق والباطل، وكيف يعتصم الناس من هذه الفتن، وما هو الطريق التي ينجون بها من خوض الفتن، إلى آخر ما يسدد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هذه الجماعة في مواجهة كل فتنة.

وقد كرر المصنف هذا الحديث: «يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا»، وقال: إن أناسًا سيفتضحون؛ نعم! يكون الرجل على الحق ثم ما تراه بعد إلا كافرًا! أو ضالًّا مبتدعًا!، هذه ما هي إلا فضيحة! كان يدعي الخير ويدعي العلم ويدعي أنه على حق، وإذا به وقع في الكفر؛ إما الكفر الأكبر وإما الكفر الأصغر، وهذه مخزية -والعياذ بالله-. وكم من ناس يفتضحون تنكشف الفتنة، وإذا بها قد عرتهم وكشفت حقيقة دعاواهم الباطلة، وتبين لك حقائقهم، هذا يحصل ويقع.

والحديث: «**بَادِرُوا بِالأَعمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِمِ، يُصبِحُ الرَّجُلُ مُؤمِنًا وَيُمسِي كَافِرًا، أو يُمسِي مُؤمِنًا وَيُصبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ من الدُّنيَا**»[1].

فيه: حثٌّ على المبادرة بالأعمال الصالحة، ومنها: البيان للناس وتحذيرهم من الوقوع في الفتن، هذا من الأعمال ومن أعظم الأعمال الصالحة، وقد يكون للرجل أجر كبير جدًّا كأجر خمسين، جزاء عمله العظيم هو عاض على دينه، ويمسك الناس بهدى الله الحق، وينشر فيهم الخير ويحذرهم من الوقوع في البلايا والفتن، هذه من الأعمال الصالحة؛ إلا إذا أطبق الناس كلهم على الباطل، وركبوا رءوسهم ولا يسمعون، فهنا فعليك بخاصة نفسك.

---

(١) أخرجه مسلم في «الإيمان»، حديث [١١٨].

أما وإن بقي هناك آذان تسمع وقلوب تعي فلا يجوز القعود، لابد من البيان، لابد من النصح، لابد من الأمر بالمعروف، لابد من النهي عن المنكر والبيان للناس، وهذا من أعظم الجهاد، بل أعظم الجهاد جهاد الأنبياء ودعوة الناس إلى الخير وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، هذا جهاد الأنبياء، وهذه هي وراثتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان الحق والصدع به، وحجز الناس عن الوقوع في الباطل وفي الشر وفي الشرك، هذا أمر عظيم، وهذا من الأعمال الصالحة.

أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يثبتنا وإياكم على السنة والحق والهدى، وأن يجنبنا الفتن، وأن يجعلنا ممن يبصر ويسمع، ويعي توجيهات الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأن يجعلنا ممن يعض عليها بالنواجذ، إن ربنا لسميع الدعاء.



الأسئلة

سؤال: يقول: نعرف أن غيبة أهل البدع جائزة؛ ولكن هل لها شروط، وإن كان الجواب نعم، فما هذه الشروط؟

جواب: غيبة أهل البدع أو قُل: التحذير منهم ونصيحة الناس عن الاغترار بهم واجبة، ومن أعظم الجهاد، ليست جائزة فقط، بل واجبة، لأنك عندما ترى الناس يتسارعون في الفتن والوقوع في البدع والضلالات، وتسكت وتقول: هذا غيبة، هذه خيانة وغش أن ترى الناس يتساقطون في الفتن كتساقط الفراش في النار وأنت ساكت، ما شاء الله ورع!! هذا الورع الكاذب، هذا ورع الجهال والضلال من الصوفية المخرفين وأمثالهم ومن تأثر بهم، الصدع بالحق واجب.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحِجر: ٩٤] أعرض عن المشركين وعن المبتدعين المثبطين عن قول الحق ومواجهة الباطل، **يشترط:**

١- أن تخلص لله وأن تقصد بذلك وجه الله.

٢- وتقصد النصيحة للمسلمين وحمايتهم من الشر لابد من هذا، أما أن تتكلم في هذا أو ذاك حتى لو كان كافرًا، تتكلم فيه لأغراض شخصية، فهذا ليس من النصيحة المشروعة، بل من الأغراض الرديئة التي يأثم الخائض فيها.

فالنصيحة عبادة، الدعوة إلى الله من أعظم العبادات، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

الدعوة إلى الله بالحكمة وبالحجة والبرهان تقول: قولوا كذا، وافعلوا كذا، تحذرهم من الشر؟ بل تحذرهم من الكفر، من الإلحاد، من الزندقة، من البدع الكبرى، من البدع الصغرى، من المعاصي، من الفسق، ومن غيرها، تحذر الناس من الشرور كلها،

ولكل مقام مقال، ولكل ميدان رجال، والإنسان يتكلم في حدود علمه، ويشترط في حقه الإخلاص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كما تخلص في الصلاة، وفي الذكر، وفي قراءة القرآن، وفي سائر العبادات.

في هذا المقام يجب أن تخلص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وتقصد بهذا العمل وجه الله والذب عن سنة رسول الله، فإن الذب عن سنة رسول الله أفضل من الضرب بالسيوف[1].

أما أنك تسكت ويهان الصحابة وتهان العقيدة ويهان الإسلام ويهان أهل السنة وتسكت، هذا من الجبن والخيانة والخنوع للباطل.

وهناك أناس يغالطون ويلبسون على الجهلة السخفاء: هذه غيبة، هؤلاء ما لهم شغل إلا الكلام في الناس.. نعم إذا ما كان لك شغل إلا الكلام في الناس لهواك، والله بئس هذا العمل، لكن إذا كان نصيحة لله فهو من الأعمال الصالحة.

طيب! ماذا نقول في السلف الذين حذروا من الجهمية، وحذروا من المعتزلة، وحذروا من الخوارج، وحذروا من الروافض، وحذروا من المرجئة، وحذروا من كل أهل البدع، وحذروا من الفسق، من الخمر، من الزنا، من الفواحش، وحذروا من أناس بأعيانهم، ماذا نقول فيهم؟ عند هؤلاء تعد هذه كلها قدحًا في الناس، ما شاء الله! هذا ما له شغل إلا القدح في الناس!

---

(١) قال محمد بن يحيى الذهلي: سمعت يحيى بن معين يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله. فقلت ليحيى: الرجل ينفق ماله ويتعب نفسه ويجاهد فهذا أفضل منه؟! قال: نعم، بكثير. ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥١٨).
ونسبة هذا الكلام إلى ابن معين خطأ، لعله من نساخ السير، والصحيح المشهور أنّه من كلام يحيى بن يحيى النيسابوري كما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، والأثر في ترجمة يحيى بن يحيى النيسابوري من السير لا في ترجمة ابن معين فتنبه.

يا أخي، هذه نصيحة، هذه ليست قدحًا في الناس، وهل يذكر القدح فقط؟ نعم! إيش هدفه من القدح؟ علماء الحديث سموه الجرح، صنفوا كتبًا للجرح خاصة، لماذا هذا؟ هؤلاء يستحلون أعراض المسلمين لهواهم؟!

يعني: الرجل من أئمة الحديث ترك الدنيا وداسها بقدميه، وأقبل على العلم وعلى سنة رسول الله يحفظها وينشرها في الناس، ويترجم للرواة بأصنافهم المعروفة من أهل السنة ومن أهل البدع، ومن أهل الفسوق، ومن سيئي الضبط، ومن فاحشي الغلط، ومن رواة المنكرات إلى آخره، هذا شغله الذي اشتغل به، شُغل في الرجال ودوَّن الدواوين هذا نقول ما له عملٌ إلا جرح الناس نهش أعراضهم.

فوالله ما فعل النقاد في هذا العصر عُشر عشر معشار ما فعله السلف من الحماية لدين الله والذب عنه، وما ضاع شباب الأمة وما ضاع الناس إلا بالسكوت عن الباطل، الباطل ما شاء الله ماشي يستعرض عضلاته في أوساط المسلمين وأنت ما تحرك أيَّ ساكن، بل تؤيد الباطل وتصفق له، ما منزلة هذا الصنف عند الله؟

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

عندما تنتشر البدع وأنت ساكت، بل تصفق لها، بل تمجد أهلها، هذا أخس من الوضع الذي لعن عليه بنو إسرائيل، إذا كنت تمجد أهل البدع، وتحارب من ينتقد أهل البدع، وتقول: يلغون في أعراض الناس، وتشوه سمعتهم، هذا العمل أخبث من هذا الوضع اليهودي، أخبث بكثير، أولئك سكتوا عن الباطل، لكن أنت ما سكت فحسب، بل ذهبت تحارب من ينصح للإسلام والمسلمين.

هذا بلاء، بلاء ضيع شباب الأمة، وضيع الأمة، المغالطات، والتلبيسات، **يعني**: ما شاء الله تتورع عن نصرة الحق ولا تتورع عن تأييد الباطل!

سؤال: ما رأيكم في كتاب «القطبية هي الفتنة فاعرفوها»؟

جواب: هذا يسألني عن كتاب، والله أعلم إيش قصده، هل قصده أن يستفيد أو قصده الفتنة؟ الله أعلم، لأن بعض الأسئلة وراءها ما وراءها، أنا أقول لك: -سواء قصدت هذا أو ذاك- كتاب القطبية كتاب نافع، كتاب نقل أقوال هؤلاء بأمانة، وبيّن ما فيها من خلل، فعلى هؤلاء المنتقدين أن يتوبوا إلى الله، وأن يخضعوا للحق، وأن يتركوا الغطرسة والكبرياء، وعلى من يشجعونهم على المضي في الباطل أن يتقوا الله في أنفسهم.

هذا انتقد بحق، إذا كان عنده أخطاء فليبينوها بالأدلة، لا مانع، أما أن يهوشوا على الكتاب هكذا بلا برهان فهذا عمل ممقوت، يعني أصحاب رسول الله ﷺ يهانون في كتب سيد قطب، ولا تجد من يذب عنهم، ويُذَبُّ عن هؤلاء، أهؤلاء أفضل من الصحابة؟ هلّا هذا الغضب كان لأصحاب محمد ﷺ؟

تغضبون لمن انتقدوا بحق ولا تغضبون لمن افتري عليهم من أفضل [الأمم] بعد الأنبياء؟

هذا دليل واضح كافٍ لإدانة هؤلاء بالضياع، عليهم أن يتوبوا إلى الله، وأن ينصروا الحق، وأن يكونوا مع إخوانهم على الحق.

نحن قرأنا هذا الكتاب ووجدنا الكاتب صادقًا فيما كتب، فعليكم أن ترجعوا، لأنكم الآن تقودون شباب الأمة تقودونهم إلى الهاوية، تقودونهم إلى الباطل، فهذا الذي يجب.

على من انتقدوا فيه أن يرجعوا إلى الحق، ما هم أنبياء، ما هم بمعصومين، لا يجعلون في مقام يجب على الأمة أن تخضع لهم وأن تمشي في ركابهم.

هذه الأمة أمة أمر بمعروف ونهي عن المنكر، فإن لم يقوموا بهذا الواجب، فليودِّعوا توديع الأموات، إن لم يبق فيها من يتصدى للباطل ويقول لأهل الباطل: هذا باطل فاتركوه، فمعناه أن الأمة قد انتهت، ولكن لا تنتهي -إن شاء الله- هذه الأمة، ولا تنتهي هذه الطائفة، فهذا شرف لهم والله أن يعلنوا الحق ويدينوا أهل الباطل بالباطل، وليكن كل مسلم هكذا يتحلى بهذه الأخلاق الفاضلة الذبِّ عن سنة رسول الله، الذب عن منهج الإسلام الحق، رد الباطل وقمعه وقمع أهله هذا الذي يجب.

أما الإرهاب الفكري، يعني: كتاب يقول كلمة الحق ويصدع بالحق وتثار حوله الضجة والتحذير والترهيب والإرهاب -نعوذ بالله-، هذا يدل على أن الأمة انحدرت إلى حضيض الحضيض، معناه أنها لا تريد الحق، معناه أنها تقدس الأشخاص فقط، ما هم أصحاب مبادئ ولا أصحاب مناهج سليمة، أسلَموا عقولهم للشيطان.

سؤال: يسأل: توفي الشيخ الألباني وابن باز والعثيمين من بقي من العلماء؟

جواب: الباقون كُثُر -والحمد لله-، مات رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبقي بعده أصحابه الكرام، ومات أحمد بن حنبل وبقي أصحابه، ومات ابن تيمية وبقي أصحابه، ومات ابن عبد الوهاب وبقي أصحابه، ومات هؤلاء وبقي -إن شاء الله- تلاميذهم وإخوانهم، والحق لا يضيع.

عمر لما طُعن، قيل له: استخلف!، قال: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يَكُن لِيُضِيعَ دِينَهُ**»[1] فالله لا يضيع هذا الدين أبدًا، عليكم أن تشمروا عن ساعد الجد، ورفع راية السنة، ورفع راية

---

(١) رواه مسلم في «المساجد ومواضع الصلاة» برقم [٥٦٧].

الحـق، «**لا تـزال طائفـة من أمتي على الحق ظاهريـن لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي وعد الله**».

والله ما مات العلم ولا مات العلماء، الحمد لله هيئة كبار العلماء -ولله الحمد- فيهم الخير، وفيهم البركة، وإخواننا السلفيون في شتى أقطار الدنيا، الدنيا مليئة بطلاب العلم الكبار الذين يسدون هذه الثغرة -والحمد لله-، فلا يستبشر أهل الباطل ولا يفرحوا.

سؤال: دراستنا لسيرة بعض الصحابة من الذين ارتدوا ثم عادوا إلى الإسلام كطليحة، قد يكون في قلوبنا شيء من الحمل عليهم بسبب الأعمال التي فعلوها.

جواب: والله يا أخي! أنت لست أغيرَ من أبي بكر، كان الأشعث بن قيس ممن ارتد عن الإسلام ثم عاد وتاب إلى الله بعدما أتي به أسيرًا إلى أبي بكر، فقبل توبته وزوَّجه أخته[1]، فكيف يبقى في نفسك شيء؟ هذا من الشيطان، والله تَعَالَىٰ يقول: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فتابوا وأنابوا إلى الله، وذهبوا فاتحين، طليحة أين قتل؟ تنبأ -ونعوذ بالله- وسفك الدماء، لكن تاب وأخلص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكان من أركان الجهاد حتى استشهد.

سؤال: نريد منكم كلمة حق حول فتنة الجزائر؟

جواب: سؤال طويل يحتاج لوقت.

(١) ذكر هذا ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٥/ ١٠) عن الواقدي قال: حدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه، فذكره في قصة. وأخت أبي بكر هي أم فروة بنت أبي قحافة وولدت للأشعث محمدًا. انظر: «الثقات» لابن حبان (٥/ ٣٥٢)، و«التهذيب» لابن حجر (٩/ ٥٥-٥٦).

على كل حال: فتنة الجزائر فتنة عظيمة، يعني: ضربت الإسلام في الصميم، كان الشعب الجزائري مقبلًا على المنهج السلفي شبابًا وشابات جامعيين وغيرهم، كانوا مقبلين على المنهج السلفي، واتجه هذا الشعب أو غالبيته إلى الحق والهدى والنور، فجاءت الفتنة فقضت على كل شيء على الأخضر واليابس على دين هذا الشعب ودنياه، إلا من سلَّم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأرجعوه للوراء، أعادوه إلى الوراء إلى سنوات اللهُ أعلم ما مداها خمسون عامًا أو ستون أو سبعون.. ما ندري الله أعلم! وفيها عبرة لمن يعتبر بهذه المناهج الفاسدة الضالة التي أحسن ما فيها فكر الخوارج -والعياذ بالله-.

وكان قد سألني سائل من الجزائر: ماذا نصنع بالطواغيت؟

قلت: والله أنت أعجز من أن تفعل في الطواغيت شيئًا، ما عملت فيهم شيئًا، أنت ذبحت الشعب الجزائري أنت وإخوانك، وذبحتم النساء والأطفال، ودمرتم اقتصاد هذا الشعب، ودمرتم دينه، فإذا كنتم تريدون وجه الله فاذهبوا فازحفوا على أوربا إيطاليا فرنسا أسبانيا، وقفوا على حدودهم وادعوهم إلى الدخول في الإسلام إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن استجابوا، فهذا هو المطلوب، فإن أبوا فقولوا لهم: أدوا الجزية، إذا أبوا فأعلنوا عليهم القتال، ولكن ليكن قتالًا شريفًا، ما فيه قتل نساء ولا أطفال ولا شيوخ.



باب
الحث على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وسنة أصحابه رضي الله عنهم وترك البدع وترك النظر والجدال فيما يخالف الكتاب والسنة وقول الصحابة رضي الله عنهم

٨٤ - أخبرنا الفريابي قال: حدثنا حبان بن موسى قال: أنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته: «نحمد الله بما هو أهله» ثم يقول: «من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

٨٥ - حدثنا أبو بكر محمد بن الليث الجوهري قال: نا أبو هشام الرفاعي قال: حدثنا أبو بكر بن عياش قال: حدثنا أبو حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

....

٨٦- أخبرنا إبراهيم بن موسى الجوزي قال: حدثنا داود بن رشيد قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي، وحجر الكلاعي قالا: دخلنا على العرباض بن سارية، وهو الذي نزلت فيه: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾... الآية [التوبة: ٩٢]، وهو مريض قال: فقلنا له: إنا جئناك زائرين وعائدين، ومقتبسين، فقال عرباض: إن رسول الله ﷺ صلى صلاة الغداة، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله: إن هذه لموعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله، والطاعة والسمع، وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي سيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

٨٧- وحدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا الفضل بن زياد قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن حنبل قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا ثور ابن يزيد، وذكر الحديث مثله إلى آخره.

٨٨- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال حدثنا أحمد بن صالح المصري قال: حدثنا أسد بن موسى قال: نا معاوية بن صالح قال: حدثنا ضمرة بن حبيب، عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي، أنه سمع عرباض بن سارية السلمي يقول: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله، إن هذه موعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ قال: «قد تركتكم على البيضاء،

....

ليلها ونهارها، ولا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وعليكم بالطاعة، وإن عبدًا حبشيًا، عضوا عليها بالنواجذ».

٨٩- حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا زهير ابن محمد المروزي قال: أنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد، عن ثور بن يزيد، وذكر الحديث نحوًا منه إلى آخره.

٩٠- وحدثنا ابن عبد الحميد -أيضًا- قال: حدثنا زهير قال: أنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن أبي إدريس الخولاني قال: أخبرني يزيد بن عميرة، أنه سمع معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول في كل مجلس يجلسه: «هلك المرتابون، إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن، حتى يأخذه الرجل والمرأة والحر والعبد، والصغير والكبير، فيوشك الرجل أن يقرأ القرآن في ذلك الزمان فيقول: ما بال الناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن، فيقول: ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع، فإنما ابتدع ضلالة».

٩١- وأخبرنا إبراهيم بن موسى الجوزي قال: حدثنا أبو بكر بن زنجويه قال: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري قال: سمعت أبا إدريس الخولاني، يقول: أدركت أبا الدرداء ووعيت عنه، وأدركت عبادة بن الصامت ووعيت عنه، وأدركت شداد بن أوس ووعيت عنه، وفاتني معاذ بن جبل، فأخبرني يزيد بن عميرة، أنه كان يقول في كل مجلس يجلسه: «الله حكم عدل قسط، تبارك اسمه، هلك المرتابون، إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن، حتى يأخذ الرجل والمرأة، والحر

....

والعبد، والصغير والكبير، فيوشك الرجل أن يقرأ القرآن في ذلك الزمان فيقول: قد قرأت القرآن فما للناس لا يتبعوني، وقد قرأت القرآن ثم يقول: ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة، اتقوا زيغة العالم، فإن الشيطان يلقي على في الحكيم كلمة الضلالة، ويلقي المنافق كلمة الحق».

قال: قلنا: وما يدرينا رحمك الله أن المنافق يلقي كلمة الحق، وأن الشيطان يلقي على في الحكيم كلمة الضلالة؟

قال: «اجتنبوا من كلمة الحكيم كل متشابه، الذي إذا سمعته قلت: ما هذه؟ ولا ينأينك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع، ويلقي الحق إذا سمعه؛ فإن على الحق نورًا».

ترجم المؤلف هذا الباب بقوله: باب: الحث على التمسك بكتاب الله تَعَالَىٰ وسنة رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسنة أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وترك البدع وترك النظر والجدال فيما يخالف الكتاب والسنة وقول الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

يعني: خلاصة الأحاديث التي ساقها، وفي الباب آيات ينبغي ذكرها.

قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وما شاكل ذلك من الآيات المناسبة لهذا الباب.

التعليق على حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبيان ما حواه من النصح والتحذير

والشاهد:

أن المصنف: ساق حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو مروي في «صحيح مسلم»[1] يقول: «كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ احمَرَّت عَينَاهُ وَعَلَا صَوتُهُ وَاشتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنذِرُ جَيشٍ، يَقُولُ: «**صَبَّحَكُم وَمَسَّاكُم**»، وَيَقُولُ: «**بُعِثتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَينِ، وَيَقرُنُ بَينَ إِصبَعَيهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسطَى، وَيَقُولُ: أَمَّا بَعدُ، فَإِنَّ خَيرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيرُ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

هذا فيه أن خير الهدي كلام الله، والعاقل يتبع أحسن ما يسمع ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر: ١٨]، فإذا كان خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهل يجوز لعاقل أن يقدِّم كلامًا على كلام الله عَزَّ وَجَلَّ أو هديًا على هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

«**وَشَرُّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا**»: هذا المقابل لخير الكلام وخير الهدي، ألا وهو شر الأمور وهي البدع.

«**وَكُلُّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ**»: كيف تترك أفضل الأمور وخيرها وأبرَّها وأنجاها لك، وتتبع المهالك وتتبع شر الأمور، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو الذي يشرع الدين، وينهى عما يخالفه

---

(١) سبق تخريجه.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟﴾ [الشورى: ١٣].

فاختراع البدع يؤدي إلى التفرق، إذن على الناس أن يعتصموا بما شرعه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على ألسنة الرسل جميعًا من توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإخلاص الدين له واتباع رسله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيما شرعه الله على ألسنتهم عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وخاتمهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورسالته أكمل الرسالات في بيان توحيد الله وتفصيله، وفي أمور الآخرة، وفي الحلال والحرام والتشريعات، أكمل شرع هو ما شرعه على لسان نبيه وقلبه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقد رضيه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهذه الأمة بعد أن أكمله لها، فماذا يريدون؟

ماذا يريدون بعد أن أتمَّ الله هذا الدين وأكمله ورضيه لهم، وهو أكمل دين وأوسعه وأكثر تفصيلًا وتبيانًا ووضوحًا، ماذا يريدون؟

ماذا يريدون من البدع -والعياذ بالله-، الشيطان -نعوذ بالله- يسوقهم إلى الهلاك وإلى الضلال؟

ولهذا على المسلمين أن يعتصموا بحبل الله وأن يعتصموا بكتاب الله أن يستمسكوا بهدي الله، ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول لهذا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ وهو أسوتنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فالمستمسك بما أوحى الله إلى هذا النبي الكريم من هذا الدين العظيم الذي حوى أكمل العقائد وأكمل التشريعات، فما وراءه وما بعده إلا الضلال، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

والله ما ينشد الحق في غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إلا ضال صاحب هوى -والعياذ بالله-، فعلينا أن نتفقه في دين الله، وأن نتفقه في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، ففيهما الهدى وفيهما النور وفيهما النجاة وفيهما السلامة من المعاطب والمهالك -والعياذ بالله-.

يقول ﷺ في هذا الحديث: «**من يَهدِهِ الله فَلَا مُضِلَّ لَـه**» فالله بيده الهدى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبيده الإضلال، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ويقول الله لخير الخلق محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

كان ﷺ حريصًا على هداية عمه أبي طالب، الذي كان يحميه ويذب عنه ويذود عنه، وكان حريصًا أشد الحرص على أن يسلم وأن يهتدي، ولكن الله ما أراد ذلك، حتى إنه حينما احتضر كان الرسول ﷺ يعرض عليه الإسلام ثم يعرض عليه كلمة التوحيد: «**يا عَمِّ قُل لا إلـهَ إلا الله، كَلِمَةَ أُحاج لَكَ بِها عِندَ الله**» فأنف أبو طالب من أول حياته من أول بعثة محمد إلى حال موته، أنف أن يقول: لا إله إلا الله، لأنها تدين آباءه بالضلال.

وهو لا يريد هذا، وإن كان يعلم أن محمدًا صادق عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأنه رسول الله حقًا، لكن حميته لميراث آبائه وعشيرته -والعياذ بالله- وخوفًا من تعيير قريش أن يعيروه، تشبث بدينه الباطل فمات وهو يقول: «أنا على ملة عبد المطلب».

....

ففيه: تحقيق قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]، «**مَن يَهدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ**».

الذي يريد الله هدايته لو يجتمع الناس ليضلوه، ويأتون بشبههم وتشويشاتهم الباطلة، والله يريد له الاستقامة على هديه والثبات على دينه، لا يستطيعون أن يضلوه. ومن يرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إضلاله، لو اجتمع الأنبياء والملائكة لهدايته لا يستطيعون. الرسل وخاتمهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يملكون هداية الدعوة والدلالة على الحق فقط.

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢] **يعني**: هداية الدلالة والإرشاد والبيان والتبليغ، وأما هداية التوفيق وشرح الصدور للإيمان والتوحيد، فهذا ليس إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فيسند هذه الحقيقة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الهداية والضلال، ولا يشاركه في ذلك أحد أبدًا، فهو يُضل من يشاء ويهدي من يشاء.

ثم يتحدث عن منزلة هذا الكتاب، هذا الكتاب العظيم، الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢].

«**أصدَقُ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وأَحسَنُ الهَدْيِ**» - وفي «صحيح مسلم»-: «**وَخَيرُ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هدي الأنبياء جميعًا، وإن كانوا كلهم هداة ودعاة إلى الله ومبلغين لرسالة الله، لكن هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكمل وأشمل وأوضح، فكيف بهدي غير الأنبياء.

«وَشَرُّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا»: كان الرسول ﷺ يقول هذا ولا يوجد مبتدعة، وهو يحذِّر منها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لأن الله أخبره أن هذه الأمة سيضل الكثير منها، وستفترق وستتبع سنن من كان قبلها، أخبره الله وهو بلَّغ الأمة هذه الحقائق عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فكان لبغضه للبدع ولكراهيته لها وخوفه على أمته منها يحذِّرهم منها في كل خطبه أو جلها، ويصفها بأنها شر الأمور «وَشَرُّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا»، والمحدثات هذه قد يكون فيها الكفر الأكبر، وقد يكون فيها الشرك الأكبر، وقد يكون فيها الشرك الأصغر، وقد يكون فيها الكبائر، إلى آخره، فهي شر الأمور -والعياذ بالله-.

«وَكُلُّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ»: **يعني**: اختراع عقائد وعبادات ومعاملات وسياسات يضاهى بها دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كل محدثة فيها مضاهاة لدين الله، فأصحابها يريدون أن يجعلوا من أنفسهم مشرعين مع الله، يشرِّعون مثل تشريع الله، تعالى الله عما يقول ويفعل الظالمون علوًّا كبيرًا.

«وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»: كل محدثة بدعة، مخترعة مضاهية لدين الله فمآل أصحابها إلى النار إن لم يتوبوا إلى الله ويرجعوا إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فمناهج الضلال تقود إلى النار -والعياذ بالله-، والبدع تهدي أهلها إلى النار، بينما كتاب الله وسنة الرسول ﷺ يهديان إلى الجنة، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]، فدعوة الله إلى دار السلام، ودعوة الله إلى الجنة، والأنبياء دعاة إلى هذه الجنة وإلى دار السلام، والشيطان وحزبه دعاة إلى السعير ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

فالبدع يدعو إليها الشيطان، ويمليها على أوليائه الضالين ليجرهم إلى النار وليوقعهم في السعير، وتعلمون أن البدع فيها الشرك الأكبر وفيها الأصغر، وفيها الكفر الأكبر والكفر الأصغر، وفيها الكبائر وفيها الكبائر العظيمة، فهي شرٌّ في شرٍّ - والعياذ بالله-، وتقود أهلها وتهديهم إلى النار - عياذًا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

والحديث الثاني مثله -أيضًا-، **الأول**- حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **والثاني**- حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه أبو هشام الرفاعي وهو ضعيف، لكنه ينجبر ويتقوى بحديث جابر، وهو في معناه، «**فَإِنَّ خَيرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيرُ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدعَةٍ ضَلَالَة**».



التعليق على حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وبيان ما حواه من الوصايا والتوجيهات

هذا حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيه عبد الرَّحمَنِ بن عَمرٍو السُّلَمِيّ وحجر الكلاعي، كلاهما مقبول [(١)]، لكن يتقوى بمجموع طرقه.

قالا: أَتَيْنَا العِرْبَاضَ بنَ سَارِيَةَ وَهُوَ مِمَّن نَزَلَ فِيهِ: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩٢].

هؤلاء بعض الصحابة الفقراء جاءوا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متعطشين للجهاد في سبيل الله، فسألوه أن يقدم لهم المراكب من الخيل وغيرها والمال الذي يتزودون به لهذا الجهاد في سبيل الله، فوافق مجيئهم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن عنده ما يحملهم عليه، فاعتذر لهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقوله: ﴿ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴾، فـ﴿ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ ﴾ يعني: تحسُّرًا وتحرُّقًا على الجهاد في سبيل الله، فعندهم رغبة ملحة في المشاركة في الجهاد وصدق وإخلاص فيه، لكن ما يملكون شيئًا.

وفيه: أدب هؤلاء الطلاب السائلين، قالوا للعرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «جئنا زائرين وعائدين ومقتبسين» يريدون العلم.

أولًا- نحن نزورك والزيارة مشروعة، والعيادة مشروعة، فلعله كان به مرض، وأيضًا في نفس الوقت ولو كنت مريضًا نحن نريد أن نستفيد منك، ونريد أن نقتبس منك علمًا، يعني: ما يزورون للتهريج والحكاوي والخرافات، يريدون العلم.

(١) «التقريب» ت: [٣٩٦٦]، وت: [١١٤٣] على الترتيب.

فَقَالَ العِربَاضُ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوم، ثُمَّ أَقبَلَ عَلَينَا فَوَعَظَنَا مَوعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَت مِنهَا العُيُونُ، وَوَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ»؛ لأن هؤلاء أصحاب محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي يعظهم هو رسول الله محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أبلغ الناس وأفصحهم. والتلاميذ والسامعون هم أصحابه، ذرفت عيونهم من خشية الله، ومن تأثير خطبته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وما تضمنته من المعاني العظيمة، وهي كما وصفها «مَوعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَت مِنهَا العُيُونُ، وَوَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ» خوفًا من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، رضوان الله عليهم.

فهم يبكون من خشية الله عَزَّ وَجَلَّ ووجلت قلوبهم لذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]، فهذا حال المؤمنين وعلى رأسهم أصحاب محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم أحرى بعد الأنبياء بذلك، فرضوان الله عليهم.

«فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله كَأَنَّ هَذِهِ مَوعِظَةُ مُوَدِّعٍ»: كأنه فهم منها أن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سينتقل إلى الرفيق الأعلى.

«فَأَوصِنَا -أو- « فَمَاذَا تَعهَدُ إِلَينَا»: بأيِّ وصية توصينا.

فَقَالَ: «أُوصِيكُم بِتَقوَى الله»: فهذه وصية وردت كثيرًا في القرآن الكريم، وصية الله إلى عباده ووصية الأنبياء جميعًا إلى أممهم، كانوا يقولون لأممهم: ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ [نوح: ٣]، فَقَالَ: «أُوصِيكُم بِتَقوَى الله»: هذا حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

«وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِن عَبدًا حَبَشِيًّا»: هذا لولاة أمور المسلمين، لأن أمور المسلمين في دينهم ودنياهم لا تنتظم إلا بهم، ولا تُحقن الدماء إلا بهم، فمن وراء طاعتهم خير كثير للإسلام والمسلمين، ولهذا شدد عليها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرًا وكثيرًا، وأمر

بالصبر حتى لو ظهر منهم من الجور والحيف والظلم، حتى لو بلغوا من الحيف والجور ما بلغوا، «**مَا لَم تَرَوا كُفرًا بَوَاحًا**»[١]، «**مَا أَقَامُوا فيكم الصَّلاة**»[٢].

إذا أقاموا فينا الصلاة وهم جائرون فعلى المسلمين -حفاظًا على مصالح المسلمين، وحقنًا لدمائهم وحفظًا لأموالهم وأعراضهم- أن يراعوا هذه المصالح مع توجيهات الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القيام بهذا الواجب العظيم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

فطاعتهم في طاعة الله، فإذا أمروا بطاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أو أمروا بمباح ما لم يكن معصية، فعلى المؤمنين السمع والطاعة؛ تحقيقًا لأمر الله ولأمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وامتثالًا لذلك، ومراعاةً لمصالح العباد ومصالح الأمة، وحفاظًا على الدين.

لكن الخوارج لا يعرفون هذه المصالح العظيمة ولا يفقهونها، ولهذا يلحق من حركاتهم وتصرفاتهم يلحق من ورائها بالأمة مفاسد ومضار لا يعلمها إلا الله، من سفك الدماء، وانتهاك الأعراض، وإخافة الطرق والسبل، ومِن بَثِّ الخوف والرعب في نفوس الناس، وانتشار الفساد بالقتل والسلب والنهب، وإلى آخره.

فهذه المصالح العظيمة التي لا يدركها الخوارج وأتباعهم.

يأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بطاعة أولي الأمر، ويأمر الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بطاعتهم، والسنة تبيِّن القرآن، بيَّنت أنك تطيع وتلزم جماعة المسلمين وإمامهم مهما جار وانحرف،

---

(١) قطعة من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البيعة، وقد سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

إلا إذا خرج من الإسلام خروجًا واضحًا، فحينئذ إذا استطاع المسلمون الخلاص منه تخلصوا، بشرط ألا يترتب على ذلك مفسدة أكبر، أما وهو في دائرة الإسلام، فعليهم بالسمع والطاعة، والمراعاة لهذه المصالح العظيمة ودرء المفاسد الكبيرة.

وأدرك السلف أهل السنة والجماعة هذا الأمر العظيم، فدوَّنوا هذا في كتب السنن والعقائد وفي كل ميدان، لفقههم في دين الله، وفي الحديث: «**مَن يُرِدِ الله بِهِ خَيرًا يُفَقِّههُ فِي الدِّينِ**»[1].

«**وَإِن عَبدًا حَبَشِيًا**»: تسمع وتطيع وإن كان هذا الأمير عبدًا حبشيًّا مجدَّع الأطراف، عليك أن تطيعه، لا تأخذك الأَنَفَةُ والكِبر عن السمع والطاعة له، لا، عليك أن تمتثل أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وأمر رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وتسمع وتطيع مهما كان حال هذا الأمير أو هذا الخليفة.

«**فَإِنَّهُ مَن يَعِش مِنكُم**»: بعد وصيتهم بتقوى الله والسمع والطاعة التي تؤلِّف بين القلوب، وتجمع الشتات وتمنع المضار والمفاسد.

قال: «**فإِنَّهُ مَن يَعِش مِنكُم بَعدِي فَسَيَرَى اختِلَافًا كَثِيرًا**»: وعلى رأس الاختلاف هذا: مخالفة الخوارج لكتاب الله وسنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومخالفتهم لأهل

---

(١) من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في «العلم» حديث [٧١] وفي «فرض الخمس» حديث [٣١١٦] وفي «الاعتصام» حديث [٧٣١٢]، ومسلم في «الزكاة» حديث [١٠٣٧]، وفي «الإمارة» حديث [١٩٢٣]، والترمذي في «العلم» حديث [٢٦٤٥]. ولفظ مسلم: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**»، وأخرجه أحمد (٢/ ٢٣٤)، وابن ماجه حديث [٢٢٠] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**».

السنة ومخالفة الروافض ومخالفة المعتزلة والمرجئة، وكل أهل البدع، وكلُّهم تفرَّقوا إلى فرق، إلى ثلاث وسبعين فرقة هذا هو الاختلاف الكثير، ما هو الحل؟ ما هو سبيل النجاة؟ ما هي سفينة النجاة؟

قال ﷺ: «**فَعَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهدِيِّينَ الرَّاشِدِين**»: السنة والمنهج والطريق في العقيدة، في العبادة، في السياسة، في الاجتماع علينا بهديه وهدي خلفائه الراشدين، فمن ينادي بالاشتراكية نقول: لا، ليس هذا في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ، والخلفاء الراشدون ما كانوا كذلك ولا كان هديهم، في السياسة ديمقراطية نقول: لا، أبدًا ما عندنا في كتاب الله وسنة الرسول ﷺ ديمقراطية، ولا اشتراكية ولا شيء من هذا.

كثير من الدعاة الإسلاميين الآن ينادون بالاشتراكية والديمقراطية إلى جانب الخرافات والبدع التي هم عليها، -مع الأسف- العقيدة لا قيمة لها عندهم، تعلقوا بالسياسة، تعلقوا بالاقتصاد، فإذا بالسياسة ديمقراطية غربية، وإذا بالاقتصاد اشتراكي، ماذا سَلِمَ لنا؟! لا عقيدة لا سياسة ولا اقتصاد عياذًا بالله.

والفرق الضالة تنخر في المسلمين، العقائد الفاسدة عند غلاة الصوفية الحلول ووحدة الوجود والقبورية وشرك وبدع وضلالات، لكن هذه الأشياء كلها لا تهم السياسيين، ولا يرفعون بها رأسًا ولا يبالون بها، الشرك والبدع والضلالات خيَّمت على عقول كثير من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وهم أينما قامت دعوتهم لا يبالون بهذا الشرك.

وهذا ميدان دعوة الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهم لا يسلكونه، الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أول ما يدعون إلى التوحيد ويعالجون الشرك بالله، أول شيء يبدءون به نشر توحيد الله ومطاردة الشرك والبدع والضلالات، وهؤلاء يحتوون أهل الشرك وأهل البدع وأهل الضلالات، ويجمعونهم في صعيد واحد، روافض وخوارج ومعتزلة حتى النصارى -أحيانًا- يدخلون في تنيظماتهم، هذا شيء ثابت في كتبهم وواقعهم، أنهم يُدخلون في تنظيماتهم النصارى والروافض وغيرهم من أهل الضلال، كلهم إخوانهم، لماذا؟ لأنهم يساعدونهم في تحقيق الغاية التي يطمحون إليها، وهي الوصول إلى الكراسي والتربع على العروش، وهذا غاية قصدهم، ثم بعد ذلك لا يُطبّقون شريعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

إذن علينا بهدي الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والخلفاء الراشدين في ميدان العقيدة والعبادة والسياسة والأخلاق والاجتماع وفي كل شأن، وأيُّ إنسان ينعق ببدعة وضلالة في أيِّ ميدان من هذه الميادين، ندفع هذه البدعة عن الإسلام والمسلمين، ونعتصم بما عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وخلفاؤه الراشدون، ونتمسك ونعض عليه بالنواجذ كما أمرنا بذلك رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فَعَلَيكُم**»: **يعني**: الزموا هذا الأمر.

وصفهم بالرشد والهداية: «**الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ**» **الرشد**: ضد الغي، والهداية: ضد الضلال، فهم مبرّؤون من الضلال ومن الغي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأهل البدع: أهل غيٍّ وضلال، فلننجوا من أهل الغي والضلال إلى سفينة الهدى والرشاد، سفينة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخلفاء الراشدين المهديين.

«**وَعَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ**»: هذا حثٌّ شديد، أثمن الأشياء يحاول الإنسان أن يمسكه بيديه، فإذا عجز ساعد يديه بأن يعض على ذلك الشيء الثمين بنواجذه، فكما أن

أفضل الأشياء وأثمنها عندك تحرص عليه وتمسك به وتعضُّ عليه بالنواجذ، فدين الله أولى بهذا، دين الله أولى بهذا، بأن تتشبث به وتتمسك به وتستميت عليه، حتى لو مُزِّقت إربًا إربًا لا تبارحه ولا تفارقه.

«وَعَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذ» **الناجذ**: آخر الأضراس، وللإنسان أربعة نواجذ.

«وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ»: هذا تحذير شديد من المحدثات، وهي البدع سواء في العقائد أو في العبادات أو في أيِّ مجال من مجالات الدين، إلا ما فيه مصلحة تقتضيه قواعد الشريعة من أمور الدنيا، فهذا لا بأس به، ما لم يخالف نصًّا شرعيًّا أو قاعدة شرعية.

فهناك مصالح مرسلة يحتاجها الناس في حياتهم، لكن لها شروط وهي أن تحقق مصالح واضحة تمامًا، ولا تصطدم بالنصوص من كتاب الله، ولا من سنة رسول الله ﷺ ولا تصطدم بقاعدة من قواعد الشريعة، فإذا كان كذلك فهي مصلحة، مثل: قوانين المرور وغيرها من المصالح التي يحتاجها الناس، صناعة الأسلحة، إنشاء المدارس هذه فيها مصالح وليس فيها مفاسد، خاصة إذا وضعنا لها المناهج الصحيحة، فأما في ذات المدارس بناؤها ليس حرامًا، لأنها لا تصادم مصلحة، فالفساد يأتي من وضع المناهج المخالفة -والعياذ بالله- لا من البناء نفسه، فهذا حتى لو درَّسناه في الصحراء وهو ضلال يبقى ضلالًا.

«فَإِنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ»: محدثة في الدين وضلالة، هناك أمور الدنيا كما يقول الرسول ﷺ: «**أَنتُم أَعلَمُ بِأُمُورِ دُنيَاكُم**».

كما في «صحيح مسلم»: لما قَدِمَ نَبِيُّ الله ﷺ المَدِينَةَ وَهُم يَأْبُرُونَ النَّخلَ، يَقُولُونَ: يُلَقِّحُونَ النَّخلَ، فَقَالَ: «**مَا تَصنَعُونَ؟**» قَالُوا: كُنَّا نَصنَعُهُ، قَالَ: «**لَعَلَّكُم**

لـو لم تفعلـوا كان خيرًا»، فتركوه فنفضت أو فنقصـت -قال- فذكروا ذلك له فقال: «إنَّمـا أنـا بشـرٌ، إذا أمرتُكم بشـيءٍ من دينكم فخـذوا به، وإذا أمرتُكم بشـيءٍ من رأيٍ فإنَّما أنا بشرٌ»(١).

فإذا كان يتكلـم في أمـور الدنيـا فهم أعرف بها، هم أعـرف بالفلاحـة والزراعة ومـا يصلـح مـن أمـور دنياهم، والرسـول ﷺ ما هـو إلا مبلِّـغ عن الله تبارك وتعالى فيـما يصلـح دينهـم ودنياهم، وأمـا في مثل هـذه الأمور التـي هم أخص بهـا وأعلم بها، فلا اعتراض عليهم.

أما الدين، قـال سبحانه وتعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ٢١].

وقـال الرسـول ﷺ: «وكلُّ محدثـةٍ بدعـةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالـةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النَّار».



---

(١) رواه مسلم في «الفضائل»، حديث [٢٣٦٢] عن رافع بن خديج رضي الله عنه.

ذكر أثر معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
في التحذير من الفتن
وبيان الدوافع التي تدفع رءوس الضلال
إلى اختراع هذه البدع

«حَدَّثَنَا يَزِيدُ بنُ خَالِدِ بنِ عَبدِ الله بنِ مَوهَبٍ الهَمدَانِيُّ، حَدَّثَنَا اللَّيثُ، عَن عُقَيلٍ، عَنِ ابنِ شِهَابٍ، أَنَّ أَبَا إِدرِيسَ الخَولَانِيَّ عَائِذَ الله أَخبَرَهُ: أَنَّ يَزِيدَ بنَ عُمَيرَةَ -وَكَانَ مِن أَصحَابِ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ- أَخبَرَهُ قَالَ: كَانَ لَا يَجلِسُ مَجلِسًا لِلذِّكرِ حِينَ يَجلِسُ إِلَّا قَالَ: الله حَكَمٌ قِسطٌ، هَلَكَ المُرتَابُونَ. فَقَالَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ يومًا: إِنَّ مِن وَرَائِكُم فِتَنًا يَكثُرُ فِيهَا المَالُ، وَيُفتَحُ فِيهَا القُرآنُ حَتَّى يَأخُذَهُ المُؤمِنُ وَالمُنَافِقُ وَالرَّجُلُ وَالمَرأَةُ وَالصَّغِيرُ وَالكَبِيرُ وَالعَبدُ وَالحُرُّ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَن يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَد قَرَأتُ القُرآنَ، مَا هُم بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبتَدِعَ لَهُم غَيرَهُ، فَإِيَّاكُم وَمَا ابتُدِعَ، فَإِنَّ مَا ابتُدِعَ ضَلَالَةٌ»[1].

هذا أثر معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو صحيح، وقد جاء من عدة طرق[2]، ومثل هذا -والله أعلم- ما يقال من قِبَل الرأي، وهو قد سمع كثيرًا من أحاديث الفتن ومنها:

---

(١) رواه أبو داود في سننه، في «السنة» (٥/ ١٧)، حديث [٤٦١١] بأطول من رواية الآجري.

(٢) أخرجه معمر في جامعه (١١/ ٣٦٣-٣٦٤) برقم [٢٠٧٥٠] - مصنف عبد الرزاق)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ١٨٥-١٨٦)، والدارمي في «السنن» (١/ ٧٧) رقم [١٩٩]، وابن وضاح في «البدع»، ص [٢٦]، وجعفر الفريابي في «صفة المنافق» برقم (٤١، ٤٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١١٤-١١٥) رقم (٢٢٧، ٢٢٨)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» برقم (١١٦، ١١٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٠٧)، برقم [٨٤٢٢]، و(٤/ ٥١٣) رقم [٨٤٤٠] وصححه، والبيهقي في «المدخل إلى السنن»، ص: [٤٤٤] رقم [٨٣٤]، وفي «الكبرى» (١٠/ ٢١٠)، وابن عبد البر في «الجامع» (٢/ ٢٢٤) =

«بَادِرُوا بِالأَعمَالِ فتنًا كقطَعِ اللَّيلِ المُظلِمِ، يُصبحُ الرَّجُلُ مُؤمِنًا وَيُمسِي كَافِرًا، أو يُمسِي مُؤمِنًا ويُصبحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا» (١) وما شاكل ذلك، فإما أنه سمع هذا بالنص أو أنه استنبطه من عموم النصوص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال فيه: «هَلَكَ المُرتَابُونَ»: يعني: أهل الشك والريب المتزعزعة عقائدهم، والمتزعزع إيمانهم، وهذا والله الهلاك.

ثم قال: «إِنَّ مِن وَرَائِكُم فِتَنًا»: كما أخبر الرسول بذلك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها ستكون فتن.

«يَكثُرُ فِيهَا المَالُ»: وتحدَّث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن فتنة المال وقال: «مَا تَرَكتُ بَعدِي فِتنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» (٢)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتنَةً، وَإِنَّ فِتنَةَ أُمَّتِي المَالُ» (٣)، فهذا الأثر إما أن يكون سمعه معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مباشرة بصيغته، وإما أنه تجمَّع له معانيه من هنا وهناك مما أخبر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«وَيُفتَحُ فِيهَا القُرآنُ حَتَّى يَأخُذَهُ المُؤمِنُ وَالمُنَافِقُ وَالرَّجُلُ وَالمَرأَةُ وَالصَّغِيرُ وَالكَبِيرُ وَالعَبدُ وَالحُرُّ»: يعني: تكثر المدارس، قبل هذا الزمن كان الواحد يمر بقرى كثيرة لا يجد فيها القارئ ولا الكاتب، ففي آخر الزمان يكثر القراء وتكثر المدارس، يقرأ ويقرأ القارئ، ثم يقول: الناس لا يتبعونني ولا يستمعون لي، فيأتي بتمثيليات وأناشيد

= رقم [٩٥٤]، والخطيب في «تالي تلخيص المتشابه» (٢/ ٤٩٧-٤٩٨) رقم [٣٠٠]، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٥/ ٣٣٧-٣٣٨)، من طرق عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في «النكاح»، حديث [٥٠٩٦]، ومسلم في «الرقاق»، حديث [٢٧٤٠].

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٦٠)، وابن حبان حديث [٣٢٢٣].

وبدع، الآن يستجلبون الناس بالتمثيليات والأناشيد، وليس بالحجج والبراهين من القرآن والسنة، بالقصائد بالخرافات بالبدع بأشياء يستجلبون بها الناس، المهم قصدهم حشد الناس حولهم فيكون لهم أتباع -نسأل الله العافية-.

وهذه الفتنة -والله أعلم- ضاربة أطنابها، وقد ظهر هذا الآن يقرأ الكبير والصغير والرجل والمرأة والحر والعبد، كان فيما مضى لا يتصدى لطلب العلم إلا الشرفاء النبلاء الذين لا يريدون إلا الله ثم الدار الآخرة ثم العلم، أما الآن كل الناس بمختلف طبقاتهم يقرءون، يكون الرجل فاسقًا ما يصلي، يدرس في المدرسة في كل مجال يريد الشهادة، يريد الدنيا بذلك[1].

فالمهم أنه يقرأ ثم يقول: «فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَن يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَد قَرَأْتُ القُرْآنَ» ليس كلهم، يعني: بعض الناس يريد أتباعًا، لأنه قرأ القرآن لغير الله، ليقال قارئ، وإلا فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحب الرجل التقي الغني الخفي[2]، ما يحب الظهور والأتباع إلا أهل الفتن، أما الذي يريد الله والدار الآخرة فليس له هدف إلا مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ،

---

(١) قال عيسى الحناط سمعت الشعبي يقول: إنما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان: العقل والنسك؛ فإن كان ناسكًا ولم يكن عاقلًا قال: هذا أمر لا يناله إلا العقلاء فلم يطلبه، وإن كان عاقلًا ولم يكن ناسكًا قال: هذا أمر لا يناله إلا النساك فلم يطلبه، فقال الشعبي: ولقد رهبت أن يكون يطلبه اليوم من ليست فيه واحدة منهما لا عقل ولا نسك.

رواه الدارمي (١/ ١١٦) رقم [٣٧١]، وابن حبان في «روضة العقلاء»، ص: [٣٤]، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٢٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٨٩) رقم (١٨٠١-زغلول)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ٤١٠-٤١١).

(٢) إشارة إلى الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في «الزهد» حديث [٢٩٦٥]، من رواية سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وما يرفعه عند الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يهمه يأتيه أتباع أو لا يأتونه، وإن جاءه شيء من فضل الله فلا يكون هدفه، لا يجعل التبعية له أول أهدافه وآخرها -نسأل الله العافية-[١].

«لا يَتَّبِعُونِي وَقَد قَرَأتُ القُرآنَ مَا هُم بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبتَدِعَ لَهُم غَيرَهُ»: يفكر في بدعة يجذب بها الناس أي بدعة يخترعها لهم حتى يلتفون حوله، ولو كان فيها طبول ودفوف ومحاذير، نسأل الله العافية.

وهذا موجود في أهل البدع، الصوفية عندهم طرق لجذب الناس، حكوا لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: عن جماعة يجتمعون على قصد الكبائر: من القتل، وقطع الطريق، والسرقة، وشرب الخمر، وغير ذلك، ثم إن شيخًا من المشائخ المعروفين بالخير قصد منع المذكورين من ذلك، فلم يمكنه إلا أن يقيم لهم سماعًا يجتمعون فيه بهذه النية، وهو بدف بلا صلاصل، ولا غناء ولا شبابة، فلما فعل هذا تاب منهم جماعة، فهل يباح فعل هذا السماع لهذا الشيخ على هذا الوجه، لما يترتب عليه من المصالح ؟ مع أنه لا يمكنه دعوتهم إلا بهذا ؟

فأجاب شيخ الإسلام[٢] بأن هذا الرجل جاهل بطرق الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وساق آيات وأحاديث من ضمنها: أن الأنبياء أرسلهم الله ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ويرسل الله كل نبي في قومه بلسان قومه ليبين لهم، فدعوة الرسل والمصلحين بنصوص الوحي ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا

(١) قال أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما صدق الله عبدٌ إلا سرَّه ألا يُشعر بمكانه». رواه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول»، ص [٦٣]، رقم [٣٥]، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٦)، وفي الباب آثار كثيرة عن السلف انظرها في «التواضع والخمول».

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦٢٠-٦٣٥).

....

﴿مَا يُنذَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، فالنذارة تكون بالقرآن والسنة وتوجيه الناس وتربيتهم ودعوتهم إلى التوبة بالآيات القرآنية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

ويبين لهم طرق التوبة، ويقرأ الآيات والأحاديث، ويذكر نصوص الوعد ويرغبهم في الجنة، ويذكر نصوص الوعيد ويخوفهم النار.

وأما الرقص والطبول والأناشيد والكلام الفارغ، هذه طرق أهل الجهل والضلال، لهذا هم ما عندهم علم، ما عندهم حجج، ما عندهم براهين، ليسوا عالمين بطريقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيأتون بالأناشيد والتمثيليات، أخذوها من النصارى واليهود ومن الروافض وجمعوا هذه البدع، ثم يقولون: أناشيد إسلامية، يعني: لعب بالدين، ولعب بالأمة -والعياذ بالله-، فيخترعون أشياء كثيرة ليحشدوا الأتباع حولهم، والله لا يهدونهم إلى طريق الأنبياء.

الذي يدخل معهم في تنظيمهم الرافضي مستمر في رفضه، والصوفي القبوري مستمر في قبوريته، ويمكن أن يفتحوا الأبواب للنصارى، بل فتحوها لهم، ولا يدعونهم إلى الإسلام، المهم عندهم حشد الناس حولهم ليصلوا إلى الملك، ليصلوا إلى مطالب دنيوية ساقطة لا وزن لها عند الله عز وجل.

....

«فَإِيَّاكُم وَمَا ابتُدِعَ، فَإِنَّ مَا ابتُدِعَ ضَلَالَةٌ»: هذا مثل قوله ﷺ: «وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ».

فكما قلنا هذا الإمام الجليل الفقيه معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أعلم الصحابة بالحلال والحرام [١]، قدَّم هذه النصيحة لهذه الأمة وحذرهم من البدع، وبيَّن لهم الدوافع التي تدفع رءوس الضلال إلى اختراع هذه البدع، ثم حذَّرهم منها.

(١) إشارة إلى الحديث الذي رواه الترمذي في «الجامع في المناقب» (٦/ ١٢٧-١٢٨)، حديث [٣٧٩١]، وقال الترمذي عقبه: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في «المقدمة»، في فضائل زيد بن ثابت (١/ ١٦٢)، رقم [١٥٥]، والنسائي في «الكبرى» (٣/ ٣٦٣)، رقم [٨٢٢٩]، و(٧/ ٣٤٥) رقم [٨١٨٥]، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٨١، ١٨٤)، وفي «الفضائل» (١/ ٤٤٦) رقم [٧١٦]، وأبو داود الطيالسي في مسنده، ص: [٢٨١] رقم [٢٠٩٦]، وابن حبان في صحيحه كما في «الإحسان» (١٦/ ٧٤) رقم [٧١٣١]، و(١٦/ ٨٥-٨٦) رقم [٧١٣٧]، و(١٦/ ٢٣٨) رقم [٧٢٥٢]، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٢٧٩-٢٨٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٧٤) رقم [١٢٨٢]، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٥٨٦)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٤٨٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٣٥)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٩/ ١٠٦)، وفي «الكبرى» (٦/ ٢١٠)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ١٣١)، رقم [٣٩٣٠]، والضياء المقدسي في «المختارة» (٦/ ٢٢٦-٢٢٨) من طرق عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس عن النبي ﷺ: «أَرحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكرٍ، وَأَشَدُّهُم فِي أَمرِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصدَقُهُم حَيَاءً عُثمَانُ، وَأَقرَؤُهُم لِكِتَابِ اللهِ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وَأَفرَضُهُم زَيدُ بنُ ثَابِتٍ، وَأَعلَمُهُم بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيدَةَ ابنُ الجَرَّاحِ».

يرويه بعضهم تامًّا وآخرون مختصرًا، وصححه طائفة من أهل العلم. انظر: الجزء الحديثي النافع الماتع لشيخنا ربيع حَفِظَهُ اللهُ الموسوم بـ: دراسة أقوال العلماء في حديث: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر..» الحديث.

وقوله: «إِنَّ مِن وَرَائِكُم فِتَنًا يَكثُرُ فِيهَا المَالُ وَيُفتَحُ فِيهَا» هذا لا يمكن أن يكون من عنده، لابد أن يكون من عند محمد ﷺ الذي يوحي الله إليه، ويخبره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما يشاء عن المستقبل من الفتن والزلازل والمحن وأشراط الساعة وما شاكل ذلك.

«وَاحذَرُوا زَيغَةَ الحَكِيمِ»: لأن العصمة بإجماع الأمة ليست إلا للأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيما يبلِّغونه، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فيبلغونه وأما غيرهم فليسوا بمعصومين لا من الكبائر ولا من الصغائر، ولا من الخطأ والزلل في الأقوال ولا في الأفعال ليس أحدٌ معصومًا، فإذا رأيت عالِمًا كبيرًا ورعًا تقيًّا زاهدًا، لا تقل: هذا معصوم، وإذا تبين لك من كلامه ما هو خطأ لا تتبعه، لأن هذه زلة.

«الحَكِيمِ» يعني: العالم الذي أوتي الحكمة، ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، فأوتي خيرًا كثيرًا، لكنه ليس بمعصوم من الزلل، فالحذر الحذر من زلات العلماء، وربما تكون زلة العالم خطيرة، لأنه يُنظَر إليه بمنظار إجلال وإكبار، فيجب أن يُحذر من هذه الزلات.

كيف نعرف أنه زلَّ؟ خالف الكتاب والسنة، فعندنا ميزان، زلَّ، أخطأ في حكم من الأحكام، خالف نصًّا من كتاب الله وسنة الرسول ﷺ في عقيدة، واجتهد وبذل جهده في ذلك، لكن وقع في خطأ عقدي أو نحوه، ما نقول هذا عالم وهذا إمام هذا العصر، لا، يجب أن نتقي زلته.

والآن واقع الناس إلا من رحم الله على خلاف هذا الميزان، إذا نصبوا شخصًا يكون هو الميزان، وأقواله هي الميزان، ولا يجوز الاعتراض عليه، ويا ويل من يعترض على هذا الإنسان، ويا ويل من يقول أخطأ، وهذه والله هي الفتن التي تضيّع الأمة، وهذا هو الغلو المهلك.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]، نزلت في اليهود والنصارى كيف بالمسلمين؟! عندهم كتاب بيّن واضح شامل لكل دقيقة وجليلة، كما قال أبو ذر رضي الله عنه: «لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا»(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: **«إنه لم يَكُن نَبيٌّ قَبلِي إلا كان حَقًّا عليه أَن يَدُلَّ أُمَّتَهُ على خَيرِ ما يَعلَمُهُ لهم، ويُنذِرَهُم شَرَّ ما يَعلَمُهُ لهم»**(٢).

فما ترك هذا الرسول عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء وأفضلهم وأكملهم شيئًا إلا بيّنه، ورسالته أكمل الرسالات وأشملها، ما ترك خيرًا إلا ودلنا عليه ولا شرًّا إلا وحذّرنا منه، من يفقه ويغفل ويجهل ذلك؟ أما البيان الكامل الشامل لكل خير فقد والله تضمنه الكتاب والسنة، وإذا ما عرفنا فهذا من جهلنا ومن قصورنا ومن تقصيرنا.

فالشاهد: أنه لا يُقدّس أحد، ليس هناك أفكار مقدّسة، الذي تجب طاعته واتباعه والتشبث بأقواله هو محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، والخلفاء الراشدون المهديون.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٦٢)، وابن حبان في «الإحسان»، حديث [٦٥]، والطبراني في «المعجم الكبير»، حديث [١٦٤٧].

(٢) أخرجه مسلم في «الإمارة» حديث [١٨٤٤]، وأحمد (٢/ ١٩١).

وقال ابن عباس لمن كان يعارضه بأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقولون: قال أبو بكر وعمر!»(١).

أين هذا المنهج من واقعنا الآن؟ المفتونون بالتبعية العمياء البلهاء لأشخاص ما هم بعلماء عندهم هذا التفكير الأبله؟ ما عندهم الإدراك الصحيح؟

والله لقد فقدوا العقول والضمائر، وأماتوا أنفسهم وأهلكوها وضيعوها وضيعوا الأمة، يجب أن يفيقوا من هذا البلاء الذي وقعوا فيه، وأن ينقذوا أنفسهم من هذا الغلو والضياع.

---

(١) هذا الأثر ذكره بهذا اللفظ شيخ الإسلام ابن تيمية: كما في «المجموع» (٢٠/ ٢١٥، ٢٥١)، و(٢٦/ ٥٠، ٢٨١)، وابن القيم: في «أعلام الموقعين» (٢/ ٢٣٨) وفي «الطرق الحكمية»، ص: [٢٥] وفي غيرها من كتبه.
وقد أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٣٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٣٧٨)، برقم [١٢٤٨]، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» برقم [٣٧٣]، وابن حزم في «حجة الوداع»، ص: [٢٦٨]، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠/ ٣٣١) برقم [٣٥٧] بلفظ: «أُرَاهُم سَيَهلِكُونَ؛ أَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقُولُ: نَهَى أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ».
ورواه إسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» (١/ ٣٦٠)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» برقم [٣٧٤]، وابن حزم في «حجة الوداع»، ص: [٢٦٩] بلفظ: «هذا الذي أهلككم والله ما أرى إلا سيعذبكم؛ إني أحدثكم عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتجيئوني بأبي بكر وعمر»، ولفظ إسحاق: «من هاهنا تردون، نجيئكم برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتجيئون بأبي بكر وعمر». قال الحافظ ابن حجر: سنده صحيح.
وفي لفظ عند عبد الرزاق (٢/ ٣٧٨)، «جامع بيان العلم» لابن عبد البر، ومن طريقه ابن حزم في «حجة الوداع»، ص: [٢٦٩]: «والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله؛ أحدثكم عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتحدثوننا عن أبي بكر وعمر».

والله يـا إخـوة! ما نـرضى الغلو في محمـدٍ ﷺ ولا في أصحابـه، ولا في أهل بيتـه، فكيـف نـرضى بالغلو في غيرهم ممن لا يسـاوي الواحد منهم شـعرة من شـعرات هـؤلاء الكـرام الـبررة، ونرفض الغلو في أيِّ شـخص كان، ولو كان شـخص الرسـول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عملًا بأوامره وتوجيهاته: «**لَا تطروني كما أَطرَتِ النَّصَارَى عِيسَى بن مَرِيَمَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ**، فَإِنَّمَا أنا عبد، فقولوا: عبد الله وَرَسُولُهُ**»(١).

غلا النصارى في عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ فرفض الإسـلام هذا الغلو، غلا أناس في رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فنرفض هذا الغلو.

لما يأتي البوصيري يقول:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به — سواك عند حلول الحادث العمم

فإن من جـودك الدنيا وضرتها — ومـن علومك علم اللـوح والقلم

غلـو، نـضرب بكلامه عـرض الحائـط، لأن هذا غلـو، وندينه بالضـلال هو ومن يرضى هذا الغلو والضلال.

والغلـو في شـخص مـن الأشـخاص بالتعصـب لأقوالـه قـال فـلان قـال فـلان ولـو كانـت أقوالـه من البـدع والضـلالات، قل: قـال الله، قال رسـول الله ﷺ، لا تتمسـك بقـول فلان، إذا خالف شـيئًا من نصـوص الكتاب والسـنة أو خالف المنهج أو خالـف العقيـدة أو خالـف السـلف فـلا تتعصب لـه وابتعد عن مشـابهة أعـداء الله، ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ٥].

(١) رواه البخاري في صحيحه في «أحاديث الأنبياء»، حديث [٣٤٤٥]، وأحمد في مسنده (١/ ٢٣).

﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

لسان حاله:

وما أنا إلا من غزية إن غوت	**غويت وإن ترشد غزية أرشد**

هذه الأساليب الجاهلية[١] التي يسير عليها كثير من الشباب الآن -مع الأسف الشديد- وراء أشخاص والله ما هم بعلماء ولا هم حول العلم، وضيعوا أنفسهم وضيعوا منهج الإسلام، وأهانوا العقيدة بهذه المواقف المخزية، فندعوهم إلى أن يتوبوا إلى الله وأن يكونوا رجالًا يحترمون الإسلام، ويحترمون ما جاء به محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وينزلون الناس منازلهم.

يقول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما قالوا له: أنت سيدنا وابن سيدنا قال: «**قُولُوا بِقَولِكُم وَلَا يَستَجرِكُم الشَّيطَانُ أَو الشَّيَاطِينُ -قَالَ إِحدَى الكَلِمَتَينِ-، أَنَا مُحَمَّدُ ابنُ عَبدِ الله وَرَسُولُه، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبدُ الله وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَن تَرفَعُونِي فَوقَ مَنزِلَتِي الَّتِي أَنزَلَنِي الله** عَزَّ وَجَلَّ»[٢].

وكان رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذا جاء لا يقوم له أحد، لماذا؟ لما يعرفون من كراهيته لذلك، ما شيء كان أحب إلى أصحاب محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن يروه ولكن لا يقومون له، يأتي وهم جالسون ما يتحرك أحد منهم، كل واحد ثابت في مجلسه، لأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكرهه، ولأنه يربيهم على عدم الغلو حتى في الصلاة.

---

(١) انظر: «مسائل الجاهلية» لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: المسألة السادسة عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٤٩)، والنسائي في «الكبرى»، حديث [١٠٠٠٦].

اشتكى رَسُولُ الله ﷺ فَصَلَّى أصحابه وَرَاءَهُ وَهُوَ قَاعِدٌ، وَأَبُو بَكرٍ يُكَبِّرُ يُسمِعَ النَّاسَ تكبيرَهُ، فَالتَفَتَ إِلَينَا فَرَآنَا قِيَامًا، فَأَشَارَ إِلَينَا فَقعَدنَا فَصَلَّينَا بِصَلَاتِهِ قُعُودًا، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: «**إِن كِدتُم آنِفًا تَفعَلُونَ فِعلَ فَارِسَ وَالرُّومِ؛ يَقُومُونَ عَلَى مُلُوكِهِم وَهُم قُعُودٌ، فَلَا تَفعَلُوا، ائتَمُّوا بِأَئِمَّتِكُم، إِن صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا، وَإِن صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا**»[١]، أنكر عليهم هذا القيام وهو ركن من أركان الصلاة.

«**وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجمَعُونَ**»[٢]، طبعًا هذا نُسخ، لكن هذه مرحلة من مراحل التربية، تربية هذه الأمة على الرجولة وعلى العزة وعلى الكرامة والتعظيم لله رب العالمين، والابتعاد عن الغلو، ويُنَزَّل الناس في المنازل التي أنزلهم الله إياها، الرسول يطاع ويتّبع ويُحب، «**لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ مِن وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجمَعِينَ**»[٣]، لكن ما يُعطى ذرة من حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أبدًا، حق التشريع لله وأذن للرسول ﷺ أن يبيِّن، لقد حُسم أمر التشريع ليس ذلك لأحد، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١].

الشاهد: أنه يُحذِّر الناس من الغلو، والآن انتشر هذا الداء حتى -والله أعلم- في بعض المنتسبين إلى السلفية، وهذه آفة وجرهم أهل البدع إلى تعظيم زائد للأشخاص، فيجب أن يكون عندنا ميزان شرعي، فلا نتجاوز حدود الله في تقدير الأشخاص، ونتقي

(١) أخرجه مسلم في «الصلاة»، حديث [٤١٣]، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٣٤)، وأبو داود في سننه في «الصلاة»، حديث [٦٠٦]، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب «الأذان»، حديث [٧٢٢]، ومسلم في «الصلاة»، حديث [٤١٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري في «الإيمان»، حديث [١٥]، ومسلم في «الإيمان»، حديث [٤٤].

....

الله في تقويم الأشخاص وتقديرهم ويُنزل الناس منازلهم، فقد يكون الرجل في حضيض الحضيض ويُرفع إلى عليين، وقد يكون في منزلة عظيمة ويُهبط إلى أسفل سافلين بموازين شيطانية ليست موازين ربانية.

فيجب أن نصحح موازيننا وأن نستمدها من منهج الله ومن كتاب الله ومن سنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.



قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[٩٢] أخبرنا الفريابي قال: نا الحسن بن علي الحلواني، بطرسوس سنة ثلاث وثلاثين ومائتين قال: سمعت مطرف بن عبد الله يقول: سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده الزائغون في الدين يقول: قال عمر بن عبد العزيز: «سن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله تَعَالَىٰ، واستكمال لطاعة الله تَعَالَىٰ، وقوة على دين الله، ليس لأحد من الخلق تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا»(١).

ساق المؤلف بإسناده إلى مطرِّف بن عبد الله عن مالك بن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنه ذُكر عنده الزائغون، يعني: المبتدعين في الدين، مثل القدرية والمرجئة والروافض والخوارج.

يقول: قال عمر بن عبد العزيز: «سنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله تَعَالَىٰ»: كأنه يشير إلى قول الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «فَعَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، وَعَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٢) فيشير إلى هذا.

ومثله قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٥٧) رقم [٧٦٦]، واللالكائي (١/ ١٠٥-١٠٦) رقم [١٣٤] بإسناده إلى رشدين بن سعد حدثني عقيل عن ابن شهاب عن عمر بن عبد العزيز، ورشدين ضعيف؛ لكنه يتقوى بإسناد مالك فيرتقي إلى درجة الحسن.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود في «السنة»، حديث [٤٦٠٧]، والترمذي في «العلم»، حديث [٢٦٧٦]، وابن ماجه في «المقدمة»، حديث [٤٢].

ذكر بعض أهمّ سنن الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

فمن أهم سنن الخلفاء الراشدين: التمسك بكتاب الله، والاعتصام بحبل الله عَزَّ وَجَلَّ، ومحاربة الشرك ومحاربة البدع على اختلاف أصنافها، من هنا جلد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صبيغًا ونفاه، وابن عمر وكثير من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تبرءوا من القدرية، وهذا مدوَّن، منه ما هو في «صحيح مسلم»[1]، ومنه ما هو مذكور في كتب التأريخ وكتب العقائد[2]، فهذا سبيل المؤمنين.

يأتينا جهمي نقول له: اتبع سبيل المؤمنين، اتبع سبيل الخلفاء الراشدين الذين ما جاءوا بمثل هذه البدع من تعطيل الصفات، ويأتينا قدري نقول له: والله الصحابة كانوا يؤمنون بالقدر، وما أحد منهم كان ينفي القدر، الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون، وهكذا يأتينا أي شخص بأيِّ بدعة نقول له هذا، أنت خالفت سبيل المؤمنين، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ويأتينا بأيِّ بدعة في أيِّ مجال من المجالات نقول: عليكم بسبيل المؤمنين ومن خالفها فقد شاق الله ورسوله واتبع غير سبيل المؤمنين، ويصدق عليه هذا الوعيد: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾، فعمر بن عبد العزيز يشير -والله أعلم- إلى هذه الأدلة بكلامه هذا.

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه «الإيمان» (١/ ٣٦)، حديث [١]، ورواه أبو داود في «السنة»، حديث [٤٦٩٥]، والترمذي في «الإيمان»، حديث [٢٦١٠]، والنسائي في «الإيمان وشرائعه»، حديث [٤٩٩٠]، وأحمد (٢/ ١٠٧)، وابن حبان «الإحسان» حديث [١٦٨].

(٢) انظر: «الإبانة» لابن بطة (٢/ ٥٦-٦)، و(١٢٥-١٧٣)، و«شرح اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٤/ ٦٥٩ - ٦٧٨).

....

قولـه: «الأخـذ بهـا اتبـاع لكتـاب الله تَعَالَىٰ، واسـتكمال لطاعـة الله تَعَالَىٰ»: والله لا نسـتكمل طاعـة الله ولا ننـصر الله إلا باتبـاع سـبيل المؤمنـين، واتبـاع سـبيل الخلفاء الراشدين.

ومن سـننهم: التمسـك بكتاب الله ونبذ الخرافات والبدع والأسـاطير في العقيدة والمنهج، في السياسـة، في أيِّ مجال هذا هو طريق النجاة وهذه سـفينة النجاة، كان يقولها مالـك[١] والزهـري[٢] وغيرهم، اتباع سـبيل المؤمنين، والبعد كل البعد عن مشـاقة الله ومشـاقة الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومخالفـة سـبيل المؤمنـين، ولا يصلـح آخر هـذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

«**ليـس لأحـد من الخلـق تغييرها، ولا تبديلهـا**»: يجب الثبات عـلى هذا الأصل وعـلى هذه الأصول المقررة الثابتة، لا يجـوز لأحد أن يغير فيها ولا يبدل، ولا يجوز له أن ينظر في شيء يخالف هذا المنهج أبدًا، ولا يقيم له أيَّ وزن، ويضرب به عرض الحائط، كما كان يقـول الشـافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيتـم قولي يخالف قول الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاضربوا بقولي عرض الحائط»[٣] كيف بأقوال أهل البدع؟!

---

(١) رواه الهـروي في «ذم الـكلام وأهلـه» (٥/ ٨٠-٨١رقـم٨٧٢)، والخطيـب في «تاريـخ بغـداد» (٧/ ٣٣٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤/ ٩)، وذكره السيوطي في «مفتاح الجنة»، ص: [٤٦].

(٢) روى أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٦٩)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ٥٦) رقم (١٥، ٩٤-٩٥) رقـم (١٣٦، ١٣٧)، والهروي في «ذم الـكلام» (٣/ ١٣٦-١٣٨) رقـم [٤٨٥]، والبيهقـي في «المدخل إلى السـنن»، ص [٤٥٤]، رقـم [٨٦٠] عن الزهري قال: «الاعتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالعِلمُ يُقبَضُ قَبضًا سَرِيعًا، فَنَعشُ العِلمِ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنيَا، وَذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ ذَهَابُ العُلَمَاءِ».

(٣) انظر: «تاريـخ دمشـق» لابـن عسـاكر (٥١/ ٣٦٥)، و«المؤمـل في الـرد إلى الأمر الأول» لأبي شـامة (ص٦٠- مختصره)، و«الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ١٥٤- الإمام أحمد).

الآن يرحبون بأقوال أهل البدع، موالد، خرافات، قبورية، بناء على القبور، شركيات، بدع سياسية ديمقراطية، ضلالات عقائدية ومنهجية وسياسية، وحدة أديان، حرية أديان، مساواة الأديان، أخوة أهل الأديان... وتائهين بالشباب وكثير منهم يتبع أيَّ ناعق وينفخ فيه ويكبره ويعظمه يزين الشيطان لهم هذا.



كيف تقبل البدع عند كثير من الناس؟!

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧] **الغلوُّ**: هو الذي يهلك الناس ويوقعهم في البدع، كيف تُقبل البدعة؟

يغلون في صاحبها ويقدسونه ويعظمونه فيتبعونه؛ وإلا لو كان عندهم غير مُعظَّمٍ ما يتبعونه، لكن ما يقعون في هوة البدع إلا بعد أن يضخم لهم الشيطان هذا الإنسان، ويُعطى منزلة قد تفوق حتى منزلة الصحابة، لا يجوز عندهم نقده ولا رد خطئه، ولا أن يقال وقع في بدعة، وياويلك لو انتقدت واعترضت خاصة في هذا العصر، عصر الإرهاب الفكري.

لو ترى الإرهاب الفكري الحاصل الآن في (الإنترنت) تقول: فلان أخطأ، تقوم الدنيا وتقعد، غلوٌّ فظيع، لو تقول: فلان أخطأ وتشير فقط إشارة؛ تُقابل بالسب والشتم والتهديد والإرهاب الفكري، وساعدتهم هذه الوسائل الإجرامية على محاربة الحق وأهله وعلى المضي في باطلهم، سادرين كالأنعام لا أخلاق ولا مروءة ولا شرف أبدًا.

والله إلى عهد قريب كان في بعض أهل البدع مَن عندهم شيء مِن العقول من إعطاء الكلمة لخصمهم يفسحون له المجال ليتكلم، الصحيفة والمجلة تفتح صفحاتها ومجلتها لخصومها لينتقدوها وينتقدوا القائمين عليها وشيوخها، ثم من يريد أن يرد، يرد، الآن يا ويلك، سيوف مسلولة وألسنة حداد.

هذا منشؤه الجهل والضلال، والغلو والانحطاط الأخلاقي، انحطاط رهيب جدًّا مخلوط بدكتاتورية شنيعة لا نظير لها، الجبابرة المستبدون قد لا يصلون إلى هذه الدرجة من الإرهاب الفكري ضدَّ مَن يقول كلمة الحق.

«**مَن اهتدى بها فهو مهتد**»؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**» هذه شهادة لهم بأنهم أهل رشاد وأهل هدى، لهذا قال ﷺ: «**فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**» حضَّ وحثَّ وأمرَ فالزموا، الزموا سنة الخلفاء الراشدين؛ لأنهم أهل رشاد يستحقون أن تُلزم سنتهم وأن يُعضَّ عليها بالنواجذ، ولهذا قال ﷺ: «**عضوا عليها بالنواجذ**» فمن هذا انطلق عمر بن عبد العزيز بهذا الكلام، وإن كان الإسناد فيه انقطاع، لكن الإمام مالكًا يردد هذا وهو قريب عهد بعمر بن عبد العزيز، وهو كلام متداول بين الناس وهو حق ويستند إلى حق.

قوله: «ومن استنصر بها فهو منصور» قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم حَتَّى يَأتِيَ أَمرُ الله**» تصول على أهل الباطل بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ وبهدي الخلفاء الراشدين، أنت منصور، أنت القاهر الغالب الظاهر عليهم.

قوله: «**ومن تركها**»: من تركها فهو مخذول ضالٌّ غير راشد وغير مهتد.

«**ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولَّاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا**»: أخذًا من كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى واستدلالًا بسنة الرسول ﷺ.



قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٩٣- حدثنا أبو محمد الحسن بن علُّوية القطان قال: حدثنا عاصم بن علي قال: حدثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن بكير بن عبد الله بن الأشج: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «إن ناسًا يجادلونكم بشبيه[1] القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تَعَالَىٰ».

هذا الأثر فيه كلام وانقطاع، ولكن أرى أن له أصلًا.

يقول: «إن ناسًا يجادلونكم بشبيه القرآن»: أي: المتشابه، يعني بذلك أهل الزيغ الذين قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في شأنهم:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

أكد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية بقوله: **«فَإِذَا رَأَيتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحذَرُوهُم».**

فهذا الأثر عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وإن كان ضعيفًا لكن يسنده ما تضمنته هذه الآية من أن الذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه، فيتركون المحكم من القرآن وما يبينه من سنة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويوضحه، ويتعلقون بالمتشابه.

---

(١) كذا، والصواب: «بشبهات» كما سيأتي في حديث [١٠٢].

والمراد به: المتشابه من القرآن الذي يبينه المحكم منه وتبينه سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أسأل الله تَعَالَىٰ أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يجعلنا ممن يتبع هدي الخلفاء الراشدين المهديين بعد كتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.





الأسئلة

سؤال: سلفي يعمل عند داعية من دعاة الحزبية، ويسكن عنده، ولو نصحه ما استجاب، فهو لا ينصحه فهل يبقى معه؟

جواب:

لا يجوز مجالسة أهل البدع ولا العيش معهم ولا الركون إليهم، ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، إذا كان عاميًّا أو طالب علم يحب الحق ويريد النصيحة فانصح له وعلِّمه، أما أن تكون خولًا له وخادمًا ذليلًا أمامه منقادًا له، هذا هو البلاء -والعياذ بالله-.



١٢

باب

التحذير من طوائف يعارضون سنن النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب الله تعالى وشدة الإنكار على هذه الطبقة

قال محمد بن الحسين:

ينبغي لأهل العلم والعقل إذا سمعوا قائلًا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء قد ثبت عند العلماء، فعارض إنسان جاهل فقال: لا أقبل إلا ما كان في كتاب الله تعالى قيل له: أنت رجل سوء، وأنت ممن يحذرناك النبي صلى الله عليه وسلم، وحذر منك العلماء، وقيل له: يا جاهل، إن الله أنزل فرائضه جملة، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبين للناس ما أنزل إليهم قال الله عز وجل: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

فأقام الله تعالى نبيه عليه السلام مقام البيان عنه، وأمر الخلق بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وأمرهم بالانتهاء عما نهاهم عنه، فقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧].

ثم حذرهم أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

....

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

ثم فرض على الخلق طاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نيف وثلاثين موضعًا من كتابه تَعَالَىٰ.

وقيل لهذا المعارض لسنن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا جاهل، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣] أين تجد في كتاب الله تَعَالَىٰ أن الفجر ركعتان، وأن الظهر أربع، والعصر أربع والمغرب ثلاث، وأن العشاء الآخرة أربع؟

أين تجد أحكام الصلاة ومواقيتها، وما يصلحها وما يبطلها إلا من سنن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

ومثله الزكاة، أين تجد في كتاب الله تَعَالَىٰ في[1] مائتي درهم خمسة دراهم. وفي[2] عشرين دينارًا نصف دينار، وفي[3] أربعين شاة شاة، وفي[4] خمس من الإبل شاة. ومن جميع أحكام الزكاة، أين تجد هذا في كتاب الله تَعَالَىٰ؟

وكذلك جميع فرائض الله التي فرضها الله في كتابه لا يعلم الحكم فيها إلا بسنن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا قول علماء المسلمين، من قال غير هذا خرج عن ملة الإسلام، ودخل في ملة الملحدين.

....

(١) في الأصل: (من) في كل هذه المواضع، والصواب (في)، كما في الحديث النبوي في «الزكاة».
(٢) في الأصل: (من) في كل هذه المواضع، والصواب (في)، كما في الحديث النبوي في «الزكاة».
(٣) في الأصل: (من) في كل هذه المواضع، والصواب (في)، كما في الحديث النبوي في «الزكاة».
(٤) في الأصل: (من) في كل هذه المواضع، والصواب (في)، كما في الحديث النبوي في «الزكاة».

نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى، وقد روي عن النبي ﷺ وعن صحابته رضي الله عنهم مثل ما بينت لك فاعلم ذلك.

ترجم المؤلف: هذا الباب بقوله: باب «التحذير من طوائف يعارضون سنن النبي ﷺ بكتاب الله تعالى وشدة الإنكار على هذه الطبقة».

أقول: وجدت بعض الفِرَق اتصفت بهذه المعارضة، معارضة السنَّة بالقرآن وكذلك يوجد من يعارض الكتاب والسنة بالعقل، وهذه العقول أهواء، العقل الصريح والنقل الصحيح لا يتعارضان، وكتاب الله وسنة الرسول ﷺ لا يتعارضان، لأن كلًّا من عند الله.

قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ - ٤].

هذا الوحي المخالف للهوى يشمل القرآن والسنة، كلاهما من مشكاة واحدة من مشكاة الوحي، من عند الله رب العالمين، أنزله الله على محمد ﷺ قد يكون هناك اجتهادات من النبي ﷺ -أحيانًا قليلة- يُقِره الله عليها والغالب وحيٌ، خاصة البيان، بيان هذه الأركان من الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها، هذه لا تكون إلا من عند الله تبارك وتعالى ليست مواطن اجتهاد.

فيحذِّر المؤلف: من هذه الطوائف التي تعارض السنة بكتاب الله، تقول لهم: قال رسول الله ﷺ، فيقولون: لا، هات من القرآن.

هذا إلحاد، إذا كان يرفض السنة ولا يعتبرها: هذا كفر؛ لأنه تكذيب بالقرآن نفسه، الله سبحانه وتعالى أمر باتباع الرسول ﷺ فقال: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣]

فطاعة الرسول ﷺ طاعة الله، ومعصيته معصية الله، امتثال أمره امتثال لأوامر الله، واجتناب ما نهى عنه اجتناب لما نهى الله عنه، لأنه يبلِّغ عن الله رسالته، فهو مبلِّغ: ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [الشورى: ٤٨].

بيان أن السنة مبيِّنة للقران شارحة له وأن كلًّا مِن عند الله عَزَّوَجَلَّ:

كيف تعارض سنة رسول الله ﷺ بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وهي كلها من عند الله ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

فالسنة لا تعارض بالقرآن، والقرآن لا يعارَض بالسنة، والقرآن لا يعارض القرآن والسنة لا تعارض السنة، ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]. ولكنه من عند الله فلن يجدوا فيه اختلافًا لا كثيرًا ولا قليلًا، وإنما يحصل التعارض في نظر من قلَّ علمهم وغلب عليهم الهوى - والعياذ بالله -.

وإلا فهناك علماء أفذاذ ألَّفوا فيما يظهر منه التعارض في القرآن، مثل: «دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب» للعلامة محمد الأمين الشنقيطي، صاحب «أضواء البيان».

وفيما يظهر منه التعارض في السنة، وفي ذلك مؤلفات، منها: «مختلف الحديث» لابن قتيبة، وكما تعرفون عن الشافعي وغيرهم من علماء الإسلام، فابن خزيمة كان يقول: «من رأى في حديثين تعارضًا فليأتني بهما لأوفق له بينهما»[1].

---

(١) «معرفة أنواع علوم الحديث»، للحافظ ابن الصلاح، ص: [٢٨٥].

....

ويقولون: إذا ظهر التعارض في السنة، فأول شيء يجب أن تجمع بينهما، إذا أمكن الجمع بدون تعسف، وإلا انتقل إلى النسخ لنعرف أيهما المتقدِّم من المتأخر، فيكون المتقدِّم هو المنسوخ والمتأخر هو الناسخ، ثم الترجيح ثم التوقف.

الذي يمر بهذه المراحل نهايته التوقف، معناه: أن هذا الكلام حقٌّ، لكن أنا ما اهتديت إلى وجه الصواب ووجه التأليف بين الأحاديث التي يظهر فيها التعارض، فيحكم على نفسه بهذا، ولا يحكم على سنة رسول الله ﷺ.

فالرسول ﷺ أخبر فقال: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكئًا على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها...**» الحديث[(١)].

يعني: أنَّ أُناسًا مترفين أخلدوا إلى الراحة، ما يطلبون العلم ولا يعرفون الحديث، ولا يميزون بين صحيحه من سقيمه، تقول له: قال رسول الله ﷺ يقول لك: لا، نريد القرآن فهذا جاهل ضالٌّ.

وقد نبغ في هذا العصر طائفة تسمى بالقرآنية، يعني: لا يعتمدون إلا القرآن وهم عجم، ويقولون: نحن نفسر القرآن!!

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠)، وأبو داود في كتاب: «السنة»، حديث [٤٦٠٤]، وابن ماجه نحوه في «المقدمة»، رقم [١٢]، والترمذي في «العلم»، حديث [٢٦٦٤]، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وهو حديث صحيح. وقد صححه الألباني في «المشكاة» [١٦٣].

الصحابة أفصح الفصحاء وأعلم العلماء، وكانوا يحتاجون إلى رسول الله ﷺ يفسر لهم، في كثير من الأحيان تقع لهم مشاكل، ويبين لهم الرسول ﷺ ما يشكل عليهم من القرآن.

كيف وأنت عجمي وفي آخر الزمان، ولا تعرف اللغة وتقول: إنه يكفيني القرآن والسنة ما نحتاجها ؟!

القرآن فسره الرسول ﷺ، ما معنى البيان؟ هو التفسير، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

طيب هذا يقول: إذا سمعت واحدًا يقول: قال رسول الله، يقول لك: لا، هات القرآن، نقول له: القرآن جاء فيه: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في عشرات النصوص، وجاء الأمر بأداء الزكاة في مواضع كثيرة من القرآن: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وحج بيت الله الحرام ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

فأنت لا تعرف كيف تصلي، ولا تعرف كيف تزكي، ولا تعرف الصيام، ولا تعرف تحج إلا ببيان الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(١).

وقال ﷺ في شأن الحج ومناسكه: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُم، فَإِنِّي لا أَدرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعدَ حَجَّتِي هذه**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في «الأذان»، حديث [٦٣١].

(٢) رواه مسلم في صحيحه «الحج»، حديث [١٢٩٧]، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٣٧)، وأبو داود في «المناسك»، حديث [١٩٧٠]، والنسائي في «مناسك الحج»، حديث [٣٠٦٢].

فعلَّمنا ﷺ كيف نصلي، بيَّنَ لنا أن صلاة الفجر المكتوبة ركعتان، مِن أين عرفنا هل هذا في القرآن؟ لا، رسول الله الصادق الأمين ائتمنه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وعلَّمه ووكل إليه هذا البيان إكرامًا له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كان أستاذ يدرِّسنا يقول: «الرسول ليس بريدًا يؤدي الرسالة فقط ويمشي».

أعطاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى منزلة ومكانة، يُبين ويشرح، والله هو الذي يلهمه هذا البيان ويُوحي إليه هذا الشرح، فعلَّمنا أن صلاة الفجر ركعتان، وأن الظهر أربعًا وأن العصر أربعًا وأن المغرب ثلاثًا وأن العشاء أربعًا، ثم بيَّن لنا ما نقوم به في كل ركعة، كما جاء في حديث المسيء صلاته، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ المَسجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيهِ السَّلَامَ، فَقَالَ: **«ارجِع فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَم تُصَلِّ»**.

فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: **«ارجِع فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَم تُصَلِّ»** -ثَلَاثًا-.

فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أُحسِنُ غَيرَهُ، فَعَلِّمنِي.

قَالَ: **«إِذَا قُمتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّر، ثُمَّ اقرَأ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرآنِ، ثُمَّ اركَع حَتَّى تَطمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارفَع حَتَّى تَعتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسجُد حَتَّى تَطمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارفَع حَتَّى تَطمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسجُد حَتَّى تَطمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ افعَل ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا»**[1].

---

(١) أخرجه البخاري في «الأذان»، حديث [٧٩٣]، ومسلم في «الصلاة»، حديث [٣٩٧].

أمره باستقبال القبلة ثم التكبير لابد من هذا ولا تصح صلاتك إلا بهذا، التكبير ركن من أركان الصلاة، استقبال القبلة شرط من شروط الصلاة، لابد من هذا، من علَّمنا هذا؟ الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. «ثُمَّ اقرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرآنِ» من علَّمنا هذا؟ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيان عدد الركعات في كل فريضة، وبيان ما الذي تقوله في الركوع، وما تقوله في السجود، ثم التشهد ثم السلام.

كل هذه من تعليمات الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي أسند الله إليه مهمة البيان لما أُجمل من القرآن، وتخصيص العام وتقييد المطلق، هذه كلها أعطاها لهذا النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والله هو الذي يعلِّمه، وهو يبلِّغ هذا التعليم، فالقرآن هو الأصل، والسنة هي الشرح وهي البيان، فهذا للرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذن، ديننا لا يقوم إلا بالسنة، ولا نفهم القرآن ولا نفهم مقاصده في كثير من الأحيان، في بعض الأحيان تجد المقاصد واضحة، ولكن بالأخص في العمليات، هذه لابد فيها من بيان الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فنأخذ هذا البيان عن الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧]، إلى جانب الأوامر الكثيرة في طاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كما قال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بلغ الأمر بطاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نيف وثلاثين موضعًا» تأكيد في أوامر طاعة هذا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجتناب نواهيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لأن كل هذا من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

الذي يخالف أمر الرسول ﷺ يحذره الله هذا التحذير أن تصيبه فتنة.

قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعلَّه أن يصيبه شيء من الزيغ فيهلك.

لِمَ تردُّ سنة الرسول ﷺ الصحيحة الثابتة؟!

نعوذ بالله، هذا أمر خطير جدًّا يؤدي بك إلى الكفر والشرك، فاحذر غاية الحذر أن تخالف أمر الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

هذا الخوف عندنا ضعيف وهزيل جدًّا، وكثير من الناس ما يعتمد السنة! مستنده الكتب الفلانية والكتب الفلانية، والقول الفلاني وأقوال البشر! يقولون نحن ما نفهم! والقرآن واضح والسنَّة واضحة، لماذا الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بيَّن وكلَّفه الله بالبيان وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

نعم المسلم قد يخفى عليه بعض الشيء، لكن لا تجعل المسلمين كلهم عميانًا وتصم آذانهم وتغلق أعينهم عن فهم القرآن وعن فهم السنَّة، نترك الناس تتدبر القرآن وتتفقه في السنَّة، الذي يخطئ يُسدَّد، الإمام الكبير قد يخطئ، الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد يخطئون «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجتَهَدَ فَأَصَابَ؛ فَلَهُ أَجرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجتَهَدَ فَأَخطَأَ، فَلَهُ أَجرٌ»[1].

فلا نسدُّ باب الاجتهاد، إذ المجتهد بين الأجر والأجرين، فالذي يمنع الاجتهاد يريد أن يصيرنا كلنا عميانًا، وهذا بلاء، اترك الناس يتدبرون هذا القرآن كما أمر الله تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ويستعينون

---

(١) أخرجه البخاري في «الاعتصام»، حديث [٧٣٥٢]، ومسلم في «الأقضية»، حديث [١٧١٦].

على فهم نصوصه بتفسير الصحابة والسلف الصالح، ثم في الأمور التعبدية العملية نستعين بفهم الرسول ﷺ قبل كل شيء.

أفضل تفسير للقرآن: تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسير القرآن بسنّة النبي عليه الصلاة والسلام، ثم التفسير بكلام الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنهم عاصروا الوحي وشاهدوا نزول الوحي، وشاهدوا تطبيقات الرسول عليه الصلاة والسلام فهم أعلم الناس بكتاب الله وبسنّة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ثم تلاميذهم القرون الثلاثة المفضلة الذين كانوا يأخذون دينهم من القرآن والسنّة فقط عربًا وعجمًا، فتح الصحابة رضي الله عنهم الشعوب، فتحوا بلاد فارس والروم والبربر، وغيرها من البلدان الأعجمية، كانوا يعلّمونهم، قال الله، قال رسول الله ﷺ، ما قالوا عجم ما يفهمون قال الله، قال رسول الله، ما قالوا هذا، وتلقى العجم هذا، وفهموا القرآن، وفهموا الإسلام فهمًا صحيحًا، حتى كان بعضهم يعرف الإسلام أكثر من كثير من العرب؛ لأنهم أقبلوا على العلم بِجِدٍّ فعلموا هذه الرسالة.

فالآن نحتاج إلى علماء يربُّون الناس على قال الله، قال رسول الله ﷺ.

إذا سُئلت عن مسألة قُل له: قال الله كذا، وقال رسول الله ﷺ كذا، حتى تشيع نصوص القرآن والسنة في أوساط المجتمع الإسلامي، لا تفتي بفتوى جامدة، فلا تستدل بقول الله تعالى، ولا قول رسوله ﷺ، هذا غلط، ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم إذا سُئل عن مسألة يجيب بآية أو يجيب بحديث، والسائل يفهم الحكم، إذا ما فهم لا يضر، ولكن في الغالب على المسلم أنه يفهم.

الشاهد: أن الإمام الآجري: ذكر هذه الفرقة، وقد نبَّه عليها الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقوله: «**لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُم مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَو نَهَيتُ عَنهُ، فَيَقُولُ: لَا أَدرِي مَا وَجَدنَا فِي كِتَابِ الله اتَّبَعنَاهُ**»[1].

«**لَا أُلْفِيَنَّ**»: لا أجد أحدًا منكم يقول هذا القول الخبيث، أن يُعرَض عليه حديث من حديثي فيقول: لا أقبل هذا، أريد من القرآن، هذا ضلال، هذا كفر بالقرآن نفسه، لماذا؟ لأنه يأمرك بطاعة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عشرات المرات ويقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[النور: ٦٣]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ثم تأتي وتقول لا، ما أقبل السنَّة! هذا كفر بالقرآن قبل السنَّة.

ولهذا أجمع المسلمون على الحكم على هذه الطائفة القاديانية بأنها كافرة، القاديانية والقرآنية كما يُسمُّون أنفسهم، إمامهم ادَّعى النبوة.

القاديانية فرقة ضالة خرجت عن الإسلام، لأنها تنكر ختم النبوية وترى أن باب النبوة مفتوح، وإمامهم الكذاب الدجال أحمد ميرزا، أو ميرزا أحمد القادياني ادعى النبوة، ادعى أولًا أنه عيسى ادعى النبوة ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، ثم

---

(١) رواه أبو داود في سننه [٤٦٠٥]، وابن ماجه في سننه [١٣]، والترمذي في سننه [٢٦٦٣] وحسنه عن أبي رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال: أنا المراد بقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ثم قال: الخاتم: الزينة، -قبّحه الله- أعجمي جاهل خبيث يلعب بالقرآن ويفسِّره بهواه.

وكذلك القرآنية، قوم نشئوا في الهند لا يعرفون لغة ولا يفهمون القرآن ولا السنَّة، قالوا: نفسر القرآن يكفينا، لعله غرسهم زنادقة الإنجليز، ثم طلعوا على المسلمين باسم القرآنية، يقال لهم: كيف نصلي الظهر، كيف نصلي العصر؟ قالوا: صلِّ كيف تشاء ليس هناك عدد، ولا يلزمك قراءة، ولا يلزمك كذا، ولا يلزمك كذا، صلِّ كما تريد، وهذا كفر، أجمع العلماء على تكفيرهم.

نصوص السنة تُنَزَّل منزلة القرآن الكريم في الأحكام والعقائد، وبيان ما انفرد به القرآن من المنزلة:

إذن هذا يعطينا ضرورة اتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأخذ بأقواله وأفعاله وتقريراته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولابد من هذا، ولا يستغني عن ذلك أحد، عن شيء مما علمنا رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويجب أن نحترم نصوص السنَّة وننزلها في الأحكام والعقائد منزلة القرآن.

القرآن معجز انفرد وتميَّز على السنَّة بأنه يُتعبَّد به في الصلاة، وأنه مُعجزٌ تحدى به الجن والإنس، فلم يأتوا بسورة مثله، ومع ذلك في الأحكام والعقائد السنَّة، مثل القرآن. «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[1]، فالسنَّة مثل القرآن في الاحتكام إليها في العقائد والعبادات والسياسة والاجتماع والاقتصاد وفي كل شئون الحياة.

---

(١) سبق تخريجه.

التعليق على قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]... الآية، وبيان متى يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفرًا أكبر ومتى لا يكون:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

يقسم الله عَزَّوَجَلَّ بذاته المقدسة هذا القَسَم المُؤكَّد بعدد من التأكيدات، منها: أنه أقسم بنفسه، وأكَّدَ ذلك بـ«لا» النافية المؤكِّدة للقَسَم، أن لا أحد يؤمن ولا يكون مؤمنًا إلا إذا سلَّم للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، واعترف وآمن ودان أن حكمه حق.

١ - فإذا شك في حكمه.

٢ - أو رأى حكمًا أفضل من حكمه.

٣ - أو رأى حكمًا يساوي حكمه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

٤ - أو رأى أحكام الناس دون أحكام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن يجوز الاحتكام إليها

هذه كلها كفر بالله، يقسم الله أنها كفر.

لكن إذا سلَّم بحاكمية الله وأن الحكم لله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا حكم لأحد مع الله، ثم مع رسوله، ولكن غلبه هواه، فحكم بغير ما أنزل الله فهذا كفر دون كفر، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وتابعه على ذلك السلف الصالح.

الذي لا يُحكِّم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منطلقًا من احتقار سنته كافر، أو يرى أن له الحق أن يحكم بما شاء، هذا كافر، يرى أن القوانين والأحكام مثل القرآن والسنَّة، كافر، رأى أنهما دونهما لكن يجوز الحكم بها، كافر حتى يؤمن ويوقن في قرارة نفسه أن الحكم لله وحده، ثم

لرسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأمر الله عَزَّوَجَلَّ وبإذنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وما عداهما ليس لهم حكم أبدًا إلا باتباع وطاعة هذا الرسول في كل شأن من الشئون من أحكام الدين والدنيا.

فإذا رأى أن لفلان أن يحكم بغير شرع الله، دخل في الكفر، ولهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] قال عَديٌّ: «أَمَا إِنَّهُم لَم يَكُونُوا يَعبُدُونَهُم»، يعني: ما نركع لهم ولا نصلي لهم ولا نسجد لهم. قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجَل، وَلَكِن يُحِلُّونَ لَهُم مَا حَرَّمَ الله فَيَستَحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ عَلَيهِم مَا أَحَلَّ الله فَيُحَرِّمُونَهُ، فَتِلكَ عِبَادَتُهُم لَهُم»[1] حينما أعطوهم حق التشريع أعطوهم حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذا كفر.

فأنت يجب أن تؤمن أن الحكم لله وحده ويجب أن تطيع وأن تنفِّذ، وأن ترضى بذلك وألا يبقى في نفسك أيُّ حرج، تستسلم لله استسلامًا كاملًا، هذا هو الإيمان الصحيح. فإذا وجدت في نفسك حرجًا من حكم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تقول هذا جور، تطعن في حكم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! هذا كفر -والعياذ بالله-.

لابد من الاستسلام الكامل والرضا الكامل بحكم الله ثم بحكم رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ونحن نطلب من المسلمين جميعًا -حُكَّامًا ومحكومين- أن يحتكموا إلى الله في عقائدهم وفي عباداتهم وسياستهم وفي سائر شئون حياتهم.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه في «التفسير»، حديث [٣٠٩٥]، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/١١٦).

الذي لا يسلِّم بحاكمية الله في العقيدة والعبادة هو من أول المتمردين على حاكمية الله، وإن نعق بها ليل نهار.

الآن يوجد ناس يطالبون بالحكم بما أنزل الله في الجانب السياسي فقط، وهم أنفسهم لا يُحكِّمُون الله ورسوله في أبواب عظيمة من الدين، أعظم من الجانب السياسي، فتجده في عقيدته لا يُحكِّم الله، ولا يطالب الضالين بتحكيم الله في عقائدهم، ويقرهم على أباطيلهم وضلالاتهم، فهو يؤاخي الروافض ويقول: إسلامهم صحيح، كل ما عندهم سهل، ويؤاخي القبوريين ويقرهم على قبوريتهم وشركهم وضلالهم، ولا يرى ذلك خدشًا في دينهم، فهذا لا يعرف حاكمية الله، ولو نعق بالدعوة إلى الحاكمية ليل نهار، وكفَّر الناس بذلك، فإنه من أول الخارجين على حاكمية الله، لأنه ما سلَّم لله في العبادة ما سلَّم لله في كثير من الأشياء -والعياذ بالله-.

فهؤلاء الذين يطالبون الحكام في الجانب السياسي، وينسون أنفسهم وينسون مخالفات كثير من المجتمعات الإسلامية، وينسون أئمة الضلال، هؤلاء أخطر على دين الله من الحكام الفاسقين الجائرين الذين حكَّموا القوانين، أفسد وأخطر منهم على دين الله، فيجب أن يتوبوا إلى الله قبل كل شيء، ويربُّوا أنفسهم وأتباعهم على العقيدة الصحيحة، وإلى التحاكم إلى الله في أبواب العقيدة وفي سائر أبواب الدين، ومنها: التحاكم إلى الله في جانب السياسة.

أمَّا أن تهمل، بل تشطب على كل هذه الأساسيات، وتأتي تتعلق بالحاكمية لأن لك فيها حظًّا، ولأنك تريد أن تصل إلى العرش، هذا متَّهم، كيف يترك منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟

الأنبياء جاءوا يُربُّون الناس على العقائد الصحيحة، وهو ما يُربِّي الناس على العقائد الصحيحة، ثم يأتي ويشغل الناس بالكلام في الولاة، هذا مُتَّهم في الدين، أين العقيدة؟

لماذا لا تطالب نفسك ولا تطالب أتباعك ولا تطالب حزبك بالاحتكام إلى الله في العقائد؟

العقائد أهم من الجوانب السياسية بمئات المرات، ومن أهميتها أن جاء بها الأنبياء، يعرفون الله بأسمائه وصفاته، ويعرفونه بعبادته ويحاربون الشرك، شرك الأوثان وشرك التنجيم والسِّحر والكهانة، وكل ما دار في أبواب الشرك وقاربها، ثم يأتي هؤلاء ويشطبون كل هذه الأساسيات أو يدفنونها، وما عندهم إلا جانب واحد من الإسلام، هل بعث الله الأنبياء لهذا الجانب بهذا الشكل؟!

إذن أول ما يجب أن ينادى بأن يحتكم إلى الله هم هؤلاء الدعاة، دعاة الباطل، يحاربون من يدعو إلى منهج الأنبياء، يحاربون منهج السلف حربًا لا هوادة فيها، وهم ينادون إلى حاكمية الله في العقيدة والعبادة، وهم يحاربون هذه الأشياء.

أُلِّفت كتب في هذا الباب تُحارَب، أُلِّفت للدعوة إلى منهج السلف تُحارَب لماذا؟ لأن فيهم أناس من أئمة الضلال، رَبَّوهم على المشاكل فقط في الحاكمية، وهؤلاء الذين رَبَّوهم منحرفون أشد من الحكام في أبواب العقائد انحراف شنيع إلى وحدة الوجود، إلى الشرك الأكبر، إلى الضلالات التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، كيف يُتلقى الدين عن هؤلاء؟!

فالشاهد: أن أول ما يجب أن ينادى به هو حاكمية الله في جانب العقيدة، في السابق كان منهم الصياح بالحاكمية على أيِّ شيء؟ في الكلام على الحكام فقط، الحاكم لا يعرف العقيدة، والله يجب أن تطالبه بالعقيدة الصحيحة قبل أن تطالبه بتطبيق الحاكمية، حاكم لا يعرف

مُعتقَدًا صحيحًا لا في أبواب العقائد ولا في توحيد الأسماء والصفات، ثم يأتون يناوشونه على الحكم، وهو يحتاج إلى هذا أكثر من حاجته إلى شيء آخر، مريض في هذه الأبواب أكثر من مرضه في أبواب السياسة، فالمطلوب معالجته من الأساس، عنده سرطان وعنده إيدز وعنده حمى تأتي تعالج الحمى وتترك هذه الأشياء الخطيرة!

ثم ظهرت حقيقتهم، فأصبحوا الآن -بالإضافة إلى ضلالاتهم- ينادون بالديمقراطية الكافرة، صناعة اليهود وملاحدة النصارى، وأحلوها محل دعوتهم إلى الحاكمية ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ثم لما تأتي تستعرض دعوة الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تستعرض دعوتهم كما جاء في القرآن، ما جاءوا لهذا الذي ينادي به القوم، جاءوا لتصحيح العقائد وهؤلاء لا يعيرون وزنًا لمن يدعوا إليها، يقولون: أنتم تحاربون القبور ونحن نحارب القصور، والله نحارب القبوريين ونحارب المجتمعات الشركية، نحن في مواجهات مع حكام ومحكومي المجتمعات التي فيها شرك، والله نحن في صراع معهم، أما أنتم فنصبتم نافذة واحدة تدخلون منها وتخرجون[1]، وأهم جوانب الإسلام ضيعتموها، ليست هذه هي دعوة الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولا هي دعوة إصلاح أبدًا.

لو قام الآن حكام يعتقدون الحلول ووحدة الوجود ويشركون بالله ويستغيثون بالأولياء، وسمعوا لهؤلاء الذين ينادون بالحاكمية في جانب السياسة واستجاب الحكام لهم في هذا، ما هو مصيرهم؟ هل أخذوا بالإسلام كاملًا؟ أو بقي عليهم أشد من هذا الذي طبّقوه.

(١) أحلوا محل هذه النافذة (الحاكمية) أحلوا محلها الديمقراطية ومشتقاتها من المظاهرات والاعتصامات.



النجاشي كان مؤمنًا، لكن لم يقدر على تطبيق الشريعة ومات مؤمنًا، لكن لو رفض العقيدة التي جاء بها محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أكان يصلي عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ أو يقول عنه مؤمن؟ أبدًا ما طبّق الحاكمية وطبّق العقيدة، فآمن بها، ماذا قال فيه: «**إن أخا لكم قد مات، فقوموا فصلُّوا عليه**»[1]، ما كان يصلي، كان يخفي إسلامه، فلا يستطيع أن يظهر منه شيئًا، ولا يستطيع أن يدعو إلى الإسلام ولا إلى عقيدة الإسلام... عجز وما قدر على ذلك، علم الله عذره، لكن العقيدة لا يستطيع أن يقول: ما أقدر أعتقد.

هذا كذاب وليس معذورًا أبدًا، العقيدة هي الأساس وتأتي الأشياء الأخرى منها، ما هو أساس إلى جانب هذا الأساس، لكن دونه في المنزلة، وهناك ما هو مكمِّل.

والحاكمية ما هي إلا من المكمِّلات، وما هي إلا من حقوق التوحيد، ما هي إلا من حقوق العقيدة، لو أن إنسانًا عاش في مجتمع ما فيه تطبيق للحاكمية، وهو يقول: أنا أؤمن بحاكمية الله، وهو صادق مخلص، لكن ما أقدر أطبّق، يموت مسلمًا مائة في المائة، ولا ينقص شيء من عقيدته ولا من دينه، لكن الذي يموت بغير عقيدة ويحارب الذي يدعو إلى التوحيد ويحارب الشرك، فكيف يكون مصيره؟



(١) أخرجه مسلم في «الجنائز»، حديث [٩٥٣]، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٣٣)، وابن حبان في «الإحسان»، حديث [٣٠٩٩].

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[٩٤] حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن سالم أبي النضر، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يبلغه الأمر عني، فيقول: ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه، لم أجد هذا في كتاب الله تَعَالَىٰ».

[٩٥] وحدثنا أبو العباس أحمد بن سهل الأشناني قال: حدثنا الحسين بن علي ابن الأسود العجلي قال: حدثنا يحيى بن آدم قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن محمد بن المنكدر، عن سالم أبي النضر، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أعرفن أحدكم متكئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به، أو نهيت عنه فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله تَعَالَىٰ اتبعناه»[١].

....

(١) أورد الآجري حديث أبي رافع من طريقين:

في أولاهما: يحيى بن عبد الحميد الحماني، قال الذهبي فيه في «المغني» (٢/ ٧٣٩): حافظ، منكر الحديث، وقد وثقه ابن معين وغيره، وقال أحمد بن حنبل: كان يكذب جهارًا، وقال النسائي: ضعيف.

وقال الحافظ ابن حجر: حافظ، إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث.

وفي ثانيهما: الحسين بن علي بن الأسود العجلي.

قال فيه الذهبي في «الكاشف»: قال أبو حاتم: صدوق، وضعَّفه ابن عدي.

وقال الحافظ ابن حجر: صدوق، يخطئ كثيرًا.

لكن المتن صحيح، أخرجه الترمذي في أبواب «العلم»، حديث [٢٦٦٣]، قال حدثنا قتيبة، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن محمد بن المنكدر وسالم أبي النضر، عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبي رافع، وغيره رفعه، وذكر هذا الحديث.

=

[٩٦] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي قال: أنا عاصم بن علي قال: حدثنا أبو معشر قال: ثنا سعيد، عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «لا أعرفن أحدًا منكم أتاه عني حديث وهو متكئ على أريكته يقول: اتل به قرآنًا»(١).

[٩٧] أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عفير الأنصاري قال: ثنا نصر ابن علي الجهضمي قال: حدثنا أبي قال: حدثنا حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن ابن أبي عوف، عن المقدام بن معديكرب الكندي: عن النبي ﷺ قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله، ألا إني أوتيت القرآن ومثله، ألا إني أوتيت القرآن ومثله، ألا إنه يوشك رجل شبعان على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه» وذكر الحديث(٢).

[٩٨] أخبرنا أحمد بن سهل الأشناني قال: حدثنا الحسين بن علي بن الأسود قال: حدثنا يحيى بن آدم قال: حدثنا ابن المبارك، عن معمر، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أبي نضرة، عن عمران بن الحصين أنه قال لرجل: «إنك امرؤ أحمق. أتجد في كتاب الله تعالى الظهر أربعًا لا تجهر فيها بالقراءة؟ ثم عدد عليه الصلاة

= وأخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، حديث [٤٦٠٥]، قال حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل وعبد الله بن محمد النفيلي، قالا: حدثنا سفيان عن أبي النضر عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن النبي ﷺ به، ورواه ابن ماجه في «المقدمة»، حديث [١٣] بإسناده إلى سفيان به.

(١) إسناده ضعيف؛ لأن فيه أبو معشر ضعيف، لكنه يعتضد بحديث أبي رافع الذي قبله.

(٢) إسناده صحيح، وله متابعة، رواها الترمذي في أبواب «العلم»، حديث [٢٦٦٤]، وابن ماجه في «المقدمة»، حديث [١٢]، وفي إسناد هذه المتابعة: الحسن بن جابر، سكت عنه الذهبي، وقال الحافظ: «مقبول»، أي: إذا توبع فحديثه حسن، وقد توبع وتابع غيره.

والـزكاة ونحوهمـا، ثم قال: أتجد هـذا في كتاب الله تَعَالَىٰ مفسـرًا؟ إن كتاب الله أحكم ذلك، وإن السنة تفسر ذلك»[(١)].

[٩٩] وحدثنا أحمد بن سـهل قال: حدثنا الحسـين بن علـي قال: حدثنا يحيى ابـن آدم قـال: حدثنا ثوبان، عن حماد بن سـلمة، عن يعلى بن حكيم، عن سـعيد بن جبير أنه حدث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثًا فقال رجل: «إن الله تَعَالَىٰ قال في كتابه: كـذا وكـذا! فقـال: ألا أراك تعارض حديث رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكتاب الله تَعَالَىٰ، رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم بكتاب الله تَعَالَىٰ»[(٢)].

[١٠٠] حدثنا أحمد بن سهل، قال: حدثنا الحسين بن علي، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قـال: حدثنـا قطبة بن عبـد العزيز وأبو بكر بن عياش، عن عبد الرحمن بن يزيد، أنـه رأى محرمًـا عليه ثيابه فنهى المُحرِمَ، فقال: ائتـني بآية من كتاب الله تَعَالَىٰ بنزع ثيابي؟ فقرأ عليه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧][(٣)].

....

---

(١) في إسناده: علي بن زيد بن جدعان، ضعيف، لكن له متابعة يتقوى بها، روى هذه المتابعة الإمام محمد ابن نصر المروزي في كتابه «تعظيم قدر الصلاة» رقم [١٠٨١] بأوسع من نصه هنا، وفي إسناده: صرد ابن أبي المنازل.

وكذا راوه ابن بطة في «الإبانة»، رقم [٦٧] وفي إسناده صرد أيضًا، وصرد وثَّقه ابن حبان.

وذكـره البخـاري في «التأريخ» (٤/ ٣٣١)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، فيرتقي هذا الحديث من الطريقين إلى درجة الحسن لغيره.

(٢) في إسناده: ثوبان، الراوي عن حماد بن سلمة لا يعرف.

هـذه القصـة رواهـا الدارمي في مسـنده، برقم [٥٩٦]، قال أخبرنا سـليمان بن حـرب حدثنا حماد بن سلمة به، وهذا إسناد حسن إن لم يكن صحيحًا.

(٣) في إسناده ضعف؛ لأن فيه الحسين بن علي بن الأسود، تقدم الكلام عليه قريبًا.



[١٠١] حدثنا أبو محمد الحسن بن علوية القطان قال: حدثنا عاصم ابن علي قال: حدثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن بكير بن عبد الله ابن الأشج: إن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن ناسًا يجادلونكم بشبيه القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تَعَالَى».

[١٠٢] وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا عيسى بن حماد زغبة قال: حدثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن بكير بن الأشج قال: إن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تَعَالَى»[1].

[١٠٣] وأخبرنا يوسف بن يعقوب القاضي قال: حدثنا أبو الربيع - يعني: الزهراني -، قال: حدثنا جرير - يعني: ابن عبد الحميد -، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة قال: قال عبد الله: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتفلجات للحسن، المغيرات لخلق الله تَعَالَى.

فبلغ ذلك امرأة من بني أسد، يقال لها: أم يعقوب، كانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت له: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمتوشمات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله تَعَالَى؟

فقال عبد الله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في كتاب الله تَعَالَى، فقالت: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدت هذا، قال: فقال

....

(١) أثر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إسناديه: بكير بن عبد الله بن الأشج، لم يدرك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ففيهما انقطاع.

عبد الله: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، ثم قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

[١٠٤] أخبرنا يوسف بن يعقوب قال: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: «لعن رسول الله ﷺ الواشمات» فذكر نحو الحديث قبله.

[١٠٥] حدثنا أحمد بن سهل الأشناني قال: حدثنا الحسين بن علي قال: حدثنا يحيى بن آدم قال: حدثنا المفضل بن المهلهل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، أن امرأة من بني أسد وذكر الحديث نحوه[١].

[١٠٦] وحدثنا أحمد بن سهل أيضًا قال: حدثنا الحسين بن علي قال: حدثنا يحيى بن آدم قال: حدثنا ابن المبارك، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء في قول الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، قال: «إلى الله»: إلى كتاب الله، «وإلى الرسول» إلى سنة رسول الله ﷺ[٢].

[١٠٧] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي قال: أنا الحوطي عبد الوهاب بن نجدة قال: حدثنا بقية بن

....

(١) صحيح بهذا الإسناد، وهو متفق عليه، رواه البخاري في «اللباس»، حديث [٥٩٣١] مختصرًا، وفي «التفسير»، حديث [٤٨٨٦]، ومسلم في «اللباس»، حديث [٢١٢٥].

(٢) فيه ضعف؛ لأن في إسناده الحسين بن علي الأسود صدوق يخطئ كثيرًا، وقد تقدم الكلام عليه قبل قليل لكن المتن معناه صحيح.

الوليد قال: حدثنا سوادة بن زياد، وعمرو بن مهاجر، عن عمر بن عبد العزيز، أنه كتب إلى الناس: «إنه لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ»[١].

١٠٨- وأخبرنا أحمد بن عبد الجبار الصوفي قال: حدثنا هاشم بن القاسم الحراني قال: حدثنا عيسى- يعني: ابن يونس-، عن الأوزاعي، عن مكحول قال: «السنة سنتان: سنة الأخذ بها فريضة وتركها كفر، وسنة الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غير حرج»[٢].

قال محمد بن الحسين: فيما ذكرت في هذا الجزء من التمسك بشريعة الحق، والاستقامة على ما ندب الله تعالى إليه أمة محمد ﷺ، وندبهم إليه الرسول ﷺ ما إذا تدبره العاقل علم أنه قد ألزمه التمسك بكتاب الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ، وبسنة الخلفاء الراشدين، وجميع الصحابة رضي الله عنهم، وجميع من تبعهم بإحسان وأئمة المسلمين، وترك الجدال والمراء والخصومة في الدين، ولزم مجانبة أهل البدع، والاتباع وترك الابتداع، فقد كفانا علم من مضى من أئمة المسلمين الذين لا يستوحش عن ذكرهم من مذاهب أهل البدع والضلالات، والله الموفق لكل رشاد، والمعين عليه.

ساق المؤلف: في هذا الباب أحاديث مرفوعة عن النبي ﷺ وآثارًا عن الصحابة وعن التابعين، وكلها تحث على التمسك بسنة رسول الله ﷺ واحترامها، واعتبارها مفسِّرة للقرآن وموضحة لمجملاته ومبهماته، ولا يمكن أن نفهم

---

(١) أثر حسن، في إسناده: سوادة بن زياد، ذكره البخاري في «التأريخ»، برقم [٢٤٢٢] باسم سوادة البرحي، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، لكن سوادة مقرون بعمرو بن مهاجر وهو ثقة.
وفي إسناده: بقية بن الوليد صدوق، كثير التدليس، إلا أنه صرَّح بالتحديث، فالأثر حسن.

(٢) في إسناده هاشم بن القاسم الحراني، قال في «التقريب»: «صدوق تغيَّر».
وأخرجه الدارمي (١/ ١٥٣) برقم [٥٨٩] عن محمد بن كثير الصنعاني عن الأوزاعي به.

....

القرآن في كثير من العمليات إلا بسنة محمد ﷺ، وساق الأمثلة من كلام بعض الصحابة والتابعين، للتدليل على أننا لا يمكن أن نفهم كثيرًا من الأمور إلا بالسنَّة.

من قال: أخبار الآحاد تفيد الظن، يشارك إلى حد كبير الخوارج والروافض والباطنية والقاديانية والقرآنية في معارضة سنَّة رسول الله بكتاب الله، بل في طرحها.

من الأحاديث: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يبلغه الأمر عني، فيقول: ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه لم أجد هذا في كتاب الله تَعَالَىٰ»، هذا ضلال قام عليه مذهب الخوارج والروافض وفرق الباطنية والقاديانية والقرآنية وأمثال ذلك مع الأسف الشديد.

وقريب منهم: الذين يقولون إن أخبار الآحاد تفيد الظن، وخاصة في أبواب العقائد، ولا نبني عليها شيئًا من عقائدنا، وهذا هو الضلال البعيد؛ فإن العقائد التي وردت في القرآن جاء في السنَّة ما يؤكدها، وليس هناك في السنَّة ما ينافي نصوص القرآن في أبواب العقائد وغيرها حتى نأتي بمثل هذه العقيدة الفاسدة التي رُدَّ بها كثير من الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ.

وللمعتزلة من ذلك الحظ الأوفر، وشاركهم الأشعرية إلى حدٍّ بعيد -مع الأسف الشديد- وأخذوا عنهم هذه القاعدة الخبيثة: «أخبار الآحاد تفيد الظن، فلا يُبنى عليها العقائد» نسأل الله العافية.

فنحن نعتقد: أنه إذا صح الحديث في عقيدة من العقائد، فإننا نقبلها كما نقبل القرآن، «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» فكما يُحتجُّ بالقرآن في العقائد يُحتجُّ بالسنَّة

في العقائد، كما يُحتجُّ بالقرآن في الصلاة والزكاة والصوم والحلال والحرام نُحتجُّ بالسنة كذلك في كل أبواب الدين.

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧]

﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

والرد إلى الله: ردٌّ إلى كتاب الله، والرد إلى الرسول ﷺ: ردٌّ إليه في حياته، وردٌّ إلى سنته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد مماته، فإنه ما مات حتى أكمل الله لنا الدين.

ونخبرهم ببيان الله وبيان رسوله الذي أُسنِد إليه البيان: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وهذا الرسول محمد ﷺ أُرسِل بلسان قومه، فبيَّن لهم العقائد بالقرآن والسنَّة وبيَّن لهم التشريعات، وأُسند إليه الكثير وقام بالكثير والكثير من البيانات، وهذه كتب السنن والصحاح والمعاجم والجوامع التي جمعت فيها أحاديث رسول الله ﷺ تبين هذا البيان، ما هي إلا بيانات وتفصيلات لكثير من مجملات القرآن، وتفصيلات لما جاء في القرآن من عقائد وأحكام.

«لا أُلفِيَنَّ أحدَكم متَّكِئًا على أريكتِه»: وقد نشأت فرق على غرار الخوارج والروافض على هذه العقائد الفاسدة طبقًا لما أخبر به الرسول ﷺ: «لا أُلفِيَنَّ

....

أَحَدَكُم» عني يوم القيامة «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُم يَومَ القِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمحَمَةٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثنِي، فَأَقُولُ: لَا أَملِكُ لَكَ شَيئًا، قَد أَبلَغتُكَ، أو عَلَى رَقَبَتِهِ بعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغثِني، فَأَقُولُ: لَا أَملِكُ لَكَ شَيئًا قَد أَبلَغتُكَ، أو عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثنِي، فَأَقُولُ: لَا أَملِكُ لَكَ شَيئًا قَد أَبلَغتُكَ، أَو عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخفِقُ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثنِي، فَأَقُولُ: لَا أَملِكُ لَكَ شَيئًا قَد أَبلَغتُكَ».

فليحذر الإنسان من التقصير في الزكاة وفي أركان الإسلام وفي واجبات الإسلام، نعم الرسول ﷺ يشفع لك، لكن متى يشفع لك -نسأل الله العافية-؟

هناك من يدخل النار مباشرة، إذا لم يكن عليهم حقوق للناس، فحقوق الناس لابد أن تُؤخَذ، وهذه الزكاة فيها حقوق المسلمين، أنت تظلم المسلمين حينما تبخل بالزكاة، ويُبطح مانع الزكاة الذي عنده بقر أو عنده غنم، يبطح في قاع قرقر فتطأه الإبل بأخفافها والغنم تنطحه بقرونها، والبقر بأظلافها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم بعد ذلك يؤمر به إما إلى الجنة وإما إلى النار.

فهذه عاقبة البخل وعدم النهوض بالحقوق، وذلك ناشئ عن عصيان الله وعصيان الرسول الكريم ﷺ، ويأتي بعض هؤلاء يحمل على رقبته بعير فيقول: لا أغني عنك من الله شيئًا، يأخذ حظه من العذاب، ثم تأتي الشفاعة.

لكن أولًا لابد أن ينال حظه في تلك المرحلة، خمسين ألف سنة ما يشفع فيها ولا أغني عنك من الله شيئًا، فهذا وعيد شديد، لهذا يجب علينا تجاه السنَّة المطهَّرة أن نصدِّقها ونعمل بها.

وكذا مانع زكاة الذهب والفضة، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له. في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»**.

قيل: يا رسول الله فالإبل؟

قال: **«ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقها: حلبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلًا واحدًا، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مرَّ عليه أولاها رُدَّ عليه آخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»**.

قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟

قال: **«ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئًا، ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء. تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مرّ عليه أولاها رُدَّ عليه أخراها، في يوم**

كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[١].

وهذا حديث أبي رافع أورده من طرق، ثم أورد حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنفس المضمون، ثم جاء بأثر عمران بن حصين قال لرجل: «إنك امرؤ أحمق، أتجد في كتاب الله أن صلاة الظهر أربعًا لا يجهر فيها». أين هذا؟ لا تجده في القرآن، لا تجده إلا في السنَّة، الفجر ركعتان تجهر فيها والظهر أربع لا تجهر فيها، والعصر أربع لا تجهر فيها، والمغرب ثلاث تجهر في اثنتين وواحدة تُسِر فيها، والعشاء أربع تجهر في ركعتين وتُسِر في ركعتين، هذه التفاصيل لا تجدها إلا في السنة.

كذلك الزكاة في أربعين شاة شاة واحدة، في مائتي درهم خمسة دراهم وفي عشرين مثقال نصف مثقال من الذهب، أين تجد هذا؟

يأتي في القرآن الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣]، لكن لا تجد التفاصيل إلا في السنة، التفاصيل في السنَّة في الصلاة: الظهر أربع، تكبر للصلاة ثم تقول في استفتاحك للصلاة دعاء الاستفتاح، ثم تقرأ الفاتحة مع ما تيسر من القرآن، ثم تركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ترفع حتى تعتدل قائمًا... هذا البيان لتفاصيل الصلاة موجود في السنَّة ولا يوجد في القرآن، فهذا مما أسند الله بيانه إلى الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وفريضة الزكاة في خمس من الإبل شاة، وفي عشر اثنتان، وفي عشرين أربع شياه، وفي خمس وعشرين بنت مخاض إلى خمس وثلاثين فيها بنت لبون، إلى ست وأربعين فيها

---

(١) أخرجه مسلم في «الزكاة»، حديث [٩٨٧].

حقة، إلى ستين وفيها جذعة، وهكذا التفاصيل بيَّنها رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، في أربعين من الغنم شـاة، إلى مائة وعشرين شاة، فإذا بلغت إحدى وعشرين ومائة ففيها شاتان إلى مائتين، إذا زادت واحدة فيها ثلاث شياه إلى ثلاثمائة شاة، ثم في كل مائة شاة شاة وهكذا، أين توجد هذه التفاصيل؟ في سنَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا أثر عمران قال: «إنك امرؤ أحمق» الحديث ضعيف، لكن معناه صحيح.

لو أن رجلًا يعترض على السنَّة يقول: لا، ما أريد إلا ما في القرآن.

تقـول لـه: يا أحمق، افرض أنه ما صح لكن هذا جواب من يرد السـنَّة، بَيِّن لي كيف عرفت تصلِّي، وكيف عرفت تزكِّي، ما عرفت إلا من السنَّة، ولهذا يلزمه أن يخضع للسنَّة، وإلا فلا يكون مؤمنًا.

إذا قال: أصلي كما أريد، كما يقول القرآنيون الآن في هذا العصر، صلِّ العصر ركعتين أو أربع ركعات، واقرأ ما تشاء، وما شاكل ذلك، كل هذا ضلال وكفر -والعياذ بالله-.

وهذا أثر يروى عن سعيد بن جبير: «أنـه حدث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثًا فقال رجـل: «إن الله تَعَالَى قـال في كتابه: كذا وكذا فقال: ألا أراك تعارض حديث رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكتاب الله تَعَالَى، رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم بكتاب الله تَعَالَى».

هذا الأثر لم يصح عن سعيد بن جبير، لكن إذا عارضنا أحد نقول له هذا الكلام فإنه كلام صحيح، إذا اعترض على حديث بكتاب الله، نقول: رسـول الله أعلم منك بكتاب الله، وقد قال كذا وكذا، وفعل كذا وكذا، وقرَّر كذا وكذا، فإن سنَّة رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه- هي قوله وفعله وتقريره، فالأثر ما صح، لكن معناه صحيح، فتجيب

أيَ سفيه يعارض سنَّة رسول الله ﷺ بالقرآن، نقول: الرسول قال كذا، وثبت عنه ورسول الله أعلم بكتاب الله منك.

وهذا أثر ابن عياش عن عبد الرحمن بن يزيد أنه: رأى محرمًا عليه ثيابه، فنهى المُحرِمَ، فقال: أتأتي بآية من كتاب الله تعالى بنزع ثيابي؟ فقرأ عليه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

الرسول ﷺ أمر بالإحرام في ثوب وإزار، «**لَا يَلبَسُ القُمُصَ وَلَا العَمَائِمَ وَلَا السَّرَاوِيلَاتِ وَلَا البَرَانِسَ وَلَا الخِفَافَ، إِلَّا أَحَدٌ لَا يَجِدُ نَعلَينِ فَليَلبَس خُفَّينِ، وَليَقطَعهُمَا أَسفَلَ مِنَ الكَعبَينِ، وَلَا تَلبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيئًا مَسَّهُ الزَّعفَرَانُ أَو وَرسٌ**»(١) هذه كلها ممنوعة، ومنع من الطيب، هذا كله ليس من القرآن، هذا المتعنت لعله كان لابسًا ثيابه كما ظن وهو يلبي وهو يريد الإحرام، قال: لا أنزع ثيابي إلا بآية، فردَّ عليه عبد الرحمن بن زيد بقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

فالرسول ﷺ هو الذي أمرنا بهذا وقال: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُم**» وتقبَّلت ذلك الأمَّة، ونُقل عنه بالتواتر، ماذا تريد؟

هذا يقول: لا، هات لي آية تنزع عني ثيابي، والسنَّة لا تريدها؟ هذا ضلال فأجابه بالآية: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾

---

(١) رواه البخاري في «الحج»، حديث [١٥٤٣]، ومسلم في «الحج»، حديث [١١٧٧]، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

فيشمل كل حديث في الصلاة في الصوم في الزكاة في الحج في الحلال والحرام، في البيع والشراء في كل شئون الحياة .

المراد من أن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى:

وأثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إِنَّ ناسًا يجادلونكم بشبهات القرآن -يعني: المتشابه من القرآن-، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى»، هذا الأثر ما صح عن عمر رضي الله عنه، لكنه صحيح المعنى.

إن المعتنين بسنَّة رسول الله عليه الصلاة والسلام أعلم بكتاب الله ممن لم يعتنِ بسنته، لأن سنته صلى الله عليه وسلم بيانٌ للقرآن وتفصيل لمجملاته، وتخصيص لعموماته وتقييد لمطلقاته، إلى آخره.

فالذي يُعنى بسنَّة رسول الله أعلم بكتاب الله، ولهذا تجد أئمة الحديث جاءوا بالأحاديث التي تفسِّر القرآن، ففي البخاري في كتاب التفسير، ثم كتاب البخاري كله تفسير للقرآن، لأن السنَّة كلها تفسير للقرآن، لكن خصَّص بابًا للتفسير، والإمام مسلم أعطى جزءًا يسيرًا في تفسير القرآن، وألف ابن أبي حاتم كتابًا في التفسير، وعبد الرزاق وابن مردويه... وكثير ممن أَلَّفوا في تفسير القرآن بالسنَّة والآثار.

وأفضل تفسير القرآن: تفسير القرآن بالقرآن، ثم بسنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بآثار السلف من الصحابة والتابعين، الذين تَلَقَّوا فهم القرآن وفقه القرآن من الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، لأن الصحابي إذا فسَّر لك شيئًا وإن لم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم يُحتمل أن يكون سمعه من رسول الله عليه الصلاة والسلام، أو رأى الرسول يطبّق عمليًا فرواه موقوفًا، فقاله من عنده، فيظهر أنه موقوف، لكن يجوز أن يكون أخذه عن الرسول

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من أقواله ومن تصرفاته، وأخذ ذلك عن الصحابة التابعون، كمجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وغيرهم -رضوان الله عليهم-.

فأعلم الناس -كما في هذا الأثر- بالقرآن الكريم: هم المشتغلون بسنَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن رسول الله بيَّن مراد الله من القرآن الكريم، كما أمره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

فعليكم يا معاشر الشباب بالعناية بسنَّة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وفقه السلف الصالح وفقه القرون المفضلة المشهود لها بالخيرية: «**خَيرُ النَّاسِ قَرنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم**».

فكانت حياتهم قائمة على كتاب الله وعلى سنّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم كانوا أفقه الناس لكتاب الله ولسنَّة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولهذا قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

فإذا أجمعوا على مسألة فلا يجوز خلافهم، لأنه يكون مشاقة لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويستحق هذا الوعيد من يشاقهم، وإذا اختلفوا فالحكم ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٠].

﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

فمن وافق قولُه القرآن والسنَّة أخذنا بقوله، لا لأنه فلان، بل لأن لقوله سندًا من كتاب الله ومن سنّة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأسئلة والأجوبة

سؤال: حديث «سَتَفترِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ إلى ثَلاثٍ وَسَبعِينَ فِرقَةً كُلُّهَا في النَّارِ». هل دخول النار لهذه الفرق الثنتين والسبعين دخول أبدي، أي: كفار أم غير ذلك. أفيدونا جزاكم الله خيرًا؟

جواب: سبحان الله! أهل السنة دائمًا يقرِّرون أن هذه الفرق هي فرق إسلامية. وكتاب «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري، و«الفرق بين الفِرق» لأبي منصور البغدادي، و«الفصل في الملل والنحل» لابن حزم، و«الملل والنحل» للشهرستاني، هذه الفرق كلها تنتمي إلى الإسلام، لكن عندها بدع وضلالات، وقد تكون عندها بدع كفرية تخرج بعضهم من الإسلام، وبعضهم تكون عنده بدع كفرية يتوقف تكفيره على إقامة الحجة.

ثم هؤلاء متوعدون بدخول النار، فمن دخلها منهم وهو مبتدع، لكن ما زال في دائرة الإسلام، وهذا مآله الخروج من النار، ولابد أن ينفعه التوحيد فيُعذَّب بقدر ما عنده من بدع وضلالات ومعاصٍ، ثم بعد ذلك يخرجه الله بالتوحيد.

فهذه الفرق دخولها في النار ليس دخولًا أبديًّا، لو كان دخولهم في النار دخولًا أبديًّا لكانوا فرقة واحدة، كلهم كفار وانتهى كل شيء، لكن هذا مرجئ وهذا قدري وهذا معتزلي وهذا كذا، وهم لا يزالون في دائرة الإيمان، ويعذب الله من شاء أن يُعَذِّبه ثم يخرجه بالشفاعة، أو بفضله ورحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهناك اختلاف بين أهل السنة في تكفير بعض الفِرق.

سؤال: ما الضابط في معرفة أهل الفترة، ومعرفة المشركين الذين ماتوا على الشرك قبل بعثة الرسول ﷺ؟

جواب: أهل الفترة الذين لم يُبعث فيهم نبي، ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [المائدة: ١٩]، فهذه فترة ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ومن مات في هذه الفترة ولم يبلغه شيء من الرسالة -رسالة عيسى أو موسى-، فهذا حتى لو كان على الشرك يبعثه الله يوم القيامة، ويختبره ويمتحنه.

والمعتوه والصبي والشيخ الهرم الذي لا يفهم، فيقول الذي كان في زمن الفترة: يا ربنا ما جاءني من نذير ولو جاءني لآمنت، وهذا أحمق، يقول: كنت أحمق يقذفني الصبيان في الأزقة، وهذا يقول: جاءني وأنا خرف ما أسمع، فيختبرهم الله سبحانه وتعالى، فيرسل لهم رسولًا من الملائكة أو من غيرهم، ويقول لهم: ادخلوا في النار، فمن يستعد للدخول في النار فهذا قد آمن، ومن أبى ورفض أن يدخل النار فهذا لم يؤمن فيدخله الله النار؛ لأن هذا لو جاءه النذير وأقام عليه الحجة سيحاربه كسائر المشركين، فهذا يدخل النار، فهؤلاء يُمتَحَنُون في الفترة والأصناف التي قلناها.

والفترة: هي التي ما جاء فيها من نذير، وقد يكون إنسان في الفترة، ولكن بلغته الحُجَّة من بقايا ملة إبراهيم أو موسى أو عيسى، فهذا تقوم عليه الحُجَّة، ولهذا أخبر الرسول ﷺ أن بعض المشركين من أهل الفترة أنهم في النار، لماذا؟ لأنهم بلغتهم الحُجَّة، وأبوا أن يدخلوا في الدين الحق دين الإسلام.

سؤال: ماذا تقول فيمن تكلم في طالبان الذين كسروا التماثيل؟

جواب: والله طالبان يُشكرون على هذا العمل، **لكن مطلوب منهم شيئان:**

الأول- أن يهدموا القبور؛ لأن الرسول ﷺ كان يهدمها ويأمر بهدمها، لأن العلة واحدة في هذه وهذه، فهذه خطوة نسأل الله أن يوفقهم لإكمال المشوار -كما يقال- فيهدموا القبور ويقضوا على الخرافات والبدع، ويدرِّسوا التوحيد -رسالة جميع الأنبياء- في مدارسهم، ويربُّوا الناس على توحيد الله الحق وعلى عبادة الله الصحيحة، لأن الشعب الأفغاني كغيره عنده من الخرافات والبدع الشركية والبلايا ما لا يعلمه إلا الله.

على كل حال: نحن ما نقول لهم: أخطأتم، ولكن نطلب منهم أن يسيروا على طريق النبي ﷺ في تربية شعبهم على العقيدة الصحيحة، وعلى إزالة ما يصطدم بهذه العقيدة من الأوثان والقبور والعقائد والمناهج الباطلة.

الأمر الثاني- إن صحَّ ما قيل، أن البوذيين في الهند قاموا بمظاهرة ومزَّقوا المصحف وداسوه بأقدامهم، فإن كان حصل هذا بسبب ما فعلته طالبان، فكان ينبغي أن تتوقف طالبان عن هدم الأوثان، لأنه تترتب عليه مفسدة أكبر منها، وهي إهانة هذا القرآن الكريم، إذا كان هذا العمل سبَّب هذا، فكان ينبغي أن يتوقفوا؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فسبُّ الأصنام حق فإذا لم يترتب على سبنا مفسدة نسبُّها ونهدمها، فإذا ترتب على ذلك مفسدة مثل: إهانة القرآن، فينبغي أن نحمي القرآن.

لو لم يوجد هذا الاعتراض من هؤلاء المجرمين لباركنا لهم هذا، ونقول لهم: جزاكم الله خيرًا، ووفقتم لهذا العمل، ولكن بقي عليكم أمر عظيمٌ جدًّا وهو أن تهدموا القبور، لأن الشعوب الإسلامية مفتونة الآن بالقبور لا بالأوثان، الآن لا تجد في بلاد المسلمين من يسجد لصنم أو وثن بوذا أو غيرها، لكن مستعد أن يسجد للقبور ويطوف بها.

فالفتنة الآن في بلاد المسلمين بالقبور أشد منها في الأوثان، فأزيلوا هذه الفتنة يثبِّت الله ملككم، ويعلي شأنكم في الدنيا والآخرة، ولا تخافوا من أحد، اعملوا بهذا وفقنا الله وإياكم.

سؤال: ما حكم رفع الأيدي في دعاء القنوت؟

جواب: رفع الأيدي في الدعاء عموما ما تواترت به الأحاديث، حتى قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما ترك زوجه هاجر وابنها إسماعيل، فلما وصل الثنية استقبل الكعبة ورفع يديه يدعو: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

فقد ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه رفع يديه في كثير من المناسبات، في الاستسقاء، وفي يوم بدر، وفي عرفات، وعلى الصفا، وفي مواطن كثيرة.

أنت تذكر الآن حديثًا خاصًّا بالقنوت، لكن هذه وردت في مناسبات كثيرة تبلغ حد التواتر أن الرسول كان يرفع يديه في الدعاء.

سؤال:

ما معنى لفظ السمع في قوله تَعَالَى: ﴿ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡ ﴾ [المنافقون: ٤]؟

جواب: المقصود من هذا أنهم بلغاء، **يعني**: أجسامهم جميلة وصورهم جميلة، وإن قالوا فهم فصحاء تسمع لقولهم، يعني: كلامهم يؤثر، لكن كأنهم خشب مسنَّدة -كما وصفهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، فهذا الوصف ساقه الله عَزَّ وَجَلَّ في خلال صفات المنافقين.

سؤال: هل يؤخذ بالأحاديث الضعيفة في العقيدة ؟

جواب: الأحاديث الضعيفة إذا كان هناك ما يُسندها من السنَّة الصحيحة

ويُسندها من القرآن فيُستأنس بها، يعني: لا يُعتمد على الحديث الضعيف، وإنما يُستأنس به في العقيدة والأحكام إذا كان الضعف مما ينجبر ويصلح للاعتضاد، فيُؤخذ به استئناسًا لا اعتمادًا، حتى في الحلال والحرام لا يجوز الأخذ بالأحاديث الضعيفة، وفي السنن والمستحبات والواجبات لا يُعتمد على الأحاديث الضعيفة، لكن إذا كان في الباب حديث أصل أو آية أصل، يُستأنس بهذا الحديث الضعيف.

سؤال: هذا يقول: قلتم: إن الله تَعَالَىٰ لم يضمن للأنبياء إلا دعوة واحدة كيف ذلك؟

جواب: هذا قاله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قلته من نفسي، وقد بينت أن الرسول يستجاب له والأنبياء يستجاب لهم، لكن ذلك راجع إلى مشيئة الله وليس مما ضمنه الله لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]، لو لم يستجب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يكون أخلف وعده؟! ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

هل أخلف وعده؟! فأنا قلت: يستجاب لهم ويستجاب للمؤمنين، لكن ليس هناك ضمان إلا دعوة واحدة فقط لكل نبي عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويستجيب لهم إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإذا شاء منع، هذا خبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قال: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، وَأَنَا اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي**»[1].

---

(١) رواه مسلم في «الإيمان»، حديث [٢٠١]، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ورواه البخاري في «الدعوات»، حديث [٦٣٠٥]، ومسلم في «الإيمان»، حديث [٢٠٠]، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحوه.

ورواه البخاري في «الدعوات»، حديث [٦٣٠٤]، ومسلم في «الإيمان»، حديث [١٩٨]، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحوه.

سؤال: يقول: أليس في دعاء النبي ﷺ على رعل وذكوان دليل على مشروعية الدعاء على الكافرين؟

جواب: بلى.

سؤال: قال ﷺ: «جُعِلَ رِزقِي تَحتَ ظِلِّ رُمحِي» كما جاء في البخاري[1]، فرده بعض الناس: أن الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؟

جواب: أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق وبعثه بالسيف وشرع في حقه الجهاد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والجهاد ماض إلى يوم القيامة، فهل هناك تعارض بين السيف والدعوة إلى الهدى ودين الحق؟

هناك أناس يقادون إلى الجنة في السلاسل، يعني: تدعوه إلى الإسلام يأبى، فيحصل القتال والمعارك، فتأسره ثم يسلم ويصدق في إسلامه فيدخل الجنة، فهناك دعوة إلى الهدى ولاشك، والدين دين الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما جاء إلا لهداية الناس، لكن يدعون الناس ليهتدوا بهدي الله ويستجيبوا لدعوة الله ويخضعوا لطاعة الله وليطيعوا الرسل، فإذا رفضوا جاهدناهم، هؤلاء لا قيمة لهم ولا حرمة لهم.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلقهم لعبادته وسخر لهم ما في السموات والأرض، وأسبغ عليهم النعم ظاهرة وباطنة، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وجاءهم البيان والبلاغ، ثم رفضوا وكذبوا وعاندوا، فأَيُّ قيمة لهؤلاء؟!

الآن لو أن شخصًا يتمرد على الدولة، هل تتسامح معه وتقول له أنت حر؟!

---

(١) رواه في «الجهاد والسير» (٤/ ٤٠) معلقًا بصيغة التمريض، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ووصله أحمد في مسنده (٥١١٤ و٥١١٥-الرسالة) وغيره، وجود إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٦٩-العقل).

بل تأخذه وتُنكِّل به، فالذي يتمرد على رب العالمين ماذا يستحق؟

سؤال:

ما معنى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]؟

جواب: معناه أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينير بصائر أهل التقوى فيفقهون في الدين، «مَن يُرِدِ الله بِهِ خَيرًا يُفَقِّهُهُ في الدِّين»[١]، فبالتقوى يهيئ الله للإنسان حُسن الفهم وحُسن الإدراك، فيفهم معاني القرآن ومعاني السنَّة.

ومن توفيق الله له وتعليمه له: أن يوفقه للأخذ بالسنَّة والفقه فيها ويتدبر القرآن ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، ومن لم يرد الله به خيرًا لا يتفقه، ولا يصل إلى هذا، فهذا ما عنده تقوى الله عَزَّوَجَلَّ.

ففرق بين الأتقياء وبين المستكبرين المعاندين الأشقياء، هؤلاء لا يفقهون ولا يستفيدون، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، هذا جعل الله في قلبه نورًا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

فالله يعطي صاحب الحق والمتقي يعطيه بصيرة ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فيسهل عليه فقهه في الدين، ويدرك معاني النصوص، ويأخذها من طرق شرعية ليس إلهامًا وفيضًا كما يقول الصوفية، ويحتجون بهذه الآية على الفيوضات الربانية، وعلى الأخذ من اللوح المحفوظ، وهذا إلحاد.

---

(١) سبق تخريجه.

أمـا معنى الآية: هو أن الله يوفق هذا الإنسـان، ويعينه ويفتح عليه، فيفهم القرآن يفهـم السـنَّة، يحفظ القرآن ويحفظ السـنّة، يأخذ بالأسـباب ويوجهه الله لأسـباب الخير فيستفيد من هذه التقوى، ليس كما يقول الصوفية: إنه يأخذ من اللوح المحفوظ، الصوفية يغالطـون في معنى هـذه الآية فيضلون ويُضلـون، ويظن كثير من النـاس أنهم أصحاب كشوفات وفيوضات إلهية، ولا يعرفون أنها فيوضات شيطانية.

سؤال: ما هي ضوابط هجر المخالف؟

جواب: اقرأ في كتاب: «الرد على المخالف» وكتب السلف.

سؤال: رجـل طاف طواف الوداع في الصبح، ويسافر على الساعة الثانية عشرة واشترى بعد الطواف هل عليه شيء؟

جواب: هو يُسـمَّى طـواف الوداع إذا أردت أن تغـادر مكة طف وارتحل عقب طوافـك، لكـن إذا عـرض لك عـارض مثلًا حاجة في السـوق تأخذها ثم تمـشي، أما أن تطوف في الصباح وتسافر في المساء، فهذا غلط.

سؤال: هل حديث «بَينَ كُلِّ أَذَانَينِ صَلَاةٌ»[1] عام للمقيم والمسافر؟

جواب: هـذا الظاهـر، كان السـلف يتنفلـون، وكان ابن عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «لـو تنفلـت لأتممت»، لكن ورد عـن كثير من الصحابة أنهم كانوا يتنفلون، فالمسـافر إن شـاء تنفل وجاء بالرواتب، وإن شـاء له أن يترك فمثل هذه السـنَّة، إذا أذن وهو مسـافر وجالس في المسجد فيصلي للحديث.

---

(١) رواه البخـاري في «الأذان»، حديـث [٦٢٧]، ومسـلم في «صلاة المسـافرين»، حديـث [٨٣٨]، عن عبد الله ابن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سؤال: امرأة كانت كافرة وأسلمت وأبواها كافران، وتريد الزواج فمن يكون وليها؟

جواب: وليها السلطان المسلم، التي ليس لها ولي وليها السلطان، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَت بِغَيرِ إِذنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَإِن دَخَلَ بِهَا فَلَهَا المَهرُ بِمَا استَحَلَّ مِن فَرجِهَا، فَإِنِ اشتَجَرُوا فَالسُّلطَانُ وَلِيُّ مَن لَا وَلِيَّ لَهُ**»[1]، يعني السلطان المسلم.

سؤال: إذا كانت في بلد كافرة؟

جواب: إذا كانت في بلد كافر، تهاجر إلى بلد الإسلام ويُعقد لها هناك، الآن في أوروبا وأمريكا أظنهم يعقدون، وهم ليسوا بأولياء، كل واحد ينصب نفسه سلطانًا يعقد بمن شاء من النساء، هذه سفاهة وهذه عقود فاسدة.

وقد جاءني واحد من البوسنة في المدينة وذكر لي هذا الزواج، أن أباها فاجر وكذا وكذا، وعقد لي واحد مسلم صالح.

قلت له: هذا عقد فاسد، غضب وبكى، قلت له: اسأل الشيخ ابن باز، سأل الشيخ ابن باز، قال له: نعم، هذا نكاح فاسد.

ولا شك في فساده، تذهب إلى بلاد المسلمين يعقد لك ولي، سلطان المسلمين. قاضي من القضاة في أيِّ بلد إسلامي يعقد لك عليها، فإنهم من ذوي السلطان.

وهناك حل آخر: يمكن لهذه المرأة أن تكتب وكالة وترسلها لمسلم في بلد إسلامي. ويسافر الخاطب إلى هذا البلد الذي نصبَّت فيه وكيلًا يعقد بها، أما هي فلا تسافر إلا مع

---

(١) رواه أبو داود في سننه في «النكاح»، حديث [٢٠٨٥]، والترمذي في سننه في «النكاح»، حديث [١١٠٢] وحسنه، وابن ماجه في سننه في «النكاح»، حديث [١٨٧٩]، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ذي محرم لها، ولا تسافر مع الخاطب، لأنه إلى الآن لم يعقد عليها فهو ليس بمحرمٍ لها، فتوكل وكالة، وترسلها لمسلم في أيِّ بلد، مثل المفتي هنا مثلًا عالم من العلماء رجل صالح موثوق به معروف تكتب له وكالة، وإذا جاء هذا يعقد له في المحكمة ويتم الزواج، هذا من الحلول.

سؤال: وإذا كان لهذه المرأة التي دخلت في الإسلام قريب؟

جواب: إذا كان لها قريب مسلم، فإن الولاية تنتقل إليه، يعني: لو كان مسلمًا وعضل موليته فإنه بعضله هذا يسقط حقه في الولاية، وينتقل إلى قريب آخر، وإذا ارتد انتقلت الولاية إلى أقرب عصبة وهكذا.

سؤال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن غَدَا إلَى المَسجِد أو رَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ في الجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أو رَاحَ»[(١)]، هل النُّزُل يتعدد بتعدد الذهاب والمخرج والمجيء؟

جواب: نرجو الله، نرجو الله فضل الله واسع، آخر من يدخل الجنة له مثل الجنة وعشر مرات لا تستكثر على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «**أَعَدَّ الله لَهُ في الجَنَّةِ نُزلًا كُلَّمَا غَدَا أَو رَاحَ**»، كلما راح أعدَّ له الرياض، أعدَّ له النُزل، هذه نعمة عظيمة، سبحان الله كيف يتكاسل الناس عن الغدو والرواح إلى المساجد!! كم يخسرون!!

في كل خطوة حسنة وتُحطُّ عنه سيئة، وإذا جلس في المسجد تصلي عليه الملائكة، تدعو له وتستغفر له، كم يفوت هذا المسكين، والله لو يعرف أنه يكسب دريهمات لراح يركض، كما قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لَو يَعلَمُ أَحَدُهُم أَنَّهُ يَجِدُ عَرقًا سَمِينًا، أَو مِرمَاتَينِ حَسَنَتَينِ لَشَهِدَ العِشَاء**»[(٢)]، هذا المنافق.

---

(١) أخرجه البخاري في «الأذان»، حديث [٦٦٢]، ومسلم في «المساجد»، حديث [٦٦٩].

(٢) رواه البخاري في «الأذان»، حديث [٦٤٤]، ومسلم في «المساجد»، حديث [٦٥١].

والتخلف عن صلاة الجماعة من صفات المنافقين: **«أَثقَلُ الصَّلَاةِ عَلَى المُنَافِقِينَ: صَلَاةُ العِشَاءِ وَصَلَاةُ الفَجرِ، وَلَو يَعلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوهُمَا وَلَو حَبوًا»**.

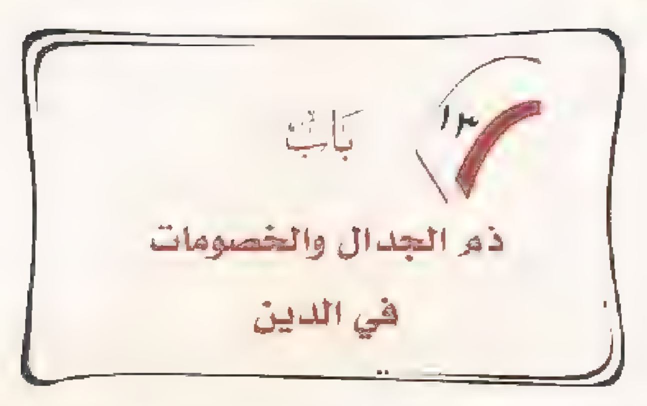
فليتحرر المسلم من النفاق ومن صفات النفاق ومن خصال النفاق، وليواظب على هذه الجماعة، كم يخسر وكم يخسر إذا تخلف وكم يكسب إذا واظب.

فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يلتزم طاعة الله وطاعة رسوله عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويصدق وعد الله ويؤمن بوعده، ويحرص كل الحرص على ما أعد الله للطائعين، سواء المصلين في جماعة أو المتصدقين أو المحسنين أو طلاب العلم من الخير العظيم، يكسبه المسلم بإسلامه وبأعماله الصالحة.

فنسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يرفع درجاتنا وإياكم في عليين، وأن يجعلنا وإياكم من عباده الصالحين، إن ربنا لسميع الدعاء .

وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.





[١٠٩] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي قال: أنا يعلى بن عبيد قال: نا الحجاج بن دينار، عن أبي غالب، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾.

[١١٠] وحدثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي قال: حدثنا محفوظ بن أبي توبة قال: حدثنا محمد بن بشر العبدي قال: حدثنا حجاج بن دينار، عن أبي غالب، عن أبي أمامة قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل»، ثم تلا هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾»[(١)].

....

(١) حديث أبي أمامة في إسناده أبو غالب البصري، قال فيه الذهبي في «الكاشف»: «صالح الحديث، صحَّح له الترمذي»، وقد تابعه القاسم بن عبد الرحمن كما في «الإبانة الكبرى» لابن بطة، حديث [٥٣٩]، قال فيه الذهبي في الكاشف: «صدوق»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق، يرسل كثيرًا»، فالحديث حسن.

وقد أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٥٢، ٢٥٦)، والترمذي في «التفسير»، حديث [٣٢٥٣]، وقال: هذا حديث حسن صحيح؛ إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار.

وحجاج قال فيه الذهبي: «صدوق»، وقال الحافظ ابن حجر: «لا بأس به»، وأخرجه ابن ماجه في «المقدمة»، حديث [٤٨]، كلهم من طريق الحجاج عن أبي غالب به.

[١١١] وحدثنا عمر بن أيوب السقطي-أيضًا- قال: حدثنا محمد بن الصباح الجرجرائي قال: حدثنا كثير بن مروان الفلسطيني، عن عبد الله بن يزيد الدمشقي قال: حدثني أبو الدرداء، وأبو أمامة، وواثلة بن الأسقع، وأنس بن مالك قالوا: خرج إلينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى في شيء من الدين، فغضب غضبًا شديدًا لم يغضب مثله، ثم انتهرنا، فقال: «يا أمة محمد، لا تهيجوا على أنفسكم وهج النار ثم قال: أبهذا أمرتم؟ أو ليس عن هذا نهيتم، أو ليس إنما هلك من كان قبلكم بهذا؟ ثم قال: ذروا المراء لقلة خيره، ذروا المراء، فإن نفعه قليل، ويهيج العداوة بين الإخوان.

ذروا المراء؛ فإن المراء لا تؤمن فتنته.

ذروا المراء؛ فإن المراء يورث الشك ويحبط العمل.

ذروا المراء؛ فإن المؤمن لا يماري.

ذروا المراء؛ فإن المماري قد تمت حسراته.

ذروا المراء؛ فكفى بك إثمًا لا تزال مماريًا.

ذروا المراء؛ فإن المماري لا أشفع له يوم القيامة.

ذروا المراء؛ فأنا زعيم بثلاثة أبيات في الجنة: في وسطها، ورياضها، وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق.

ذروا المراء؛ فإن أول ما نهاني ربي تعالى عنه بعد عبادة الأوثان، وشرب الخمر. المراء.

ذروا المراء؛ فإن الشيطان قد أيس أن يعبد، ولكنه قد رضي منك بالتحريش. وهو المراء في الدين.

....

ذروا المراء؛ فإن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها على الضلالة، إلا السواد الأعظم».

قالوا: يا رسول الله، ما السواد الأعظم؟

قال: «من كان على ما أنا عليه وأصحابي، من لم يمار في دين الله تَعَالَىٰ ولم يُكَفِّر أحدًا من أهل التوحيد بذنب» وذكر الحديث[(١)].

قال محمد بن الحسين: لما سمع هذا أهل العلم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين لم يماروا في الدين، ولم يجادلوا، وحذروا المسلمين المراء والجدال، وأمروهم بالأخذ بالسنن، وبما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا طريق أهل الحق ممن وفقه الله تَعَالَىٰ.

وسنذكر عنهم ما دل على ما قلنا - إن شاء الله تَعَالَىٰ -.

[١١٢] حدثنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا يحيى ابن آدم قال: حدثنا حماد بن زيد، عن محمد بن واسع، عن مسلم بن يسار أنه كان يقول: «إياكم والمراء، فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته».

[١١٣] وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي، قال حدثنا سريج بن النعمان قال: حدثنا حماد ابن زيد، عن

---

(١) حديث أبي الدرداء ومن معه ضعيف، في إسناده كثير بن مروان الفلسطيني، قال الذهبي في «المغني» (٢/ ٥٣١): «ضعّفو». وفيه عبد الله بن يزيد بن آدم، قال الذهبي في «المغني» (١/ ٣٦٣): «قال أحمد: أحاديثه موضوعة».

محمد بن واسع، عن مسلم بن يسار قال: إنه كان يقول: «إياكم والمراء، فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته»[(١)].

[١١٤]وحدثنا الفريابي قال: ثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب قال: كان أبو قلابة يقول: «لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم»[(٢)].

[١١٥]حدثنا عمر بن أيوب السقطي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا هشيم بن بشير، عن العوام بن حوشب، عن معاوية بن قرة قال: «الخصومات في الدين تحبط الأعمال»[(٣)].

[١١٦]وحدثنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا حماد ابن زيد، عن يحيى بن سعيد، أن عمر بن عبد العزيز قال: «من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل»[(٤)].

[١١٧]وحدثنا الفريابي -أيضًا- قال: حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: حدثنا معن بن عيسى قال: « انصرف مالك بن أنس يومًا من المسجد، وهو

---

(١)أثر مسلم بن يسار صحيح، وهو مسلم بن يسار البصري، نزيل مكة، قال الحافظ ابن حجر: «ثقة عابد»، وهو الذي يروي عنه محمد بن واسع، انظر «تهذيب التهذيب» (١٠/ ١٤٠).

(٢)صحيح.

(٣)في إسناده هشيم بن بشير، مدلس؛ لكن تابعه يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب به، وإذن فهذا الأثر صحيح.

(٤)إسناده صحيح، وتابع يحيى بن سعيد إسماعيل بن أبي حكيم كما في «مسند الدارمي»، برقم [٣١٠] قال الدارمي: أخبرنا يحيى بن حسان، ثنا عبد الله بن إدريس عن إسماعيل بن أبي حكيم، قال: سمعت عمر بن عبد العزيز به.

وروى الدارمي نحوه بإسناد آخر إلى عمر بن عبد العزيز.

متكئ على يدي، فلحقه رجل يقال له: أبو الجيرية كان يُتهم بالإرجاء، فقال: يا أبا عبد الله اسمع مني شيئًا أكلمك به، وأحاجك وأخبرك برأيي.

قال: فإن غلبتني؟ قال: إن غلبتك اتبعتني، قال: فإن جاء رجل آخر، فكلمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه.

قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا عبد الله، بعث الله عَزَّوَجَلَّ محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدين واحد، وأراك تنتقل من دين إلى دين، قال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل»[١].

[١١٨] وحدثنا الفريابي قال: ثنا محمد بن داود الفريابي قال: حدثنا محمد ابن عيسى قال ثنا مخلد، عن هشام -يعني: ابن حسان- قال: «جاء رجل إلى الحسن فقال: يا أبا سعيد، تعال حتى أخاصمك في الدين، فقال الحسن: أما أنا فقد أبصرت ديني، فإن كنت أضللت دينك فالتمسه»[٢].

[١١٩] وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: ثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا حماد بن مسعدة قال: كان عمران القصير يقول: «إياكم والمنازعة والخصومة، وإياكم وهؤلاء الذين يقولون: أرأيت أرأيت»[٣].

---

(١) إسناده حسن؛ لأن في إسناده إبراهيم بن المنذر الحزامي، قال فيه الذهبي في «الكاشف»: «صدوق»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق»، تكلم فيه أحمد لأجل القرآن.

(٢) أثر الحسن صحيح، وقد روى نحوه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»، (١/ ١٤٤) بإسناده إلى حوشب عن الحسن، وحوشب هو ابن عقيل، قال الذهبي في «الكاشف»: «ثقة».

(٣) إسناده صحيح.



[١٢٠] وحدثنا الفريابي قال: حدثنا أبو الخطاب، زياد بن يحيى قال: ثنا سعيد ابن عامر قال: حدثنا سلام بن أبي مطيع: أن رجلًا من أصحاب الأهواء قال لأيوب السختياني: يا أبا بكر، أسألك عن كلمة.

قال: فولى أيوب، وجعل يشير بإصبعه: ولا نصف كلمة ولا نصف كلمة»[١].

[١٢١] وحدثنا الفريابي قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا سعيد بن عامر قال: سمعت جدي أسماء بن خارجة يحدث قال: دخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء، فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا، قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؟ قال: لا، لتقومنَّ عني أو لأقُومَنه»[٢].

[١٢٢] وحدثنا ابن عبد الحميد قال: حدثنا زهير بن محمد قال: حدثنا موسى بن أيوب الأنطاكي قال: حدثنا عتاب بن بشير، عن خصيف، قال: «مكتوب في التوراة: يا موسى لا تخاصم أهل الأهواء، يا موسى لا تجادل أهل الأهواء، فيقع في قلبك شيء، فيرديك فيدخلك النار»[٣].

[١٢٣] قال زهير: سمعت أحمد بن حنبل: يقول: سمعت مروان بن شجاع يقول: سمعت عبد الكريم الجزري يقول: «ما خاصم ورع قط في الدين»[٤].

---

(١) إسناده صحيح.

(٢) إسناده صحيح.

(٣) ضعيف، وهو من الإسرائيليات.

(٤) أثر حسن، في إسناده مروان بن شجاع صدوق، قاله الذهبي في «الكاشف».

[١٢٤] وحدثنا ابن عبد الحميد قال: حدثنا زهير قال، أخبرنا أبو خالد قال: حدثنا سفيان، عن عمرو - يعني: ابن قيس - قال: «قلت للحكم: ما اضطر الناس إلى الأهواء؟ قال: الخصومات»(١).

[١٢٥] حدثنا عمر بن أيوب السقطي قال: حدثنا محفوظ بن أبي توبة قال: حدثنا محمد بن بشر العبدي، عن زياد بن كليب قال: قال أبو حمزة لإبراهيم: يا أبا عمران، أيُّ هذه الأهواء أعجب إليك؟ فإني أحب أن آخذ برأيك وأقتدي بك، قال: ما جعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير، وما هي إلا زينة الشيطان وما الأمر إلا الأمر الأول»(٢).

[١٢٦] حدثنا عمر بن أيوب قال: حدثنا محفوظ قال: حدثنا إبراهيم ابن خالد الصنعاني قال: حدثنا رباح بن زيد، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه: أن رجلًا قال لابن عباس: «الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم، قال: فقال ابن عباس: الهوى كله ضلالة»(٣).

---

(١) في إسناده أبو خالد، لا يدرى من هو، لكن رواه اللالكائي برقم [٢١٨] بإسناده إلى الأشجعي. قال فيه الذهبي في «الكاشف»: «عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي الكوفي الحافظ... إمام ثبت»، فأرجو أن يكون هذا الأثر صحيحًا.

(٢) أثر ضعيف، في إسناده ضعيفان:
أولهما. أبو حمزة القصاب، قال الذهبي في «الكاشف»: «ضعَّفوه».
وثانيهما. محفوظ بن الفضل أبي توبة، قال الذهبي في الميزان (٤/ ٤٤٤): ضعف أحمد أمره جدًا... ثم قال: لم يترك.

(٣) أثر طاووس عن ابن عباس ضعيف بهذا الإسناد لكنه صحيح، فقد رواه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٢٦) عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه به.



[١٢٧] حدثنا الفريابي قال: حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد قال: أخبرني أبي قال: سمعت الأوزاعي يقول: «عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوا لك بالقول»(١).

[١٢٨] حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد الحنائي قال: حدثنا محمد بن عبيد ابن حساب قال: حدثنا حماد بن زيد قال: حدثنا محمد بن واسع قال: رأيت صفوان ابن محرز - وأشار بيده إلى ناحية من المسجد - وشببة قريب منه، يتجادلون، فرأيته ينفض ثوبه وقام وقال: «إنما أنتم جرب، إنما أنتم جُرب»(٢).

[١٢٩] حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، أنا أبو الحكم قال: أنا موسى بن أبي كردم. وقال غيره: ابن أبي درم، عن وهب بن منبه قال: «بلغ ابن عباس عن مجلس، كان في ناحية باب بني سهم، يجلس فيه ناس من قريش فيختصمون، فترتفع أصواتهم، فقال ابن عباس: انطلقوا بنا إليهم، فانطلقنا حتى وقفنا، فقال لي ابن عباس: أخبرهم عن كلام الفتى الذي كلم به أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في بلائه، قال وهب: فقلت: قال الفتى: يا أيوب أما كان في عظمة الله وذكر الموت ما يكل لسانك ويقطع قلبك ويكسر حجتك، يا أيوب أما علمت أن لله تعالى عبادًا أسكنتهم خشية الله من غير عيٍّ ولا بكم، وإنهم لهم النبلاء الفصحاء الطلقاء الألباء العالمون بالله وأيامه، ولكنهم

---

(١) أثر الأوزاعي حسن الإسناد، فيه العباس بن الوليد العذري، قال الذهبي فيه: «صويلح»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق عابد».

(٢) أثر صحيح، وأورده الإمام ابن بطة في الإبانة الكبرى، رقم (٦٠١- ٦٠٤) من أربع طرق بأسانيده إلى حماد بن زيد حدثنا محمد بن واسع قال: رأيت صفوان بن محرز به، ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢١٥).

إذا ذكروا عظمة الله تَعَالَىٰ تقطعت قلوبهم وكلت ألسنتهم وطاشت عقولهم وأحلامهم فرقًا من الله تَعَالَىٰ وهيبة له، فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية، لا يستكثرون لله الكثير ولا يرضون له بالقليل يعدون أنفسهم مع الظالمين الخاطئين، وإنهم لأنزاه، أبرار، أخيار، ومع المضيعين المفرطين، وإنهم لأكياس أقوياء، ناحلون دائبون، يراهم الجاهل فيقول: مرضى وليسوا بمرضى، وقد خولطوا وقد خالط القوم أمر عظيم.

[١٣٠] حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار قال: حدثنا محمد بن حسان ابن فيروز الأزرق قال: حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد قال: حدثني موسى ابن أبي درم، عن يوسف -يعني: ابن ماهك-، عن ابن عباس أنه بلغه عن مجلس في ناحية بني سهم فيه شباب من قريش يختصمون ويرتفع أصواتهم، فقال ابن عباس لوهب ابن منبه: «انطلق بنا إليهم قال: فانطلقا حتى وقفنا عليهم، فقال ابن عباس لوهب ابن منبه: أخبر القوم عن كلام الفتى الذي كلم به أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في بلائه، فقال وهب: قال الفتى: لقد كان في عظمة الله عَزَّوَجَلَّ، وذكر الموت، ما يكل لسانك، ويقطع قلبك، ويكسر حجتك؟ أفلم تعلم يا أيوب أن لله عبادًا، أسكتتهم خشية الله من غير عيٍّ ولا بكم، وإنهم لهم الفصحاء الطلقاء العالمون بالله وأيامه، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله تَعَالَىٰ تقطعت قلوبهم، وكلت ألسنتهم، وكلت أحلامهم فرقا من الله تَعَالَىٰ وهيبة له، حتى إذا استفاقوا من ذلك ابتدروا إلى الله تَعَالَىٰ بالأعمال الزاكية، لا يستكثرون لله الكثير، ولا يرضون له بالقليل، ناحلون ذائبون، يراهم الجاهل فيقول: مرضى، وقد خولطوا، وقد خالط القوم أمر عظيم»[١].

....

(١) أثر وهب ضعيف، ساقه الآجري من طريقين، مدارهما على موسى بن أبي كردم أو موسى بن أبي درم، =

[١٣١] وحدثنا ابن عبد الحميد قال: حدثنا زهير قال: حدثنا أبو حذيفة الصنعاني قال: حدثني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهبًا يقول: «دع المراء والجدال عن أمرك، فإنك لا تُعجز أحدَ رجلين: رجل هو أعلم منك، فكيف تماري وتجادل من هو أعلم منك؟ ورجل أنت أعلم منه، فكيف تماري وتجادل من أنت أعلم منه، ولا يطيعك، فاقطع ذلك عنك»(١).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من كان له علم وعقل، فميز جميع ما تقدم ذكري له من أول الكتاب إلى هذا الموضع علم أنه محتاج إلى العمل به، فإن أراد الله به خيرًا لزم سنن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما كان عليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان من أئمة المسلمين في كل عصر، وتعلم العلم لنفسه، لينتفي عنه الجهل، وكان مراده أن يتعلمه لله تَعَالَىٰ، ولم يكن مراده أن يتعلمه للمراء والجدال والخصومات ولا للدنيا، ومن كان هذا مراده سَلِمَ -إن شاء الله تَعَالَىٰ- من الأهواء والبدع والضلالة، واتَّبَعَ ما كان عليه من تقدم من أئمة المسلمين الذين لا يستوحش من ذكرهم، وسأل الله تَعَالَىٰ أن يوفقه لذلك.

فإن قال قائل: فإن كان رجل قد علمه الله تَعَالَىٰ علمًا، فجاءه رجل يسأله عن مسألة في الدين ينازعه فيها ويخاصمه، ترى له أن يناظره، حتى تثبت عليه الحجة، ويرد عليه قوله؟

....

= ذكره البخاري في «التأريخ الكبير» (٧/ ٢٨٢) قال: «موسى بن أبي درم عن وهب بن منبه»، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»، (٨/ ١٤٢)، وذكر أنه روى عن وهب بن منبه، وروى عنه مروان أبو الحكم وسفيان الثوري، فهو مجهول الحال على أحسن الأحوال.

(١) أثر ضعيف؛ لأن في إسناده أبا حذيفة الصنعاني، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الكريم ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٥/ ١٦٠)، وقال: روى عن إبراهيم بن عقيل بن معقل بن منبه، روى عنه يحيى بن عاصم البخاري وعبيد الله بن فضالة النسائي، فهو مستور، أي: مجهول الحال.

قيل له: هذا الذي نهينا عنه، وهو الذي حذرناه من تقدم من أئمة المسلمين.

فإن قال: فماذا نصنع ؟

قيل له: إن كان الذي يسألك مسألته مسألة مسترشد إلى طريق الحق لا مناظرة، فأرشده بألطف ما يكون من البيان بالعلم من الكتاب والسنة وقول الصحابة وقول أئمة المسلمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإن كان يريد مناظرتك ومجادلتك، فهذا الذي كره لك العلماء، فلا تناظره، واحذره على دينك، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين إن كنت لهم متبعًا.

فإن قال: فندعهم يتكلمون بالباطل، ونسكت عنهم ؟

قيل له: سكوتك عنهم وهجرتك لما تكلموا به أشد عليهم من مناظرتك لهم، كذا قال من تقدم من السلف الصالح من علماء المسلمين.

[١٣٢] حدثنا أبو بكر بن عبد الحميد قال: حدثنا زهير بن محمد قال: أنا منصور بن سفيان قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب أنه قال: «لست برادٍّ عليهم، أشد من السكوت»[١].

[١٣٣] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو تقي هشام بن عبد الملك الحمصي قال: حدثنا محمد بن حرب، عن أبي سلمة سليمان بن سليم، عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: «لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب»[٢].

---

(١) ضعيف، في إسناده راو لا يعرف، ألا وهو منصور بن سفيان، لم أقف له على ترجمة بعد بحث.

(٢) إسناده حسن أو صحيح، فيه هشام بن عبد الملك أبو تقي الحمصي، قال فيه الذهبي في «الكاشف»: «ثقة»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق ربما وهم».

[١٣٤] حدثنا الفريابي قال: حدثني محمد بن داود قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا مهدي بن ميمون قال: سمعت محمدًا -يعني: ابن سيرين- وماراه رجل في شيء فقال محمد: «إني أعلم ما تريد، وأنا أعلم بالمراء منك، ولكني لا أماريك»(١).

قال محمد بن الحسين: ألم تسمع -رحمك الله- إلى ما تقدم ذكرنا له من قول أبي قلابة: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم»؟

أوَلم تسمع إلى قول الحسن وقد سأله عن مسألة فقال: «ألا تناظرني في الدين؟ فقال له الحسن: أما أنا فقد أبصرت ديني، فإن كنت أنت أضللت دينك فالتمسه»؟

أوَلم تسمع إلى قول عمر بن عبد العزيز: «من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل»؟

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: من اقتدى بهؤلاء الأئمة سَلِمَ له دينه -إن شاء الله تَعَالَى-.

فإن قال قائل: فإن اضطرني في الأمر وقتًا من الأوقات إلى مناظرتهم، وإثبات الحجة عليهم ألا أناظرهم؟

قيل له: الاضطرار إنما يكون مع إمام له مذهب سوء، فيمتحن الناس ويدعوهم إلى مذهبه، كفعل من مضى في وقت أحمد بن حنبل: ثلاثة خلفاء امتحنوا الناس،

....

(١) قول محمد بن سيرين صحيح، إسناده صحيح.

ودعوهم إلى مذهبهم السوء، فلم يجد العلماء بدًّا من الذب عن الدين، وأرادوا بذلك معرفة العامة الحق من الباطل، فناظروهم ضرورة لا اختيارًا، فأثبت الله تعالى الحق مع أحمد بن حنبل ومن كان على طريقته، وأذلّ الله تعالى المعتزلة وفضحهم، وعرفت العامة أن الحق ما كان عليه أحمد ومن تابعه إلى يوم القيامة، أرجو أن يعيذ الله الكريم أهل العلم من أهل السنة والجماعة من محنة تكون أبدًا.

وبلغني عن المهتدي: أنه قال: «ما قطع أبي يعني: الواثق- إلا شيخ جيء به من المصيصة، فمكث في السجن مدة، ثم إن أبي ذكره يومًا، فقال: عليَّ بالشيخ، فأتي به مقيدًا، فلما أوقف بين يديه سَلَّمَ فلم يرد عليه السلام، فقال له الشيخ: يا أمير المؤمنين، ما استعملت معي أدب الله تعالى ولا أدب رسوله صلى الله عليه وسلم؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بِرَدِّ السلام، فقال له: وعليك السلام.

ثم قال لابن أبي دؤاد: سَلهُ، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا محبوس مقيد، أصلي في الحبس بتيمم، منعت الماء فمُر بقيودي تُحَلَّ، ومُر لي بماء أتطهر وأصلي، ثم سَلني.

قال: فأمرَ بِحَلِّ قيده، وأمرَ له بماء، فتوضأ وصلى.

ثم قال لابن أبي دؤاد: سَلهُ، فقال الشيخ: المسألة لي، تأمره أن يجيبني، فقال: سَل، فأقبل الشيخ على ابن أبي دؤاد فقال: أخبرني عن هذا الذي تدعو الناس إليه، أشيء دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا، قال: فشيء دعا إليه أبو بكر الصديق بعده؟ قال: لا، قال: فشيء دعا إليه عمر بن الخطاب بعدهما؟ قال: لا، قال: فشيء دعا إليه عثمان بن عفان بعدهم؟ فقال: لا، قال: فشيء دعا إليه علي

....

ابن أبي طالب بعدهم؟ قال: لا، قال: فشيء لم يدع إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ تدعو الناس أنت إليه؟!

ليس يخلو أن تقول: علموه أو جهلوه، فإن قلت: عَلَمُوه، وسكتوا عنه. وَسِعَنَا وإياك ما وسع القوم من السكوت، وإن قلت: جهلوه وعلمته أنا، فيا لكع ابن لكع، يجهل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخلفاء الراشدون رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ شيئًا تعلمه أنت وأصحابك؟!

قال المهتدي: فرأيت أبي وثب قائمًا ودخل الحيزى، وجعل ثوبه في فيه يضحك، ثم جعل يقول: صدق، ليس يخلو من أن نقول: جهلوه أو علموه، فإن قلنا: علموه وسكتوا عنه وسِعَنَا من السكوت ما وَسِعَ القوم، وإن قلنا: جهلوه وعلمته أنت، فيا لكع ابن لكع يجهل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا تعلمه أنت وأصحابك؟

ثم قال: يا أحمد، قلت: لبيك، قال: لست أعنيك، إنما أعني ابن أبي دؤاد، فوثب إليه فقال: أعط هذا الشيخ نفقة وأخرجه عن بلدنا»[1].

قال محمد بن الحسين: وبعد هذا نأمر بحفظ السنن عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسنن أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، والتابعين لهم بإحسان، وقول أئمة المسلمين مثل مالك بن أنس، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وابن المبارك وأمثالهم، والشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأحمد ابن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على طريقة هؤلاء من العلماء، وينبذ من سواهم، ولا نناظر، ولا نجادل ولا نخاصم، وإذا لقي صاحب بدعة في طريق أخذ في غيره، وإن حضر مجلسًا هو فيه قام عنه، هكذا أَدَّبَنَا من مضى من سلفنا.

....

(١) ذكر الآجري هذه القصة هنا بغير إسناد؛ لكنه ذكرها مسندة فيما سيأتي.

[١٣٥] حدثنا الفريابي قال: حدثنا أبو الأصبغ عبد العزيز بن يحيى الحراني، قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير قال: «إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في غيره»(١).

[١٣٦] وحدثنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة أنه كان يقول: «إن أهل الأهواء أهل الضلالة، ولا أرى مصيرهم إلا إلى النار»(٢).

١٣٧ - وحدثنا الفريابي قال: حدثنا إبراهيم بن عثمان المصيصي قال: حدثنا مخلد بن الحسين، عن هشام بن حسان، عن الحسن قال: «صاحب البدعة لا تقبل له صلاة ولا صيام ولا حج ولا عمرة ولا جهاد، ولا صرف ولا عدل»(٣).

[١٣٨] وحدثنا الفريابي قال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال حدثنا وهيب، قال: حدثنا أيوب، عن أبي قلابة قال: «ما ابتدع الرجل بدعة إلا استحل السيف»(٤).

....

(١) أثر حسن أو صحيح، في إسناده أبو الأصبغ عبد العزيز بن يحيى الحراني، قال الذهبي فيه في «الكاشف»: «ثقة»، وقال الحافظ: «صدوق ربما وهم».

(٢) إسناده صحيح.

(٣) ضعيف، في إسناده إبراهيم بن عثمان المصيصي، لم أقف له على ترجمة، والظاهر أنه مجهول.
ورواه اللالكائي (١/ ١٣٨-١٣٩) برقم: [٢٧٠]، من طريق الفريابي عن إبراهيم المصيصي به، ورواه (١/ ١٣٨) برقم: [٢٦٩] عن علي بن محمد بن بكران، قال: حدثنا الحسن بن عثمان، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثنا الربيع بن نافع، قال: حدثنا مخلد بن حسين به.
ثم روى (١/ ١٣٩) برقم [٢٧١] بالإسناد نفسه إلى يعقوب بن سفيان، قال: حدثنا أبو عاصم عن هشام عن الحسن قال: «لا يقبل الله من صاحب البدعة شيئًا».

(٤) إسناده صحيح، رواه الدارمي (١/ ٤٤) قال: أخبرنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة، وساقه بمتن أطول من هذا يتضمن معناه.

[١٣٩] وحدثنا الفريابي قال: حدثنا الحسن بن علي الحلواني، بطرسوس سنة ثلاث وثلاثين ومائتين قال: سمعت مطرف بن عبد الله يقول سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده الزائغون في الدين يقول: قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين، ولّاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا»[(١)].

قال محمد بن الحسين: فإن قال قائل: هذا الذي ذكرته وبينته قد عرفناه. فإذا لم تكن مناظرتنا في شيء من الأهواء التي ينكرها أهل الحق، ونهينا عن الجدال والمراء والخصومة فيها، فإن كانت مسألة من الفقه في الأحكام، مثل: الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والنكاح والطلاق، وما أشبه ذلك من الأحكام. هل لنا مباح أن نناظر فيه ونجادل، أم هو محظور علينا، عرِّفنا ما يلزم فيه كيف السلامة منه.

قيل له: هذا الذي ذكرته ما أَقَلَّ مَن يَسلَمَ من المناظرة فيه، حتى لا يلحقه فيه فتنة ولا مأثم، ولا يظفر فيه الشيطان.

فإن قال: كيف ؟

قيل له: هذا، قد كثر في الناس جدًّا في أهل العلم والفقه في كل بلد يناظر الرجل الرجل يريد مغالبته، ويعلو صوته، والاستظهار عليه بالاحتجاج، فيحمر

....

(١) في إسناده انقطاع؛ لأن مالكًا لم يسمع من عمر بن عبد العزيز لكن له متابعة يرتقي بها إلى درجة الحسن لغيره، انظر على التعليق على أثر [٩٢] فيما سبق.

لذلك وجهه، وتنتفخ أوداجه، ويعلو صوته، وكل واحد منهما يحب أن يخطئ صاحبه، وهذا المراد من كل واحد منهما خطأ عظيم؛ لا يحمد عواقبه ولا يحمده العلماء من العقلاء، لأن مرادك أن يخطئ مناظرك: خطأ منك، ومعصية عظيمة، ومراده أن تخطئ خطأ منه ومعصية، فمتى يسلم الجميع ؟

فإن قال قائل: فإنما نناظر لتخرج لنا الفائدة؟

قيل له: هذا كلام ظاهر، وفي الباطن غيره.

وقيل له: إذا أردت وَجهَ السلامة في المناظرة لطلب الفائدة كما ذكرت، فإذا كنت أنت حجازيًّا والذي يناظرك عراقيًّا وبينكما مسألة، تقول أنت: حلال، ويقول هو: بل حرام؛ فإن كنتما تريدان السلامة وطلب الفائدة، فقل له: رحمك الله هذه المسألة قد اختلف فيها من تقدم من الشيوخ، فتعال حتى نتناظر فيها منا صحة لا مغالبة، فإن يكن الحق فيها معك اتبعتك وتركت قولي، وإن يكن الحق معي اتبعتني وتركت قولك، لا أريد أن تخطئ ولا أغالبك، ولا تريد أن أخطئ ولا تغالبني، فإن جرى الأمر على هذا فهو حسن جميل، وما أعزَّ هذا في الناس.

فإذا قال كل واحد منهما: لا نطيق هذا، وصدقا عن أنفسهما، قيل لكل واحد منهما: قد عرفت قولك وقول صاحبك وأصحابك واحتجاجهم وأنت فلا ترجع عن قولك وترى أن خصمك على الخطأ وقال خصمك كذلك، فما بكما إلى المجادلة والمراء والخصومة حاجة إذا كان كل واحد منكما ليس يريد الرجوع عن مذهبه، وإنما مراد كل واحد منكما أن يخطئ صاحبه، فأنتما آثمان بهذا المراد، أعاذ الله العلماء العقلاء عن مثل هذا المراد.

....

فإذا لم تجر المناظرة على المناصحة، فالسكوت أسلم، قد عرفت ما عندك وما عنده وعرف ما عنده وما عندك، والسلام.

ثم لا تأمن أن يقول لك في مناظرته: قال رسول الله ﷺ، فتقول له: هذا حديث ضعيف، أو تقول: لم يقله النبي ﷺ، كل ذلك لترد قوله، وهذا عظيم وكذلك يقول لك أيضًا؛ فكل واحد منكما يرد حجة صاحبه بالمخارقة والمغالبة.

وهذا موجود في كثير ممن رأينا يناظر ويجادل ونتجادل، حتى ربما خرق بعضهم على بعض.

هذا الذي خافه النبي ﷺ على أمته، وكره العلماء ممن تقدم، والله أعلم.

١- أورد الإمام الآجري في هذا الباب «باب ذم الجدال والخصومات في الدين» أورد حوالي ثلاثين ما بين حديث وأثر.

صدرها بقول رسول الله ﷺ: **«ما ضل قومٌ بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»**، ثم تلا هذه الآية ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

ومصداق هذا الحديث والآية: ما يقوم به اليوم أناس كانوا في ظاهرهم على الهدى، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم، وأصبحوا من أشد الناس جدلًا بالباطل والكذب والخيانات، ثم ما زالوا ينحدرون من منحدر إلى منحدر أسوأ منه.

بدءوا بالدفاع عن الباطل وأهله والتأصيل الفاجر المضاد لمنهج السلف وأصولهم، وتمادوا في هذا الانحدار إلى أن وصلوا إلى الدفاع عن الدعاة إلى وحدة الأديان وحرية الأديان وأخوة أهل الأديان ومحبتهم، إلى ضلالات أخرى.

....

ويزكـون هذه الأصنـاف، ويحاربون أهل السـنة، ويطعنون فيهـم بأخبث الطعون وأكذبها.

فهـؤلاء لهـم نصيـب مـن قـول الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [الحج: ٨].

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [غافر: ٥]

وقولـه تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**»[1].

ومع كل هذه البلايا المدمرة تجد من يتولاهم، وينحاز إليهم، ويتعصب لهم، ويشـهد لهم بأنهم من أهل السنة ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩].

ما رأيت مثل هذه الفرقة في الجدل بالباطل المستمر الذي لا ينقطع.

لقد ناقشت وغيري أناسًا من مختلف الفِرق، فإذا سقت الأدلة والبراهين على بطلان ما يخالفك فيـه انقطع ووقف عند حده، أما هذه الفرقة فصـار الجدال بالباطل والكذب أهم ما في دينها ومنهجها، فلا تقف عند حدٍّ، بل تتمادى في هذا الباطل وتستمر، **والظاهر**: أن من أهم أسباب هذا الاستمرار الطمع في تدفق الأموال عليهم ممن جندهم.

---

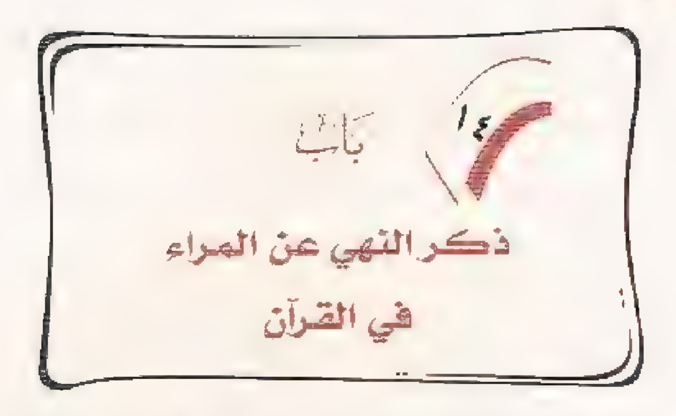
(١) رواه البخاري في «المظالم»، [٢٤٥٧]، ومسلم في «العلم»، حديث [٢٦٦٨].

....

٢- وأصّلَ المصنف في نقل النصوص في التحذير من أهل البدع ومناظرتهم ومجالستهم وذكر مآلاتهم.

٣- علّق مرات بتعليقات تعتبر شارحة لهذه النصوص ومبينة لأهدافها ومقاصدها، تُغنِي عن الإطالة في الشرح، فجزاه الله أحسن الجزاء على بيانه ونقله وحبه للسنة وأهلها ونصرته لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهج أصحابه والسلف الصالح.





[١٤٠] حدثنا أبو بكر بن أبي داود السجستاني قال: حدثنا أبو الطاهر أحمد ابن عمرو قال: أنا ابن وهب قال: أخبرني سليمان بن بلال، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مراء في القرآن كفر».

[١٤١] حدثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا يحيى بن يعلى التيمي، عن منصور، عن سعد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المراء في القرآن كفر»[1].

[١٤٢] حدثنا الفريابي قال: ثنا محمد بن عبيد بن حساب قال: حدثنا حماد ابن زيد قال: حدثنا أبو عمران الجوني قال: كتب إليَّ عبد الله بن رباح الأنصاري: إني سمعت عبد الله بن عمرو يقول: هاجرت إلى رسول الله ﷺ يومًا إذ سمع صوت رجلين اختلفا في آية من القرآن، فخرج علينا رسول الله ﷺ يُعرف في وجهه الغضب، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب».

---

(١) ساق المؤلف حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسنادين:

أولهما - حسن؛ لأن فيه محمد بن عمرو مختلف فيه، لكن الراجح أن حديثه حسن، يروي له مسلم في المتابعات، وقال فيه أبو حاتم: يكتب حديثه، وقال النسائي: لا بأس به. قاله الذهبي في «الكاشف». وقال الحافظ ابن حجر: صدوق له أوهام.

[١٤٣] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي قال: أنا عبد الرزاق قال: أنا معمر، عن الزهري، عن عمرو ابن شعيب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو قال: سمع رسول الله ﷺ قومًا يتدارءون في القرآن، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض، وإنما كتاب الله يصدق بعضه بعضًا، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا به، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه»[١].

[١٤٤] حدثنا عمر بن أيوب السقطي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا عبد الله بن نمير قال: موسى بن عبيدة قال: أنا عبد الله بن يزيد، عن عبد الرحمن بن ثوبان، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوا المراء في القرآن، فإن الأمم قبلكم لم يلعنوا حتى اختلفوا في القرآن، وإن المراء في القرآن كفر»[٢].

[١٤٥] وحدثنا أبو بكر بن عبد الحميد قال: حدثنا زهير بن محمد قال: حدثنا عبد الله بن المبارك قال: حدثنا سويد أبو حاتم، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة قال: بينما نحن نتذاكر عند باب رسول الله ﷺ القرآن، ينزع هذا بآية وهذا بآية فخرج علينا رسول الله ﷺ وكأنما صبَّ على وجهه الخل

....

(١) ساق المؤلف حديث عبد الله بن عمرو بإسنادين:

أولهما- صحيح؛ لأن رجاله ثقات.

وثانيهما- حسن، يرتقي إلى درجة الصحيح لغيره؛ لأن في إسناده عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وهذا الإسناد مختلف فيه، والراجح: أن حديثه حسن، وهذا الحديث ظاهره السلامة من الإرسال والانقطاع.

(٢) فيه ضعف؛ لأن فيه موسى بن عبيدة الربذي مشهور بأنه ضعيف، وفيه عبد الرحمن بن ثوبان لا يعرف.

فقال: «يا هؤلاء، لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فإنه لم تضل أمة إلا أوتوا الجدل»(١).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن قال قائل: عرفنا هذا المراء الذي هو كفر، ما هو؟

قيل له: نزل هذا القرآن على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سبعة أحرف، ومعناها: على سبع لغات، فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلقن كل قبيلة من العرب القرآن على حسب ما يحتمل من لغتهم، تخفيفًا من الله تَعَالَى بأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكانوا ربما إذا التقوا يقول بعضهم لبعض: ليس هكذا القرآن، وليس هكذا علمنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويعيب بعضهم قراءة بعض، فنهوا عن هذا: اقرءوا كما علمتم، ولا يجحد بعضكم قراءة بعض، واحذروا الجدال والمراء فيما قد تعلمتم، والحجة فيما قلنا.

[١٤٦] ما حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا أبو هشام محمد بن يزيد الرفاعي قال: حدثنا أبو بكر بن عياش قال حدثنا عاصم، عن زرٍّ، عن عبد الله قال: قلت لرجل: أقرئني من الأحقاف ثلاثين آية، فأقرأني خلاف ما أقرأني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قلت لآخر: أقرئني من الأحقاف ثلاثين آية، فأقرأني خلاف ما أقرأني الأول، وأتيت بهما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فغضب، وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنده جالس فقال علي -كرم الله وجهه-: قال لكم: «اقرءوا كما عُلِّمتُم».

---

(١) في إسناده ضعف؛ لأن فيه سويد بن إبراهيم أبو حاتم الحناط، قال فيه ابن معين: لا بأس به، وقال النسائي: ضعيف، وقال أبو زرعة: ليس بالقوي. انظر: «الميزان» للذهبي (٢/ ٢٤٧)، لكنه يعتضد بالأحاديث السابقة فيرتقي إلى درجة الحسن لغيره، وفيه القاسم بن عبد الرحمن صدوق يرسل كثيرًا.

[١٤٧] وحدثنا -أيضًا- أبو محمد بن صاعد قال: حدثنا أحمد بن سنان القطان قال: حدثنا يزيد بن هارون، أنا شريك، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن عبد الله أنه قال: أقرأني رسول الله ﷺ سورة، فدخلت المسجد فقلت: أفيكم من يقرأ؟ فقال رجل من القوم: أنا أقرأ فقرأ السورة التي أقرأنيها رسول الله ﷺ، فإذا هو يقرأ بخلاف ما أقرأني رسول الله ﷺ، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ أنا والرجل، وإذا عنده علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - فقلنا: يا رسول الله ﷺ اختلفنا في قراءتنا، فتغير وجه رسول الله ﷺ، فقال علي -كرم الله وجهه-: إن رسول الله ﷺ يقول: «إنما هلك من كان قبلكم بالاختلاف، فليقرأ كل رجل منكم ما أقرئ»[١].

[١٤٨] وأخبرنا إبراهيم بن موسى الجوزي قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: أنا مالك بن أنس، عن الزهري، عن عروة، عن عبد الرحمن بن عبد القاري، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «سمعت هشام بن حكيم، يقرأ سورة الفرقان في الصلاة على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها، فأخذت بثوبه، فذهبت به إلى رسول الله ﷺ فقلت:

....

(١) ساق المؤلف حديث ابن مسعود بإسنادين، في الأول منهما: عاصم بن أبي النجود، قال فيه الذهبي في «الكاشف»: وثق، وقال الدارقطني: في حفظه شيء، وقال الحافظ ابن حجر: صدوق له أوها.
وفيه محمد بن يزيد أبو هشام الرفاعي الكوفي، قال فيه الذهبي في الكاشف: ضعَّفه النسائي وأبو حاتم؛ لكنه يعتضد بما يأتي.
والإسناد الثاني: فيه عاصم، وحاله ما قدمناه، وفيه شريك بن عبد الله القاضي، قال فيه الذهبي في الكاشف: «وثقه ابن معين، وقال غيره سيئ الحفظ، وقال النسائي: ليس به بأس. هو أعلم بحديث الكوفيين من الثوري، قاله ابن المبارك»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق يخطئ كثيرًا».
وشيخه عاصم كوفي، فهو قد ضبط ما سمعه من شيخه عاصم الكوفي.
وعلى كلٍّ فحديث ابن مسعود بإسناديه حسن على أقل الأحوال.

يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها، فقال: «اقرأ» فقرأ القراءة التي سمعتها منه، فقال: «هكذا أنزل، إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه»[1].

قال محمد بن الحسين:

فصار المراء في القرآن كفرًا بهذا المعنى يقول هذا: قراءتي أفضل من قراءتك، ويقول الآخر: بل قراءتي أفضل من قراءتك، ويكذب بعضهم بعضًا، فقيل لهم: ليقرأ كل إنسان كما عُلِّم، ولا يعب بعضكم قراءة غيره، واتقوا الله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، واعتبروا بأمثاله، وأحلوا حلاله، وحرموا حرامه.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

قد ذكرت في تأليف كتاب المصحف، مصحف عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أجمعت عليه الأمة والصحابة، ومن بعدهم من التابعين، وأئمة المسلمين في كل بلد، وقول السبعة الأئمة في القرآن ما فيه كفاية، ولم أحب ترداده هاهنا، وإنما مرادي هاهنا: ترك الجدال والمراء في القرآن، فإنّا قد نهينا عنه.

ولا يقول إنسان في القرآن برأيه، ولا يفسر القرآن، إلا ما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو عن أحد من الصحابة، أو عن أحد من التابعين أو عن إمام من أئمة المسلمين، ولا يماري ولا يجادل.

....

(١) صحيح بهذا الإسناد، وهو مما اتفق البخاري ومسلم على إخراجه، رواه البخاري في «التفسير»، حديث [٤٩٩٢]، ومسلم في «صلاة المسافرين»، حديث [٨١٨].

فـإن قال قائـل: فإنَّا قد نرى الفقهاء يتناظرون في الفقه، فيقول أحدهم: قال الله تَعَالَى كذا، وقال النبي كذا وكذا، فهل يكون هذا من مراء في القرآن؟

قيـل: معـاذ الله، ليـس هـذا مـراء فـإن الفقيه ربما ناظـره الرجل في مسـألة، فيقـول له على جهة البيان والنصيحة: حجتنا فيه قال الله تعالى كذا، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جهة النصيحة والبيان، لا على جهة المماراة.

فمن كان هكذا، ولم يرد المغالبة، ولا أن يخطئ خصمه ويسـتظهر عليه سَلَّم، وقبل - إن شاء الله تَعَالَى - كما ذكرنا في الباب الذي قبله.

قال الحسـن: المؤمن لا يداري ولا يماري، ينشر حكمة الله، فإن قُبِلَت حَمِدَ الله، وإن رُدَّت حَمِدَ الله -عز وجل وعلا-[(١)].

وبعـد هذا: فأكـره الجدال والمراء ورفع الصوت في المناظـرة في الفقه، إلا على الوقار والسكينة الحسنة.

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، وليتواضع لكم من تُعلمونه، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم عِلمُكُم بجهلكم»[(٢)].

---

(١) رواه نعيم بـن حماد في «زوائد الزهـد على ابن المبارك في الزهد [٣٠]، وابـن بطة في «الإبانة» (٦١١- رضـا نعسـان) من طريقين عن ابن عيينة عن رجل عن الحسـن به، ورواه ابـن بطة في «إبطال الحيل»، ص: [٢٥] من طريق ابن عيينة عن أيوب عن الحسن به.

(٢) وصلـه الآجـري في «أخـلاق حملـة القـرآن»، ص: [١٢٢]، رقـم [٥١]، والدينوري في «المجالسـة» (٤/ ٤٠-٤١) رقـم [١١٩٧] مـن طريـق محمـد بـن بكار عن عنبَسَة بنِ عبـد الواحد، نـا عمرو بن عامِرٍ عن عمر به، وهذا سـند منقطع، عمـرو بن عامر لم يدرك عمر، انظـر: «تهذيب الكمال» للمزي (٢٢/ ٩٣).

=

....

أورد الإمام الآجري عددًا من الأحاديث في تحريم المراء في القرآن، وأن المراء فيه قد يكون كفرًا -والعياذ بالله-، خاصة إذا كذب بعضهم قراءة بعض.

وقد أنزل الله القرآن على سبعة أحرف على حسب لهجات العرب تيسيرًا عليهم.

وكان رسول الله ﷺ يقرئ بعض أصحابه على حرف، ويقرئ الآخر على حرف، وهذه الأحرف لا يناقض بعضها بعضًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: في «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٩١): «وَلَا نِزَاعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْحُرُوفَ السَّبْعَةَ الَّتِي أُنزِلَ القُرآنُ عَلَيهَا لَا تَتَضَمَّنُ تَنَاقُضَ الْمَعنَى وَتَضَادَّهُ، بَل قَد يَكُونُ مَعنَاهَا مُتَّفِقًا أَو مُتَقَارِبًا، كَمَا قَالَ عَبدُ الله بنُ مَسعُودٍ: إنَّمَا هُوَ كَقَولِ أَحَدِكُم أَقبِل وَهَلُمَّ وَتَعَال، وَقَد يَكُونُ مَعنَى أَحَدِهِمَا لَيسَ هُوَ مَعنَى الآخَرِ، لَكِن كِلَا المَعنَيَينِ حَقٌّ وَهَذَا اختِلَافُ تَنَوُّعٍ وَتَغَايُرٍ لَا اختِلَافُ تَضَادٍّ وَتَنَاقُضٍ».



= ورواه البيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» (١٦٥١-الرشد)، وفي «المدخل إلى السنن الكبرى» [٦٢٩]، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ٥٤٢) رقم (٨٩٣-الزهيري) من طريق ابن وهب عن يونس بن يزيد عن عمران بن مسلم عن عمر مثله، وعمران بن مسلم لم يتميز من هو.

ورواه وكيع في «الزهد» (٢/ ٥٣٨-٥٣٩) رقم [٢٧٥]، وعنه أحمد في «الزهد» [٩٩] رقم [٦٣٠] عن العلاء ابن عبد الكريم حدثنا أشياخنا عن عمر مثله، وهذا سند ضعيف؛ لإبهام شيوخ العلاء.

١٥ بَابُ

تحذير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته الذين يجادلون بمتشابه القرآن وعقوبة الإمام لمن يجادل فيه

[١٤٩] حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد الحنائي قال: حدثنا محمد بن عبيد ابن حساب قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن عبد الله بن أبي مليكة، أن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: تلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا هذه الآية: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ٧] إلى آخر الآية فقالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه أو به، فهم الذين عنى الله تَعَالَىٰ، فاحذروهم».

[١٥٠] حدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف قال: حدثنا محمد بن أبي عمر العدني قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة ل أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ٧] إلى آخر الآية فقال: «إذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين عنى الله تَعَالَىٰ، فاحذروهم».

[١٥١] حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا يحيى بن حكيم قال: حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد، قال: حدثنا أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة

....

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلا هذه الآية: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] فقال: «يا عائشة، إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم»(١).

ولهذا الحديث طرق عن جماعة.

[١٥٢] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث قال: حدثنا مكي بن إبراهيم قال: حدثنا الجعيد بن عبد الرحمن، عن يزيد بن خصيفة، عن السائب بن يزيد قال: أتي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنَّا لقينا رجلًا يسأل عن تأويل القرآن، فقال: اللهم أمكني منه قال: [فبينا عمر ذات] يوم يغدي الناس، إذ جاءه رجل عليه ثياب وعمامة، فتغدى حتى إذا فرغ قال: يا أمير المؤمنين ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات: ١ - ٢]، فقال عمر: أنت هو؟

فقام إليه فحسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته، فقال: والذي نفس عمر بيده، لو وجدتك محلوقًا لضربت رأسك، ألبسوه ثيابه، واحملوه على قتب، ثم أخرجوه حتى تقدموا به بلاده، ثم ليقم خطيبًا ثم ليقل: إن صبيغًا طلب العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعًا في قومه حتى هلك، وكان سيد قومه(٢).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: باب: تحذير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته الذين يجادلون بمتشابه القرآن، وعقوبة الإمام لمن يجادل فيه

---

(١) ساق المؤلف حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من ثلاث طرق، وهو حديث صحيح، اتفق الشيخان على تخريجه. أخرجه البخاري في «التفسير»، حديث [٤٥٤٧]، ومسلم في «العلم»، حديث [٢٦٦٥].

(٢) إسناده صحيح، ورجاله ثقات غير إسماعيل بن أبي الحارث قال فيه الذهبي في «الكاشف»: «ثقة جليل»، وقال الحافظ: «صدوق».

فالرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يُحذِّر وعلى الإمام أن يعاقب من يجادل في آيات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فالمجادل في آيات الله صنفان الكفار الواضحون، كما قال تَعَالَى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [غافر: ٤].

والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيّن أن أهل الأهواء من المجادلين في آيات الله- والعياذ بالله- فحذّر منهم، ويجب على المسلمين أن يحذروهم كما حذّر منهم الرسول الناصح الأمين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأن يستفيدوا من هذه النصيحة، وأن الذين يحتكون بأهل البدع ويدفعون الشباب إلى أحضانهم لم يستفيدوا من هذا التوجيه النبوي الصادق من الرءوف الرحيم الناصح الأمين الذي لا ينطق عن الهوى، ورأينا الآثار المدمِّرة للاستهانة بخطورة أهل البدع، رأيناها وعايشناها وعرفنا والله ضحاياها لماذا؟

لأنّهم خالفوا منهج الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وخالفوا منهج السلف الصالح في الاستفادة من هذه التوجيهات العظيمة.

تأمّل! الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتلو هذه الآية ويبيِّن من تنطبق عليهم ويُحذِّر منهم، بل الله كشف حالهم وبيّن سوء نواياهم، فلا تجد شخصًا يعاند، ولا يرجع إلى الحق إلا وهو متبع لهواه لا يُؤتَمن على دين الله، ولا يُؤتَمن على أبناء الإسلام.

تلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

فهذا مِنَّةٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عبده ورسوله بإنزال هذا الكتاب العظيم، ومنه آيات محكمات ومِن فضله أن جعل المحكمات مرجعًا للمتشابهات التي يختبر الله بها الناس.

أما المؤمن الموفق المُسَدَّد فيرُدُّ المتشابهات إلى المحكمات، فينتظم كتاب الله مستويًا مُتَّسِقًا لا اختلاف فيه ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، وأما المتبع لهواه فيأخذ من القرآن المتشابهات، لأنها تنسجم مع فطرته الفاسدة وهواه -والعياذ بالله-، وتراه يركِّز على الآيات المتشابهة قصدًا منه لإضلال نفسه وإضلال الآخرين ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ هذا موقف أهل الأهواء ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧] ما يتتبعون المتشابه قصدًا للفتنة، بل يؤمنون بأن المحكم والمتشابه كلٌّ من عند الله، وما دام من عند الله لا يمكن أن يختلف، لأن الله قال فيه: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، فيؤمنون بالجميع ويُسلِّمون بالجميع، ويردون المتشابه إلى المحكم فينسجم كتابُ الله بعضُه مع بعض هذا من الفقه في الدين.

وأما أهل الأهواء: فيقعون في حبائل الشيطان فيَضِلُّون ويُضِلُّون.

ومن أسباب ذلك: أن عندهم هوى وعندهم تقصدٌ للفتن، ولا تجد صاحب بدعة إلا وهو يقصد الفتنة، وإلا لماذا يُصِر على خطئه وانحرافه إذا بُيِّن له لماذا يصر عليه؟ لأنه قاصدٌ للفتنة، فتلا رسول الله هذه الآيات ثم قال: «**إذا رَأَيتُم الذين يُجَادِلُونَ فيه** -وفي

البخاري ومسلم: إِذَا رَأَيتُم الذين يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ- **وهو ما يجادل فيه إلا بسبب تتبعه للمتشابه فهم الذين عنى الله»**.

يعني: لفت النظـر إلى أن الله قصد بيان حال هؤلاء أهل الزيغ وأهل الأهواء، فإذا اشـتبه عليـك الناس ما تعرف المحـق والمبطل فانظر إلى الذي يتتبع المتشـابه من كلام الله ومن كلام رسوله، فهؤلاء الذين عناهم الله وعناهم رسول الله ﷺ.

ويكـون موقفنـا هو الحـذر والتحذير منهم؛ لهذا ترى السـلف امتـلأت دواوينهم بالتحذير والإنذار من أهل البدع من مجالستهم، والأمر بهجرانهم والابتعاد عن مخالطتهم، ولا يُؤخـذ منهـم عِلمٌ ولا يُؤخذ منهم دين إلا السـاكت منهم الـذي لا يدعو إلى بدعته، واحتجنا إلى ما عنده، فنأخذ منه ذلك الشيء الذي نريده.

ثـم مـع ذلك نبيِّن أنه مبتدع، ولهذا ترى السـلف حينما رووا عـن بعض أهل البدع بيَّنوا حالهم ما سكتوا ما جاملوا.

قالـوا: فـلان قدري، فـلان مرجئ، فلان كـذا، لأنه غير داعية فأخـذوا منه، ولأن فيه هذا الداء الوبيل الذي يخشى أن يدفعه في يـوم من الأيام إلى الدعوة إليه، فيُحَذَّر منه فيأخذون منه ما يضطرون إليه، ثم لابد أن يلفتوا الأنظار إلى بدعته وهواه.

الشاهد: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى حذرنا من أهل الأهواء، وبيَّن لنا سوء مقاصدهم، وحذَّرنا رسـول الله ﷺ منهم، وبيَّن العلامة التي تميزهم، وهو أنهم يتبعون المتشـابه، فإذا رأينا الذين يتبعون المتشابه ويجادلون بالقرآن، فأولئك الذين عناهـم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كيف ما نستفيد من هذا التحذير؟! كيف الآن الناس يحاربون من يحذر من أهل البدع؟!

هـذا توجيه مِن الله الـذي يعلم الناس ويعلـم أحوالهم ويعلـم مقاصدهم، ويعلم النتائـج والآثـار المترتبة على الاطمئنان إليهم والسكون إليهم، فنصحنـا لله وحذَّرنا الله منهم ونصحنا رسول الله ﷺ وحذَّرنا منهم.

ولهذا رأينا من نتائج مخالفة هذا الأصل نتائج مدمرة حصدت الشباب حصدًا.

الشـباب كان مقبـلًا يريد الكتاب والسـنة، وينفـر من البـدع والخرافات، ثم أقبل على الإسلام، فإذا بأهل الأهواء الجدد يستقبلون الشباب ويصرفونهم عن المنهج السلفي، ويحولـون بينهم وبـين مثل هذه التقريـرات النبوية، بـل التحذيرات، ويضعـون المناهج المضادة لهذا البيان وهذا التوجيه.

والله، منهـج الموازنات يا إخوة مضـادٌّ لهذه الآيات ومضادٌّ لهذه الأحاديث ومضادٌّ لهذا المنهج الرباني الذي يُحَصِّنُ به عباده المؤمنين من الضلال.

يا إخوة وضعوا منهج الموازنات، وضعوا قواعد أخرى وابتعد الشـباب ووجهوه إلى قـراءة كتب أهل البـدع، يقولون لهم: اقرءوا هؤلاء مجـددون! وهؤلاء أئمة! وهؤلاء وهؤلاء، ورفعوهم إلى مراتب الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين!

فذهـب الشـباب ضحايا هذا الغش والتلبيس والتلاعب بعقول الشـباب، ذهب ضحاياه أمة يحتاجها الإسـلام ويحتاجها المسـلمون، والله لو سَـلِموا من مثل هذه الحيل ومثـل هـذه المصايـد والمكايد لكان حـال العالم الإسـلامي الآن غير الحالة التي نعيشـها الآن.

الآن أين هو الشـباب الذي يَعتَزُّ بالسـنة، ويربأُ بنفسـه ودينه عـن أهل البدع؟ هم قليل.

....

كم مِن حَمَلةِ الشهادات يُنافح ويُكافح ويُدافع عن أهل البدع؟!

كثير من شباب الأمة أصبحوا مُجَنَّدين لحماية البدع وأهلها، فنحن ننصحهم وندعوهم إلى الاستفادة من هذه الأصول العظيمة الحكيمة التي تحفظ لنا شبابنا وتحفظ لنا ديننا، وتستدعي النصر والرحمة من ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كيف لنا الآن أن نجابه أمريكا ونجابه روسيا، ونحن ما عندنا شيء لا عقيدة صحيحة ولا منهج صحيح، ولا.. ولا.. ولا نجابهم بماذا؟!

فلابد من الرجوع إلى الله، والرجوع إلى الكتاب والسنة، والرجوع إلى هذه الأصول التي تميز بين أهل البدع وأهل الضلال، وأهل الهدى وأهل الضلال، وأهل الحق وأهل الباطل.

ضروري التمسك بهذه الأصول، خاصة في هذه الظروف العصيبة، الآن لابد منه لابد من استحضار هذا المنهج في مواجهة أهل الباطل، القرآن والسنة وعلماء المسلمين، وأئمة الإسلام كلهم يحشدون هذه الجهود لحماية الأمة من أهل البدع، ونأتي ونُبَدِّدِ كل هذه الجهود ونديز لها ظهورنا.

لما كان الشباب مرتبطين بالعلماء ويسمعون لنصائحهم، كانت الحماية والصيانة من كل أنواع الضلال من الكفار والملاحدة والزنادقة وأهل البدع والضلال، ولما فكوا هذا الارتباط بين العلماء والالتزام بهذا المنهج، جاءت المشاكل وجاء الضياع.

فالآن اذهب إلى أيِّ مكان وفي أيِّ مدينة وفي أيِّ مسجد وتكلم في أهل البدع، لترى كيف ينبري لك مَن يحامي ويدافع عنهم بدل ما يقف إلى جانبك ويقول جزاك الله خيرًا، وسدد الله خطاك، وهذا شيء نستفيد منه، لأن فيه: قال الله، قال رسول الله، قال أحمد

ابن حنبل، قال الشافعي، قال الثوري، قال الأوزاعي، قال مالك، قال الآجري، قال ابن بطة، قال أئمة الإسلام وفحول الإسلام والمسلمين.

وهـؤلاء والله ما لهـم أئمة، إذا أرادوا أن يخالفوا هذا المنهـج فليس لهم أئمة، فنحن الآن وصلنا إلى حالة يرثى لها، كثير من الشباب تائهون لا يدرون من أئمتهم إلا من نشئوا في هذا العصر من أهل البدع، حبالهم قصيرة جدًّا ما تمتد حبالهم إلى الصحابة إلى التابعين إلى أئمة الهدى، في الميدان الذي يتصارع فيه السلفيون الآن وغيرهم من مرجعهم؟

ساق المصنف: هذا الحديث من ثلاث طرق إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثم ساق هذا الأثر عن الخليفة الراشد السدِّ المنيع في وجه الباطل والضلال والفتن، فإن عمر كان سدًّا منيعًا وبابًا محكمًا لحماية الإسلام والمسلمين، فلما كُسِر هذا الباب الذي لم يُغلَق إلى يوم القيامة جاءت الفتن.

فتأمَّل، صبيغ رجل يورد إشكالات، ما عنده بدعة حلول ولا وحدة وجود ولا القول بخلق القرآن ولا سبُّ الصحابة ولا شيء من هذه الضلالات.

عنده شُبَهٌ، انظر كيف أهمَّ المسلمين أمره مما دفعهم إلى أن يرفعوا شأنه إلى هذا الخليفة الراشد.

فكيف عامله؟ جلسَ يترصد له حتى جاء يسأل ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴾ ما معنى ذلك؟ قال: أنت هو، يعني: الذي بلغني عنك أنك تلقي الشُّبه، وتقذفها في أوساط المسلمين، ثم قام إليه وضربه الضرب الشديد، وأمر أن يركب إلى أهله وكان سيدًا فيهم، وأن يقوم يخطب يجهِّل نفسه ويضلل نفسه أمام قومه، فخطب وقال: إني طلبت طريق العلم فأخطأت، فسقط عند قومه إلى أن مات، وتاب في رواية هكذا، وفي

رواية أخرى أنه ضربه وسجنه وضربه وسجنه وضربه وسجنه، ثم نقله إلى غير بلده، وأمر الناس بهجرانه.

ما هي الشبهة التي قالها؟ ما هي بشيء إلى ما ينشره أهل البدع الآن.

هذه البلاد قامت على التوحيد والسنة ومنهج السلف الصالح، فكانت مضرب المثل في الثبات والاستقامة والتآخي والتعاون على البر والتقوى ومقت البدع وأهلها، ثم جاءت البدع والضلالات من هنا وهنا وهنا ينشرها أهل الأهواء، فوجدوا من يغريهم ويركض وراءهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

واستفحل أمرهم حتى احتووا الشباب في البر والبحر وفي البوادي والجبال. ما بقي من الشباب إلا القليل، هذا تبليغي، هذا إخواني، هذا كذا، كانوا على منهج واحد وعلى عقيدة واحدة، وضد أهل الباطل وضد أهل البدع، نَفَسُهُم نَفَسٌ واحد ومنهجهم منهج واحد، متمسكون بكتاب ربهم وسنة نبيهم وراء شيوخهم العلماء الأفاضل أهل السنة والتوحيد، أصبح عندهم شيخنا المودودي، شيخنا البنا، شيخنا زكريا، شيخنا إلياس، فينتمون إلى شيوخ البدع والضلال في خارج بلاد التوحيد، والله ارتباطات قوية جدًّا بأهل الباطل، والولاء والبراء من أجلهم لماذا؟

لأنا ضيعنا هذا الأصل، ضيعنا هذا الأصل الأصيل والأصل العظيم، معرفة أهل البدع واستقراء أحوالهم، والحذر منهم والتحذير منهم.

ومن علاماتهم: أنهم يتبعون المتشابه، **يعني:** مثلًا في القرآن ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] من المحكمات والمقررات في القرآن الكريم مرات ومرات ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [المُلك: ١٦].

﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠] آيات كثيرة أحاديث كثيرة تصل إلى ألف دليل.

يأتي يتعلق بآيات المعية: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [المجَادلة: ٤] قالوا الله معنا الله في كل مكان، الله ليس هو على العرش، أليس هذا اتِّباعًا للمتشابه؟

المحكم آيات الاستواء، وآيات دالة على أن الله في العلو، وعلى أنه في السماء والأحاديث، ومنها أحاديث المعراج، وتبلغ ألف دليل، جمعها ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وجمعها الذهبي في «العلو للعلي الغفار» ألف دليل، ويتعلق بنصٍّ متشابه، لماذا ما يرد المتشابه إلى المحكم؟

لا، لا يريد، ثم تأتي مدارس تملأ الدنيا، فهؤلاء يجب أن يُحذَروا، يجب أن يُحذَّر منهم؛ لأنهم من أولئك الذين سمى الله، فيجب الحذر منهم.

الآن يتخذون منهم أئمة، ويتخذون منهم سادة، ويتخذون منهم قادة، ويحاربون أهل السنة من أجلهم ويضللونهم ويرمونهم بالفواقر من أجل أهل البدع، فلما تغيرت حال المسلمين إلى هذا الوضع سلَّطَ الله عليهم أعداءهم، ورماهم بالذل الذي لا يُرفع عنهم إلا بالعودة الصادقة إلى كتاب الله وسنة رسول الله، ومنها هذا الأصل الذي ضاعوا بتفريطهم فيه، فرَّطوا في هذا الأصل فضاعوا وضيَّعوا مع الأسف الشديد.

عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خليفة راشد، عمل هذا العمل، لماذا ما نعمل مثله؟

لماذا ما نعامل أهل البدع هذه المعاملة؟ بدل أن نُقبِّل رءوسهم ونُقبِّل أيديهم ورُكبَهم ونقدسهم، بل والله نوالي ونعادي من أجلهم، هل هذا المنهج الذي أنت تسير عليه شرعه الله؟ اتباع المتشابه، يأتي للرافضي يؤاخيه ويقول ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ما هو حبل الله الذي تعتصم به؟ يلعبون بآيات الله.

الناس حتى والله لما أرادوا أن يتحدوا مع الشيوعيين جاءوا بهذه الآيات ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويندى جبينك عندما ترى التلاعب بآيات الله حينما يتلاعب بها أهل الأهواء ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧] حتى المحكمات يستعملونها استعمال المتشابهات.

وتأمل هنا، كيف كان المجتمع في ذلك العهد، المجتمع واحد رجل عنده شُبهٌ أَقَضَّ مضاجعهم، رفعوا القضية إلى مِن بيده الحل، حاكم المسلمين وخليفتهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبروه وبلَّغوه بهذا الآن، هؤلاء جواسيس يا إخوة!! هؤلاء بلَّغوا عمر بصبيغ جواسيس!! الآن لو أن شخصًا رَفع للحكومة عن واحد مبتدع ليكفوا شرَّه، يقولون: جاسوس، عميل، هؤلاء جواسيس.

ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما بلَّغ الرسول عن ذي الخويصرة[1] وهو جاسوس على منهجهم!! حاشاه.

زيد بن أرقم لما يبلغ عن عبد الله بن أبي جاسوس على منهجهم!! حاشاه، هذا منطق فاسد، حرَّفوا دين الله.

---

(١) رواه البخاري في «الأدب»، حديث [٦٠٥٩]، ومسلم في «الزكاة»، حديث [١٠٦٢].

فالنصيحة تصبح جاسوسية، والناصح يصبح جاسوسًا، والجاسوسية فخَّموها وصارت أخبث من اليهودية والنصرانية، يعني: استخدام شيوعي، لأن كلمة جاسوس ما يعرفها المسلمون، حتى أهل البدع يتخاصمون ويتصارعون بالحجج، لا يرمي أحد منهم الآخر بالجاسوسية، هذا ما يوجد إلا بعد ما تأثر هؤلاء بأساليب الشيوعيين والباطنية، فصار من ينتقدهم ويبين حالهم على طريقة السلف صار جاسوسًا.

يا هذا، للمسلم الحق إذا عرف منك ما يضر بالمسلمين أن يرفع أمرك إلى ولاة الأمور، لأنه ما يقدر أن يكف شرَّك، فيرفع الأمر لمن بيده الأمر، والمكلَّف من قِبَل الله بدفع الضُّرَّ عن الأمة وعن الدين، من حق الناس أن يرفعوا له إفساد من يفسد في الأرض، لكن لو فعل هذا أحد الآن، يا ويله، جاسوس عميل!

قيل: كاد المريب أن يقول خذوني.

ويعمل هذه الأعمال حتى يخلو له الجو، فيعربد ويفعل ما يشاء، ولا يجوز لأحد على منهجه أن يعترضه، وإذا اعترضه أحدٌ سحقه وطحنه بالجاسوسية.

الآن العلماء جواسيس يا إخوة لماذا؟ لأنهم يقاومون باطل هؤلاء، ويحذرون من شرهم فهم جواسيس.

العالم قد لا يبلِّغ، لكن يواجه بالحجة والبرهان تحذيرًا للمسلمين وبيانًا لهم ونصحًا لهم، فيقولون: هذا جاسوس، ويقولون: هذه كتابتك وتقاريرك، هذه كتابتك في أهل البدع، تقارير الجواسيس تقارير المخابرات! الأمر خطير يا إخوة! الأمر بلغ نهاية الخطورة.

ومن ذلك: تقليب الأمور وجعل الحق باطلًا، والباطل حقًّا والسيئ فاضلًا ونبيلًا، والنبيل سيِّئًا وخسيسًا، أساليب الشيوعيين والغربيين القائمة على الكذب، والميكافيلية تستخدم الآن ضد أهل السنة نسأل الله العافية.

اللهم عافنا.. اللهم عافنا.

هؤلاء رفعوا القضية لعمر، ما رأيكم لو أن واحدًا الآن رفع للعلماء أو لولاة الأمور أن طائفة تفعل وتفعل وتفعل، هؤلاء من جنس الذين بلَّغوا عمر غيرة على دين الله، هذا يفسد في الأرض، وفساده ليس بشيء بالقياس إلى كتب ونشرات وأشرطة وخطب وفتن وزلازل ومحن، ولا واحد في المليون ولا قطرة في بحر مما يجري في الساحة من البلاء النازل بالأمة، ولا يريدون لأحد من الأمة كلها أن يخالف هذا التيار، ويا ويل من يخالف هذا الاتجاه، لا معتزلة ولا خوارج ولا روافض في العصور السابقة، يعني: وصلوا إلى هذه الدرجة في إرهاب الناس الإرهاب الفكري الرهيب، فالثابت الآن على منهج الصحابة والسلف يتحسس، ويخاف أن تسقط على رأسه قنبلة من هذه القذائف.

«فقالوا: يا أمير المؤمنين إنَّا لقينا رجلًا يسأل عن تأويل القرآن» الآن حتى من السلفيين هناك من يسأل عن تأويل القرآن، بعض السلفيين يحتاج لضرب فكيف بأهل البدع؟



قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[١٥٣] أخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي قال: حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام قال: حدثنا حماد بن زيد، عن يزيد بن حازم، عن سليمان بن يسار، قال: إن رجلًا من بني تميم يقال له: صبيغ بن عسل، قدم المدينة، وكانت عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فبعث إليه، وقد أعدَّ له عراجين النخل، فلما دخل عليه جلس، فقال له عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله صبيغ، فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وأنا عبد الله عمر.

ثم أهوى إليه، فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجه فجعل الدم يسيل على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي كنت أجد في رأسي[1].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قال قائل: فمن سأل عن تفسير: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾ استحق الضرب، والتنكيل به والهجرة؟

قيل له: لم يكن ضرب عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عنه له بسبب هذه المسألة، ولكن لما بلغ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما كان يسأل عنه من متشابه القرآن من قبل أن يراه عَلِمَ أنه مفتون، قد

---

(١) في إسناد هذا الحديث انقطاع؛ لأن سليمان بن يسار لم يدرك عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، راجع «المراسيل» لابن أبي حاتم رقم [٢٥٩].

ورواه الدارمي في مسنده، من طريق سليمان بن يسار، ومن طريق نافع مولى ابن عمر، وكلا الطريقين منقطعين، وأورد الحافظ ابن حجر هذه القصة من هاتين الطريقين وغيرهما، ثم قال: «ولكن أخرجه ابن الأنباري من وجه آخر عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عن عمر بسند صحيح، وفيه: ولم يزل صبيغ وضيعًا في قومه بعد أن كان سيدًا فيهم»، انظر: «الإصابة»، رقم [٤١٢٣].

شغل نفسه بما لا يعود عليه نفعه، وعَلِمَ أن اشتغاله بطلب علم الواجبات من علم الحلال والحرام أولى به، وبطلب علم سنن رسول الله ﷺ أولى به، فلما علم أنه مُقبل على ما لا ينفعه سأل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ربه أن يمكنه منه حتى يُنكلّ به، وحتى يحذر غيره، لأنه راعٍ يجب عليه تفقد رعيته في هذا وفي غيره، فأمكنه الله عَزَّ وَجَلَّ منه.

وقد قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سيكون أقوام يجادلونكم بمتشابه القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ».

[١٥٤] حدثنا أبو محمد الحسن بن علويه القطان قال: حدثنا عاصم بن علي قال: حدثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن بكير بن عبد الله بن الأشج قال: إن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن ناسًا يجادلونكم بشبه القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ»[١].

قال محمد بن الحسين: وهكذا كان من بعد عمر، علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إذا سأله إنسان عما لا يعنيه: عنفه وردَّه إلى ما هو أولى به.

وروي أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال يومًا: سلوني. فقام ابن الكواء، فقال: ما السواد الذي في القمر؟ فقال له: قاتلك الله، سَل تَفَقُّهًا ولا تسأل تعنتًا، ألا سألت عن شيء ينفعك في أمر دنياك أو أمر آخرتك؟ ثم قال: ذاك محو الليل[٢].

---

(١) في إسناده عاصم بن علي، قال الحافظ ابن حجر: «صدوق ربما وهم»، وبكير بن عبد الله بن الأشج: «ثقة، لكنه لم يدرك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، فقد عدَّه الحافظ في الطبقة الخامسة.

أورده الدارمي في مسنده أثر، رقم [١٢١]، وفي إسناده عبد الله بن صالح، فيه ضعف، وعمرو بن أشجع لم أقف له على ترجمة، وذكره البغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٠٢)، بدون إسناد.

(٢) وصله الآجري في «أخلاق العلماء»، ص: [١١٠]، وابن بطة في «الإبانة» (٣٣٤-رضا نعسان)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٣٩٦)، من طريقين عن عمران بن حدير عن رفيع أبي كثير، نحوه. =

قلت: وقد كان العلماء قديمًا وحديثًا يكرهون عضل[1] المسائل ويردونها، ويأمرون بالسؤال عمَّا يعني، خوفًا من المراء والجدال الذي نهوا عنه، «نهى النبيُّ ﷺ عن قيل وقال، وكثرة السؤال»[2]، ونهى ﷺ عن الأغلوطات[3]، وقال النبيُّ: «أعظم المسلمين في المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرَّم، فحرِّم من أجل مسألته»[4].

كل هذا خوفًا من المراء والجدال والخصومة في الدين.

فاسلكوا طريق من سلف من أئمتكم، يستقم لكم الأمر الرشيد، وتكونوا على المحجة الواضحة -إن شاء الله تعالى-.

= ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٣٤-٢٣٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» [٧٢٦]، من طريق معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل نحوه، في كلام طويل، ورجاله ثقات.
وهب بن عبد الله: هو ابن أبي دبي الكوفي، وثقه ابن معين وغيره؛ كما في «تهذيب التهذيب» (١١/ ١٦٤ ت ٢٨٠).

(١) أي: ما يشكل منها.

(٢) رواه البخاري في «الرقاق»، حديث [٦٤٧٣]، ومسلم في «الحدود»، حديث [٥٩٣] عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٣) رواه الآجري في «أخلاق العلماء»، ص: [١١٠] من طريق عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن عبد الله بن سعد عن الصنابحي عن معاوية به.
ورواه أبو داود حديث [٣٦٥٦]، وأحمد (٥/ ٤٣٥)، من طريق عيسى به. ولفظه: عن معاوية، عن النَّبيِّ ﷺ أنه نهى عن الأغلوطات، ورجال الإسناد ثقات إلا عبد الله بن سعد، قال دحيم: «لا أعرفه»، وقال أبو حاتم: «مجهول»، وقال الساجي: «ضعفه أهل الشام». «تهذيب التهذيب» (٥/ ٢٣٥ ت: ٤٠٤).

(٤) رواه البخاري في «الاعتصام بالكتاب والسنة»، حديث [٩٢٨٩]، ومسلم في «الفضائل»، حديث [٢٣٥٨]، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

فقد أثبتُّ في ترك المراء والجدال ما فيه كفاية لمن عقل، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **الموفق لمن أَحَبَّ.**

في هذين الأثرين عن الخليفتين الراشدين ما يدل على إدراكهما لخطورة مثيري الشبهات والفتن على المسلمين، وأن من يفعل ذلك يستحق التأديب، وقد قاما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بذلك.





بَابُ
ذكر الإيمان بأن القرآن كلام الله تَعَالَىٰ وأن كلامه ليس بمخلوق ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر

قال محمد بن الحسين: اعلموا - رحمنا الله وإياكم- أن قول المسلمين الذين لم تزغ قلوبهم عن الحق ووفقوا للرشاد قديمًا وحديثًا: أن القرآن كلام الله تَعَالَىٰ ليس بمخلوق؛ لأن القرآن من عِلم الله، وعِلمُ الله لا يكون مخلوقًا، تعالى الله عن ذلك.

دلّ على ذلك القرآن والسنة، وقولُ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقول أئمة المسلمين لا ينكر هذا إلا جهمي خبيث، والجهمي عند العلماء كافر.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥].

وقال تَعَالَىٰ لنبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وهو القرآن.

....

وقال لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: باب: ذكر الإيمان بأن القرآن كلام الله تَعَالَىٰ، وأن كلامه ليس بمخلوق، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر.

فهذا فيه: إثبات عقيدة أهل السنة والجماعة المُستمدَّة من كتاب الله ومن سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أن القرآن كلام الله.

وفيه: إدانة لمن خالف هذا المنهج وعلى رأسهم الجهمية، فليست الجهمية هم الذين انفردوا بالقول بأن القرآن مخلوق، فقد تابعهم في ذلك المعتزلة والروافض والخوارج. وحتى متأخرو الأشعرية صاروا يُصرِّحون بأن هذا القرآن الموجود في المصاحف مخلوق. وهذا ضلالٌ كبيرٌ -والعياذ بالله-، ويرون أن السلف كَفَّرُوا به.

قال: «اعلموا -رحمنا الله وإياكم- أن قول المسلمين الذين لم تزغ قلوبهم عن الحق».

يشير إلى قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

قال هؤلاء الزائغون: الله خالق كل شيء، والقرآن شيءٌ، فهو مخلوقٌ!

فيقال لهم: عِلمُ الله شيءٌ، هل يكون مخلوقًا؟! فالله بذاته وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علمُه، قدرتُه، إرادتُه، كلامُه، هذه صفاته ليست بمخلوقة، وكلامه يَخْلُقُ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١].

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

فهـذا كلامه وصفته، يخلق به المخلوقـات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فكيف يكون مخلوقًا وهو يخلق بـه؟! لأن مـن صفاته: الكلام والقـدرة والعلم، وهـذه كلها مرجع المخلوقـات إليها، لأنه لا يخلـق إلا عـالم، ولا يخلـق إلا قادر، ولا يأمر المخلوقات بأن تُوجـد إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الذي يقول للشيء كن فيكون.

الشـاهد: هذا وصف المسـلمين الذين مدحهم الله في هذه الآية التي ذكرناها، وفيه تلميحٌ لأولئك الضالين من أهل البدع، الذين يتَّبعون ما تشابه منه، فأهل الضلال عندهم شـبهات، كما وصفهم الله يتبعون ما تشـابه منه، فمن هنا تنطلي شـبههم وضلالاتهم على كثـيرٍ من النـاس، لأنه إذا لم يأت بمثل هذه الشـبه ما يمكن أن تنطـلي بدعته على الناس، ولا تـروج عنـد كثيرٍ من الناس، فبسـبب لبـس الحق بالباطل تـروج البدعة وهذه طريق اليهود، قـال تَعَالَى لهـم: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [آل عمران: ٧١]؛ لأن الباطل الواضح الـصِرف مـا يمـشي عند النـاس، فإذا لُبِّسَ بالحق مشـى عنـد من لا يحفظـه الله من الزيغ والضلال.

قـال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلموا -رحمنـا الله وإياكم- أن قول المسـلمين الذين لم تزغ قلوبهم عن الحق، وَوُفِّقوا للرشاد قديمًا وحديثًا».

قديـمًا من عهد الصحابة وعهد التابعين وأتبـاع التابعين، وإلى عهد أحمد بن حنبل، واسـتمر هذا إلى عهد المؤلف، ويسـتمر -إن شـاء الله- إلى قيام الساعة: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم**».

ومـن هـذا الحق: هذه العقيدة العظيمة: أن القرآن كلام الله، ومن هذا الحق: إثبات صفات الله التي وردت في الكتاب والسـنة، على الوجه الذي قرره الله وفهمه المسـلمون

الذيـن لم تزغ قلوبهم عن الحق، ووُفِّقوا للرشـاد، ودانوا بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، هذا من عهد الرسـول والصحابة إلى يومنا هذا -إن شـاء الله-، أن القرآن كلام الله ليس بمخلـوق كـما تقولـه الجهمية ومن تابعهـا من المعتزلـة والخوارج والروافـض، وغيرهم مـن أهـل الضلال؛ لأن القـرآن من عِلم الله، وعِلم الله غـير مخلوق، لأن كلامه تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يحيط بـه شيء ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

فالقـرآن من علم الله، والتوراة من علم الله، والإنجيـل والزبور وصحف إبراهيم وموسـى عَلَيْهِمَا ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكل الكتب التي أنزلها الله على رسـله، بَلَغَتنا أو لم تبلغنا كلها مـن كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فالقـرآن من كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وعلم الله لا يكـون مخلوقًا، هذا من الحجج التي تدمغ الجهمية.

لأن الإمـام أحمد -كما سيأتي- سـألهم: هل علـم الله مخلوق؟ قالـوا: لا، قال لهم: القرآن علم الله، واستشـهد بآيـات، منها: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠]، فالقـرآن مـن علـم الله فبهتوا، ولكن كغيرهـم من أهـل الضلال، وإن بهت وإن قامت عليه الحجة يستمر متماديًا في باطله.

قال: «دل على ذلك القرآن والسنة، وقول الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وقول أئمة المسلمين، لا ينكر هذا إلا جهمي خبيث، والجهمي عند العلماء كافر».

يقرر الإمام الآجري أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأدلة ذلك من كتاب الله ومن سـنة رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن أقوال الصحابة، ومـن أقوال السـلف الصالح، وأئمة الهدى -رضوان الله عليهم-.

فهذه أدلةٌ متضافرة تُثبت الحجة لأهل السنة، وتدمغ أهل الباطل من الجهمية ومن تابعهم، فالحجة والبرهان من كتاب الله ومن سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن كلام السلف المعتبرين، والأئمة المهديِّين، كلُّها متضافرة متفقة على أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وأن من قال: إن القرآن مخلوق: فهو كافر، لأنه مُكَذِّبٌ لكتاب الله ومُكَذِّبٌ لسنة رسول الله ومخالف لإجماع السلف الصالح -رضوان الله عليهم-، إذ الصحابة مُطبقون على أن القرآن كلام الله، والتابعون كذلك.

حتى جاء هذا الخبيث جهم بن صفوان، فافترى على الله هذه الفرية العظيمة، وهي أن القرآن مخلوق، كما افترى تعطيل صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وتحريفها، فنفى علوَّ الله على السماء، ونفى كونه على العرش، ونفى أنه يتكلم، ونفى أن يكون إبراهيم خليلًا، وموسى كليمًا، إلى غير ذلك من الضلال.

فساق المؤلف من الأدلة من القرآن: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

فهذا النص يدل دلالة واضحة أن القرآن كلام الله، سمَّاه كلام الله، ما هو كلام محمَّدٍ، ولا كلام أبي بكر، ولا كلام أحدٍ من البشر، إنما هو كلام الله، فهذا الدليل من القرآن.

والدليل الثاني: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥] يسمع هؤلاء اليهود التوراة كلام الله مثل القرآن، تكلم الله بها وكلم الله موسى تكليمًا، قال الله فيهم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] هذا

....

فعـل اليهـود، ومن جرائمهـم: أنهم يسـمعون كلام الله ويعقلونه ثـم بعد ذلك يتجرءون فيتلاعبون بكلام الله، ويحرِّفونه على مقتضى أهوائهم وشهواتهم.

وهكـذا كثيرٌ مـن أهل البـدع والضـلال، يسـمعون كلام الله ثم يُحرِّفونـه من بعد ما عقلوه، ويسـمعون كلام السلف في الإيمان به ويُحرِّفون كلام السلف ويسمعون السنة صريحـةً واضحـةً في كثيرٍ من القضايـا لا في هذه القضية فقـط، ويُحرِّفون تلك النصوص من القرآن والسـنة بحسـب أهوائهم وأغراضهم، لأن المصالح والمناصب التي يتبوَّءونها لا تسـمح لهم أن يتنازلوا إلى الحق، وينضمُّوا إلى صفوف أهل السـنة والجماعة، فيريدون أن يكونوا رؤساء في الضلال وفي الباطل، ولا يرضون أن يكونوا أتباعًا لأهل الحق.

فهذا داءٌ وُجِد في اليهود، ومن ضلَّ من علماء هذه الأمة ففيهم شَبَهٌ من اليهود، ومن ضَلَّ من عُبَّاد هذه الأمة ففيه شَبَهٌ من النصارى، لأن اليهود يخالفون الحق وهم يعلمون أنه الحق، ويعلمون أن الرسـول ومن معه على الحق، وكذلك أهل الباطل يُحرِّفون الكَلِمَ عـن مواضعه ويردُّون الحق على أهل السـنة والجماعة، وهم يعلمون أن كتاب الله وسـنة رسـول الله، ودين السـلف وفقههم مع هذه الجماعة التي شـهد لها رسول الله ﷺ أنها على الحق.

❁❁❁

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[١٥٥] حدثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري، قال: حدثنا محمد بن عبد المجيد التميمي، قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الحسن بن عبيد الله النخعي، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: سمعت عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول على منبره: «أيها الناس، إن هذا القرآن كلام الله، فلا أعرفن ما عطفتموه على أهوائكم، فإن الإسلام قد خضعت له رقاب الناس، فدخلوه طوعًا وكرهًا، وقد وضعت لكم السنن، ولم يترك لأحد مقالًا إلا أن يكفر عبد عمد عين فاتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم، اعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه»[١].

[١٥٦] أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري، قال حدثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثنا جرير، عن ليث بن أبي سليم، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء عبد الله بن هانئ، قال: قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «القرآن كلام الله، فلا تصرفوه على آرائكم»[٢].

[١٥٧] حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، قال: حدثنا داود بن رشيد، قال: حدثنا أبو حفص الأبار، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن فروة بن نوفل، قال: أخذ خباب بن الأرت بيدي فقال: «يا هناه، تقرب إلى الله بما استطعت، فإنك لست تتقرب إليه بشيء أحب من كلامه»[٣].

....

(١) رجاله ثقات إلا محمد بن عبد المجيد التميمي؛ فإنه ضعيف، ترجم له الخطيب في «تأريخ بغداد» (٢/ ٣٩٢)، رقم [٩٠٧]، ونصَّ على ضعفه.

(٢) فيه ليث بن أبي سليم، وهو صدوق اختلط، وفي روايته ما يدعم الرواية التي قبلها.

(٣) رجاله ثقات غير أبي حفص الأبار عمر بن عبد الرحمن بن قيس، قال الإمام أحمد: ما كان به بأس، =

[١٥٨] حدثنا أبو عبد الله أحمد بن أبي عوف البزوري، قال: حدثنا سويد بن سعيد، قال: حدثنا معاوية بن عمار، قال: سئل جعفر بن محمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن القرآن أخالق أو مخلوق؟ قال: «ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله تَعَالَى»(١).

[١٥٩] حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار، قال: حدثنا أبو داود السجستاني، قال: حدثنا الحسن بن الصباح البزار، قال: حدثنا معبد بن عبد الرحمن -ثقة- عن معاوية بن عمار، قال: سألت جعفر بن محمد عن القرآن، فقال: «ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله تَعَالَى»(٢).

قال: وهو معبد بن راشد، كوفي، روى عنه موسى بن داود ورويم بن يزيد.

[١٦٠] حدثنا أبو عبد لله جعفر بن إدريس القزويني، قال: حدثنا حموية بن يونس - إمام مسجد جامع قزوين- قال: حدثنا جعفر بن محمد بن فضيل الراسي - رأس العين - قال: حدثنا عبد الله بن صالح -كاتب الليث بن سعد- قال: حدثنا معاوية

= وقال ابن معين وعثمان بن أبي شيبة: ثقة، وقال ابن سعد والدارقطني: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال النسائي: ليس به بأس. «تهذيب التهذيب» لابن حجر (/ ٤٧٤).

فأثره على الأقل حسن إن لم يكن صحيحًا، هذا وقد تابعه عن جرير عن منصور كما في «السنة» لعبد الله بن أحمد (١/ ١٤١) رقم [١١١]، فصار صحيحًا جزمًا.

(١) في إسناده سويد بن سعيد، قال فيه الذهبي: «كان يحفظ، لكنه تغير»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق في نفسه إلا أنه عمي فصار يتلقن». وفيه معاوية بن عمار الدهني، قال فيه الذهبي: «ثقة»، وقال أبو حاتم: «لا يحتج به».

(٢) رجال إسناده ثقات، سوى معبد بن راشد، قال فيه الحافظ: «مقبول فقيه»، وقال الذهبي في «الميزان» (٤/ ١٤١): «ضعَّفه ابن معين، وقواه أحمد»، فالإسنادان يتعاضدان فيرتقي بهما الأثر إلى درجة الحسن.

ابن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تَعَالَىٰ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾، وقال: «غير مخلوق»[(١)].

قال حموية بن يونس: بلغ أحمد بن حنبل هذا الحديث، فكتب إلى جعفر بن محمد بن فضيل يكتب إليه بإجازته، فكتب إليه بإجازته، فَسُرَّ أحمد بهذا الحديث، وقال: كيف فاتني عن عبد الله بن صالح هذا الحديث؟

[١٦١] حدثنا أبو حفص عن عمر بن أيوب السقطي، قال: حدثنا الحسن ابن الصباح البزار، قال حدثني أخ لي من الأنصار، عن أبي زكريا يحيى بن يوسف الزمي، قال سمعت عبد الله بن إدريس، وسأله رجل عمن يقول القرآن: مخلوق، فقال: من اليهود؟ لا. من النصارى؟ قال: لا. قال: من المجوس؟ قال: لا. قال: فممن؟ قال: من أهل التوحيد، قال: «معاذ الله أن يكون هذا من أهل التوحيد، هذا زنديق، من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله تَعَالَىٰ مخلوق، يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فالرحمن لا يكون مخلوقًا، والرحيم لا يكون مخلوقًا، والله لا يكون مخلوقًا، هذا أصل الزندقة»[(٢)].

---

(١) ضعيف، في إسناده جعفر بن إدريس القزويني ضعَّفه الدارقطني كما في «اللسان» (٢/ ١١٠).

(٢) في إسناده شيخ الحسن بن الصباح: مجهول؛ لكنه جاء من طريق صحيح في «خلق أفعال العباد» (ص١١٨)، حيث قال البخاري: حدثنا محمد بن عبد الله أبو جعفر البغدادي قال: سمعت أبا زكريا يحيى بن يوسف الزمي قال: كنا عند عبد الله بن إدريس فجاءه رجل فقال: يا أبا محمد ما تقول في قوم يقولون القرآن مخلوق؟، وساق البخاري الأثر، فهذا إسناد صحيح.

ملاحظة: جاء في «خلق أفعال العباد»: حدثنا محمد بن عبد الله جعفر، والصواب أنه أبو جعفر، وانظر «تهذيب التهذيب» (١١/ ٣٠٧)، ترجمة يحيى بن يوسف الزمي؛ حيث روى عنه البخاري، وروى في «خلق أفعال العباد» عن محمد بن عبد الله المخرمي عنه، وترجم الحافظ في التقريب للمخرمي هذا ووثقه.

قال محمد بن الحسين:

[١٦٢/ أ] وحدثنا أحمد بن أبي عوف، قال: سألت الحسن بن علي الحلواني، فقلت له: «إن الناس قد اختلفوا عندنا في القرآن، فما تقول رحمك الله؟ قال: «القرآن كلام الله، غير مخلوق، ما نعرف غير هذا»[1].

[١٦٢/ب] قال أحمد بن أبي عوف: وسمعت هارون الفروي يقول: «لم أسمع أحدًا من أهل العلم بالمدينة وأهل السنن إلا وهم ينكرون على من قال القرآن مخلوق، ويكفرونه».

قال هارون: «وأنا أقول بهذه السنة».

وقال لنا أحمد بن أبي عوف: «وأنا أقول بمثل ما قال هارون».

[١٦٢/ جـ] قال أبي عوف: وسمعت هارون يقول: «من وقف على القرآن بالشك، ولم يقل: غير مخلوق، فهو كمن قال: هو مخلوق»[2].

أقول: بعد أن ساق الإمام الآجري الأدلة الواضحة من القرآن الكريم على أن القرآن كلام الله وعلمه، ساق عددًا من الآثار عن الصحابة والسلف الصالح، تؤكد أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

ومن أقوال السلف من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر، وهو زنديق.

وكل هذه الأدلة من القرآن، وكل أقوال السلف التي فيها التقريرات الواضحة والأحكام القاطعة بكفر من قال إن القرآن مخلوق، كل ذلك لم يردع أهل الأهواء من

---

(١) صحيح.

(٢) الإسنادان إلى هارون الفروي صحيحان، وهو هارون بن موسى الفروي مدنيٌّ.

....

الجهميـة ومن تابعهم عن التمادي في هـذه العقيدة الكفرية، قال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

وقد تقدم في شرح هذا الباب ما أرجو أن ينفع الله به.





قال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[١٦٣] وحدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار قال: حدثنا أبو داود السجستاني قال: حدثنا حمزة بن سعيد المروزي - وكان ثقة مأمونًا - قال: سألت أبا بكر بن عياش فقلت: يا أبا بكر، قد بلغك ما كان من أمر ابن علية في القرآن، فما تقول فيه؟ فقال: «اسمع إليَّ ويلك، من زعم أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر زنديق عدو لله تَعَالَىٰ، لا تجالسه ولا تكلمه»(١).

[١٦٤] حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال: حدثنا حسين بن علي العجلي قال: حدثنا أحمد بن يونس قال: سمعت عبد الله ابن المبارك قرأ شيئًا من القرآن ثم قال: «من زعم أن هذا مخلوق، فقد كفر بالله العظيم»(٢).

....

(١) رجال إسناده ثقات، إلا حمزة بن سعيد المروزي، فقد قال فيه الآجري: «وكان ثقة مأمونًا»، وقال فيه الحافظ ابن حجر: «صدوق»، وذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/ ٢١١)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، فالإسناد حسن.

(٢) في إسناده أحمد بن يونس، وقد ذكر ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ٨٠، ٨١) أحمد بن يونس الحمصي، وأحمد بن يونس الضبي البغدادي، ولم يذكر فيهما جرحًا ولا تعديلًا، ولم يذكر في شيوخهما عبد الله بن المبارك.

وذكر أحمد بن عبد الله بن يونس الثقة المتقن الحافظ، ولم يذكر في شيوخه عبد الله بن المبارك، والأقرب أن يكون هو الراوي في الإسناد عن المبارك، والله أعلم.

وفي الإسناد: حسين بن علي بن الأسود العجلي، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: «صدوق، يخطئ كثيرًا»، وقال الذهبي في الكاشف: «صدوق»، وضعَّفه ابن عدي وغيره.

لكن روى نحو هذا الأثر اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٢٨٢) رقم [٤٢٧]، من طريق الحسين بن شبيب النسوي عن ابن المبارك، وقد ترجم أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٢٨٢) لحسين بن شبيب، ولم يذكر أنه روى عن ابن المبارك، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، ويدعم هذين =

[١٦٥] أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري قال: حدثنا العمري قال: سمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: «القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس من الله شيء مخلوق»(١).

[١٦٦] حدثنا عمر بن أيوب السقطي قال: حدثنا الحسن بن الصباح البزار قال: حدثنا سريج بن النعمان قال: حدثنا عبد الله بن نافع قال: كان مالك بن أنس يقول: «القرآن كلام الله، ويستفظع قول من يقول: القرآن مخلوق، قال مالك: يوجع ضربًا، ويحبس حتى يموت»(٢).

[١٦٧] حدثنا عمر بن أيوب قال: حدثنا الحسن بن الصباح قال: حدثنا إبراهيم ابن زياد قال: «سألت عبد الرحمن بن مهدي فقلت: ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ فقال: لو أني على سلطان لقمت على الجسر، فكان لا يمر بي رجل إلا سألته، فإذا قال: القرآن مخلوق، ضربت عنقه، وألقيته في الماء»(٣).

= الإسنادين ما هو معروف عن عبد الله بن المبارك من تكفير الجهمية، وتكفير من يقول بخلق القرآن. انظر: «الآثار» رقم (١٩، ٢٠-٢٤)، من السنة لعبد الله بن أحمد، وانظر خلق أفعال العباد للبخاري (ص١١٩-١٢٠).

(١) ضعيف؛ لأن في إسناده العمري وهو أبو بكر أحمد بن محمد العمري، قال الألباني في «مختصر العلو»: لم أعرفه.

(٢) رجال إسناده ثقات غير الحسن بن الصباح؛ فإنه صدوق يهم، قاله الحافظ ابن حجر، وقال الذهبي في «الكاشف»: «قال أحمد: ثقة، صاحب سنة»، وقال أبو حاتم: «صدوق له جلالة عجيبة»، وقد تابعه الإمام أحمد، انظر: «السنة» لعبد الله بن أحمد (١/ ١٠٦) رقم [١١]، فالأثر إذن صحيح.

(٣) في إسناده: الحسن بن الصباح، وقد عرفته، وهذا الأثر رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ١٢٠) رقم [٤٦] عن هارون بن عبد الله الحمال حدثنا إبراهيم بن زياد سبلان قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي به، وهو إسناد متين، رجاله كلهم ثقات، فالأثر صحيح.



[١٦٨] حدثنا ابن مخلد، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، قال: قال عبد الرحمن بن مهدي: «لو كان لي الأمر لقمت على الجسر، فلا يمر بي أحد يقول القرآن مخلوق إلا ضربت عنه، وألقيته في الماء»(١).

[١٦٩] حدثني عمر بن أيوب قال: حدثنا الحسن بن الصباح، قال: قال يزيد بن هارون - وذكر الجهمية- قال: «هم والله الذي لا إله إلا هو زنادقة، عليهم لعنة الله»(٢).

[١٧٠] حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال: حدثنا حنبل ابن إسحاق، قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن بن حنبل وسأله يعقوب الدورقي عمن قال: القرآن مخلوق؟ فقال: «من زعم أن عِلم الله وأسماءه مخلوقة فقد كفر، يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أفليس هو القرآن؟ فمن زعم أن عِلمَ الله وأسماءه وصفاته مخلوقة فهو كافر، لا شك في ذلك إذا اعتقد ذلك وكان رأيه ومذهبه، وكان دينًا يتدين به، كان عندنا كافرًا»(٣).

[١٧١] أخبرنا أبو القاسم أيضًا، قال: حدثني سعيد بن نصير -أبو عثمان الواسطي- في مجلس خلف البزاز، قال: سمعت ابن عيينة يقول: «ما يقول هذا الدويبة - يعني: بِشرًا المريسي - قالوا: يا أبا محمد، يزعم أن القرآن مخلوق، فقال: كذب، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ فالخلق: خلق الله، والأمر: القرآن»(٤).

---

(١) إسناده صحيح.

(٢) في إسناده: الحسن بن الصباح، وقد تابعه أبو عبد الله محمد بن العباس صاحب الشامة، وهو ثقة، انظر: «السنة» لعبد الله بن أحمد (١/ ١٢١) رقم [٤٩].

(٣) إسناده صحيح، وتكفير الإمام أحمد لمن يقول: «القرآن مخلوق» أمر متواتر.

(٤) إسناده حسن، فيه سعيد بن نصير الواسطي، قال فيه الذهبي: صدوق، وكذا قال الحافظ ابن حجر. =

[١٧٢/ أ] **أخبرنا أبو القاسم، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم البغوي ابن عم أحمد بن حنبل، قال: سمعت أحمد بن حنبل، وسُئِلَ عمن قال: القرآن مخلوق؟ فقال: «كافر»**[(١)].

[١٧٢/ ب] **قال أبو القاسم: وأخبرنا وهب بن بقية الواسطي قال: سمعت وكيعًا يقول: «من قال: القرآن مخلوق فهو كافر»**[(٢)].

[١٧٣] **حدثنا أبو بكر محمد بن هارون العسكري الفقيه، قال: حدثنا محمد بن يوسف بن الطباع، قال: سمعت رجلًا وسأل أحمد بن حنبل فقال: «يا أبا عبد الله أصلي خلف من يشرب المسكر؟ قال: لا. قال: فأصلي خلف من يقول:**

وأورد نحوه عبد الله بن أحمد (١/ ١٦٩)، وقد قال البخاري في أول «خلق أفعال العباد»: «حدثني الحكم ابن محمد الطبري -كتبت عنه بمكة- قال: حدثنا سفيان بن عيينة، قال: أدركت مشائخنا منذ سبعين سنة، منهم: عمرو بن دينار، يقولون: القرآن كلام الله وليس بمخلوق»، وذكر عن سفيان في (ص: ١٢٣) أنه قال: «ويحكم القرآن كلام الله، قد صحبت الناس وأدركتهم، هذا عمرو بن دينار، وهذا ابن المنكدر حتى ذكر منصورًا، والأعمش، ومسعر بن كدام ... فما نعرف القرآن إلا كلام الله، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله، ما أشبه هذا القول بقول النصارى، ولا تجالسوهم ولا تسمعوا كلامهم».

قال البخاري: وقال عبد الله بن محمد سمعت ابن عيينة وذكر المريسي فقال: ما تقول الدويبة ما تقول الدويبة؟ استهزاء به.

(١) إسناده صحيح، وروى نحوه عبد الله بن أحمد عن أبيه في «السنة» (١/ ١٠٣) رقم (١، ٢، ٣) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» رقم [٤٤٨]، وإسناده: «أخبرنا محمد بن عبد الرحمن قال: أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم البغوي عم أحمد بن منيع»، والظاهر أنه الصواب.

(٢) صحيح، رجاله ثقات، وهب بن بقية الواسطي من رجال مسلم.



القرآن مخلوق؟ فقال: سبحان الله، أنهاك عن مسلم وتسألني عن كافر»[١].

[١٧٤] وحدثنا ابن مخلد، قال: حدثنا أبو داود، قال: «سمعت أحمد بن حنبل، وذكر له رجل أن رجلًا قال: إن أسماء الله مخلوقة، والقرآن مخلوق. فقال أحمد: كفرٌ بَيِّنٌ. قلت لأحمد: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر؟ قال: أقول: هو كافر»[٢].

فهذا الباب يتحدث فيه المصنف عن السلف الصالح وموقفهم من القائلين بأن القرآن مخلوق، ساق أدلةً عديدةً من القرآن على أن القرآن كلام الله وعلمُ الله.

وكلام الله وعلمه صفة من صفاته، والقول في صفة من صفاته بأنها مخلوقة كفرٌ وتكذيبٌ لله عَزَّوَجَلَّ، فساق نصوصًا من القرآن وساق آثارًا كثيرةً عن التابعين وأتباع التابعين ومن بعدهم، هذه الطبقات كلها - وهم في مشارق الأرض ومغاربها- متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن من زعم أن كلام الله مخلوق فهو كافر.

ساق هذه الآثار الكثيرة، ومنها كما ترون هذا الأثر المتعلق بابن عُلَيَّة من أئمة السنة والحديث، لكن بَدَرَ منه كلامٌ فهموا منه أنه يقول القرآن مخلوق، فقامت الدنيا وقعدت عليه، من العلماء والحكام وعلى رأسهم الخليفة الأمين بن الرشيد الذي قتله المأمون الجهمي المعتزلي، قتله وسلبه مُلكه وخلافته.

هذا دخل عليه ابن عُلَيَّة فكان يزحف إليه يقول: يا ابن الفاعلة أتقول كذا وكذا؟ غيرةً منه على السنة، وهو يعتذر، يا أمير المؤمنين والله تبت، والله رجعت يا أمير

---

(١) صحيح، محمد بن يوسف الطباع: وثقه الخطيب في «تأريخ بغداد» (٤/ ٦٢٣)، ونقل عن الدارقطني أنه قال فيه: «صدوق».

(٢) صحيح، ابن مخلد هو أبو عبد الله محمد بن مخلد البغدادي العطار، أثنى عليه الخطيب، ونقل عن الدارقطني أنه قال فيه: «ثقة مأمون»، انظر «تأريخ بغداد» (٤/ ٥٠٠-٥٠١).

المؤمنين[١]، ونُقِل عن أحمد أنه قال: «ما زال ابن عُلَيَّة وضيعًا من الكلام الذي تكلم به إلى أن مات»[٢].

الكلام الذي تكلم به هو أنه حدَّث بحديث أن «**سورة البقرة وسورة آل عمران تجيئان يوم القيامة كأنهما فرقان من طيرٍ صواف، تحاجان عمن يقرأ القرآن**»[٣]. فقيل أله لسان؟ قال: نعم[٤].

هفوة منه، لكن ما تحملها أهل السنة، واضطربت لها الخلافة؛ لأنهم يعرفون قدر الإسلام ويعرفون قدر القرآن، أما الآن في هذه الأزمان المتأخرة، فالذي يقول القرآن مخلوق: إمام من أئمة الهدى، ويقول بالحلول ووحدة الوجود والضلالات ويطعن في أصحاب النبي ﷺ عندهم إمام.

تغيرت الحياة وصار الإسلام في غاية الغربة، والسنة في غربةٍ أشد.

سيد قطب ردد هذا في القرآن: مصنوع مصنوع مصنوع صناعة مصنوع مصنوع، وأكد ذلك بمقالات أخرى مما لا تدع مجالًا للشك أنه يقول القرآن مخلوق، ولكن يقول مصنوع مكرًا منه.

---

(١) انظر: «المعرفة والتاريخ» للفسوي (٢/ ٨٠)، و«تاريخ بغداد» للخطيب (٦/ ٢٣٨)، و«طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ١٠١-١٠٢)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٩/ ١١١).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) أخرجه مسلم كتاب «صلاة المسافرين وقصرها»، باب «فضل قراءة القرآن وسورة البقرة»، حديث [٨٠٤]، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٤) وفي المقابل يقول الإمام أحمد في شأن الخليفة الأمين: «لعل أن يُغفر له لإنكاره على إسماعيل». انظر: «المعرفة والتاريخ» للفسوي (٢/ ٨٠)، و«تاريخ بغداد» للخطيب (٦/ ٢٣٨).

....

هذا ابن عُلَيَّة يقول أحمد: «ما زال وضيعًا»، بسبب أنه بدرت منه هذه البادرة التي رجع عنها، لكن ما زالت وصمة فيه، ما زال وضيعًا عند الناس إلى أن مات.

الآن يقول عشرات الجرائم يرتكبها ولا يزال عاليًا عند المساكين الذين هان عليهم الإسلام وهانت عليهم السنة وهان عليهم منهج السلف الصالح.

قيل لأبي بكر بن عيَّاش: قد بلغك ما كان من أمر ابن علية في القرآن، فما تقول فيه؟ فقال: اسمع إليَّ ويلك، من زعم أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر زنديق عدو لله تَعَالَىٰ، لا نجالسه ولا نكلمه.

لو قال هذا وصرَّح بهذا اللفظ إسماعيل بن علية لأخرجوه من دائرة الإسلام، لكن بدرت منه هفوة، ورجع عنه؛ لكن بقي أثرها عليه إلى أن مات.

مسلم بن يسار، قالوا كان أكبر من الحسن البصري عند أهل البصرة، فلما جاءت الفتنة، ما دخل في الفتنة لكن أيدهم بشيء من الكلام فسقط عند الناس[١]، هذه السنة الذي ينحرف عنها قليلًا يتغير موقف الناس منه.

الآن كثيرٌ من المنتسبين للمنهج السلفي يدافعون عن أهل البدع، مع الأسف بدع كبيرة وغليظة، ومنها دفاعهم عمن يقول بوحدة الأديان وحرية الأديان وأخوة الأديان، وبعضهم يعتبرها شارحة للإسلام، وتمثل وسطية الإسلام، إلى عبارات أخرى من المدح لهذه الضلالات.

---

(١) انظر «الطبقات» لابن سعد (١/ ١٦٥)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٢٠٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٨/ ١٤٦)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤/ ٥١٣).

إذا أردنا منهج السلف فلنأخذه من مصادره، ما نأخذه من هؤلاء، ولنرد عليهم بكلام هؤلاء الأئمة وأحكامهم ومواقفهم.

قال: «حدثنا أحمد بن يونس قال: سمعت عبد الله بن المبارك قرأ شيئًا من القرآن ثم قال: من زعم أن هذا مخلوق، فقد كفر بالله العظيم».

هذا الإمام الجبل ابن المبارك: يقول هذا الكلام، وسبقه أئمة إلى هذا ولحقه أئمة على هذا.

وهذا مالك بن أنس: عنه أثران أحدهما فيه كلام، وهو ما رواه عنه إسماعيل بن أبي أويس، وهو من أقرباء مالك يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: «القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس من الله شيء مخلوق».

لا شك أن مالكًا وأيَّ مسلم على السنة يقول بهذا القول: إن القرآن كلام الله وكلام الله من الله تنزيل من حكيم حميد.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١] علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والأثر الثاني: كان مالك بن أنس يقول: القرآن كلام الله، ويستفظع قول من يقول: القرآن مخلوق- يرى هذا أمرًا فظيعًا - قال مالك: يوجع ضربًا، ويحبس حتى يموت.

من يفعل هذا الآن بمن يقول بخلق القرآن؟ لا شيء، بل يحارب من ينتقده مع الأسف، يعني: حقوق العباد الآن تحاط وتحترم لكن حقوق الله عَزَّوَجَلَّ يُتساهل فيها، مع

الأسف الشديد إلا عند من عافاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الذي يحكم عليه بالكفر والذي يحكم عليه بالسجن والضرب حتى يموت.

«حدثنا إبراهيم بن زياد قال: سألت عبد الرحمن بن مهدي -والإسناد إليه صحيح- فقلت: ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ فقال: لو أني على سلطان -أي: أمير مسئول أو قاضٍ، بيدي سلطة- لقمت على الجسر -المعبر على نهر دجلة فوق النهر-، فكان لا يمر بي رجل إلا سألته، فإذا قال: القرآن مخلوق، ضربت عنقه، وألقيته في الماء».

يعني: ما يُدفَن في مقابر المسلمين، كأنك تقتل كلبًا، تقتل مرتدًّا، تقتل زنديقًا ويذهب به التيار يقذفه في أيِّ مكان، لا حرمة له.

ومثل قول هذا الإمام ابن مهدي يعتبر امتحانًا منكرًا عند من لا يعرف منهج السلف، أو يعرفه لكنه يحارب من يستخدم مثله ضد أهل البدع، فأصبح المعروف عند أهل السنة منكرًا عند هؤلاء.

«وقال: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري قال: قال عبد الرحمن بن مهدي -هذا إسناد آخر لعبد الرحمن بن مهدي-: لو كان لي الأمر لقمت على الجسر، فلا يمر بي أحد يقول: القرآن مخلوق، إلا ضربت عنقه، وألقيته في الماء».

لا حرمة له يقتل ولا يُدفن في مقابر المسلمين ويذهب به النهر إلى حيث شاء الله.

هذا الحسن بن الصَّبَّاح قال: قال يزيد بن هارون، وهذا إمام عظيم من أئمة الإسلام كان بعض حاشية المأمون يريدونه أن يقول ويصدع بالقول بخلق القرآن، فيقول المأمون: كيف أقول هذا ويزيد بن هارون حي؟ يخاف يمكن

أن تسقط دولته إذا صرَّح بالقول بخلق القرآن في حياة هذا الإمام، فظل متهيبًا لا يصدع بهذا حتى مات يزيد بن هارون[1]، ثم بعد ذلك جهر ببدعته.

«قال يزيد بن هارون: وذكر الجهمية قال: هم والله الذي لا إله إلا هو زنادقة، عليهم لعنة الله».

الجهمية يقولون بتعطيل الأسماء والصفات وإنكار وجود الجنة والنار الآن، وضلالات كثيرة يقولونها ومنها القول بخلق القرآن، ويقولون بالجبر ويقولون بالإرجاء الغالي ويقولون... فقال: هم زنادقة؛ فلا شك الذي يذهب في عقيدته إلى هذه الأشياء لا شك في زندقته.

«هم والله الذي لا إله إلا هو زنادقة، عليهم لعنة الله» فهذا من فقهه، عرف خطرهم على الإسلام وزندقتهم، لماذا يعمد إلى أسماء الله وصفاته فينكرها ماذا يريد؟

لماذا يقول: الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار؟

لماذا يقول: الله لا يتكلم؟

لماذا يقول: إن الله لا يرضى ولا يغضب ولا يحب أولياءه، ما كلم الله موسى؟

لماذا يقول: القرآن مخلوق؟ هذه زندقة.

وبإسناده إلى حنبل بن إسحاق قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وسأله يعقوب الدورقي -يعني: حينما سأله يعقوب الدورقي- عمن قال القرآن مخلوق فقال: من زعم أن علم الله وأسماءه مخلوقة فقد كفر، وهم الجهمية الذين يقولون هذا.

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب (١٤/ ٣٤٢)، و«مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي، ص: [٤١٧]، و«السير» للذهبي (٩/ ٣٦٢).

ومبحث هذه الفتنة: إنكار أسماء الله وصفاته، والقائلون بهذا وبأن القرآن مخلوق هم الجهمية، يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١] **يعني**: القرآن، فمن حاجك في عيسى، بيّن الله في القرآن أن عيسى عبد الله ورسوله، وأن مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون.

فعيسى مخلوق ولدته مريم، كيف يكون هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن ذلك.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾

[آل عمران: ٦١]

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نصَّ على أن القرآن علم -علم الله من أين جاء هذا العلم؟ من الله، فالقرآن من علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهذا وجه الحجة من الآية.

قال القرآن من علم الله، **والدليل هذه الآية**: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١].

وهذا العلم هو القرآن الذي نصَّ في آيات كثيرة من سورة آل عمران ومن سورة النساء والمائدة وغيرها من السور: أن عيسى عبد الله ورسوله، وفي الحواميم وبعض السور ذكرت هذا، أن عيسى عبد الله ورسوله مخلوق من المخلوقين، كيف يقال: هو إله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة إلى آخره؟ هذا كفر وضلال.

الشاهد من هذه الآية: أن القرآن علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والـذي يقـول عن صفة من صفات الله أنها مخلوقة، فهو كافر؛ لأن هذا أولًا: طعن في الله وتنقص له، وفي نفس الوقت تكذيبٌ له، فأي جريمة تفوق هذا في الإجرام!.

قال أحمد بعد أن سـاق الآية: «أفليس هو القـرآن؟» يعني: هذا العلم الذي ذكر في هـذه الآيـة وهو علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فمـن زعـم أن علم الله وأسـماءه وصفاته مخلوقة، فهو كافر لا شك في ذلك، إذا اعتقد ذلك، وكان رأيه ومذهبه وكان دينا يتدين به، كان عندنا كافرًا، من اعتقد هذا أو بعضه في أسماء الله وصفاته كافر.

هـذه حمايـة لدين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما يكون دين الله ملعبة لكل من هب ودب، يقول فيه ما يشاء، كما يعبث أهل البدع والضلال بدين الله عَزَّوَجَلَّ فيزيدون وينقصون، ويحرفون ويؤوِّلون، ثم قلَّ من يحاسبهم الآن.

أين العلماء مثل عبد الرحمن بن مهدي ويزيد بن هارون ومثل أحمد بن حنبل ومثل هـؤلاء، فـإذا قال هذه الكلمة انداحـت في العالم كله فارتجفت الدنيـا بالمعتزلة والخوارج والروافـض وغيرهـم، والآن تُكتـب المجلـدات ما تُحرِّك سـاكنًا لموت غالـب المسـلمين وضياعهم، خاصة إذا كان يقف في وجهك من ينتسب ظلمًا وزورًا إلى السنة.

وهـذا الأثر عن ابـن عيينة يقول: « ما يقـول هذه الدويبة؟» يعـني: بشرًا المريسي، دويبة يعني: أرنبة، أي: حيوان من الحيوانات التافهة.

بـشر المريـسي لو كان موجـودًا الآن لكان النـاس يرفعونه إلى أعـلى المنازل، يعني: اشتهر بالقول بخلق القرآن والمناظرة في ذلك، فسقط عند الأمة كلها سنييهم وبدعيهم.

مرة جاءني شاب يجادلني في سيد قطب قلت له: ماذا تعرف عن بشر المريسي، قال: يقول بخلق القرآن، قلت: ما منزلته عند الأمة؟ قال: سـاقط، قلت له: طيب هو اشـتهر

بأنه ردَّ على الخوارج ورد على الروافض، ومشهور بالفقه ولما قال القرآن مخلوق سقط عند أهل السنة وعند أهل البدع.

سيد قطب يشاركه في القول بخلق القرآن ويزيد عليه بدعًا كبيرة وكثيرة، ورفع راية الخوارج وراية الروافض، كيف ما يهتز ولا يسقط؟

إلا أن الإسلام أصبح في غربة في غاية الغربة، فبشر المريسي أقل بدعًا من سيد قطب، سيد قطب أسوأ منه وهم جعلوه إمامًا، فهذا يدل على موت -والعياذ بالله- وعلى ضياع.

أنا أذكر سيد قطب لأنه يقول بخلق القرآن خلال الحديث عن تعطيل الصفات، وهو يعطل الصفات وما تجد باب بدعة إلا وتجد سيد قطب يلوح به ويقيم الدنيا ويقعدها، ما من باب من أبواب البدع إلا وتجد سيد قطب له منها نصيب، ولهذا يقولون: لماذا ما ترد على الروافض؟!

قلت لهم: رددت على الروافض[١]، ردي على سيد قطب ردٌّ قوي على الروافض، ورددت على الخوارج وردي على سيد قطب ردٌّ على الخوارج وعلى المعتزلة وعلى الجهمية وعلى الجبرية.. ما ميدان إلا وتجد سيد قطب فيه يصول ويجول.

«يقول إسحاق بن إبراهيم البغوي -ابن عم أحمد بن منيع-: سمعت أحمد بن حنبل: وسُئل عمن قال: القرآن مخلوق؟ فقال: كافر».

---

(١) ثم رددتُ على الروافض في كتابين:

أحدهما- «الانتصار لكتاب العزيز الجبار ولأصحاب محمد ﷺ الأخيار على أعدائهم الأشرار».

وثانيهما- «كشف زيف التشيُّع».

وكذلك نقل الآجري كلام وكيع بن الجراح في تكفير من يقول بأن القرآن مخلوق.

ونقل عن الإمام أحمد قوله فيمن يقول: أسماء الله مخلوقة أو القرآن مخلوق بأن هذا القائل كافر بالله.

وهذا من أقوال أحمد الكثيرة، يُسأل عن مشكلة قائمة وسُجن فيها وضُرب وسُجن أهل السنة، وقُتل بعضهم وأهينوا وشُرِّدوا وطُردوا من مناصبهم، وكانوا يؤسرون في الجهاد فلا يفك أسراهم، إلى آخره[(١)].

فهذه أسئلتهم تدور كثيرًا على أحمد بن حنبل في هذه القضية، فيجيبهم: بأنَّ قائل ذلك كافر وحق له ذلك.

لكن المتأخرين من أمثال ابن تيمية ومن بعده يقولون: إذا قامت عليه الحجة فهو كافر، قبل قيام الحجة ما نُكفِّره؛ لأنها كثرت الشبه وتراكمت على الناس، وابتعد الناس عن أنوار النبوة والعلوم المشرقة، فتراكمت الشبهات في كتب الأشعرية وكتب غيرهم وغيرهم، حتى إن المتدين الطالب للحق لا يجد إلا هذا الباطل أمامه، فيقول: هو الإسلام، فهؤلاء لابد أن تقام عليهم الحجة، فإن قبلوا الحق فالحمد لله وإلا يُكفَّرون[(٢)].

أما الأوائل فكان السلف لا يعذرونهم، لأن الحجة قائمة في ذاتها والعالَمَ الإسلامي كله ضدهم، ومنتشر في أوساط المسلمين أن القرآن كلام الله، فلا عذر لمن صدع بهذا القول الإجرامي.

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (١١/ ٤٧٩).

(٢) انظر: «الاستغاثة في الرد على البكري» لشيخ الإسلام: (٢/ ٤٩٢-٤٩٤) و[٧٣١].

أما الآن، فالشبه قد كثرت وتراكمت وبعد الناس وبعدت عهودهم عن عهد النبوة، فلا يُكفَّرُون إلا بعد إقامة الحجة، فتأتي له بالآيات أن القرآن كلام الله وتأتي له بالأحاديث وتأتي له بكلام السلف، فإن رجع وإلا يُكفَّر.

وعلى كل حال، هذه الأقوال كلها تدور حول تكفير من يقول بخلق القرآن، أو يقول إن صفةً من صفات الله كعلمه وسمعه وبصره يقول عنها إنها مخلوقة، فإنه كافر، وهذه قاعدة لكل أسماء الله وصفاته.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لدينه الحق، وأن يبصر المسلمين، وأن يهيئ لهم دعاة صالحين صادقين ناصحين، وأن يطهر مجتمعاتنا من الغشاشين والمتلاعبين بعقول شباب المسلمين، إن ربنا لسميع الدعاء.

تنبيه: أعتقد أن كثيرًا من المثقفين ومن علماء السوء قامت عليهم الحجة لانتشار منهج السلف عن طريق الكتب والأشرطة وعبر وسائل الإعلام، ولكنهم يكابرون ويعاندون لأجل الأموال والمناصب، لكننا لا نستطيع أن نعين أفراد من قامت عليهم الحجة.



قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[١٧٥] حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال حدثنا الفضل ابن زياد قال: حدثنا أبو طالب قال: «قال لي أحمد: يا أبا طالب ليس شيء أشد عليهم مما أدخلت على من قال: القرآن مخلوق، قلت: علم الله مخلوق؟ قالوا: لا، قلت: فإن علم الله هو القرآن، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١]، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥] هذا في القرآن في غير موضع»[١].

[١٧٦] حدثنا الحسن بن علي الجصاص قال: حدثنا الربيع بن سليمان قال: «سمعت الشافعي يقول - وذكر القرآن وما يقول حفص الفرد -، وكان الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: حفص المنفرد، وناظره بحضرة والٍ كان بمصر، فقال له الشافعي في المناظرة: كفرت والله الذي لا إله إلا هو، ثم قاموا فانصرفوا، فسمعت حفصًا يقول: أشاط الشافعي - والله الذي لا إله إلا هو- بدمي»[٢].

قال الربيع: وسمعت الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق فهو كافر».

---

(١) فيه الفضل بن زياد صاحب الإمام أحمد، ترجم له الخطيب في «تأريخ بغداد» (١٤/ ٣٣٠)، وابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٥١-٢٥٣)، وذكر تقدير الإمام أحمد له، ونقل عنه عددًا من النصوص تتعلق بالعقيدة.

(٢) إسناده صحيح، الربيع هو صاحب الإمام الشافعي، وروى هذا الأثر ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه»، ص: (١٩٤-١٩٥)، وقال بعده: «قال الربيع: فلقيت حفصًا الفرد في المجلس بعد فقال: أراد الشافعي قتلي».
ورواه البيهقي في «مناقب الشافعي»، ص: [٤٠٧]، بإسناده إلى ابن خزيمة عن الربيع به.



قال الربيع: «القرآن كلام الله غير مخلوق، فمن قال القرآن مخلوق فهو كافر».

[١٧٧] حدثنا علي بن حسنويه القطان قال: حدثنا محمد بن إسحاق الصاغاني قال: سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول: «من قال: القرآن مخلوق فقد افترى على الله، وقال على الله ما لم تقله اليهود ولا النصارى»[(١)].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد احتج أحمد بن حنبل: بحديث ابن عباس: إن أول ما خلق الله من شيء القلم، وذكر أنه حجة قوية على من يقول: القرآن مخلوق، كأنه يقول: قد كان الكلام قبل خلق القلم، وإذا كان أول ما خلق الله من شيء القلم، دلَّ على أن كلامه ليس بمخلوق، ولأنه قبل خلق الأشياء.

[١٧٨] حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا الفضل بن زياد قال: «سألت أبا عبد الله عن عباس النرسي، فقلت: كان صاحب سنة؟ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت: بلغني عنه أنه قال: ما قولي: القرآن غير مخلوق، إلا كقولي: لا إله إلا الله، فضحك أبو عبد الله، وسُرَّ بذلك.

قلت: يا أبا عبد الله، أليس هو كما قال؟ قال: بلى، ولكن هذا الشيخ دلَّنا عليه لوين على شيء لم نفطن له، قوله: إن أول ما خلق الله تَعَالَىٰ من شيء خلق القلم، والكلام قبل القلم، قلت: يا أبا عبد الله، أنا سمعته يقوله قال: سبحان الله، ما أحسن ما قال، كأنه كشف عن وجهي الغطاء، ورفع يده إلى وجهه.

---

(١) إسناده صحيح، رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ١٢٩) رقم [٧٢]، قال: «حدثني محمد بن إسحاق الصاغاني، قال: سمعت أبا عبيد» به.

قلت: إنه شيخ قد نشأ بالكوفة، فقال أبو عبد الله: إن واحد الكوفة واحد، ثم ذكر حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أول ما خلق الله من شيء القلم فقال: كم ترى، قد كتبناه؟ ثم قال: نظرت فيه، فإذا قد رواه خمسة عن ابن عباس»[1].

قال محمد بن الحسين: وقد خرجت هذا الباب في كتاب القدر، وأنا أذكره هاهنا لتقوى به حجة أهل الحق على أهل الزيغ.

ساق المؤلف هنا بإسناده إلى الإمام أحمد بن حنبل: أنه خاطب أبا طالب أحد أصحابه قال له: «ليس شيء أشد عليهم» يعني: على الجهمية والمعتزلة الذين دعوا إلى القول بخلق القرآن وآذوا الإمام أحمد بن حنبل وجرت بينه وبينهم المناظرات[2].

وكان كلما احتجوا بشبهة أبطلها ويقول: ائتوني بشيء من كتاب الله أو من سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والخليفة يتهدده ويُمَنِّيه، يقول قل: إن القرآن مخلوق وأنا أعطيك وأكرمك فيقول: «ائتني بشيء من القرآن»، فعجزوا.

فكان من جملة حججه الدامغة التي دمغهم بها هذه الحجة، وهي قوله: هل تقولون: إن علم الله مخلوق؟ يقولون: لا، ما يستطيعون قول ذلك لو قالوا: إن علم الله مخلوق شهدوا على أنفسهم بالكفر، فما يستطيعون أن يقولوا إن علم الله مخلوق، قال: «إن علم الله هو القرآن»، واحتج على ذلك بالآيات التي ساقها وهي قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١] من حاجك في عيسى.

---

(١) أرجو أن يكون صحيحًا؛ لأن الفضل بن زياد من أفاضل أصحاب أحمد والمقدمين عنده، وله منزلة عند الحنابلة.

(٢) انظر: «سيرة الإمام أحمد بن حنبل»، لابنه أبي الفضل صالح، ص: (٥٢-٦٤)، و«الحلية» لأبي نعيم (٩/ ١٩٧-٢٠٤)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٠/ ٣٦٦-٣٦٩).

فالله بيَّن بيانًا شافيًا في آيات كثيرة: أن عيسى عبد الله ورسوله، وأن أمه حملت به فنفخ فيها جبريل من روحه فحملت بعيسى ووضعته، وأول ما تكلم به ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ ما قال: إني ابن الله ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم : ٣٠ - ٣٢] هذا كلامه ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩].

فقد بيَّن الله في هذا القرآن الكريم حال عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأنه عبد الله مخلوق، وأن مَثَلَه كمثل آدم، بل المعجزة في خلق آدم أعظم منها في خلق عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لأن آدم خُلق من غير أب وأم، وعيسى خُلق من أم، وحواء خلقت من أب دون أم، خُلقت من ضلع آدم، فالمعجزة فيها لا تَقِل بل هي أعظم من معجزة خلق عيسى من امرأة بدون ذكر، لكن هؤلاء لا عقول لهم.

فقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنبيه الكريم بعد هذا البيان الشافي: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ هذا العلم هو القرآن وما اشتمل عليه من بيان في حال عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران : ٦١].

وكان قد جاءه وفد نجران وادعوا أن عيسى ابن الله، وبدءوا يتأهبون للمباهلة، فلما استعد الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمباهلة فقال: تعالوا ندعوا أبناءنا وأبناءكم.. هربوا وصالحوه على شيء من المال شبه الجزية أو على الجزية، وانصرفوا مهزومين، قالوا

لـو باهلناه لهلكنا[١]، عَرف الخبثاء أنه رسـول الله وأنه جـاء بالحق، ولهذا لما قرأ جعفر بن أبي طالب على النجاشي في الحبشـة شيئًا من سـورة مريم، فلما أتى على ذكر عيسـى وأمه رفـع النجـاشي بقَشَّـةٍ من سـواكه قدر مـا يقذِي العـين، فقـال: والله ما زاد المسـيح على ما تقولون نقيرًا[٢].

واستدل الإمام أحمد بقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البَقَرَة: ١٤٥].

قـال أحمد: ليس شيء أشـد عليهـم من هذه الآيـات أو من هذه الحجـة، وألقمهم حجرًا.

فهـؤلاء الجهمية يقولون: القرآن مخلوق، وجاء بعدهم الكُلَّابية وتبعهم الأشـعرية بمذهب غريب في هذه الصفة -صفة الكلام والقرآن- وقالوا: إن كلام الله معناه: المعنى النفـسي القائم بـذات الله ليس بحرف ولا صوت، وهو معنى واحـد لا يتجزأ، وإن عُبِّر عنه بالعبرانية كان هو التوراة، وإن عُبِّر عنه بالسريانية فهو الإنجيل، وإن عُبِّر عنه بالعربية فهو القرآن.

وهـذا كلام في غايـة الضلال والسـخف، لا يقبلـه شرع ولا عقل أبـدًا، هل معنى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ هو معنى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾؟!

وقصة بدر كقصة أُحُد كقصة حنين المذكورة في القرآن؟!

---

(١) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب «المغازي»، باب: «قِصَّة أهلِ نَجرَانَ»، حديث [٤٣٨٠]، و«صحيح مسلم»، كتاب: «فضائل الصحابة»، باب: «فضائل أبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، حديث [٢٤٢٠]، وانظر «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٩-٥٥).

(٢) انظر «سيرة ابن إسحاق» (١/ ٣٣٤-٣٣٨- ابن هشام)، و«مسند أحمد» (١/ ٢٠٢)، (٥/ ٢٩٠).

لو بحثنا عنها في التوراة والإنجيل لم نجد حرفًا منها؟!

يقولون مثل كلام المجانين والبلهاء، كلام بغير حرف ولا صوت لماذا؟

قالوا: لأن إذا قلنا أنه يتكلم بحرف وصوت شبهناه بالمخلوقين، لأن المخلوق يتكلم بلسان وشفتين وحنجرة، طيب والأحجار لما تتكلم والأشجار لما تتكلم، أليس تتكلم بدون لسان وشفتين وحلاقيم، يعني: قولكم: إن الكلام لا يكون إلا بحرف وصوت ويخرج من مقاطع ومن الحلقوم كل هذا كذب، تكلمت الأشجار بإذن الله وتتكلم يوم القيامة الأعضاء وتشهد على أهليها، وتتكلم الأرض وستتكلم الصخور بدون حلق ولا شفاه ولا حلاقيم... فهم يقيسون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على عباده، ثم ينطلقون من هذا القياس الباطل، ومن هذا التشبيه إلى التعطيل في كل صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وعندهم أصل خبيث يقولون: إنا نستدل على خلق الأجسام بالأعراض، الأعراض يعني: الطول والعرض والقِصَر والسواد والبياض والمرض والصحة وما شاكل ذلك، فنستدل بهذه الأعراض على حدوث الأجسام، ونستدل بحدوث الأجسام على حدوث الكون، ونستدل بحدوث الكون على وجود الله عَزَّوَجَلَّ، ويسلكون هذه الطرق المتلوية، وليس داع لمثل هذا التأصيل الفاسد.

وانطلقوا من هذا الأصل إلى تعطيل صفات الله من الاستواء وغيره، قالوا: لو قلنا إنه استوى، الاستواء عَرَض، والنزول عَرَض، والكلام عَرَض، فإذا أثبتنا لله هذه الصفات أثبتنا له الأعراض، والأعراض تدل على حدوث الأجسام، فإذا وصفنا الله بالكلام وبالنزول والمجيء والضحك والغضب شبهناه بالأجسام، لأن هذه من صفات الأجسام وهي أعراض، وكذبوا على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

....

وهـذا دليـل خبيث أدَّى بهم إلى تعطيل صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فالله يتكلم متى شـاء وإذا شـاء، وهـذا غايـة الكمال، وكم من الفـروق بين الأبكم الـذي لا يتكلم وبين الذي يتكلم.

وكذلـك هـذه كلها صفات كمال تليـق بجلال الله عَزَّوَجَلَّ نثبتها على أسـاس ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فنفى عن الله المشابهة في هذه الآية، وأثبت لله صفتي السمع والبصر، لأنهما من صفات الكمال، والذي يسـمع أكمل من الذي لا يسـمع، والذي يقابل السـمع الصمم وهو عيب، لو كان إنسـان أصم وإنسان يسـمع، لكان السـميع أفضل من الأصم وأكمل -بلا شك-، وإنسان لا يبصر وإنسان يبصر، فلا يستوي الأعمى والبصير، في العقل وفي الشرع ومن كل النواحي.

والعمى والصمم والبكم نقص يتنزه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عنه، والسـمع والبصر والكلام صفات كمال تليق بجلال الله عَزَّوَجَلَّ.

ولهذا قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأبيـه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢] يعني: هذا ناقص لا يسـمع ولا يبصر، ناقص غاية النقص، فدلَّ على أن ربنـا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الـذي يستحق العبـادة، لأنه هو السـميع البصير، لا مانـع لما أعطى ولا معطي لما منع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله يتكلم متى شاء وإذا شاء أزلًا وأبدًا.

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾

[الكهف: ١٠٩]

....

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

وكلامه كله حِكَم وكله عِلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكلمات الله التي لا تنفد كلها ناشئة عن علم وعن حكمة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾

[يس: ٨٢]

فكل شيء كائن بقول الله «كن»، إذن الله يتكلم، وله أوامر كونية وله أوامر شرعية، الأوامر الكونية التي يخلق بها كل المخلوقات، والأوامر الشرعية وهي التي يشرع بها الشرائع من العبادات والعقائد والحلال والحرام والمعاملات، وما شاكل ذلك مما تضمنته كتبه وبعد هذا -بعد هاتين الآيتين- مما يجري في مجراها قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨] هذه الشريعة هي العلم، هي القرآن.

هذا رأي أحمد واحتجاجه، وسبق كلام العلماء واحتجاجاتهم وأدلتهم، وهنا ينقل قول الشافعي أحد كبار أئمة السنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالإمام الآجري يسوق الأدلة على إثبات أن القرآن كلام الله، احتج بالقرآن واحتج بالسنة واحتج بكلام الصحابة والتابعين وأتباعهم، والشافعي من أتباع التابعين، قال: سمعت الشافعي يقول-وذكر القرآن وما يقول حفص الفرد- ذكر قوله: إن القرآن كلام الله وإن حفصًا الفرد يُنكر أن القرآن كلام الله، وهذا كفر.

وكان الشافعي: يقول: «حفص المنفرد» **يعني**: الشاذ الضال.

....

وناظره بحضرة والٍ، يعني: أميرًا في مصر، فقال له الشافعي في المناظرة: كفرت والله الذي لا إله إلا هو، لما قال القرآن مخلوق، هذا نص ثابت عن الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم قاموا فانصرفوا، فسمعت حفصًا يقول: أشاط الشافعي -والله الذي لا إله إلا هو- بدمي، يعني: عرضني للهلاك والقتل، عرضني، يعني: في هذه المناظرة عند الوالي عرضني للقتل، وهو يستحق ذلك، يستحق إذا لم يتب من هذه الجريمة والله ما يستحق إلا القتل؛ لأنها كفر -والعياذ بالله-، والشافعي ناظره وأقام عليه الحجة، يعني: ما كفره إلا بعد أن أقام الحجة، وهذا مذهب الشافعي، يقول في الجهمية الذين ينكرون الصفات: إن هذا لا يدل عليه عقل، فلابد من إقامة الحجة عليهم من الشرع، فلا نكفرهم إلا بعد أن نقيم عليهم الحجة، ونقل هذا عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، في شرح كتاب التوحيد[(١)].

«قال الربيع: وسمعت الشافعي يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر».

الآن لو أن شخصًا سلفيًا يسمع كل هذه الحجج وبعدها نسمعه يقول: القرآن مخلوق هل نبدعه أو ما نبدعه؟ نبدعه، بل نكفره، لأنه قامت عليه الحجة.

التبديع إذا كان في أمور واضحة وجلية وقع فيها الإنسان ولو سلفي يبدع، وقد يكفر بمثل هذه.

(١) باب: «وكان عرشه على الماء» «وهو رب العرش العظيم»، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وأخرج ابن أبي حاتم في «مناقب الشافعي» عن يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول، فذكر نحوه. «فتح الباري» (٤٠٧/١٣).

الآن يقولون لك: فلان أصله سلفي، ويقع في عشرات البدع ما حكمه؟

فقط يلبس ثوب السلفية ويفعل ما يريد؟! يجب أن يلتزم منهج السلف، إلا إذا كان هذا السلفي مجتهدًا ووقع في أشياء خفية ليست ظاهرة، أما مثل دعاء غير الله والذبح لغير الله والقول بخلق القرآن وتعطيل صفات الله، هذه أمور واضحة، إذا وقع في أمور خفية تخفى على بعض السلف المجتهدين وهي بدعة لا نبدعه، بل ننصحه، أما هذه الأمور الواضحة التي أسلفناها، فلا يجوز التردد في تضليل من وقع فيها.

وهنا ينقل بإسناده عن أبي عبيد القاسم بن سلام، وهو أحد الأئمة الكبار، وهو صاحب كتاب الأموال وصاحب كتاب الإيمان رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان يُقرَن بالشافعي، وسُئل عنه يحيى بن معين فقال: «أنا أُسأل عنه، هو يُسأل عن الناس»[1] إمام عظيم يقول: «من قال القرآن مخلوق فقد افترى على الله - إي والله، والله قال الإفك العظيم- وقال على الله ما لم تقله اليهود ولا النصارى».

الجهمية وقعت في أشياء ما وقعت فيها اليهود والنصارى، ومن هنا قال البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد»[2]: «إنا لنستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى،

---

(١) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٤١٤)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ٦٨)، ونقله المزي في «تهذيب الكمال» (٢٣/ ٣٥٨) والذهبي في «السير» (١٠/ ٥٠٣).

(٢) (ص٣١) نقلًا عن ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ، ورواه الدارمي في «الرد على الجهمية»، ص: [٢٦]، رقم [٢٤]، ص: (٢١٢-٢١٣) رقم [٣٩٤]، وعلق عليه بقوله: «وصدق ابن المبارك؛ إن من كلامهم ما هو أوحش من كلام اليهود والنصارى؛ فلذلك رأى أهل المدينة أن يُقتلوا ولا يُستتابوا، ولذلك قال أبو توبة لأحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أما خطباؤهم فلا يستتابون وتضرب أعناقهم؛ لأن الخطباء اعتقدوه دينًا في أنفسهم على بصر منهم بسوء مذاهبهم، وأظهروا الإسلام تعوُّذًا وجُنَّة من القتل، ولا تكاد ترى البصير منهم بمذهبه يرجع عن رأيه».

ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية» لفظاعته وشناعته يفوق في الشناعة والفظاعة ما يقوله اليهود والنصارى.

وقال: «وإني لأستجهل من لا يكفرهم»[(١)].

يعني: الإنسان الذي يقف على حالهم ثم لا يكفرهم يستجهله الإمام البخاري، ونقل عن عدد كبير من أئمة السلف في تكفيرهم، ومن أشد ما كفرهم به: إنكارهم لعلو الله واستوائه على عرشه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد احتج أحمد بن حنبل: بحديث ابن عباس: إن أول ما خلق الله من شيء القلم».

وهناك خلاف بين علماء السنة أيهما خُلق أولًا، العرش أو القلم.

ويذهب جمهور أهل السنة[(٢)] ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)] إلى أن أول ما خلق الله العرش ثم القلم، وتأوّلوا هذا الحديث، قال له: «اكتب»، يعني: في أوائل بداية خلقه ونشأته أمره الله أن يكتب، ولا يقتضي هذا أنه قبل العرش؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هُود: ٧] احتجوا بمثل هذه الآية على أن أول مخلوقات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى العرش وبعده القلم.

والآخرون يحتجون بمثل هذا اللفظ على أن أول المخلوقات القلم، ووجه الحجة من هذا: أن القلم الذي كُتبت به المخلوقات ما كان إلا بالقول، وهذا دليل على أن القول

---

(١) «خلق أفعال العباد»، ص: [٣٣].

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢/ ٢٧٥)، (١٨/ ٢١٣)، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم، ص: (١٥٩-١٦٠)، و«فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٢٨٩).

(٣) انظر «الصفدية» (٢/ ٧٩).

....

قبل القلم، فالمخلوقات كلها كتبها الله بهذه الآلة، وهذا القلم خُلق بالقول، ولما خلقه الله بقوله قال له: «اكتب»، وهذا من جملة الأدلة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

سواء قلنا: إن القلم قبل العرش، أو العرش قبل القلم: الحجة قائمة بهذا الحديث.

هناك حديث: **«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»**[(١)].

فالشاهد: أنه سواء قلنا: إن القلم قبل العرش أو بعده، فالحجة قائمة بهذا الحديث على من يقول أن القرآن مخلوق، لأن كلام الله هو قوله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يخلق به المخلوقات، ومن ضمنها القلم الذي كتب الله به المخلوقات ومقاديرها.

وقوله: «سألت أبا عبد الله عن عباس النرسي» هذا الفضل بن زياد يقول سألت أبا عبد الله، يعني: الإمام أحمد بن حنبل عن عباس النرسي، «فقال: كان صاحب سنة، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: قلت: بلغني أنه قال: ما قولي القرآن غير مخلوق إلا كقولي لا إله إلا الله»، يعني: هذا توحيد وهذا توحيد، وكلاهما غير مخلوق، وهذا مقتضى الإيمان، هذا الذي يظهر لي من هذا الكلام، «فضحك أبو عبد الله وسُرَّ بذلك، قلت: يا أبا عبد الله أليس هو كما قال؟ قال بلى».

وجه هذا: أن (لا إله إلا الله) توحيد، والقول بأن القرآن كلام الله توحيد، وكلاهما غير مخلوق، أظن هذا قصده -والله أعلم-، هذا الذي ظهر لي واسألوا عن هذا إن كان له تفسير آخر.

---

(١) أخرجه مسلم في «القدر»، حديث [٢٦٥٣].

....

«ولكن هذا الشيخ دلنا عليه لوين»: أحد الأفاضل من أهل الحديث دلَّ أحمد بن حنبل على عباس النرسي، ثم دلنا على شيء لم نفطن له، قوله: إن أول ما خلق الله تَعَالَى من شيء خلق القلم، والكلام قبل القلم، يعني: هذا وجه الاستدلال بالحديث: إن الكلام كان قبل القلم والقلم أول المخلوقات، وما قبل هذه المخلوقات إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وصفاته ومنها الكلام؛ لأن صفات الله أزلية ومنها الكلام، لكن كلام الله أزلي وهو يتكلم متى شاء وإذا شاء، فالصفة قائمة بذاتها أزلية، والكلام تابع لاختياره ومشيئته، فمتى شاء تكلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«قلت لأبي عبد الله: أنا سمعته يقوله، قال: سبحان الله ما أحسن ما قال، كأنه كشف عن وجهي الغطاء»: يعني: الاستدلال بهذا الحديث «**أول ما خلق الله من شيء القلم**».

فقال: «قلت: إنه نشأ بالكوفة، فقال أبو عبد الله: إن واحد الكوفة واحد» يعني: الكوفة أكثرهم شيعة عندهم ضلال، عندهم كذب وعندهم بلايا، لكن إذا نشأ رجل سلفي بالكوفة يكون فردًا من الأفراد وفذًّا من الأفذاذ، ولهذا قال: إن واحد الكوفة واحد، وهذا مدح؛ لأنه -والله أعلم- يعيش في بيئة ضالة، فيحتاج إلى التفكير والمناظرة والاستدلال، فيكون فحلًا، لأن البيئة هي التي تدفعه على التفكير والتدبر والتأمل في النصوص والبحث عن الحجج.

ثم ذكر حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أول ما خلق الله من شيء القلم**» فقال: كم ترى قد كتبنا، يعني: كم كتب من الحديث يقول: كتبنا كثيرًا وما كنا نتفطن لما فيه من الحجة حتى نبهنا عليها هذا الكوفي، ولهذا قال: «واحد الكوفة واحد»، فأحمد يقول والله كتبنا هذا الحديث وحفظناه وكتبناه ونردده، لكن ما انتبهنا لما تضمنه من الحجة، فقال:

«هو الذي نبهنا، وكأنما كشف شيئًا عن وجهي» هذا اعتراف لأهل الفضل بالفضل، وتجد بعض الناس يتلقى الفكرة من غيره وينسبها لنفسه.

انظروا إلى إمامة أحمد، كم عنده من الأدلة ومن الحجج والبراهين، وقاوم أهل البدع أكثر من عباس النرسي هذا، لكن الله فطنه للحجة من هذا الحديث فعرف الإمام أحمد فضل هذا الرجل، لأنه نبهه إلى هذه الحجة، ولم ينسبها لنفسه كما يفعله بعض الناس.

الشيخ الألباني: ممن يقول بأن القلم قبل العرش[١] وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما، يرون أن العرش قبل القلم، ولهم حججهم.

قال الإمام محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد خرجت هذا الباب في كتاب القدر، وأنا أذكره هاهنا، لتقوى به حجة أهل الحق على أهل الزيغ».

يعني: لما تكلم في القدر، القدر له ارتباط وثيق بأحاديث القلم «**كتب الله مقادير كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»، وغير ذلك من الأدلة، ومنها هذا الحديث «**أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب**» فيقول: قد ذكرته في كتاب القدر، وهنا أذكره لتقوى به حجة أهل السنة على أهل البدع.

ساق الحديث وكرره مرات وكرات، يسوقه من طرق كعادة المحدثين يسوقون الحديث بما يبلغهم من الطرق، فقد يكون له طريقان أو ثلاث أو أربع فيُعدِّد الطرق لتقوى الحجج ويثبت الحديث بهذه الطرق، أو تقوى هذه الطرق بعضها بعضًا، حتى لو كانت صحيحة تتقوى فيصير الغريب عزيزًا، ويصير مشهورًا وقد يصل إلى درجات التواتر بكثرة الطرق.

(١) انظر «التعليق على الطحاوية» للألباني، ص: [٥٠].

قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[١٧٩]أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو مروان هشام بن خالد الدمشقي - يعني: الأزرق- قال: حدثنا الحسن بن يحيى الخشني، عن أبي عبد الله مولى بني أمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أول شيء خلق الله القلم، ثم خلق بعده النون، وهي الدواة، ثم قال: اكتب قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما يكون، وما هو كائن من عمل، أو أثر، أو رزق، فكتب ما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة، فذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، ثم ختم على القلم، فلم ينطق، ولا ينطق إلى يوم القيامة»[1].

[١٨٠]وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا زيد بن الحباب قال: حدثنا معاوية بن صالح قال: حدثني أيوب أبو زيد الحمصي، عن عبادة ابن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه أنه دخل على عبادة وهو مريض يرى فيه الموت فقال: «يا أبت أوصني واجتهد، قال: اجلس، فقال: إنك لن تجد طعم الإيمان ولن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: وكيف لي أن أعلم خيره وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، سمعت رسول الله يقول: «إن أول شيء خلق الله تَعَالَىٰ القلم، فقال له: اجر،

---

(١) في إسناده ضعف؛ لضعف الحسن بن يحيى الخشني، قال الحافظ فيه: «صدوق، كثير الغلط»، لكن كون أول شيء خلقه الله القلم وأمره أن يكتب كل شيء صحيح الإسناد، رواه أبو يعلى في مسنده، حديث [٢٣٢٩] من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وروى نحوه البزار حديث [٢٦٨٧] من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فجرى تلك الساعة إلى يوم القيامة بما هو كائن، فإن مت وأنت على غير ذلك دخلت النار»[(١)].

[١٨١] حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين قال: حدثنا عبد الله بن عمر الكوفي قال: حدثنا إسحاق بن سليمان، عن معاوية بن يحيى، عن الزهري، عن محمد بن عبادة بن الصامت قال: دخلت على أبي فقال: أي بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول شيء خلق الله القلم فقال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب القدر، فجرى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»[(٢)].

ولهذا الحديث طرق عن جماعة.

[١٨٢] وحدثنا ابن شاهين قال: حدثنا أبو هشام الرفاعي قال: حدثنا محمد ابن الفضيل قال: حدثنا عطاء، عن أبي الضحى، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أول ما خلق الله تَعَالَى: القلم، فقال: اكتب قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم خلق النون فكبس على ظهره الأرض، فذلك قوله: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١]»[(٣)].

فقد ساق المؤلف: طرق هذا الحديث: «أول شيء خلق الله القلم، ثم قال له اكتب» ساقه من طرق ليثبت أن كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى غير مخلوق، بدليل أن أول المخلوقات القلم، والقلم هذا أُمر بقول الله له كذا.

---

(١) صحيح بما قبله، رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣١٧) من طريقين مدارهما على ليث بن أبي سليم وابن لهيعة، فيتعاضدان فيرتقيان إلى درجة الحسن، ويعضدهما ما قبلهما وما بعدهما فيرتقيان إلى درجة الصحيح لغيره.

(٢) ضعيف؛ لأن في إسناده معاوية بن يحيى الصدفي ضعيف، لكنه يتقوى بما قبله من الأحاديث.

(٣) ضعيف؛ لأن في إسناده أبو هشام الرفاعي: ضعيف، لكنه يتقوى بما قبله من الأحاديث ويزيده قوة ما رواه البيهقي في «الأسماء والصفات»، ص: [٣٧٨] من طريق ابن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

إذن قول الله وكلامه قبل وجود المخلوقات، فهو ليس من المخلوقات، وهناك آيات كثيرة تثبت أن القرآن كلام الله وليس من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعلى ذلك أهل السنة والجماعة.

وتقدم نقله للآيات وللأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من أئمة الهدى التي تدل على اتفاق الجميع على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، هذا قصد المؤلف من سوق هذه الأحاديث، لكن أحاديث القلم فيها ذكر القدر، وأن الله كتب مقادير كل شيء.

وقضية الإيمان بالقدر قضية خطيرة جدًّا ومهمة، ذكرها الله في القرآن في عدة مواضع، وذكرها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كثير من نصوصه، والذي ينكره كافر ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٢].

وقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩]

﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس: ١٢].

﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩].

وأما الأحاديث: فهي كثيرة، **منها:** هذه الأحاديث، ومنها حديث جبريل المشهور وحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيهما جاء جبريل يسأل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فسأله عن الإسلام قال: «**الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم**

الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت لذلك سبيلا» قال: أخبرني عن الإيمان؟ قال: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**».

وهذا الحديث احتج به عبد الله بن عمر لما جاءه يحيى بن يعمر من العراق يرافقه عبد الرحمن الحميري، فسأله يحيى فقال: إنه نشأ قِبَلَنا قومٌ يتقفرون العلم ويقولون: إنه لا قدر وإن الأمر أنف، فقال: أخبرهم أنني منهم براء وأنهم مني برآء، والذي نفس ابن عمر بيده لو أنفق أحدهم مثل أُحُدٍ ذَهَبًا ما نفعه ذلك حتى يؤمن بالقدر.

فهذا فيه تكفير من ابن عمر لمن ينكر القدر.

وإنكار القدر درجات:

منها: أن ينكر علم الله السابق، فهذا هو الكفر، وهذا هو الذي تبرأ عبد الله بن عمر من القائلين به.

ومنهم: من يؤمن بعلم الله السابق وتقديره السابق، لكن يقولون: إن أفعال العباد لا يشاؤها الله ولا يخلقها إلا بعد أن تحدث، وهذا قول القدرية المتأخرين الذين ألجأتهم إلى شيءٍ من التراجع لطماتُ أهل السنة والجماعة لمنكري القدر الأولين وتكفيرهم، وكان الشافعي يقول: «ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خُصِمُوا وإن أنكروه كفروا»(١).

فالمتأخرون يؤمنون بأن الله علم الأشياء سابقًا، ولكن أفعال العباد لم يخلقها ولم يشأها، فبهذا سُمُّوا قدرية، لأنهم أنكروا شيئًا من القدر، فمنهم من يُكَفِّر هذا الصنف ومنهم لا يُكَفِّره.

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٢٣/ ٣٤٩)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي، ص: [٢٤٧]، و«فتح الباري» لابن حجر (١/ ١١٩).

وقضية أول شيء خلقه الله هل هو القلم أو العرش، تقدمت الإشارة إلى ذلك، وأن هناك من يقول -ويتعلق بهذه الأحاديث-: إن أول المخلوقات القلم، ومنهم من يقول: أول المخلوقات العرش، ولهم أدلة منها:

قوله ﷺ: **«كتب الله مقادير كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»** الواو حالية، يعني: كتب المقادير والعرش موجود، فهذا يدل عند هؤلاء الأئمة -وهم الجمهور- على أن العرش خلقه الله قبل القلم، وهذه الأحاديث التي تفيد أولية خلق القلم على كل شيء فيها بعض الطرق ضعيفة، وقالوا بخصوص قوله ﷺ: **«إن أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب»**.

وليس مراد الرسول ﷺ أن يبين أن القلم أول المخلوقات، إنما أراد أن يبيِّن أنه حين إيجاد القلم في تلك اللحظة أمره الله بالكتابة، هذا هو المقصود.

والذين يخالفونهم -وهم الجمهور- احتجوا بالآية التي ذكرناها واحتجوا بالحديث الذي ذكرناه، ويؤولون هذا الحديث بأن المراد منه: الإخبار بأن الله لما أوجد القلم في تلك اللحظة أمره بالكتابة، وليس المراد الإخبار بأنه أول المخلوقات، ورحم الله الجميع.

فاختلاف العلماء حينما يستند إلى أدلة وتختلف في فهمها وجهات النظر يُعذرون في مثل هذا الخلاف، لكن لا يقال: إن السلف اختلفوا إلا إذا أنكروا وجود القلم، فبعضهم ينكر وجوده وبعضهم يعترف به، هذا هو الاختلاف العقدي، أو أن العرش مخلوق

أو ليس بمخلوق، لأنه -لا تنسوا- أن بعض الناس ينكرون العرش، ومنهم سيد قطب يشكك فيه يقول: لا ندري ما هو العرش، -فنسأل الله العافية-[١].

الشاهد: أن القلم مخلوق وأن العرش مخلوق، وأن ما دون الله مخلوق، الله خالق كل شيء، والله يخلق المخلوقات بالكلام، وكلامه صفةٌ من صفاته الأزلية مثل علمه، فعلمه غير مخلوق وعلمه قديمٌ أزليٌّ، وصفة الكلام قديمة أزلية، ولها تعلق بمشيئته، فهي مع قِدَمِها يتكلم إذا شاء ومتى شاء وإذا شاء.

يعني: أشار المحقق إلى ضعف الحديث [١٧٩]، لأن الحسن بن يحيى الخشني صدوق كثير الغلط، ووهَّاهُ جماعة ولفظه: «**أول شيء خلق الله القلم**» فيضعف حجة من يقول: إن القلم خُلق قبل العرش.

قوله هنا: «**فكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة فذاك قوله تعالى**: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]»، فالراوي لهذا الحديث ضعيف، والأحاديث الصحيحة تذكر أن الله خلق القلم وأمره بالكتابة، ولا يقولون: إنه خلق دواة في ذلك الوقت، فلا نقبل في هذه الأمور الغيبية إلا ما ثبت وصحَّ عن الشارع صلى الله عليه وسلم.

كذلك الحديث الذي بعده: «**إن أول شيء خلق الله القلم**» ضعيف أيضًا يقول فيه علتان: محمد بن عبادة لا تعرف له ترجمة، ومعاوية بن يحيى الصدفي أبو روح الدمشقي ضعيف، فهذه الروايات مما يتعلق بها من يقول: إن القلم قبل العرش.

---

(١) وسلفه في ذلك الجهمية؛ انظر: «الرد على الجهمية» لعثمان بن سعيد الدارمي، ص: (٣٢-٣٣)، و«العرش وما روي فيه» لمحمد بن أبي شيبة، ص: [٤٩].

القلم مخلوق والعرش مخلوق، وحينما خلق الله القلم قال له: اكتب، وكل الكائنات توجد بكلام الله ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ قال لهما: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

وكل ما يخلقه الله بكلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما في الآيتين اللتين استشهدنا بهما، وكما في آيات كثيرة وأحاديث كثيرة.

الشاهد: أن مقصود المؤلف من سَوقِ هذه الأحاديث: إثبات أن القرآن كلام الله، وأن القلم مخلوق، والدليل: أن القلم أول المخلوقات، هذه وجهة نظره وهذا لا يضر، سواءً قلنا: أول المخلوقات العرش، فالعرش كان بالكلام، أو قلنا: أول المخلوقات القلم، فالقلم خُلق بالكلام، فكلام الله صفةٌ من صفاته، وليس من مخلوقاته، وبه يخلق الأكوان كلها، العرش والكرسي والسموات والقلم والبشر والشجر والحجر والجبال والبحار وغيرها من المخلوقات والصغير والكبير من المخلوقات ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فبكلامه يوجد الأشياء ويخلقها.

ويحتج المعتزلة -قبحهم الله- بقوله تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢] قالوا: والقرآن شيء فهو من المخلوقات، وهذا من عجائب ضلالهم، وهذه الآية نفسها فيها ردٌّ عليهم ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢] يحتجون بها على أن القرآن مخلوق، ثم يخرجون منها أفعال العباد المخلوقة، انظر إلى الضلال.

يعني: يرون أن هذه الآية تتناول القرآن فيدخل في عموم كل شيء، وينسون في نفس الوقت أن أفعال العباد تدخل فيها دخولًا أوليًّا، فيخرجونها من هذا العموم ويقولون:

إن أفعال العباد ليست مخلوقة لله، فالحجة هي نفس الآية، هم يقولون أفعال العباد ليست مخلوقة لله ولا يريدها والعبد يخلق فعل نفسه، والله يقول: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، ونصّت آيات كثيرة أنه لا يحصل في الكون شيء إلا بإذنه ومشيئته وإرادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومنها أفعال العباد ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

فإرادة الإنسان أن يفعل مرتبطًا بمشيئة الله وإذنه وإرادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يدخل فيه أفعال العباد خيرها وشرها دخولًا أوليًّا، وهم يخرجونها من هذا العموم، هذا دليل على ضلالهم، والآيات كثيرة والعقل والفطرة تشهد أن العبد مخلوق هو وأفعاله وصفاته وذاته، كلها مخلوقة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والآيات تدل على ذلك ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن الله خالق كل صانع وصنعته»**[1]، أعمالكم وصناعاتكم وكل شيء تعملونه الله خالقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، العبد يفعل بإرادة منحه الله إياها وقدرة منحه الله إياها ومشيئة منحه الله إياها، وكل ذلك مرتبطٌ بمشيئة الله لا يخرج عن مشيئة الله وإرادته وقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالعبد فاعل، هو المصلي وهو المزكي وهو الصائم وهو الزاني وهو السارق وهذه أفعاله، وهو يفعلها باختياره والله خالقه وخالق أفعاله.

والعبد بالضرورة يفرِّق بين الأفعال التي يأتيها طوعًا واختيارًا، وبين الأفعال التي يُكرَه عليها، حتى الحيوانات تعرف هذا وتدركه.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، ص: [٢٦]، وهو حديث صحيح، وقد رواه عدد من العلماء، راجع «الصحيحة» للعلامة الألباني (٤/ ١٨١) حديث [١٦٣٧].

أحد العقلاء يمثل فيقول: إن الكلب إذا رميته بحجر وضربه الحجر ما يذهب يحارب الحجر، بل يحاربك أنت، لأنه يعرف أن الحجر لا اختيار له، أو تضربه بالعصا ما يذهب يحارب العصا، لأنه يعرف أنها ليس لها اختيار، يرى أنك أنت الذي قصدته، فحتى الحيوانات تعرف القصد من غير القصد، وتعرف الإكراه من غير الإكراه، فكيف بالعقلاء؟

والعقلاء بالضرورة يميزون بين الفعل الذي يأتيه الإنسان اختيارًا، وبين الفعل الذي يكون بغير اختياره.

لو قال لك إنسان: ادخل النار، ما تدخل فرماك وأدخلك فيها كرهًا، ما دخلتها باختيارك أليس كذلك؟ فهكذا إذا قال لك: خذ هذه الأموال، تأخذها وأنت متلهف لها فأخذتها باختيارك، وهذا فيه ردٌّ على الجبرية الذين يقولون: إن العباد مجبورون على أفعالهم.

على كل حال، قضية القدر لها دخل في هذه الأحاديث التي تكلمنا فيها، والقضية الثانية: وهي أن أول المخلوقات هل هو العرش أو القلم؟



قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٨٣] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا منجاب بن الحارث قال: أخبرنا ابن مسهر، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إن أول ما خلق الله القلم»(١) وذكر الحديث.

[١٨٤] قال: وأخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي قال: حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام قال: حدثنا المعتمر بن سليمان قال: حدثنا عصمة أبو عاصم، عن عطاء بن السائب، عن مقسم، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إن أول ما خلق الله تَعَالَىٰ من شيء القلم...»(٢) وذكر الحديث.

ولحديث ابن عباس طرق جماعة.

قال محمد بن الحسين: وفي حديث آدم مع موسى حجة قوية أن القرآن كلام الله تَعَالَىٰ، ليس بمخلوق، وسنذكره -إن شاء الله تَعَالَىٰ-.

[١٨٥] قال: وحدثنا أبو العباس عبد الله بن الصقر السكري قال: حدثنا إبراهيم ابن المنذر الحزامي قال: حدثنا عبد الله بن وهب (ح) قال: وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أحمد بن صالح المصري، وأبو الطاهر أحمد بن عمرو قالا: حدثنا ابن وهب (ح) قال: وأخبرنا الفريابي قال: حدثني أبو مسعود أحمد بن الفرات قال: أصبغ بن الفرج قال: حدثنا عبد الله بن وهب قال: حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

....

(١) إسناده صحيح، أبو ظبيان حصين بن جندب ثقة من رجال الجماعة، وكذلك الأعمش وعلي بن مسهر ومنجاب بن الحارث من رجال مسلم.

(٢) فيه عصمة أبو عاصم لا يعرف، وعلى كلٍّ فحديث ابن عباس صحيح، وله طرق عن جماعة، كما قال الإمام الآجري.

قال: يا رب، أرنا آدم الذي أخرجنا من الجنة، فأراه الله تَعَالَىٰ آدم، فقال: أنت أبونا آدم؟ فقال له آدم: نعم، قال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، وأمر ملائكته فسجدوا لك؟ قال: نعم. قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ قال له آدم: ومن أنت؟ قال: أنا موسى قال: أنت نبي بني إسرائيل، أنت الذي كلمك الله تَعَالَىٰ من وراء حجاب، ولم يجعل بينك وبينه رسولًا من خلقه؟ قال: نعم. قال: فما وجدت في كتاب الله تَعَالَىٰ أن ذلك كان في كتاب الله تَعَالَىٰ قبل أن أخلق؟ قال نعم قال: فلم تلومني في شيء سبق من علم الله تَعَالَىٰ فيه القضاء قبلي؟ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذلك: فحج آدم موسى»[(١)].

قال محمد بن الحسين: فإن قال قائل: أين موضع الحجة فيما قلت؟

قيل له: قول آدم لموسى: أنت الذي كلمك الله من وراء حجاب، ولم يجعل بينك وبينه رسولًا من خلقه؟ وإنما كان بينهما الكلام، فدل على أن كلام الله تَعَالَىٰ ليس بمخلوق، إذ قال: «لم يجعل بينك وبينه رسولًا، من خلقه» فتفهموا هذا تفقهوا - إن شاء الله-.

---

(١) حديث صحيح، وقد أورده الآجري من طرق.
أخرجه أبو داود في كتاب «السنة»، حديث [٤٧٠٢]، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، رقم [٤٢١]، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣٤٦) رقم [٢٠٥]، كلهم من طرق مدارها على هشام ابن سعد، قال الحافظ في «التقريب»: «صدوق له أوهام، ورمي بالتشيع»، وقال الحافظ الذهبي في «الكاشف»: «قال أبو حاتم: لا يحتج به، وقال أحمد لم يكن بالحافظ»، ثم قال الذهبي: قلت: «حسن الحديث».
وللعلماء فيه كلام؛ لكن قال الآجري عن أبي داود: «هشام بن سعد أثبت الناس في زيد بن أسلم».
وروايته هنا عن زيد ابن أسلم، فحديثه هذا حسن على أقل تقدير، وله شاهد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في القدر، حديث [٦٦١٤] مختصرًا، وأخرجه مسلم عن أبي هريرة في القدر، حديث [٢٦٥٢] من طرق مختصرًا ومطولًا.

فقد ساق المؤلف: أحاديث القلم «**وأنه لما خلقه قال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كلَّ شيء فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة**».

مقصود المؤلف من هذا: أن يبين أن القلم مخلوق، لأنه أول المخلوقات وكان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد كلَّمه فقال له: «اكتب»، فهذا يدل أن الله تَعَالَىٰ يتكلم قبل خلق القلم، والكلام وصفه، والقلم خلقه، وما جرى به من المقادير في مخلوقاته بأمره تَعَالَىٰ.

فالشاهد: إذا كان أول المخلوقات مخلوق وهو القلم -في نظر المؤلف ومن وافقه- وسبقه كلام الله وأمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيؤخذ من هذا أن كلام الله غير مخلوق، والمخلوقات كانت بقوله، ومنها القلم الذي كتب الله به المقادير والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وهذا استكمال للحجج التي سردها المؤلف قبل هذا الدليل من القرآن الكريم ومن السنة النبوية ومن أقوال السلف الصالح.

من القرآن الكريم ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] إلى آخر الأدلة التي ساقها المؤلف على أن هذا القرآن كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليس بمخلوق، كما تقوله الجهمية والمعتزلة ومن تابعهم في هذا الضلال.

أحاديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ساقها أيضًا كلَّها في إثبات أن القلم أول المخلوقات، وأن كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قبل ذلك، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يخلق المخلوقات بكلامه، فكلامه صفة من صفاته عَزَّ وَجَلَّ كقدرته وسمعه وبصره، وكما أن سمعه وبصره وعلمه وإرادته من صفاته غير مخلوقة فكذلك الكلام.

وذكرنا أنه ساق أدلة كثيرة في إثبات أن القرآن كلام الله وأنه صفته، وأن ما عداه من الكلام ومابعده هي المخلوقات التي خلقها الله بكلامه.

ساق حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من طرق يقوي بعضها بعضًا في إثبات أن القلم أول المخلوقات في نظره، ولكن -كما قلنا غير مرة- إن علماء السنة اختلفوا في أول المخلوقات فمنهم من يقول: القلم ويحتج بهذه الأحاديث، ومنهم من يقول: إن أول مخلوقات الله من هذا الكون هو العرش، والجمهور على هذا الرأي وأيده ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وغيرهم.

والمسألة سهلة، فالذين يتعلقون بخيوط العنكبوت ويقولون: هذا مما اختلف فيه السلف من العقائد، فهذا من التلبيسات والتمويهات، فإنهم جميعًا يؤمنون بأن الله خلق القلم، وأن الله خلق العرش، فكون هذا قبل هذا أو بعده لا يضر -إن شاء الله- إن اختلفوا فيه لا يقدح في العقائد وليس خلافًا في العقيدة.

فرغنا من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الذي يدور حول خلق القلم، وتلاه المؤلف بحجة أخذها من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: يا رب، أرنا آدم الذي أخرجنا من الجنة، فأراه الله تَعَالَى آدم، فقال: أنت أبونا آدم؟ فقال له آدم: نعم، قال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها، وأمر ملائكته فسجدوا لك؟ قال: نعم**».

وهذه مزايا لآدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كون الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له، هذه مزايا عظيمة جدًّا، ومع هذه المزايا فإن أولي العزم أفضل منه،

وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل أولي العزم.

«قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟».

هل يعاتبه على الوقوع في الذنب وهو أكل الشجرة، أو عاتبه على المصيبة التي ترتبت على أكله من الشجرة؟

بعضهم يخطئ في فهم هذا الحديث وفي فهم هذه المحاجة فيقول: إنه لامه على المعصية وعلى الذنب وهو قد تاب منه قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

فكيف يلومه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على ذنب قد تاب منه؟ والصحيح أنه ما لامه على الذنب، وموسى ومن دونه من عقلاء المسلمين أنبل من أن يعاتبوا إنسانًا على ذنب تاب منه، وإنما عاتبه على المصيبة؛ لأنه ترتب على إخراجه من الجنة شيء يراه موسى مصيبة، خرجوا من الجنة إلى هذه الأرض التي فيها المشاكل والمصائب والفتن...

فاللوم ما كان على الذنب، لأن آدم قد تاب منه، وموسى أعرف بالله وبدينه من أن يعاتبه على ذنب تاب منه، ولكن العتاب جاء على المصيبة، هذا ما يُوجَّه به علماء الإسلام هذه المحاجة، قد يفهم بعضنا أن موسى عاتب أباه آدم من أجل أنه أكل من الشجرة، ولماذا ارتكب هذا الخطأ.

وليس مراد موسى ذلك، ولهذا قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة وما قال: لماذا أكلت من الشجرة؟ فهو يقصد المصيبة لا شك.

«قال له آدم: ومن أنت؟ قال: أنا موسى قال: أنت نبي بني إسرائيل -يعني هذه مزايا لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ- **أنت الذي كلمك الله تَعَالَىٰ من وراء حجاب، ولم يجعل بينك وبينه رسولًا من خلقه؟».**

موضع الشاهد من الحديث هو هذا، أن الله كلم موسى بغير واسطة، كلمه بكلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي سمعه موسى من الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا دليل أن الله تكلم كلامًا سمعه موسى، والكلام هذا صفة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وليس بمخلوق، وهذا هو موطن الحجة.

«قال: نعم. قال: أفما وجدت في كتاب الله» يعني: التوراة التي أنزلها الله على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: **«أن ذلك كان في كتاب الله تَعَالَىٰ»**: يعني: في اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير كل شيء.

التوراة أوحاها الله إلى موسى بعد خلق آدم بقرون وقرون وآلاف السنين، وأما هذا الكتاب الذي كتب الله فيه هذا القدر وهذا التقدير على آدم، فهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير كل شيء، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

«قال نعم. قال: فلم تلومني في شيء سبق من علم الله تَعَالَىٰ» يعني: مصيبة، سبق في علم الله تَعَالَىٰ أنني سأخرج من الجنة، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«فحج آدم موسى»** يعني: أقام الحجة عليه وغلبه بهذه الحجة، وهي قوله: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كتب عليَّ هذا الشيء الذي تعاتبني عليه، وهو الخروج من الجنة قبل أن أُخلق فلماذا تعاتبني؟.

الشاهد من الحديث: قوله: **«كلمك الله»** من غير الواسطة، سمعت منه هذا الكلام، وكلامه صفته ليس مخلوقًا بائنًا منه في مكان آخر، كما يقول أهل الضلال وكما يقول المعتزلة والجهمية: إن كلام الله لموسى خلق الله كلامه في الشجرة، فسمعه موسى،

وهو إنما سمع كلام الله الصادر عن الله، وهو الذي تكلم به، ولهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، وهذه قاعدة عند النحويين والبلاغيين، أن التأكيد يرفع احتمال المجاز ويثبت الحقيقة، وهم يقولون كلام الله مجاز فيكذبهم القرآن.

يقول سُبْحَانَهُ: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ فقوله: «**تكليمًا**» مصدر مؤكِّد لفعله الذي هو «**كلَّم**» فهذا التأكيد، تأكيد الفعل بمصدره وهو «**تكليمًا**» فيرفع احتمال المجاز، حتى عند رءوس المعتزلة وغيرهم من القائلين بالمجاز، ولكنهم يكابرون ويعاندون، والأدلة مهما كثرت عند أهل الضلال يقابلونها بالتأويل والتحريف -مع الأسف الشديد-، فلو لم يكن دليل على أن الله يتكلم متى شاء وإذا شاء إلا مثل هذا الدليل ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] لكفى.

هم يقولون كلام خلقه في غيره من المخلوقات بائن منه - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- هل الله يعجز عن الكلام؟

وهل الكلام صفة نقص حتى ينزه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عنه؟

العيُّ الذي هو ضد الكلام، وعدم الكلام هو العيب، والكلام صفة كمال، الذي يتكلم ويبلغ ويأمر وينهى خير من الأبكم الذي لا يقدر على شيء، وأينما وجهته لا يأتي بخير.

الأبكم الذي ضرب الله به المثل في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [النحل: ٧٦].

هل هذا الأبكم الذي لا يستطيع أن يأمر ولا ينهى ولا يبين عما في نفسه، هل هو خير أو ذلك الذي يأمر بالعدل فيسعد الناس بأوامره، وتستقر الحياة ويسود الأمن والخير والسلام، وهو مع ذلك عنده قوة تحمي هذا العدل؟

فالله كذلك يأمر بالعدل ويأمر بالإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويتكلم ويرسل الرسل وينزل الكتب ويشرع الشرائع ويخلق الخلق بكلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فعندما يقولون: إنَّ الله لا يتكلم، ما معنى هذا؟ هذا غاية التنقص.

يريدون أن ينزهوه فوقعوا في شَرٍّ مما فرُّوا منه، لأن الكلام عندهم عرض، والعرض لا يقوم إلا بجسم، والله ليس بجسم، إلى آخر الفلسفات الفاسدة الخبيثة[1] التي نشأ عنها تعطيل صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بما في ذلك السمع والبصر والقدرة والإرادة والكلام عند المعتزلة والجهمية، وإلى تعطيل الصفات الاختيارية عند الأشعرية والكلابية -مع

---

(١) قال الشيخ ربيع في كتاب «التنكيل بما في لجاج أبي الحسن من الأباطيل»: «مثل لفظ المماسة وعدمها ولفظ الجسم والجوهر والعرض وأمثالها مما يقوله المتكلمون ومن جرى مجراهم من أهل الأهواء لا نطلقها على الله ولا ننفيها». ثم نقل إنكار بعض أهل العلم على من أطلق لفظ المماسة، ونقل جوابًا صدر منه على اشتباه حصل لبعض الأفاضل في قول بعض الناس: «إن الله مستو على العرش من غير مماسة»، حاصله أنه لا يجوز إطلاق هذا اللفظ نفيًا أو إثباتًا، ثم قال: «والحق هو اقتفاء الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة في أمور الدين كلها ولا سيما باب أسماء الله وصفاته فلا نثبت لله إلا ما أثبته كتاب الله وسنة رسوله ولا ننفي إلا ما نفاه كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». من كتاب «التنكيل بما في لجاج أبي الحسن من الأباطيل» للمؤلف.

وانظر: «شرح حديث النزول» - المكتب الإسلامي، ط: [٥]، ص: (٧٦-٧٩)، و«منهاج السنة النبوية» (٢/ ٢٢٤ - ٢٢٥)، و«درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٢٢٨-٢٤٢) ثلاثتها لابن تيمية، و«الصواعق المرسلة» لابن القيم (٣/ ٩٣٩-٩٤٩)، و«تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة» للشيخ سليمان بن سحمان، ص: (٦-١٦)، وص: (٢٨-٣١).

الأسف- وهي الكلام والاستواء على العرش والرضا والغضب والضحك والنزول والمجيء يوم القيامة، هذه كلها يعطلونها لماذا؟



١٨٦- قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وحدثنا ابن مخلد قال: حدثنا أبو داود قال: سمعت إسحاق بن راهويه، وهناد بن السري، وعبد الأعلى بن حماد، وعبيد الله بن عمر، وحكيم بن سيف الرقي، وأيوب بن محمد، وسوار بن عبد الله، والربيع بن سليمان -صاحب الشافعي- وعبد الوهاب بن عبد الحكم، ومحمد بن الصباح، وعثمان ابن أبي شيبة، ومحمد بن بكار بن الريان، وأحمد بن جواس الحنفي، ووهب بن بقية، ومن لا أحصيهم من علمائنا، كل هؤلاء سمعتهم يقولون: «القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وبعضهم قال: غير مخلوق».

قال محمد بن الحسين: فما ذكرت من هذا الباب بلاغ لمن عقل وسَلِمَ له دينه، والله الموفق لكل رشاد.

بعد أن نقل الآجري الأدلة من كتاب الله ومن سنة الرسول ﷺ ومن كلام السلف الصالح نقل عن العلماء الذين أدركهم: الإمام أبو داود السِّجستاني صاحب السنن وغيرها، وصاحب أحمد بن حنبل، يقول: سمعت إسحاق بن راهويه، وهناد بن السري، وعبد الأعلى بن حماد، وعبيد الله بن عمر، وحكيم بن سيف الرقي، وأيوب بن محمد، إلى آخر الأسماء التي سردها في هذه الخاتمة لهذا الفصل أنهم كانوا يقولون: «القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وبعضهم قال: غير مخلوق» والمعنى واحد.

نفي هذه الصفة عن كلام الله وتنزيه كلام الله أن يكون مخلوقًا، وذلك كله ردٌّ على الجهمية ومن تابعهم الذين يقولون: أن القرآن مخلوق.

وقوله: فيما ذكرنا بلاغ: معناه أن هناك أدلة وأقوال أخرى للأئمة لم أذكرها، لكن هذا يكفي لأنه يوجد كلام ونقول عن أئمة كثيرين: أن هذا القرآن كلام الله، وأنه غير مخلوق، وبعض هذا مما ساقه يكفي النبيل الطالب للحق، وأما الذي لا يطلب الحق

....

فيصدق عليهم قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١]، فهذه من صفات المعاندين كافرين أو مبتدعين.

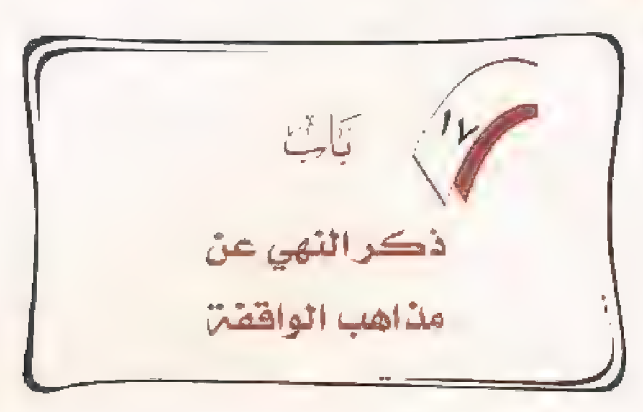
﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٥]، فلو جاءهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكل آية ما تبعوا قبلته، وهم يعلمون أنه رسول الله حقًّا، ويعرفون هذا تمام المعرفة كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم يعاندون ويكابرون ويتمادون في باطلهم فأخزاهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الدنيا والآخرة ولعنهم، وعذاب الآخرة الخالد ينتظرهم -نسأل الله العافية-، ولهذه الفرق الضالة نصيب من هذا الوعيد؛ لأن هذه الفرق الضالة كلها في النار إلا واحدة، وهي التي قال عنها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«هي من كان على ما أنا عليه وأصحابي»**[1].

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.



---

(١) سبق تخريجه.



قال محمد بن الحسين:

وأما الذين قالوا: القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ووقفوا، وقالوا: لا نقول غير مخلوق، فهؤلاء عند كثير من العلماء ممن ردَّ على من قال بخلق القرآن، قالوا: هؤلاء الواقفة مثل من قال: القرآن مخلوق وأشرُّ، لأنهم شكوا في دينهم، ونعوذ بالله ممن يشك في كلام الله عَزَّوَجَلَّ أنه غير مخلوق.

وأنا أذكر ما تأدى إلينا منه ممن أنكر على الواقفة من أهل العلم.

[١٨٧] حدثنا ابن مخلد قال: حدثنا أبو داود السجستاني قال: «سمعت أحمد ابن حنبل سُئل: هل لهم رخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله تَعَالَىٰ، ثم يسكت؟ فقال: ولمَ يسكت؟ ولولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا، لأي شيء لا يتكلمون؟»[١].

قال محمد بن الحسين: معنى قول أحمد بن حنبل في هذا المعنى، يقول: لم يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ، فلما جاء جهم فأحدث الكفر بقوله: إن القرآن مخلوق، لم يسع العلماء إلا الرد عليه بأن القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ

....

(١) إسناده صحيح، ابن مخلد شيخ أبي داود ثقة، وأبو داود إمام.

غير مخلوق بلا شك، ولا توقف فيه، فمن لم يقل: غير مخلوق سُمي واقفيًا شاكًّا في دينه.

[١٨٨] وحدثنا ابن مخلد قال: حدثنا أبو داود قال: «سمعت أحمد وذكر رجلين كانا وقفا في القرآن، ودعوا إليه، فجعل يدعو عليهما وقال لي: هؤلاء فتنة عظيمة، وجعل يذكرهما بالمكروه»[(١)].

قال أبو داود: رأيت أحمد سَلَّم عليه رجل من أهل بغداد، ممن وقف فيما بلغني فقال له: «أغرب، لا أراك تجيء إلى بابي، في كلام غليظ، ولم يرد عليه السلام، وقال له: ما أحوجك أن يصنع بك كما صنع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بصبيغ، ودخل بيته ورَدَّ الباب».

١٨٩- حدثنا ابن مخلد قال: حدثنا أبو داود قال: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: «من قال: لا أقول القرآن غير مخلوق فهو جهمي»، قال أبو داود: وسمعت قتيبة بن سعيد: وقيل له الواقفة، فقال: «هؤلاء الواقفة شرٌّ منهم، يعني ممن قال: القرآن مخلوق».

قال أبو داود: وسمعت عثمان بن أبي شيبة يقول: «هؤلاء الذين يقولون: القرآن كلام الله ويسكتون شرٌّ من هؤلاء»، يعني ممن قال: القرآن مخلوق.

قال أبو داود: وسألت أحمد بن صالح: عمن قال: القرآن كلام الله، ولا يقول غير مخلوق، ولا مخلوق؟ فقال: «هذا شاك والشاك كافر»[(٢)].

---

(١) إسناده صحيح.

(٢) إسناده صحيح، رواه الخلال في «السنة» [١٨٠٣]، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» [٧٧] من طريق أبي داود عن إسحاق بن راهويه مثله.

=

١٩٠- وحدثنا ابن مخلد قال: حدثنا أبو داود قال: سمعت أحمد بن إبراهيم، يقول: سمعت محمد بن مقاتل العبَّادني وكان من خيار المسلمين يقول في الواقفة: «هم عندي شرٌّ من الجهمية»(١).

١٩١- حدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا الفضل بن زياد قال حدثنا أبو طالب قال: سألت أبا عبد الله عمن أمسك فقال: لا أقول: ليس هو مخلوقًا، إذا لقيني في الطريق وسلَّم علي، أسلِّم عليه؟ قال: «لا تسلِّم عليه ولا تكلمه، كيف يعرفه الناس إذا سلَّمت عليه؟ وكيف يعرف هو أنك منكر عليه؟ فإذا لم تسلِّم عليه عرف الذل، وعرف أنك أنكرت عليه وعرفه الناس»(٢).

١٩٢- حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي بزَّة قال: سمعت المؤمل بن إسماعيل يقول: «القرآن كلام الله وليس بمخلوق».

....

= ورواه الخلال في «السنة» [١٨٠٧]، وابن بطة في «الإبانة» [٧٨] من طريق أبي داود عن قتيبة بن سعيد مثله.

ورواه الخلال في «السنة» (١٨٠٧، ١٨٠٩)، وابن بطة في «الإبانة» [٧٩] كلاهما من طريق أبي داود، وعبد الله بن أحمد في «السنة» [١٦٤] كلاهما، عن عثمان بن أبي شيبة مثله.

ورواه الخلال في «السنة» [١٨١٠] وابن بطة في «الإبانة» [٨٠] كلاهما من طريق أبي داود عن أحمد بن صالح مثله.

(١) إسناده صحيح، رواه الخلال في «السنة» [١٨١١]، وابن بطة في «الإبانة» [٨١] كلاهما من طريق أبي داود عن أحمد بن إبراهيم به مثله.

(٢) في إسناده الفضل بن زياد صاحب الإمام أحمد، كان من المتقدمين عند أحمد، وكان أحمد يعرف قدره ويكرمه، وقد سبقت ترجمته.

قال ابن أبي بزَّة: من قال: القرآن مخلوق، أو وقف، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق، أو شيء من هذا، فهو على غير دين الله تَعَالَىٰ، ودين رسوله حتى يتوب[1].

سبق أن تحدث المؤلف عمن يقول إن القرآن مخلوق، وبيّن ضلالهم وبيّن مخالفتهم لنصوص الكتاب والسنة ومخالفتهم لمنهج السلف الصالح، ولما قرروه في هذه القضية بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وكان السلف يقررون أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ويقصدون بهذه الإضافة -غير مخلوق- أنه صفة من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وصفات الله الثابتة في كتابه وفي سنة نبيه ليست مخلوقة، وأن الله ليس كمثله شيء لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقد انتهى هذا الفصل بأدلته وبراهينه، وانتقل الآن في الرد على صنف من الناس يقولون القرآن كلام الله، ولكنهم يتوقفون فيقال لهم: قولوا القرآن غير مخلوق، فيقولون: ما نستطيع أن نقول غير مخلوق، لأن هذا ما كان يقوله السلف مثلًا هذه شبهتهم، قال أحمد: هؤلاء ليس لهم حق أن يسكتوا كيف يسكتون وقد قال الناس: إن القرآن مخلوق، والآن هذا الذي يقول: القرآن مخلوق، يقول: القرآن كلام الله، هذا الجهمي أو المعتزلي الذي يقول: القرآن مخلوق يقول: إن القرآن كلام الله، ولكنه يريد معنًى خبيثًا أنه مخلوق كناقة الله وبيت الله ومثل سماء الله ومثل أرض الله ومثل هذه المخلوقات، فما الفرق بينه وبين هذا الجهمي الذي يقول القرآن مخلوق، ويتظاهر أحيانًا بالقول بأن القرآن كلام الله.

---

(١) أثر المؤمل بن إسماعيل في إسناده أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي بزة، قال فيه أبو حاتم: ضعيف الحديث لا أحدث عنه. وقال العقيلي: منكر الحديث. وقال الذهبي: لين الحديث. «ميزان الاعتدال» (١/ ١٤٤). أما قول ابن أبي بزة فهو صحيح عنه.

إذن لابد من الفيصل، ولابد من الفارق بين الذي يدين الله حقًّا وصدقًا وظاهرًا وباطنًا، بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لابد من الفرق الواضح ولا يحصل هذا الفرق ولا يحصل هذا التميز إلا بأن يضيف الموحِّد المخلص إلى قوله: القرآن كلام الله، لابد أن يضيف عبارة «غير مخلوق»، لأنه بذلك يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، ولابد من التميز بين أهل الهدى وأهل الضلال.

فإن الجهمي الخبيث يقول: القرآن كلام الله، ولكنه يُسرِّب فكره في الناس إلى أن يقنعهم بأن كلام الله -وهو هذا القرآن مخلوق-، لأن هؤلاء معروفون بالمكايد وبالتلبيس وبالحيل، فلابد من سَدٍّ منيع يحول بينهم وبين ما يريدون، ويصدُّهم عن هذه المكايد، ما هو هذا السد؟ هو أن يقول السني الصادق: «القرآن كلام الله غير مخلوق» فنقطع عليهم الطريق، ونضع في وجوههم السدود، وهذا من فقه أحمد وفقه إخوانه، وهذا من نصحهم -رضوان الله عليهم- وهذا من باب: «لَستُ بِالخِبِّ وَلَا الخِبُّ يَخدَعُنِي».

وأمثال هؤلاء في كل زمان دائمًا، كثير من الناس يتظاهرون بمذهب أهل السنة ولا يتظاهر أهل السنة بالمذاهب الأخرى، فكثيرٌ في عصرنا هذا من يقول: بأنه سلفي، ولكنه يكيد للمنهج السلفي وأهله تحت هذا الستار، فلابد أن يتميَّز إذا كان سلفيًّا من أن يشابه أهل الضلال والبدع في كلامهم ومواقفهم، كما كان موقف أسلافنا من أهل البدع والضلال، ويضعون المميِّزات للمؤمن الصادق من المبتدع الضال، وقد يكون هذا المبتدع كافرًا.

كان السلف يحكمون في وقتهم على الجهمية بأنهم كفار، لأن الحق واضحٌ كالشمس وهم يعرفون لغة العرب، ويتلقَّون العلم من العلماء ثم ينبري هؤلاء الضالون بمثل

هـذه البدع، فلا يكون لهم عذرٌ، ويرى السـلف أنهم قد قامـت عليهم الحجة فيُكَفِّرُونهم وكَفَّرُوهـم بالقـول بخلق القرآن، وربـما حصل التكفير بعد مناظـرات ومناظرات وبعد قيام الحجة.

الشـاهد: يجب أن نفقه هذا يا إخوة من أنه لابد من تميز أهل السـنة من أهل البدع، وأن السـلف لما أحدث أهل البدع بدعهم كان لهم ما يميزهم من الاستمسـاك بالكتاب والسـنة والدعـوة إلى ذلك، ومحاربة أهل البـدع وهجرانهم ومقاطعتهـم وحماية المجتمع عنهم بشتى الوسائل التي تحمي المجتمعات من غيِّهم وشرِّهم.

في هـذا الباب قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الذين قالوا: القرآن كلام الله ووقفوا عند هذا» فلم يقولوا: غير مخلوق، وهي العبارة التي يتميز بها أهل السنة عن الجهمية.

فما الذي يمنعهم أن يأتوا بهذه العبارة التي تميزهم عن أهل الضلال الجهمية؟

فالجهمية يشاركونهم في القول بأن القرآن كلام الله، وأنت تقول كلام الله والجهمية يقولون كلام الله، ما الفرق بينك وبينهم؟ ما الذي يمنعك أن تقول: القرآن كلام الله غير مخلـوق، والجهمي في نفس الوقـت يقول: القرآن كلام الله ومخلـوق، وكما يجب أن يتميز المسـلم عن الكافـر في مظهره وفي مأكله وفي مشربه، كذلك يتميـز في منطقه ودعوته عن أهل الضلال وأهل البدع، لابد أن يتميز في منطقه وكلامه ودعوته ومواقفه.

الآن بعض الناس ينتسـبون للدعوة السلفية، لكنهم عندهم منهج تمييعي، وهؤلاء مثـل الواقفة، أخطر من المبتدعة على المنهج السـلفي، لأن هـؤلاء يتأثر بهم الناس، لماذا؟ لأن خطرهـم أشـد، وقد قالـوا في أهل البدع: إنهم أضر على الإسـلام من الملاحدة ومن

الكفار من اليهود والنصارى، لماذا؟ لأن الناس يعرفون أن هذا ملحد وهذا نصراني وهذا يهودي، فلا يقبلون منهم شيئًا؛ لأنهم لا يثقون بهم.

ولكن هذا المبتدع الذي يلبس لباس الإسلام، وقد يتظاهر بالسنة، هذا خطيرٌ جدًّا وآثاره مدمِّرة في حياة المسلمين، ومن هنا قال السلف وعددٌ كثيرٌ ومنهم: أبو الفضل الهمداني وابن عقيل وابن الجوزي وابن تيمية والشوكاني، هؤلاء بفقههم ونفاذ بصيرتهم أدركوا أخطار أهل البدع، ولمسوا آثارهم في حياة المسلمين، فقالوا هذه الحكمة: إنهم شرٌّ على الإسلام والمسلمين من اليهود والنصارى[1].

والآن عندما يأتي بعضهم يحامي عن أهل البدع، ويسميهم أئمة هدى ويقول لك قرأت كتبهم كلها!! كتبهم مليئةٌ بالضلال والبدع الأصولية والفروعية، ثم يقول عنهم أئمة هدى وهو يدَّعي السلفية، هذا أخطر من أهل البدع الواضحة، أخطر وأشد بكثير وكثير، وله آثار في أوساط خلاصة المسلمين.

قوله: «وقالوا: لا نقول: غير مخلوق».

يقال له: ما الذي يمنعك؟ أحرام أن تقول غير مخلوق؟! هذا الورع الكاذب هم يدعون الورع لكن ورعهم كاذب، وقد يكون من وراء هذا الورع الكاذب نوايا سيِّئة، ومن هنا لم يُحسن بهم الظن أهلُ السنة والجماعة.

لقد وقف جماعة وحكم عليهم السلف بأنهم من أهل الضلال.

---

(١) انظر «الموضوعات» لابن الجوزي (١/ ٥١)، و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٨/ ٢٣١-٢٣٢)، و«فتح القدير» للشوكاني (٢/ ١٨٦).

....

أتدرون ممن حُكم عليه بالضلال؟ منهم والله من هو من أئمة العلم توقفوا، فقال أحمد إنهم ضُلَّال وأيده علماء السنة، فاقرءوا كتب التراجم واقرءوا في ترجمة يعقوب بن شيبة، حيث سرد الذهبي عددًا من المتوقفين، فقال: «قال أحمد بن كامل القاضي: كان يعقوب بن شيبة من كبار أصحاب أحمد بن المُعذَّل والحارث ابن مسكين فقيهًا سريًّا وكان يقف في القرآن.

قلت: أخذ الوقف عن شيخه أحمد المذكور، وقد وقف عليٌّ بن الجعد ومصعب الزبيري وإسحاق بن أبي إسرائيل وجماعة، وخالفهم نحو من ألف إمام، بل سائر أئمة السلف والخلف على نفي الخليقة عن القرآن وتكفير الجهمية -نسأل الله السلامة في الدين-.

قال أبو بكر المروذي: أظهر يعقوب بن شيبة الوقف في ذلك الجانب من بغداد، فحذَّر أبو عبد الله منه، وقد كان المتوكل أمر عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان أن يسأل أحمدَ ابن حنبل عمن يُقلِّدُ القضاء، قال عبد الرحمن: فسألته عن يعقوب بن شيبة، فقال: متبدع صاحب هوى.

قال الخطيب: «وصفه أحمد بذلك لأجل الوقف»[1].

ونحن نقول الآن كثيرٌ من هؤلاء قنطرة إلى أهل البدع هذا المذهب -مذهب الواقفة- هو قنطرة إلى مذهب الجهمية إلى التجهم، ونقول الآن في كثير من المنتسبين إلى أهل السنة والحديث، وهم معروفون وقد رددنا عليهم -والحمد لله- إنهم قنطرة خطيرة إلى جرِّ الناس إلى البدع، فليحذر الناس منهم، فهناك شَبَهٌ كبيرٌ بينهم وبين هؤلاء في بوائقهم وفي دوافعهم وفي حيلهم.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٤٧٨).

«قال: فهؤلاء عند كثير من العلماء ممن ردَّ على من قال بخلق القرآن».

أي: علماء السنة هم الذين يردون على من يقول بخلق القرآن.

«وقالوا: هؤلاء الواقفة».

يقولون القرآن كلام الله، لكن يرفضون أن يقولوا: غير مخلوق.

«قالوا: هؤلاء الواقفة: مثل من قال: القرآن مخلوق وأشر؛ لأنهم شكوا في دينهم».

لو كان مستيقنًا أن القرآن كلام الله غير مخلوق لما توقف في قوله غير مخلوق، فهذا دليلٌ على أنهم شاكُّون وأنهم متأثرون بمناهج الجهمية.

«ونعوذ بالله ممن يشك في كلام الرب: إنه غير مخلوق».

نعوذ بالله من ذلك.

ثم سرَدَ بعد هذا التفصيل لمذهب أهل السنة وموقفهم ممن يقول القرآن كلام الله، ثم يسكت أنهم قالوا فيهم: إنهم مثل من الجهمية وشرٌّ منهم.

الآن يسرد لنا أقوالهم ومواقفهم بالتفصيل.

١٨٧ - **قال: حدثنا ابن مخلد -محمد بن مخلد العطار ثقة- قال: حدثنا أبو داود السجستاني -وهو الإمام صاحب السنن وغيرها من المؤلفات- قال: «سمعت أحمد يُسأل: هل لهم رخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله، ثم يسكت؟ فقال: ولِمَ يسكت؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت».**

يعني: قبل أن تحدث هذه الفتنة وهذه البدعة الكفرية كان يسعه أن يقول القرآن كلام الله ويسكت؛ لأنه ليس هناك مشكلة، ليس هناك فتنة، والآن لابد من درء هذه الفتنة

التي نزلت بالمسلمين، فلا يكفي أن تقول: القرآن كلام الله، وهؤلاء الذين يقولون القرآن مخلوق يقولون القرآن كلام الله مثلك، هل يكفي أن تقول القرآن كلام الله وتسكت؟ لا، لا يسعك السكوت ولا رخصة لك أبدًا، ويجب أن تأخذ بالعزيمة وتصدع بالحق وترد الفتنة بقولك القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال: «لولا ما وقع فيه الناس»: وقد وقعت فتنة القول بخلق القرآن ووقع الناس فيها، وهذه كارثة في الأمة وكارثة في الدين، هل هناك مخرج من هذه الفتنة؟ نعم هناك مخرج ولابد منه، وهو أن نقول ما ندين الله به من أن كلام الله غير مخلوق عند من يقول القرآن مخلوق، ويدعو إلى ذلك ويؤلِّف الكتب، ونحن نقتصر على قول: «القرآن كلام الله» هو يقول مثلك: «القرآن كلام الله» ما هو الفرق بينك وبينه؟ ما هو الفيصل بين الإيمان والكفر وبين الهدى والضلال؟

هل الإسلام يمنع من محاربة الضلال؟! إذن يجب أن يُحمى الناس من أهل البدع والضلال ومن دعوتهم إلى الضلال.

لله درُّ أحمد ما أفقهه، ولهذا سمَّاه الناس إمام أهل السنة، وهو إمام حقًّا، ولهذا ترى أئمة السنة من بعده يقولون: هذه المسألة لا نعرف فيها نصًّا، ولكن إمامنا أحمد له فيها كلام[1]، لأنه عرف الشريعة وعرف مقاصدها وعرف الوسائل التي يجب استخدامها لنشر هذا الدين وحمايته، ووقف كالجبل الأشم في وجه هذه الفتنة حتى دفع الله به هذه الفتنة عن الأمة الإسلامية، وشبهوه بأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا كان يوم الرِّدة فأزاح

---

(١) انظر: «صريح السنة» لابن جرير الطبري، ص: (٢٥ - ٢٦)، ط: دار الخلفاء.

....

الله به فتنة أهل الردة عن الأمة الإسلامية، وأزاح الله بأحمد: هذه الفتنة وهذه المحنة التي نزلت بالأمة[١].

لولا الله ثمَّ هذا الموقف من هذا الإمام، لفُتن الناس.

هذا هو الفقه ليست ببلادة ولا جمود، ولكن حيث تكلموا في هذه القضية ما الذي يمنعهم أن يردوا الباطل بهذه الكلمة غير مخلوق، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[٢] هل هؤلاء العلماء لا يستطيعون أن يقولوا هذه الكلمة وهي ترد منكرًا وترد فتنة؟!

ليس لهم عذر، فكان عليهم أن يحاربوا هذه الفتنة بقولهم: القرآن كلام الله غير مخلوق، فيتميَّزون عن أهل البدع والضلال.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «معنى قول أحمد بن حنبل في هذا المعنى يقول: لم يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام الله تَعَالَى، فلما جاء جهم بن صفوان فأحدث الكفر بقوله: القرآن مخلوق، لم يسع العلماء إلا الرد عليه. بأن القرآن كلام الله غير مخلوق بلا شك».

لأن مقتضى قولهم إن القرآن مخلوق، فيه إبطال الرسالة، لأن أهل السنة لما واجهوهم بالحجج القوية في أن القرآن كلام الله غير مخلوق، قالوا: ونحن نقول القرآن كلام الله، هل قضينا على فتنتهم؟

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٦١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه «الإيمان»، حديث [٤٩].

كيف نقضي على فتنتهم وكيف نقيم عليهم الحجة؟ لابد من هذا البيان وترك الإجمالات والكلام الفارغ.

«فأحدث الكفر بقوله: القرآن مخلوق، لم يسع العلماء إلا الرد عليه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق بلا شك».

والذي يقف هو شاكٌّ، الذي لا يقول القرآن كلام الله غير مخلوق، هذا لا شك أنه شاك، ولو كان عنده عقيدة ثابتة وراسخة في نفسه في أن القرآن كلام الله غير مخلوق لصدع بها، ولكن توقفه قرينةٌ على أنه لا يشارك أهل السنة في هذا الإيمان وفي هذا اليقين الراسخ بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن كلامه صفة من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالذي دفعه إلى التوقف: هو عدم اليقين أن هذا الكلام كلام الله وكلامه صفة من صفاته الثابتة التي تليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصفاته غير مخلوقة.

وذكر قولًا آخر لأحمد:

١٨٨ - قال: «حدثنا ابن مخلد قال: حدثنا أبو داود قال: سمعت أحمد: وذكر رجلين كانا وقفا في القرآن، ودعوا إليه».

دعوا إلى التوقف، لو ابتدعا في أنفسهما وسكتا ولم يدعوا لهانت المصيبة، ولكن المصيبة أنهما توقفا ودعوا إلى هذه العقيدة الفاسدة -عقيدة الشكاك، بل عقيدة الجهمية- فكيف يتعامل معهم أحمد وكيف يجب على غيره أن يتعامل معهم؟

«فجعل يدعو عليهما وقال لي -يعني: لأبي داود-: هؤلاء فتنة عظيمة، وجعل يذكرهما بالمكروه».

لأن الذين يقفون -والله- قنطرة إلى التجهم، فالذين يتبعونهم يوشك بعد قليل أن يقعوا في هوتهم، ويسهل عليهم هذا السقوط في هوة التجهم، لأنهم شاكون في قول القرآن كلام الله غير مخلوق، فمن السهل أن يسقطوا في هوتهم.

فقال أحمد: «هذه فتنة عظيمة» وصفها بأنها عظيمة، وهذا يدل على إدراك أحمد ووعيه وفقهه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلى حمايته لدين الله عَزَّ وَجَلَّ من أن يتسرب إليه شرٌّ في حياته: وكان يقف مثل هذه المواقف الحاسمة.

«قال أبو داود: ورأيت أحمد سلَّم عليه رجل من أهل بغداد، ممن وقف فيما بلغني»: بلغه أن هذا الرجل وقف في القرآن، يقول: القرآن كلام الله، لكن ما يقول غير مخلوق ليقمع الفتنة ويقف في صف أهل السنة، لأن هذه من المشاقة.

المسلمون في فتنة والمعارك تدور بينهم وبين أهل البدع، وأنت تقف بين بين، هذا بلاءٌ وفتنة عظيمة.

«فقال له: اغرب، لا أراك تجيء إلى بابي».

وهذا من هجران أهل البدع وإهانتهم، وهو أمر مطلوب، وكيف سيكون مصيره عند أهل السنة إذا عامله أحمد بهذه المعاملة، سينتهي تمامًا.

إذا تكلم أحمد في شخص سقط، وكان إذا تكلم عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن القطان في رجل لا تقوم له قائمة، إذا اجتمعا على راوٍ أو مبتدع، فجرحاه لا يندمل هذا الجرح، ولا يُقبَل عند الناس، وأحمد بمفرده إذا جرح شخصًا جُرحه لا يندمل.

«وقال له: ما أحوجك أن يصنع بك ما صنع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بصبيغ ودخل بيته ورد الباب».

لـو كان عند الإمام أحمد منصب خلافة لفعل بـه مثل فعل عمر بصبيغ، كيف فعل عمر في صبيغ؟

ضربه وأودعه في السـجن، ثم دعاه مرة ثانية وأودعه في السـجن، ودعاه مرة ثالثة وضربـه وأودعه في السـجن، وفي الثالثة لما دعاه قال: يـا أمير المؤمنين ماذا تريد، إن كنت تريـد أن يخرج ما في رأسي فوالله قد خرج، أي: الشُّـبه التـي كانت في دماغه قد خرجت، كان يسـأل عن معاني بعض الآيات، هذه بدعته، إذا قستها بالبدع الموجودة الآن صارت ليست بشيء، لكن ذلك السد المنيع في وجه الفتن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عامل صبيًغا هذه المعاملة وضربـه وأودعه السـجن، ثم ضربه وأودعه السـجن، ثم أخرجه وضربـه فقال: يا أمير المؤمنين إن شـئت أن يخـرج ما في رأسي فوالله قد خرج، وإن أردت قتلي فأحسـن قتلتي، فصار يتمنى الموت من شدة ما لاقاه من عقاب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

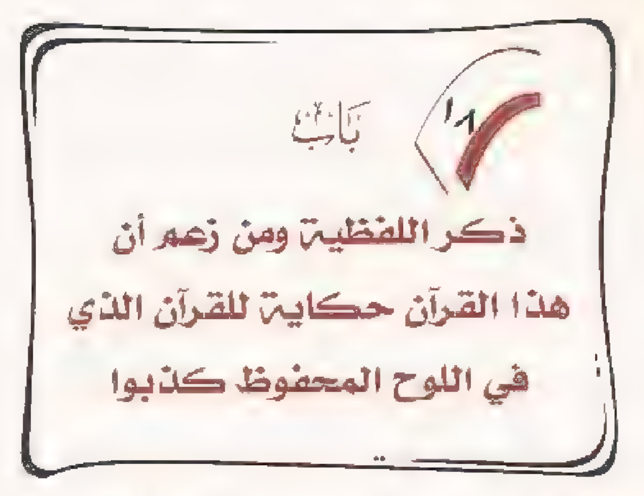
ثم بعد هذه المعاملة نفاه إلى العراق وأمر الناس بهجرانه وعدم مجالسته، وكان سيِّدًا في قومـه، ومـع ذلك صار كالجمـل الأجرب لا يقربه أحد، فإذا أراد أحد أن يسـلم عليه قالـوا: عزمة أمـير المؤمنين، فهُجر سـنةً كاملة، وبعد هذه المدة كتب أبو موسـى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وكان أميرًا على البصرة أو الكوفة- إلى أمير المؤمنين: إن فلانًا قد حسنت حاله وظهرت توبته، فقال: الآن دع الناس يكلمونه.

قال أحمد: «ما أحوجك إلى أن يصنع بك ما صنع عمر بن الخطاب بصبيغ» يشير إلى هذه العقوبة وذنبه لا شيء بالنسبة لذنب هذا الواقف الناس في محنة وأنت تتظاهر بالورع وتظهر للناس بمظهر المتورع الزاهد.

مثل ما يفعل الآن بعض المبطلين بالورع من الجرح والتعديل فيتظاهر بالورع، هذه الأصناف وجدَت في كل مكان، ووجدت في عهد أحمد، لكن الله حمى هذا الدين وصانه بهؤلاء الأئمة الذين ينصحون للناس ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويبيِّنون أهل العدالة والكفاءة الذين يصلحون لحمل دين الله وتبليغه، ويبيِّنون الآخرين الذين لا يصلحون لحمل دين الله ولا تبليغه، ولا يؤتمنون عليه من أهل البدع وغيرهم، يبيِّنون حالهم نصحًا لله وجهادًا في سبيل الله وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، ذلكم الأمر المشروع الذي لا يقوم الدين إلا به.

وهذا الموقف من أحمد تجاه هذا الرجل تمنى أن يجد قوة فيعامله معاملة عمر، ولكن ليس لديه سلطان، لذا قال: «ما أحوجك أن يصنع بك ما صنع عمر بصبيغ» وهكذا نقول الآن لهؤلاء من هذه الأصناف: ما أحوج هؤلاء أن يُصنع بهم ما صنع عمر بصبيغ، بل أشد مما صنع عمر بصبيغ.





باب ١٨

ذكر اللفظية ومن زعم أن هذا القرآن حكاية للقرآن الذي في اللوح المحفوظ كذبوا

قال محمد بن الحسين: احذروا - رحمكم الله - هؤلاء الذين يقولون: إن لفظه بالقرآن مخلوق، وهذا عند أحمد بن حنبل، ومن كان على طريقته منكر عظيم.

وقائل هذا مبتدع، يجتنب ولا يكلم، ولا يجالس، ويحذر منه الناس، لا يعرف العلماء غير ما تقدم ذكرنا له، وهو أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فقد كفر، ومن قال: القرآن كلام الله ووقف فهو جهمي، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، كذا قال أحمد بن حنبل، وغلظ فيه القول جدًّا، وكذلك من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فقد ابتدع وجاء بما لا يعرفه العلماء، كذلك قال، وغلظ القول فيه أحمد بن حنبل جدًّا.

وكذلك من قال: إن هذا القرآن الذي يقرؤه الناس وهو في المصاحف حكاية لما في اللوح المحفوظ، فهذا منكر، ينكره العلماء، يقال لقائل هذه المقالة: القرآن يكذبك ويرد قولك، والسنة تكذبك وترد قولك، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، فأخبر الله تعالى: إنه إنما يستمع الناس كلام الله تعالى، ولم يقل: حكاية كلام الله.

....

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، **فأخبر أن السامع إنما يسمع القرآن، ولم يقل: حكاية القرآن.**

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١ - ٢].

ولم يقل يستمعون حكاية القرآن، ولا قالت الجن: إنا سمعنا حكاية القرآن، كما قال من ابتدع بدعة ضلالة، وأتى بخلاف الكتاب والسنة وبخلاف قول المؤمنين وقال تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠].

قال محمد بن الحسين: وهذا في القرآن كثير لمن تدبره، وقال ﷺ: «إن الرجل الذي ليس في جوفه من القرآن شيء، كالبيت الخرب»[1].

وقال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[2].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (١/ ٢٢٣)، والدارمي في مسنده، (٢/ ٣٠٨) رقم[٣٣٠٩]، والترمذي حديث [٢٩١٣]، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٧٢)، وهو حديث ضعيف؛ في إسناده قابوس بن أبي ظبيان، وضعَّفه الألباني في «ضعيف الترمذي» [٥٥٧].

(٢) أخرجه البخاري في «فضائل القرآن»، حديث [٥٠٢٧]، وأيضًا [٥٠٢٨] نحوه، وأبو داود، حديث [١٤٥٢]، وابن ماجه، حديث [٢١١]، وغيرهم.

وقال: «مثل القرآن كمثل الإبل المعقلة، إن تعاهدها صاحبها أمسكها، وإن تركها ذهبت»(١).

وقال ﷺ: «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو»(٢).

وفي حديث آخر: «لا تسافروا بالمصاحف إلى العدو، فإني أخاف أن ينالوها».

وقال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار»(٣).

وقال ﷺ: «إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألف عام، فلما سمعت الملائكة القرآن، قالوا: طوبى لأمة ينزل عليهم هذا، وطوبى لألسن تتكلم بهذا، وطوبى لأجواف تحمل هذا»(٤).

وقال ابن مسعود: «تعلموا القرآن واتلوه، فإن لكم بكل حرف عشر حسنات»(٥).

....

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في «فضائل القرآن»، حديث [٥٠٣١]، ومسلم في «صلاة المسافرين»، حديث [٧٨٩]، وأخرجه غيرهما.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في «الجهاد»، حديث [٢٩٩٠]، ومسلم في «الإمارة»، حديث [١٨٦٩].

(٣) أخرجه البخاري في «التوحيد»، حديث [٧٥٢٨]، بلفظ «لا تحاسد إلا في اثنتين...» الحديث من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وحديث [٧٥٢٩] بلفظ: «لا حسد إلا في اثنتين...» الحديث، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، ومسلم في «المسافرين»، حديث [٨١٥].

(٤) حديث ضعيف، أخرجه الدارمي مسنده، حديث [٣٤١٧]، وابن أبي عاصم في «السنة»، حديث [٦٠٧]، وابن عدي في «الكامل»، كلهم من طريق إبراهيم بن مهاجر بن مسمار، وهو ضعيف، قال فيه الذهبي: «قال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: ضعيف»، وأورد هذا الحديث، وقال: «قال ابن حبان في حديث «قرأ يس وطه»: هذا متن موضوع». انظر «الميزان» (١/ ٦٧).

(٥) أخرجه الدارمي في مسنده في «فضائل القرآن»، حديث [٣٣١١]، من طريق أبي الأحوص عن ابن =

وفي السنن مما ذكرناه كثير، والحمد لله.

إن القرآن كتاب الله وكلامه، وآمن بذلك المسلمون وعلى رأسهم رسول الله ﷺ وصحابته الكرام والتابعون لهم بإحسان، كما أن أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وصفاته الثابتة في الكتاب والسنة كلها صفات لله تليق بجلاله، آمن بذلك رسول الله وآمن بذلك المؤمنون.

وكان كل الناس على هذا حتى ذرَّت في القرون الفتن على أيدي الخوارج والجهمية وغيرهم، فنشأت هذه الأفكار وهذه العقائد الفاسدة بتعطيل صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أو تعطيل أسماءه وصفاته، ومن ضمن صفاته: كلامه اللائق بجلاله، فصفاته تليق بجلاله ولا تشبه صفات المخلوقين.

فجاء هؤلاء الذين اندسوا في صفوف المسلمين وتظاهروا بالإسلام بهذه الطوام وهذه البدع العظام.

منها: تعطيل صفات الله.

ومنها: القول بأن القرآن مخلوق، وكان هؤلاء ضعفاء يتسترون في بداية عهدهم، مثل الجعد بن درهم والجهم بن صفوان وبشر المريسي، فلما جاءت دولة المأمون الذي تربى على أيدي الجهمية والمعتزلة، بل على أيدي الشيعة، قويت شوكتهم لأن هذا الخليفة

= مسعود موقوفًا عليه، وأخرجه الترمذي في «فضائل القرآن»، حديث [٢٩١٠] من طريق محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ به، وقد خرج في عدد من المصادر مرفوعًا وموقوفًا، والظاهر أنه صحيح مرفوعًا، وصحيح موقوفًا، وهو مما ليس للعقل فيه مجال، ولا بد أن يكون مما وقَّف رسولُ الله ﷺ عليه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

-مع الأسف- يؤمن بهذه العقائد الفاسدة، لأنه تربى في أحضان الفرس لأن أمه كانت فارسية وتربى في حضنها وفي حضن الفرس فلقنوه هذه المذاهب الفاسدة.

ومنها: التشيع.

ومنها: التجهم، التفوا حوله ودفعوه إلى الدعوة إلى القول بخلق القرآن، وهذا منفذ لهم إلى تعطيل سائر صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فتردَّد أولًا في نشر هذه الفتنة وإعلانها وفرضها على الناس، وكان في عهده يزيد بن هارون وكان إمامًا جليلًا عظيمًا مهيبًا.

قيل للمأمون: لماذا لا تجهر بالقول بخلق القرآن؟ قال: كيف أجهر بهذا ويزيد بن هارون حي -على قيد الحياة-؟! فكان يهاب من يزيد بن هارون وأمثاله، فلما ذهبوا تجرأ المأمون على الدعوة إلى هذا المذهب الخبيث، وكتب إلى عامله على بغداد أن يدعو العلماء ويأمرهم بأن يصرحوا بأن القرآن مخلوق، فاستدعاهم لذلك فرفضوا، وهددهم وضرب بعضهم.

فخوفًا من السوط ومن الضرب ومن السلطان تظاهر بعضهم بهذا القول مكرهًا، وأبى ذلك الإمام أحمد ومحمد بن نوح وأحمد بن نصر الخزاعي ونعيم بن حماد والإمام المزني صاحب الشافعي وآخرون، ثبتوا على السنة وتعرضوا لعذاب شديد، بل بعضهم قُتل، قُتل في هذه الدولة الظالمة وضُرب أحمد بن حنبل ضربًا يتجاوز حد الموت، ولكن الله أبقى عليه حياته وحفظ الله به السنة، فصمد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في وجه هذه المحنة والفتنة في حياة المأمون، وفي حياة المعتصم وفي حياة الواثق، إلى أن فرَّج الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على هذه الأُمَّة على يدي الخليفة العباسي السني المتوكل على الله جعفر بن المعتصم، فرفع راية السنة وقرَّب أهلها، وأهان أهل البدع وأبعدهم ونُكِّست أعلامهم -ولله الحمد-.

فلما فشلت هذه الفتنة وكاد أن يذهب أثرها، بقي منهم بقايا ما استطاعوا أن يجهروا بالقول بأن القرآن مخلوق، وإنما ذهبوا يبحثون عن أقنعة وسُتَر يتسترون من وراءها، فصار بعضهم يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، وماذا يقصد بهذا؟

اللفظ كلمة مشتركة مجملة، تحتمل أن يريد باللفظ النطق نفسه واللفظ نفسه، وهذا لا شك أنه مخلوق، ويحتمل أن يريد الملفوظ به وهو القرآن، لأن كلمة «لفظ» تطلق على الملفوظ، وهذا قصد الجهمية من قولهم: لفظي بالقرآن مخلوق، يعني: الملفوظ مخلوق، يريدون أن القرآن مخلوق، ولكن ليس تصريحًا وإنما من وراء ستار، كشأن أهل البدع يأتون بالمجملات ليتوصلوا من خلالها إلى مقاصدهم السيئة، فهؤلاء تستروا من وراء هذا اللفظ المجمل الذي يحتمل لفظ المخلوق نفسه الذي ينطق به بلسانه، ويحتمل الملفوظ به وهو القرآن وقصد الجهمية هذا.

ففهم هذا أهل السنة وعلى رأسهم الإمام أحمد، فمنعوا من القول بأن لفظي بالقرآن مخلوق، قالوا: لا يقول أحد لفظي بالقرآن مخلوق من باب سد الذرائع؛ لأن هذا اللفظ مجمل يقصد منه الجهمي التوصل إلى القول بخلق القرآن، وإذا قاله رجل من أهل السنة ويقصد لفظه: فإن الأمر مشتبه.

فعلى كل حال لفظ يُستغل للتوصل إلى هذه البدعة، فمنع أحمد من ذلك، فأصر بعض الناس على ذلك، فحكموا عليهم بالبدعة، لماذا؟

لأنهم يفتحون الطريق أمام أهل البدع ليتوصلوا إلى مقاصدهم، فقالوا لهم: كونوا مع أهل السنة، قولوا: القرآن كلام الله غير مخلوق، ويكفيكم، ولا تقولوا: لفظي بالقرآن مخلوق وإن كان قصدكم حسنًا.

لماذا؟ لأن هذا هذا المبتدع الجهمي الخبيث يتوصل بهذا اللفظ إلى القول بخلق القرآن، فسدًّا للذريعة -وسد الذرائع باب عظيم من أبواب أصول الإسلام- منع أئمة الإسلام من القول: لفظي بالقرآن مخلوق وصاروا يبدعون من يقول لفظي بالقرآن مخلوق، لأنه -وإن كان غير جهمي- قد شارك الجهمية في الفتنة، وفتح الطريق أمامهم لينفذوا إلى أغراضهم.

هذا هو الفقه، وهذه هي الحماية لدين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من تلاعب العابثين وأهل الابتداع الضالين.

هذا سر المنع من قول لفظي بالقرآن مخلوق.

كان ابن كلاب من أهل السنة فدخل في مناظرات مع المعتزلة وتأثر ببعض أصولهم، **ومنها**: الاستدلال بالأعراض على حدوث الأجسام، والاستدلال بحدوث الأجسام على حدوث العالم، ثم يتوصلون بهذه الطريقة الفاسدة إلى تعطيل صفات الله تَعَالَىٰ، وأعرضوا عن القرآن وأدلته على أن الله رب كل شيء وخالقه، فطر الله على ذلك عباده ودلت عليه كتبه ودل عليه العقل.

ولسنا بحاجة إلى هذه الطرق الملتوية المليئة بالمخاطر، هذا الطريق الخطر قد يصيب الإنسان أحيانًا وقد يخطئ فيهلك، توصلوا إلى أن العرض مخلوق، والعرض لا يقوم إلا بجسم، توصلوا بهذا إلى تعطيل صفات الله، لأن العلم والقدرة والإرادة هذه عندهم أعراض، وكذلك منها الكلام، هذه أعراض والأعراض لا تقوم إلا بجسم، إذن ينزه الله عن هذه الصفات، لأنها أعراض، قبحهم الله.

وأوصلهم هذا الأصل الخبيث إلى تعطيل صفات الله عَزَّوَجَلَّ فعطلوها، ومنها: أن القرآن كلام الله، لماذا؟ لأن الكلام عندهم عرض والعرض لا يقوم إلا بمخلوق، فأتِي من هنا ابن كلاب، كان يشارك أهل السنة في إثبات أسماء الله وصفاته ولكن مناظراته وتأثره بأصول الجهمية والمعتزلة، أوصله إلى أن يقول في القرآن الكلام قسمان: كلام نفسي قائم بذات الله، وهذا هو كلامه، وكلام لفظي وهو الحروف التي تضمنت القرآن، يعني: أنَّ المعنى كلام الله واللفظ والحروف مخلوقة، لأن هذه أمور في ذهنه أعراض، فيرى نفسه أنه قد نزَّه الله عن هذه الأعراض، فجاء بهذا الضلال وقال: هذا القرآن حكاية عن كلام الله لا كلام الله، والحق: أن القرآن كلام الله لا حكاية لكلام الله.

وساق المؤلف: عددًا من الآيات والأحاديث لدحض هذا الباطل وهذه البدعة السيئة، بدعة الجهمية.

فساق آيات منها: قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

ما قال: «حتى يسمع حكاية كلام الله»، لو كان هذا القرآن حكاية عن كلام الله لا كلام الله لقال: «فأجره حتى يسمع حكاية كلام الله»، لكن قال: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ فيسمع المؤمن هذا النص فيزداد إيمانًا بأن القرآن كلام الله تكلم به عَزَّوَجَلَّ بعلمه ومشيئته.

وهل يستحيل الكلام على الله؟ وهل الكلام نقصٌ حتى نقول: إن هذا القرآن ليس كلام الله؟

ولماذا صار هذا القرآن معجزة أعجز الجن والإنس أن يأتوا بمثله أو بعشر سُوَرٍ من مثله، بل عجزوا بأن يأتوا بأقصر سورة من مثله، كيف يكون بعد هذا حكاية لكلام الله

ولا يكون معجزًا، إلا إذا كان كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تكلم به على الوجه اللائق به، على الوجه الذي لا يشبه كلام المخلوقين، والدليل على ذلك: أنه أعجز الجن والإنس أن يأتوا بمثله أو بمثل عشر سُوَرٍ من مثله أو بمثل سورة من هذا القرآن.

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] لماذا؟ لأنه كلام الله يجب أن نخضع ونخشع ونذل أمام هذا القرآن، لأنه كلام الله وقال: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ ما قال حكاية القرآن ﴿ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ فهذا دليل ثانٍ.

والدليل الثالث من القرآن: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] لأكرم الخصال وأقومها في العقائد والعبادات والأخلاق وفي كلِّ شأنٍ من الشئون، يهدي لأقوم الأمور وأعظمها وأجلِّها عند الله وأنفعها لعباده، لأنه كلام الله ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ ما قال حكاية القرآن، هذا الشاهد.

فهذه عددٌ من الأدلة على إبطال هذا المذهب الجهمي.

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٠] الجن لما سمعوا هذا ما قالوا: «حكاية عن كلام الله»؟! والصحابة والرسول لما سمعوا هذا القرآن وكانوا يسمعونه ويتلونه، هل خطر ببال أحدهم أن هذا القرآن حكاية عن كلام الله؟! لا، إذن هذا هو الضلال الذي ارتكبه ابنُ كُلَّاب وقبله الجهمية.

وهناك من قال: «إن القرآن عبارة عن كلام الله» وتأثر بهذا القول الأشعرية فقالوا: كلام الله هو المعنى القائم بذاته ليس بحرف ولا صوت، وهو معنى واحد وإذا نزل

بالعربية صار قرآنًا، وإذا نزل بالعبرية صار توراة، وإذا نزل بالسريانية صار إنجيلًا، وهذا من أسخف ما وصل إليه الأشعرية، لا يقبله مسلم ولا كافر يرضى بهذا السخف وما يقبل هذا الهراء -والعياذ بالله-، وهذا شأن الضلال يتخبط أهله في ميادينه -في ميادين الضلال- ويأتون بما يضحك الثكالى مع الأسف الشديد.

ومن الأدلة التي ساقها المؤلف على إبطال القول بأن القرآن حكاية عن كلام الله، أو عبارة عن كلام الله: قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ليس حكاية كلام الله ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾[الجن: ١ - ٢].

وكذلك قال تَعَالَى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[المزمل: ٢٠] لو كان القرآن حكاية عن كلام الله، كان سيأتي على الأقل في بعض الآيات، ولو كان القرآن حكاية عن كلام الله لورد هذا في السنة، لكن لم يرد هذا في السنة، ومضى على هذا الرسول وصحابته الكرام فما قال أحد «حكاية» أبدًا، كلهم آمنوا بأن القرآن كلام الله تكلم به، أوحاه إلى جبريل وجبريل بلَّغه إلى محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤].

هذا القرآن المعجز الذي سمعه جبريل من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وبلَّغه إلى قلب محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودان بهذا جبريل ومحمَّدٌ والصحابة والتابعون، ولم يفكِّر أحدٌ أبدًا بمثل ما قد توصل إليه هؤلاء المبتدعة، من أن القرآن حكاية عن كلام الله، ومع الأسف أن كلَّ بدعة تجد لها من يعتقدها ويقول بها وينافح عنها، وهي لا تساوي أن يُجادل فيها، تجد أناسًا كأنهم عقلاء وهم يحملون مثل هذه الترهات التي لا يقرها شرعٌ ولا عقل، ولا يؤيِّدها كتاب ولا سنة، بل نصوص الكتاب والسنة ضدها وتهدمها وتنسفها.

قال محمد بن الحسين: وهذا في القرآن كثير لمن تدبره.

وقال ﷺ: «**إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن، كالبيت الخرب**»(١).

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] هذا من الأدلة على أن القرآن آيات باهرات معجزات، آيات الله الشرعية في صدور الذين أوتوا العلم.

وهنا في الحديث: «**إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن، كالبيت الخرب**»، لأن القرآن يعمر الصدور وينيرها ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾ إلى أن قال سُبحَانَهُ: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥] **يعني**: نور القرآن على نور الإيمان في صدور الذين آمنوا.

وقال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(٢) ما قال خيركم من تعلم «حكاية» القرآن.

وقال ﷺ: «**مثل القرآن مثل الإبل المعقلة إذا تعاهدها صاحبها أمسكها وإذا تركها ذهبت**»(٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري في «فضائل القرآن»، حديث [٥٠٣١]، ومسلم في «صلاة المسافرين»، حديث [٧٨٩].

يعني: يقول هذا الرسول ﷺ يحث أمته على حفظ هذا القرآن وتعاهده دائمًا، حتى لا يتفلَّت من صدور أصحابه، فيتلونه آناء الليل وآناء النهار في صلواتهم، في مساجدهم وهكذا في سفرهم وفي حضرهم، وفي ذلك خيرٌ عظيم، من هذا الخير:

أولًا- الإبقاء على حفظ هذا القرآن، والأجر الجزيل على كلِّ حرفٍ من حروفه، ففي كلِّ حرفٍ عشر حسنات، فيثاب من يحافظ عليه ويقرؤه ويكثر من تلاوته.

وأيضًا: فيه بقاء هذا القرآن في صدر القارئ، فلا يتفلَّت منه.

ثانيًا- يستفيد منه العظات والذكرى والفقه، ويستفيد من ذلك إيمانًا فيزداد إيمانًا، ويثاب على ذلك الثواب العظيم، بحيث أنه يعطى أجرًا على كلِّ حرفٍ من حروفه على الحرف حسنة، والحسنة بعشرة أمثالها، «**لا أقول: ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**».

فقولك: «ألم» تحصل فيه ثلاثون حسنة فضلًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هل هذا يعطى على حكاية كلام الله أو على كلام الله؟ على كلام الله.

وقال ﷺ: «**لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو**»[1] أي: إلى أرض الكفار إكرامًا له، لأنه كلام الله يجب أن يصان من عبث واستهزاء واستهانة الكفار، لأنَّه كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

والشاهد منه: أن الرسول سمَّاه قرءانًا ونهى عن السفر به إلى بلاد العدو، حتى لا يناله الأعداء بسوء وقال: «**لا تسافروا بالمصاحف إلى العدو، فإني أخاف أن ينالوها**».

(١) سبق تخريجه.

لماذا هذه التوجيهات كلها حرصًا على القرآن؟ السنة كلام الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وما بلغت هذه المنزلة التي يخاف عليها، فكيف يقال: القرآن حكاية عن كلام الله، ومن هو الذي حكاه -نسأل الله العافية-.

وقال صلى الله عليه وسلم: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار»** [1] لا أدري هل يوجد منا الآن من يعمل هذا، يقوم بالقرآن آناء الليل وآناء النهار، عليكم أيها الإخوة! أن تقوموا بهذا القرآن آناء الليل وآناء النهار، وهذا الذي يعمل هذا العمل يحسده عليه العظماء، **والحسد هنا**: الغبطة، وهو التمني أن يكون له مثل ما لأخيه من الخير.

أما الحسد الحقيقي المذموم: فهو أن تتمنى زوال هذه النعمة عن خصمك، أو عمن أنعم الله عليه بهذه النعمة -والعياذ بالله-، فتتمنى زوالها عنه، فهذا شرٌّ كبير، ومن صفات اليهود.

أما الغبطة: أن ترى هذا يُكثر من الصدقة، فتتمنى أن يكون لك مالٌ فتتصدق وتفعل كفعله، فهذه غبطة وتؤجر عليها، وكذلك العالِم عنده علمٌ، تتمنى أن يكون لك علم مثله فتُعلِّم الناس الخيرَ، وتدلهم إلى دين الله الحق، وتربيهم على ذلك، فلك مثل أجر هذا العالِم إن صَدَقَت في نيَّتك، فهذه غبطة يُثاب عليها، فالتنافس في الخير أمر مطلوب ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦] نافس إخوانك على الصف الأول واسبقهم إليه، وإذا سبقك أحد تتمنى أن تكون أحرزت هذه المنزلة، وهي أن تصلي في الصف الأول وفي الصفوف الأولى، فهذا أمرٌ تُحمَد عليه، وهذا كله في أمور الدين،

(١) رواه البخاري في «فضائل القرآن»، حديث [٥٠٢٥]، ومسلم في «صلاة المسافرين»، حديث [٨١٥].

أما أمر الدنيا، فقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١] لا تمتد عينك إلى الدنيا فتغبط أهلها وتتمنى أن يكون لك مثلهم.

وفي الدنيا تنظر إلى من هو دونك، وفي الدين تنظر إلى من هو فوقك، وتشمر عن ساعد الجِد لتلحقه، وفي الدنيا تنظر إلى من دونك، فلا تزدري نعمة الله عليك، فإن هناك أناسًا دونك في هذه الحياة الدنيا في المال والصحة والعافية والمنزلة، فإذا نظرت إلى هؤلاء فاذكر نعمة الله عليك وعظِّمها واشكر الله عليها.

الشاهد من هذا الحديث الذي قصده المؤلف: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن**» ما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «حكاية القرآن» ولا: «العبارة عن القرآن».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله تَعَالَى قرأ طه ويس، قبل أن يخلق آدم بألف عام، فلما سمعت الملائكة القرآن، قالوا: طوبى لأمة ينزل عليهم هذا، وطوبى لألسن تتكلم بهذا، وطوبى لأجواف تحمل هذا**».

وهذا: حديثٌ ضعيف، ونحن في غنًى عنه، لأن القرآن والسنة الثابتة تغنينا عن الاستدلال بالأحاديث الضعيفة.

وقال ابن مسعود: «تعلموا القرآن واتلوه، فإن لكم بكل حرف عشر حسنات».

وهذا ثابتٌ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول: وفي السنن مما ذكرناه كثير، والحمد لله.

ما يدل على أن القرآن كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وليس حكاية ولا عبارة عن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

قـال محمـد بن الحسـين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فينبغي للمسـلمين أن يتقـوا الله تَعَالَىٰ، ويتعلموا القـرآن، ويتعلموا أحكامه، فيحلوا حلاله ويحرّمـوا حرامه، ويعملوا بمحكمه، ويؤمنوا بمتشابهه، ولا يماروا فيه، ويعلموا أنه كلام الله، غير مخلوق».

فهذه أمور مطلوبة من المؤمن، أن يتقيَ الله، ويتعلم القرآن ويعلمه ويعرف أحكامه وحلاله وحرامه وإلى آخره هذا أولًا.

والأمـر الثانـي من معنى هـذا التوجيه: أن مـن هذا الإيمان أن القـرآن كلام الله غـير مخلوق، يجب أن يعلم المؤمن ويعتقد في قرارة نفسـه أن القرآن كلام الله غير مخلوق، خلافًـا للجهميـة وخلافًا للأشـعرية الذيـن يقولون: أن القـرآن «عبارة» عـن كلام الله، وخلافًا للكلابية فلا يقول: القرآن «حكاية» عن كلام الله.

«فإن عارضهم إنسان جهمي فقال: مخلوق، أو قال: القرآن كلام الله ووقف»

فالواقفيـة الذيـن يقولـون: القـرآن كلام الله، لكـن لا يقولـون: لا هـو مخلـوق ولا غير مخلوق.

«أو قال: لفظي بالقرآن مخلوق»، كما هو قول اللفظية.

«أو قـال: هـذا القـرآن حكاية لما في اللوح المحفـوظ، فحكمه أن يُهجـر ولا يكلم ولا يصلى خلفه ويحذر منه».

كل هـذه الأصنـاف: من قال القـرآن مخلوق، ومن قال القرآن كلام الله وسـكت وقـف، ومن قـال لفظي بالقرآن مخلوق، ومـن قال القرآن «حكاية» عـن كلام الله، ومن قـال: القـرآن «عبـارة» عـن كلام الله، فهـذه الجهمية وفروعهـا، وحكمهـم أن يُهجروا، ولا يُكلَّمـوا ولا يُصلَّى خلفهم ويُحذَّر منهم، شـأنهم شـأن أهل البـدع، لأن هذا التعامل

....

لا يخص هؤلاء، بل أهل البدع جميعًا يُحذَّر منهم ويُهجرون ويُقاطعون، وإذا دعوا إلى بدعتهم ينصحون، فإن أبوا: فعلى الحاكم أن يقتلهم لأنَّهم شرٌّ من قطاع الطرق وشرٌّ من المحاربين لله الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [المائدة: ٣٣]، فهذا الحدُّ شرعه الله في حقِّ مَن يقطعون الطرق، ويأخذون أموال الناس ويروِّعون الآمنين، فإن هؤلاء يفسدون على الناس دنياهم، فأما أهل البدع: فشرٌّ منهم؛ لأنَّهم يفسدون على الناس دينهم، فهم أولى بهذه العقوبة.



قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فينبغي للمسلمين أن يتقوا الله تَعَالَىٰ، ويتعلموا القرآن، ويتعلموا أحكامه، فيحلوا حلاله ويحرموا حرامه، ويعملوا بمحكمه، ويؤمنوا بمتشابهه، ولا يماروا فيه، ويعلموا أنه كلام الله تَعَالَىٰ، غير مخلوق، فإن عارضهم إنسان جهمي فقال: مخلوق، أو قال: القرآن كلام الله ووقف، أو قال: لفظي بالقرآن مخلوق، أو قال: هذا القرآن حكاية لما في اللوح المحفوظ فحكمه أن يهجر ولا يكلم، ولا يصلى خلفه[١]، ويحذر منه، وعليكم بعد ذلك بالسنن عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسنن أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقول التابعين، وقول أئمة المسلمين مع ترك المراء والخصومة والجدال في الدين، فمَن كان على هذا الطريق رجوت له مِن الله تَعَالَىٰ كل خير، وسأذكر بعد ذلك ما لا بد لمن كان هذا مذهبه وعلمه، عمل به من معرفة الإيمان، وشريعة الإسلام، حالًا بعد حال، والله الموفق لكل رشاد، والمعين عليه -إن شاء الله-، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بعد أن ساق المؤلف: الأدلة من الكتاب والسنة ومن كلام السلف على فساد وضلال مذهب من يقول: «إن القرآن مخلوق»، وكذلك ما تفرَّع عن هذه القضية من قولهم: «القرآن حكاية عن كلام الله» أو «عبارة عن كلام الله» أو أن يقول القائل: «القرآن كلام الله» ثم يسكت ولا يقول: «غير مخلوق» أنه أيضًا من أهل الضلال، وكذلك لا يقول: «مخلوق ولا غير مخلوق» وبيّن استعمال أحمد، ومن معه من أصحابه ومن أئمّة الحديث وهو سدُّ باب الذرائع، وسد الذرائع في هذا الباب مهم، لأن الجهمية وأهل الضلال يتذرعون بهذا القول إلى القول بخلق القرآن.

---

(١) أقول هكذا قال الإمام الآجري، والصواب: أنه يصلى وراء أهل البدع إلا من عنده بدعة كفرية وأقيمت عليه الحجة من كتاب الله وسنة رسوله وتمادى في ضلاله الكفري؛ فإن هذا لا يصلى وراءه.

بعد هذا البيان الشافي الذي قام به المؤلف: وجَّهَ نصيحة إلى المسلمين.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فينبغي للمسلمين أن يتقوا الله تَعَالَىٰ، ويتعلموا القرآن، ويتعلموا أحكامه، فيحلوا حلاله ويحرموا حرامه، ويعملوا بمحكمه، ويؤمنوا بمتشابهه، ولا يماروا فيه، ويعلموا أنه كلام الله تَعَالَىٰ، غير مخلوق».

وهذا بيت القصيد، فهذه نصيحة طيبة ينبغي أن نستفيد منها فنتقي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كل أقوالنا وأفعالنا وحركاتنا وسكناتنا، وأن نتعلم القرآن وسنة رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي هي بيانه وشرحه، تُقيِّد مطلقه وتُخصِّص عامه وتُبيِّن مجملاته، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في حق هذا الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

ونتعلم حلال القرآن وحرامه، إلى آخر النصيحة التي أدلى بها هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فاستفيدوا من هذه النصيحة.

ثم قال: فإن عارضهم إنسان جهمي فقال: مخلوق، أو قال: القرآن كلام الله ووقف -وهم الواقفة- أو قال: لفظي بالقرآن مخلوق -وهم اللفظية- أو قال: هذا القرآن حكاية لما في اللوح المحفوظ، فهؤلاء كلهم ضلال، والقول الأخير هو قول ابن كُلَّاب وأتباعه، وقد تابعهم الأشاعرة في هذا وجاءوا بمذهب غريب عجيب يضحك منه العقلاء، وهو أن كلام الله قسمان: معنوي أو معنى وهو القائم بذات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولفظي وهو هذا القرآن الذي يُكتب في المصاحف ويُتلى، وهذا عندهم مخلوق، وهذا تلاعب، فإن أصل الخلاف بين أحمد والجهمية والمعتزلة إنما هو في هذا القرآن الذي أنزله الله على محمَّد بواسطة جبريل وبلَّغه محمَّدٌ إلى هذه الأمة.

فأهل السـنة والجماعة قالوا بمقتضى الكتاب والسنة: إنه كلام الله غير مخلوق، وأن الله يتكلم متى شاء إذا شاء.

وهـؤلاء عندهم أصلٌ فاسـد بنـوا عليه مذهبهـم الضال، وهو أن القـرآن مخلوق، وهذا الأصل هو قولهم: الأعراض مخلوقة، والأعراض تدل على حدوث الأجسام.

ويقـول -الجهمية والمعتزلـة- إذا قلنا: إن الله له صفات علم وقدرة وإرادة وكلام، أثبتنا معه قدماء، فقالوا: هي أعراض إذا أثبتناها أثبتنا لله الجسـمية وشبَّهناه بالمخلوقين، وهـذا عندهم ضلال، والضلّال هم الذين وقعوا فيـه، فإن هذه صفات الله تليق بجلاله وهـي صفـات كمال تدل على كمالـه وجلاله وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعلمه وسـع كلَّ شيء وأحاط بكلِّ دقيقة وجليلة في هذا الكون، فمن يعلم شيئًا من هذا.

وكذلـك قدرتـه أوجد بها هذه المخلوقـات كلِّها أولها وآخرهـا كبيرها وصغيرها، فهل هناك قدرةٌ تماثل هذه القدرة؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

كذلـك كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يليق بجلاله، والكلام صفة كمال وليسـت صفة نقص، فإن الحيوانات لا تتكلم لنقصها والجمادات كذلك، وهذا نقص فيها، ولهذا احتج إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عـلى ضـلال قومه بأنهم يعبدون من لا يسـمع ولا يبـصر ولا يغني عنهم شيئًا، فهذه من علامات النقص، فكيف يعبد من هذا حاله؟

والعباد موصوفون بالأسماع والأبصار، ولكنها مخلوقة خلقها الله، وهي وإن كانت كـمالًا لهـم، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الذي أعطاهم هذا الكـمال، ووهبهم هذا الكمال، فكمال الله ذاتي وكـمال المخلوق موهوبٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وليس ذاتيًّا، إنما هو من فضله يؤتيه من يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هـذا مع الفـارق الكبير الـذي لا حدود له بـين صفات الله العظيمـة وبين صفات المخلوقين.

قـال المؤلـف في هـؤلاء: «إذا قال لـك: القرآن مخلـوق أو قـال كلام الله ووقف»، يعني: مثل الجهمية، يقولون: القرآن كلام الله، لكن إيش قصدهم؟ قصدهم أنه مخلوق، مثـل: ناقـة الله وبيـت الله، فالإضافة عندهـم إضافة مخلوق إلى خالق ما هـو إضافة صفة إلى موصـوف، لأن الإضافـة نوعان: إضافة معانٍ وإضافة أعيـان، فإذا كان المضاف عينًا كعبد الله ورسـول الله وبيت الله وناقة الله، ومثل هذه الأشـياء، فهذه الإضافة فيها إضافة مخلـوق إلى خالقـه، وإذا كانـت إضافة معاني مثل: علـم الله وقـدرة الله وكلام الله، فهذه الإضافة من إضافة صفة إلى موصوفها لا إضافة مخلوق إلى خالقه.

فـإن هذه قاعدة علمية ينبغي أن تعرفوها، فالإضافـة نوعان: إضافة أعيان، يعني: العـين هي الأمر القائم بذاته، إنسـان قائم ليس بعرض له جسـم ولـه روح وله أعضاء، كالناقـة، السـماء، الأرض، هذه أعيـان، فإضافتهـا إلى الله وهي أعيان إضافـة مخلوق إلى خالقه.

وهنـاك نوع ثان من الإضافات: إضافة معانٍ ليسـت أعيانًا، فإضافة المعاني إلى الله إضافـة صفـة إلى موصوفها قامت بـه تلك الصفـة، كالعلم والقـدرة والإرادة والكلام، وغير ذلك.

فإضافـة الأعيان إضافة مخلوق إلى خالق، وإضافة الصفات -وهي المعاني- إضافة صفة إلى موصوفها الذي قامت به.

فإذا قلنا: القرآن كلام الله، نريد أن القرآن صفة من صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهو من علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهذه إضافة صفة إلى موصوف.

والجهمي إذا قال: القرآن كلام الله، يريد بذلك إضافة مخلوق إلى خالقه.

ما حكم من قال بشيء من هذه المقالات الضالة؟

قال: فحكمه أن يهجر ولا يكلم، ولا يصلى خلفه(١)، ويحذر منه.

هذا حكم من وقع في بدعة ضلالة من هذه الضلالات، وهي ما سبق، وكذلك حكم سائر أهل البدع والضلالات، كمن يقومون بالموالد ومن يقومون بشد الرحال إلى المقابر، ومن يشيدون عليها البنايات ومن يدعونها ويستغيثون بها، هذا حكمهم وهكذا سائر أهل البدع، والبدع كثيرة جدًّا -مع الأسف الشديد-، وقد تجد في مجتمع من المجتمعات مئات البدع -فنسأل الله العافية-.

والذي روَّج لهذه البدع ونشرها، إما ملاحدة وإما قوم جهال ضُلَّال ووجدوا من الأمة مَن ينقاد لهم ويتبعهم.

وعلينا أن نجاهد كلَّ واحد في بلده وفي أسرته، أن يجاهد في بيان الدين الحق، وأن يُحذِّر من البدع والضلالات التي هي شرُّ الأمور، والتي كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحذِّر منها في جُلِّ خُطَبه أو كلِّها فيقول: «**أما بعد، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»(٢)، وفي بعض الروايات: «**وكل ضلالة في النار**»(٣).

---

(١) تقدم التفصيل في الصلاة خلف المبتدع.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه بالزيادة النسائي في «صلاة العيدين»، حديث [١٥٧٨]، وابن خزيمة (٣/ ١٤٣) رقم [١٧٨٥].

فالبـدع خطيرة جدًّا، وخطيرة جدًّا، وأهـل البدع أخطر من اليهود والنصارى على المسلمين، ولهذا أنهكوا المسلمين وجعلوا غالبيتهم غثاء كغثاء السيل - مع الأسف الشديد-، وأنتم ترون حال الأمة الآن من الضياع والهزال والتشتت والتمزق وتسلط الأعداء عليها، إنما كلُّ ذلك بسبب البدع والمعاصي التي خالفوا فيها شرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وكثيرٌ منهم معاندون لا يردعهم رادع، لا دليل ولا حجة ولا برهان، وبعضهم حتى السلطان لا يردعه -مع الأسف الشديد-.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعليكم بعد ذلك بالسنن عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسنن أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ».

وذلك مأخوذٌ من قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ**».

ومثل قوله لمَّا ذكر أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**من كان على ما أنا عليه وأصحابي**» فأصحابه كانوا على الهدى المستقيم، على الوحي الذي جاء به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من كتاب وسنة، وهم يُقتدى بهم ويُتأسى بهم، وما عملوه وما نقلوه عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو الهدى الذي يجب أن يتمسك به المسلمون، وفهمهم الذي تلقوا أغلبه من رسول الله هو الفهم الصحيح الذي يجب على الأمة أن تتمسك به والذي قال الله في شأنه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فهم -والله- بعد رسول الله أسوتنا وقدوتنا في العقيدة والعبادة وفي سائر الشئون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقطع الله دابر من يستهين بهم أو يستهين بأحد منهم أو يستنقصه، وكذلك قول التابعين ولعله أخذه من قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ومن قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يأتي بعد ذلك قومٌ يشهدون ولا يُستشهدون وينذرون ولا يوفون، ويكثر فيهم السمن**».

فأهل هذه القرون المفضلة كانوا على الهدى المستقيم بشهادة القرآن وشهادة الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فعلينا أن نتمسك بهديهم وأن نعضَّ على ما ثبت عنهم نعض عليه بالنواجذ أسأل الله أن يثبتنا وإياكم على هذا الصراط المستقيم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقول أئمة المسلمين»؛ لأن أئمة المسلمين هم مصابيح الدجى وأئمة الهدى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نَبُلوا وعَظُموا في الأمة بسبب تمسكهم بكتاب الله وسنة رسول الله واتباعهم الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وصحابة محمَّدٍ أجمعين، فهم عظَّموا القرآن وعظَّموا السنة وعظَّموا الصحابة وعظَّموا الهدي الذي كانوا عليه وتمسكوا به، وواجهوا أهل الفتن وأهل البدع والضلال بهذا الهدي العظيم.

فكانوا أئمة هدى حقًّا كسعيد بن المسيب من التابعين، وعروة بن الزبير من التابعين، وكسفيان الثوري ومالك وسفيان بن عيينة، وغيرهم من أئمة الهدى ممن عاصرهم والأوزاعي والليث وغيرهم من أتباع التابعين.

وكذلك من تبعهم كعبد الله بن المبارك وكيحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن المهدي، ومن بعدهم كأحمد ابن حنبل ويحيى بن معين، وغيرهم وكذلك كالبخاري ومسلم وأقرانهم.

وهكذا من سار على نهجهم على الصراط المستقيم الذي ورثوه عن شيوخهم، وورثه شيوخهم عن التابعيين والتابعون ورثوه عن أصحاب رسول الله ﷺ والصحابة تلقوه عن رسول ﷺ والرسول تلقى ذلك عن ربه عَزَّوَجَلَّ.

ثم أوصى المؤلف بترك المراء والخصومة فقال: «مع ترك المراء والخصومة والجدال في الدين»؛ لأن النبي ﷺ قال: **«أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقًّا»**[1].

وهذا لا يمنع من المجادلة بالتي هي أحسن، والعالم الفطن يعلم متى يناظر ومتى يجادل وكيف يجادل، وليس لكلِّ أحد أن يخوض في الجدال، فإنه في الغالب لا يؤدِّي إلا إلى الفساد وإلى الإحن والأحقاد.

والعالِم يعرف متى يتكلم العالم الحكيم، يعرف متى يناظر إذا أدرك أن في مناظرته نصرًا للإسلام وعِزًّا له وقمعًا للباطل وأهله ناظر، وإذا رأى أن ذلك يكون سببًا لضعف الإسلام وضعف المسلمين، فعليه أن يبتعد.

وهذا الجواز يؤخذ من قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فقد تُشرع المجادلة بالتي هي أحسن، وهي التي تكون بالعلم

---

(١) أخرجه أبو داود في «الأدب»، حديث [٤٨٠٠].

....

والحجـة والبرهان لـمـن يتصف بهذه الأشـياء، ويرافق ذلـك الحكمة المطلوبـة في الجدال والأخـلاق العاليـة التـي تتخلَّل هذا الجدال الطيِّـب الذي إن لم ينتفع بـه المناظر ينتفع به السامعون.



الأسئلة

سؤال: فضيلة الشيخ أثابكم الله وأحسن إليكم، ما الفرق بين القول بأن القرآن هو المعنى النفسي وبين القول بأنه حكاية عن كلام الله؟

جواب: قالت الكلابية والأشعرية عن القرآن: إنه هو المعنى النفسي القائم بذات الله، وأن هذه الألفاظ والحروف لا يصح إطلاق القول بأنها القرآن، بل هي دالة عليه فقط، وربما أطلقوا عليها اسم القرآن مجازًا، تسمية للدال باسم المدلول، ومنهم من قال: إن القرآن مشترك لفظي يُطلق على كل من المعنى القديم واللفظ الحادث.

ثم اختلفوا، فقال الكلابية: إن هذه الألفاظ المقروءة حكاية عن الكلام النفسي، وقال الأشعرية: بل هي عبارة عنه فقط وليست حكاية، إذ الحكاية عن الشيء لابد أن تكون عين المحكي، كما تقول حكيت الحديث بعينه، تريد أن روايتك له مطابقة للأصل تمامًا بلا تغيير لفظ ولا زيادته ولا تقديم ولا تأخير، وما هنا ليس كذلك، فإن اللفظ والمعنى مختلفان، فلا يصح القول بأن أحدهما حكاية عن الآخر.

ويرى بعض الأشاعرة أن هذا الخلاف لفظي لا يتعلق به غرض علمي، وليس من ورائه ثمرة مرجوة، فإن الفريقين من الكلابية والأشعرية متفقون على أن هذه الألفاظ ليست هي القرآن، وإنما هي دالة عليه فقط، فسواء جعلت حكاية عنه أو عبارة لم يختلف هذا المعنى الذي هو محل اتفاق[1]، جاءوا بهذا الضلال.

وكل هذا كلام فارغ، الكلام صفة من صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ القائمة بذاته، ولكنه يتكلم متى شاء وإذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكلام يسمعه منه الملائكة، ويسمعه منه جبريل ويُبلِّغه إلى عباده ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، وسمع موسى كلام الله

---

(١) انظر «شرح القصيدة النونية» للشيخ محمد خليل هراس (١/ ١٣١-١٣٢).

عَزَّ وَجَلَّ الذي تكلم به فالكلام صفة قائمة بذات الله، ولكنها من وجه آخر متعلقة بمشيئة الله يتكلم إذا شاء ومتى شاء -كما يقول شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكلام قديم النوع حادث الآحاد»[1] **حادث الآحاد بمعنى:** أنه متى شاء تكلم.

قديم النوع معنى أنه صفة من صفات الله كالعلم والقدرة والإرادة قديمة قائمة بذات الله عَزَّ وَجَلَّ.

سؤال: أحسن الله إليكم، سائل يقول: نجد كثيرًا من الشباب يتكلمون في علماء السنة، خاصة الأموات منهم، فما توجيهكم لذلك؟

جواب: توجيهي أن هؤلاء أهل بدع، ويجب أن يُحذر منهم، ومن علامات أهل البدع الوقيعة في أهل السنة وفي أهل الأثر، فنصيحتي لهؤلاء أن يتوبوا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن هذه جريمة وخطيرة وتصد الناس عن دين الله، وعن الاستفادة من علم هؤلاء العلماء خاصة، إذا كان لهم مؤلفات وهم يشوهونهم بهذا الطعن ليصدوهم عن هذا العلم وعن هذا الخير إلى بدع وضلالات؛ لأن هذا لا يكون إلا مبتدعًا، والذي يتكلم في علماء السنة لا يكون إلا مبتدعًا فيجب الحذر منه.



(١) انظر «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٣٧٢، ٥٧٧).

مناظرة الأذرمي لابن أبي دؤاد بحضرة الخليفة المهتدي:

قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[١٩٣] حدثنا أبو عبد الله جعفر بن إدريس القزويني قال: حدثنا أحمد بن المتنع بن عبد الله القرشي التيمي قال: أخبرنا أبو الفضل صالح بن علي بن يعقوب المنصور الهاشمي -وكان من وجوه بني هاشم وأهل الجلالة، والسبق منهم- قال: حضرت المهتدي بالله أمير المؤمنين، وقد جلس ينظر في أمور المسلمين في دار العامة، فنظرت إلى قصص الناس تقرأ عليه من أولها إلى آخرها فيأمر بالتواقيع[١] فيها وإنشاء الكتب لأصحابها، ويختم ويدفع إلى صاحبه، بين يديه.

فسرني ذلك، وجعلت أنظر إليه، ففطن ونظر إلي، فغضضت عنه حتى كان ذلك مني ومنه مرارًا ثلاثًا، إذا نظر إلي غضضت، وإذا اشتغل نظرت، فقال لي: يا صالح، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، فقمت قائمًا، فقال: في نفسك منا شيء تحب أن تقوله؟ أو قال: تريد أن تقوله؟ فقلت: نعم، يا سيدي يا أمير المؤمنين، قال لي: عُد إلى موضعك، فعدت، وعاد في النظر، حتى إذا قام قال للحاجب: لا يبرح صالح.

فانصرف الناس ثم أذن لي، وقد أهمتني نفسي فدخلت فدعوت له، فقال لي: اجلس، فجلست، فقال: يا صالح، تقول لي، ما دار في نفسك، و(٢) أقول أنا: ما دار في نفسي أنه دار في نفسك؟

قلت: يا أمير المؤمنين، ما تعزم عليه، وتأمر به فقال: وأقول أنا: كأني بك وقد استحسنت ما رأيت منَّا، فقلت: أي خليفة خليفتنا، إن لم يكن يقول: القرآن

....

(١) التوقيع: هو ما يعلقه الرئيس على كتاب أو طلب برأيه فيه، «المعجم الوسيط».

(٢) لعله: أو.

مخلوق؟ فورد على قلبي أمر عظيم، وأهمتني نفسي، ثم قلت: يا نفس، هل تموتين إلا مرة؟ وهل تموتين قبل أجلك؟ وهل يجوز الكذب في جَدّ أو هزل؟ فقلت: والله يا أمير المؤمنين، ما دار في نفسي إلا ما قلت.

ثم أطرق مليًّا، ثم قال لي: ويحك، اسمع مني ما أقول، فوالله لتسمعن مني الحق، فسري عني فقلت: يا سيدي ومن أولى بقول الحق منك، وأنت أمير المؤمنين وأنت خليفة[1] رب العالمين، وابن عم سيد المرسلين، من الأولين والآخرين فقال لي: ما زلت أقول: القرآن مخلوق صدرًا من خلافة الواثق، حتى أقدم علينا أحمد بن أبي دؤاد شيخًا من أهل الشام من أهل أذنة.

فأدخل الشيخ على الواثق مقيدًا، وهو جميل الوجه تام القامة، حسن الشيبة، فرأيت الواثق قد استحيى منه، ورقَّ له، فما زال يدنيه ويقربه، حتى قرب منه، فسلَّم الشيخ فأحسن السلام، ودعا فأبلغ الدعاء، وأوجز، فقال له الواثق: اجلس ثم قال له: يا شيخ، ناظر ابن أبي دؤاد على ما يناظرك عليه، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، ابن أبي دؤاد يقل ويضيق، ويضعف عن المناظرة، فغضب الواثق، وعاد مكان الرأفة له غضبًا عليه.

فقال: أبو عبد الله ابن أبي دؤاد يضيق ويقل ويضعف عن مناظرتك أنت؟ فقال الشيخ: هون عليك يا أمير المؤمنين ما بك، وائذن لي في مناظرته، فقال الواثق: ما دعوتك إلا للمناظرة.

فقال الشيخ: يا أحمد بن أبي دؤاد، إلى ما دعوت الناس ودعوتني إليه؟ فقال: إلى أن تقول: القرآن مخلوق، لأن كل شيء دون الله مخلوق.

....

(١) هذه عبارة منكرة، فالله لا يخلفه أحد، تعالى الله عن ذلك.

فقـال الشـيخ: إن رأيـت يا أمير المؤمنـين أن تحفظ عليَّ وعليه ما يقول، قال: أفعل.

قال الشـيخ: أخبرني يا أحمد عن مقالتـك هذه، أواجبة داخلة في عقد الدين، فلا يكون الدين كاملًا حتى يقال فيه ما قلت؟ قال: نعم.

قال الشيخ: يا أحمد أخبرني عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله تعالى إلى عباده، هل ستر رسول الله ﷺ شيئًا مما أمر الله تعالى به في دينه؟

قال: لا.

قـال الشـيخ: فدعا رسـول الله ﷺ الأمـة إلى مقالتك هذه؟ فسـكت ابن أبـي دؤاد، فقـال الشـيخ: تكلـم فسـكت، فالتفـت الشـيخ إلى الواثق، فقـال: يا أمير المؤمنين، واحدة، فقال الواثق: واحدة.

فقال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن الله تعالى، حين أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فقـال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] أكان الله تعالى الصادق في إكمال دينه، أم أنت الصادق في نقصانه، فلا يكون الدين كاملًا حتى يقال فيه بمقالتك هذه؟

فسـكت ابـن أبـي دؤاد، فقال الشـيخ: أجب يا أحمـد، فلم يجبه، فقال الشـيخ: يا أمير المؤمنين، اثنتان، فقال الواثق: اثنتان.

فقال الشيخ: يا أحمد أخبرني عن مقالتك هذه، أعلمها رسول الله ﷺ أم جهلها؟

قال ابن أبي دؤاد: علمها.

....

قال الشيخ: فدعا الناس إليها؟ فسكت ابن أبي دؤاد، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، ثلاث، فقال الواثق: ثلاث.

فقال الشيخ: يا أحمد، فاتسع لرسول الله ﷺ إذ علمها كما زعمت، ولم يطالب أمته بها؟

قال: نعم.

قال الشيخ: واتسع لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ي؟

فقال ابن أبي دؤاد: نعم.

فأعرض الشيخ عنه، وأقبل على الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قدمت لك القول أن أحمد يضيق ويقل ويضعف عن المناظرة، يا أمير المؤمنين، إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة، ما اتسع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، فلا وسَّع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم من ذلك، فقال الواثق: نعم إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، فلا وسَّع الله علينا، اقطعوا قيد الشيخ.

فلما قطع ضرب الشيخ بيده إلى القيد ليأخذه فجاذبه الحداد عليه، فقال الواثق: دع الشيخ ليأخذه فأخذه الشيخ فوضعه في كمه، فقال الواثق: لم جاذبت عليه؟ قال الشيخ: لأني نويت أن أتقدم إلى من أوصي إليه إذا مت أن يجعله بيني وبين كفني، حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله تعالى يوم القيامة، فأقول: يا رب، سَل عبدك هذا لمَ قيدني وروع أهلي وولدي وإخواني بلا حق أوجب ذلك عليَّ؟

....

وبكى الشيخ فبكى الواثق وبكينا، ثم سأله الواثق أن يجعله في حِلٍ وسعة مما ناله، فقال الشيخ: والله يا أمير المؤمنين، لقد جعلتك في حِلٍّ وسعة من أول يوم إكرامًا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ كنت رجلًا من أهله.

فقال الواثق: لي إليك حاجة، فقال الشيخ: إن كانت ممكنة فعلت، فقال الواثق: تقيم قبلنا فينتفع بك فتياننا، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، إن ردك إياي إلى الموضع الذي أخرجني منه هذا الظالم أنفع لك من مقامي عليك، وأخبرك بما في ذلك: أصير إلى أهلي وولدي وأكف دعاءهم عليك، فقد خلفتهم على ذلك، فقال له الواثق: فتقبل منا صلة تستعين بها على دهرك، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين لا تحل لي، أنا عنها غني، وذو مرة سوي.

قال: فَسل حاجتك قال: أو تقضيها يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قال: فخل سبيلي إلى الثغر الساعة، وتأذن لي قال: قد أذنت لك، فسلَّم الشيخ وخرج.

قال صالح: قال المهتدي بالله - رحمة الله عليه -: فرجعت عن هذه المقالة منذ ذلك اليوم؛ وأظن الواثق بالله كان رجع عنها من ذلك الوقت[١].

فهذه القصة مفيدةٌ جدًّا تنفع أهل السنة في مواجهة كلِّ أهل البدع، فإذا فهمها طالب العلم استطاع أن يواجه بها الجهمية والمعتزلة والخوارج والروافض والأشعرية والصوفية وكل من ابتدع بدعة في دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فهي من أعظم الحجج، وينبغي أن نحفظها، وأظن لو تولاها عالم أو طالب ذكي يستطيع أن يفحم بها أهل البدع على مختلف أصنافهم.

---

(١) روى هذه القصة الخطيب البغدادي في «تأريخه» (١١/ ٢٧١-٢٧٦)، مع الترجمة للأذرمي هذا، ويبدو أن القصة صحيحة؛ إذ الإسناد إلى صالح بن علي الهاشمي صحيح، وصالح هذا وصف بأنه من أهل الجلالة ومن وجوه بني هاشم، والمهتدي الذي رواها من أهل التقى يُشبه بعمر بن عبد العزيز.

من جهة الإسناد: هذا الإسناد كما يقال شيخ الآجري قال الدارقطني: ضعيف[١]، وهذا العباسي الذي حكى القصة يقول: إنه لم يقف على قصته، أما ضعف شيخ الآجري فلا يضر القصة، لأن الخطيب قد رواها بإسناد صحيح إلى أحمد بن الممتنع شيخ شيخ الآجري، والظاهر: أن هذا العباسي كما مدح في الإسناد أنه من أعيان بني هاشم ووجوههم ومن أهل الجلالة والسبق، والمحقق لهذه النسخة يقول: لم أقف على ترجمته، ولعله بحث في الموجود من تاريخ بغداد ولم يجد، وأنا لم أبحث فيها الآن، ولكن في تاريخ بغداد سقط وقد ظهرت هذه الأيام طبعة جديدة، ولعل محققها استطاع أن يستوفي هذا النقص، وسوف نقوم بالمراجعة فيها -إن شاء الله-.

والقصة -كما يقول الحافظ ابن حجر- مشهورة وتداولها العلماء[٢] وسواء ثبتت أم لم تثبت فإنها من الحجج المستمدَّة من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، وبعض الناس يشككون في كتاب «الحيدة» وينكرون أن يكون مؤلفها عبد العزيز الكناني، وأنها منسوبة إليه خطأً وهكذا، لكن الكتاب نافعٌ جدًّا وفيه نصرةٌ لمذهب أهل السنة والجماعة، وهذه المناظرة الغالب أنها تثبت إلى صاحبها، وهو من شيوخ أبي داود والنسائي -كما ترجم له المحقق-، وهو مترجم له في التهذيب والتقريب وغيرهما[٣].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٢/ ١١٠): «جعفر» بن إدريس القزويني، أخرج الدارقطني في الغرائب عنه حديثًا بواسطة فقال حدثنا عبد الواحد بن الحسن البصلاني ثنا جعفر بن إدريس بمكة ثنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عن سريج بن يونس ثنا معن عن مالك عن الزهري عن أنس كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذا عاد مريضًا قال: «أذهب الباس» الحديث، وقال: هذا غير محفوظ عن مالك، وجعفر هذا ضعيف».

(٢) انظر «تهذيب التهذيب» (٦/ ٥).

(٣) تسمية شيوخ النسائي، ص: [٨٤]، رقم: [١٤٤]، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٥/ ١٦١)، رقم [٧٤٣]، و«الثقات» ابن حبان (٨/ ٣٦١)، و«تاريخ بغداد» للخطيب (١٠/ ٧٤-٧٨)، =

الشاهد: أن هذا الخليفة المهتدي بالله كان أشبه الناس بعمر بن عبد العزيز، وقالوا: كان يقـول: إنني لأستحي من الله ألا يكون في بني العبـاس مثل عمر بن عبـد العزيز، فكان يُشبَّه في سيرته بالخلفاء الراشدين، وحصل خلافٌ بينه وبينه الأتـراك وكانت السلطة بأيديهم ولهم قوة وشوكة ودارَ بينه وبينهم معارك أُسِرَ فيها: حيث لم يجد الأنصار الأقويـاء، وكان مضرب المثـل في العدل[1]، وهذه القصة تعطي صورة عنه، كيف يقول: جلس ينظر في أمور المسلمين في دار العامة، فنظرت إلى قصص الناس تقرأ عليه من أولها إلى آخرها فيأمر بالتواقيع.

التواقيع ما يعلقه الرئيس على كتاب أو طلب برأيه فيه.

قد يُشكل عليكم بهذا هو ما يعلقه الرئيس الأمير أو القاضي المسؤول على كتاب، أو طلب يُهمِّش عليه برأيه، ثم بعد ذلك يختم على الشكاوى أو ما شاكل ذلك.

فانبهر هذا الهاشمي من عمل هذا الخليفة وعدله وإنصافه وفحصه الدقيق في أمور الناس، ثم توقيعه ثم الكتابة بما ينفع الناس، ويزيل عنهم الظلم فلما رأى هذا أُعجِب به، كان ينظر وهذا ينظر يتبادلان النظر ففهمه وفطن له الخليفة، وقال له ما قال.

هـل أخبرك بما في نفسـك، أو تخبرني بما دار في نفسـك قال الرجـل لأمير المؤمنين: الـذي يراه أمـير المؤمنين، فقال: أنا أحدثك فحدثه أخبره بهـذه القصة: وهو ابن الواثق، ويذكـر أنه استفاد منها من ذلك الوقـت ورجع عن القول بخلق القـرآن، ويظن أن أباه الواثق أيضًا رجع عن القول بخلق القرآن، وأنا أظن أن هذه القصة -والله أعلم- سبب

= و«الأنساب» للسمعاني (١/ ٦١-٦٢)، و«تهذيب التهذيب» (٦/ ٤-٥)، و«تقريب التهذيب»، ص: [٥٤٠]، رقم [٣٥٧٦]، كلاهما لابن حجر.

(١) انظر «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٤٨-٣٥١)، و«سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٥٣٦-٥٣٩).

في نصرة المتوكل لمذهب أهل السنة وإخماد فتنة الجهمية والمعتزلة، فلعله شهد هذه القصة وتأثر بها كما تأثر بها المهتدي -رحم الله الجميع-.

الشاهد: نأتي إلى المناظرة هذه، استصغر الأذرمي ابن أبي دؤاد لما طلب منه الخليفة مناظرته قال: «يا أمير المؤمنين، ابن أبي دؤاد يقل ويضيق، ويضعف عن المناظرة» فهذا لم يعجب الخليفة وأغضبه، لأن أحمد بن أبي دؤاد عنده هو رئيس القضاة وكبير العلماء في هذه النحلة، كيف يتطاول عليه ويقول هذا الكلام، قال الشيخ: «هوِّن عليك يا أمير المؤمنين ما بك، وائذن لي في مناظرته»: اتسع له صدر الواثق وسخره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له وأشرف على هذه المناظرة، وكان منصفًا: قال الشيخ للخليفة: «يا أمير المؤمنين ائذن لي في مناظرته فقال الواثق: ما دعوتك إلا للمناظرة».

فبدأ يسأل: سأل ابن أبي دؤاد قال: إلى ما دعوت الناس ودعوتني إليه؟ فقال: إلى أن تقول: القرآن مخلوق، لأن كل شيء دون الله مخلوق.

هذه حجته الله يقول: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢].

فيجاب: إن كل شيء سوى الله مخلوق، وأما صفات الله ومنها قدرته وعلمه فغير مخلوقة، والقرآن من علمه فهو غير مخلوق، فشيء يدخل في عموم الآية والعمومات -بغير فقه والتزام بفقه السلف- هي بلاء أهل البدع، لأن فيها نوعٌ من التشابه والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

[آل عمران: ٧]

....

وسبحان الله كيف تصدُق هذه الآية على المعتزلة، إنهم والله يبتغون الفتنة ويتبعون المتشابه، ولهذا آذوا أهل السنة فسُجنوا وضُربوا وقُتلوا وفصلوهم من الوظائف، وفعلوا بهم الأفاعيل وسُمِّيَت بالمحنة والفتنة، وهي فتنةٌ عظيمةٌ جدًّا.

أهل السنة يقولون: «الله خالق كل شيء»، أي: كل شيء مخلوق، و«القرآن كلام الله غير مخلوق».

طيب الله يقول في الإنسان: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] خلق الإنسان وأقواله وأفعاله ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ هذه نصوص في أن الإنسان وأقواله وأفعاله مخلوقة ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] أقوالك وأفعالك وحركاتك وسكناتك كلها مخلوقة لله.

فهذه نصوص في أن عمل الإنسان مخلوق، وهم -أي: المعتزلة- يقولون عمل الإنسان ليس بمخلوق، الإنسان يخلق فعل نفسه، والآية تنص على أن الله خلقنا وأعمالنا، وهم يخرجون أعمال الإنسان ويدخلون كلام الله في نصٍّ عام، لا يقصد منه من قريب ولا من بعيد إدخال صفات الله فيه -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا-.

فقاتل الله أهل البدع كيف يتعلَّقون بالمتشابهات ويدعون المحكمات المنصوصات الصريحات، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نصَّ أن هذا القرآن كلامه ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، ما قال «خلق الله»، قال: كلام الله، ما هو الكلام في «لسان العرب» ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] ما الذي يمنع أن يكون القرآن كلام الله والله كلم موسى تكليمًا، وأكد هذا في آيات كثيرة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢] إلى آخره، وكلها تدل على أن القرآن كلام الله وصفة من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،

....

وهو من علمه عَزَّوَجَلَّ، فهمتم حجته إيش؟ يعني: الله خالق كل شيء، طيب لا يريد القرآن، ولا يريد صفاته صفات الله وذاته لا تدخل في هذا العموم.

أما المخلوقون فهم وأعمالهم وأقوالهم وحركاتهم داخلة في هذا النص، ولها نصوص تخصها، فيتركون هذه النصوص الواضحة المحكمة ويتعلقون بالعمومات والمتشابهات.

فقال الشيخ لما قال هذا الكلام قال الشيخ للواثق: «يا أمير المؤمنين إن شئت تحفظ عليَّ وعليه ما يقول فافعل».

إن شئت أن تحفظ عليَّ وعليه، ما يقول هذا إلا مؤدب، هذا يعرف كيف يخاطب الأمراء والخلفاء، ما قال: احفظ، قال: إن شئت أن تحفظ عليَّ وعليه ما يقول هذا، كلام مؤدَّبٌ جدًّا.

«قال الخليفة: أفعل».

يعني: أحفظ عليكما ما تقولان، ومن أخطأ أقول له: أخطأت، ومن أصاب أقول: أصبت.

«قال الشيخ: أخبرني يا أحمد».

هذا من الإهانة، ما قال: أيها القاضي الكبير، قال: يا أحمد فقط.. هذا وأهل البدع يستحقون أن يعاملوا بهذه الإهانات.

«قال الشيخ: أخبرني يا أحمد عن مقالتك هذه، أواجبة داخلة في عقد الدين» يعني: داخلة في دين الله داخلة في صميم الدين-، «فلا يكون الدين كاملًا حتى يقال فيه ما قلت؟».

يعني: لا يكون دين الناس ودين المسلمين كاملًا إلا إذا قالوا: إن القرآن مخلوق.

«قال: نعم». وبكل جرأة.

السؤال الثاني: قال الشيخ الأذرمي: «يا أحمد أخبرني عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين بعثه الله تَعَالَىٰ إلى عباده، هل ستر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا مما أمر الله تَعَالَىٰ به في دينه؟ قال: لا» ما يستطيع أن يقول: نعم، وهنا أمسك بخناقه.

«قال الشيخ: فدعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمة إلى مقالتك هذه؟»

إذا كان الرسول لم يكتم شيئًا مما أنزله الله عليه وبعثه به، فهل دعا إلى هذه المقالة وهي من أصل الدين وعقد الدين، ولا يتم الدين إلا بها كما قلت؟

فقال: «فدعا رسول الله الأمة إلى مقالتك هذه؟» لأنه إذا كان من الدين فلابد أن يدعو إليها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لا يستطيع أن يقول: دعا لأنه يكذب، وسيطالبه بالأدلة وما عنده أدلة، ولا يستطيع أن يقول: ما دعا، فيلزمه من ذلك كما أن رسول الله لم يدع إليها، فلماذا تدعو أنت إليها؟ فما استطاع أن يقول: نعم، ولا استطاع أن يقول: لا.

إن قال: لا ما دعا إليها، مشكلة، فسيقول وأنت لماذا تدعو إليها؟

وإن قال: نعم دعا إليها، يقول: هات الأدلة أن الرسول دعا إليها، فما وسعه إلا السكوت.

هذا ضالٌّ مبتدع، لكن عنده عقل، يعني: الآن عندنا مبتدعة عندهم سفسطة ومكابرة ولف ودوران، فهذا مبتدع موغلٌ في البدعة لكن عنده عقل، وعنده شيءٌ من الحياء، إذا أُلزم بالحجة يسكت، فليت أهل البدع الآن حينما تقام عليهم الحجج يسكتون،

بل يذهبون يسبُّون ويشتمون ويَكيلون الشبه والتهم، فلما وصل لهذا الحد قال له: تكلم، فسكت.

«فالتفت الشيخ إلى الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين، واحدة» واحدة من الحجج التي قامت عليه والتي تسكته وتفحمه، هذه واحدة.

«فقال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن الله تَعَالَىٰ، حين أنزل القرآن على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] أكان الله تَعَالَىٰ الصادق في إكمال دينه، أم أنت الصادق في نقصانه، فلا يكون الدين كاملًا حتى يقال فيه بمقالتك هذه؟».

لأن واقعك وحالك يشهد عليك بأنك تقول: إن الدين ناقص إذا لم نقل بخلق القرآن، فلا يكون الدين كاملًا إلا إذا قلنا: القرآن مخلوق، والله قد أخبرنا أن دينه كامل، وليس منه القول بخلق القرآن، بل القرآن مليء بالأدلة التي تدحض هذا الباطل الذي يفتريه المعتزلة والجهمية، وعلى رأسهم هذا الشيخ الظالم أحمد بن أبي دؤاد.

قال له من الصادق: أنت أم الله؟ الله أخبرنا أن دينه كامل، وأنت تقول الآن: ديننا ناقص! فمن الصادق أنت أو هو؟

فما يستطيع أن يقول: أنا الصادق، إن قال: الله الصادق، فيقول له: أنت لماذا تدعو إلى القول بخلق القرآن وأنت تعتقد أن الدين كامل؟

لماذا تأتي بشيء ينافي الإيمان بأن الدين كامل؟

وإن قال: أنا الصادق كفر كفرًا واضحًا وخرج من ملة الإسلام، إذ يكذب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فسكت هذا الضال، لأنه عنده شيء من العقل والحياء.

«فقال الشيخ: أجب يا أحمد، فلم يجبه، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، اثنتان».

يعني: حجتين دامغتين أمسكت بخناق هذا الرجل الضال.

«فقال الواثق: اثنتان».

يعني: وافقه وأنصفه، قامت لك حجتان قويتان عظيمتان على هذا الضال.

«فقال الشيخ: يا أحمد أخبرني عن مقالتك هذه، أعلمها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم جهلها؟»

ما يقدر يقول: جهلها.

«فقال ابن أبي دؤاد: علمها فقال الشيخ: فدعا الناس إليها؟»

شيء يعلمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوحاه الله عَزَّ وَجَلَّ إليه، هل دعا إليه؟ فسكت ابن أبي دؤاد، ما يستطيع أن يقول: دعا إليها، دعا إليها أين؟ هات الدليل، ما عنده دليل ماذا يصنع؟

وإن قال: إنه لم يدع إليها أيضًا فيقول له: وأنت لماذا تدعو إليها إن كان الرسول ما دعا إليها؟.

[فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، ثلاث فقال الواثق: ثلاث].

يعني: أنه موافق للشيخ، أن له حججًا معتبرة وقوية ودامغة، وأن ابن أبي دؤاد جاهل مبطل لا حجة له على دعاواه.

«فقال الشيخ: يا أحمد، فاتسع لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ علمها».

علمها الرسول واتسع له السكوت.

«قال: نعم وسعه».

فإذا كان رسـول الله يسـعه السكوت عنها، فكيف لم يتسع لك ما اتسع لرسول الله ﷺ؟

هذا على فرض أنها جاءت في دين الله عز وجل لكن الرسول سكت على حد زعمك، فلماذا أنت تذبح الناس وتقتلهم وتفتنهم وتفرض عليهم هذا الأمر؟

«فقال الشـيخ: واتسـع لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم؟ فقال ابن أبي دؤاد: نعم».

هـؤلاء خلفـاء راشـدون كما قـال الرسـول ﷺ: «**فعليكم بسـنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين، عضوا عليها بالنواجد**» فهم أسوتنا وقدوتنا رضي الله عنهم بعد نبينـا ﷺ وهـذا حجة على هذا المعتـزلي الجهمي وهو يلتزمها، فـإن ما يصدر من الخلفاء الراشـدين إذا لم يوجد في كتاب الله أو سـنة الرسـول، أو لم يفهموه من كتاب الله وسنة الرسول ﷺ فإنه يكون من الحجج.

فأعرض الشـيخ عنـه، وأقبل على الواثـق، فقال: «يا أمير المؤمنـين، قد قدمت لك القول إن أحمد يضيق ويقل ويضعف عن المناظرة».

يـا أمـير المؤمنين، وجه الـكلام هنا لأمـير المؤمنين: هنـا علا بحجته عـلى أحمد بن أبي دؤاد، واسـتطاع أن يواجه الخليفة بهذا الأسـلوب المؤدب، لكن الحجة قوية، «يا أمير المؤمنين إن لم يتسـع لك من الإمسـاك عن هذه المقالة، ما اتسـع لرسـول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فلا وسع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم من ذلك».

«فقال الواثق: نعم، إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، فلا وسع الله علينا، اقطعوا قيد الشيخ».

ونحن نقول لأهل البدع جميعًا -أهل التعطيل وأهل التمثيل وأهل الموالد وأهل القبور والاستغاثات والخرافات وغيرهم من أهل الأهواء-: لا وسع الله عليكم، دين الله واسع، ودين الله السمح، وهو شامل وما ترك شيئًا كما أخبرنا الله ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال رسول الله ﷺ: «**إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أمَّتَهُ على خيرِ ما يعلَمُهُ لهم ويُنذِرَهُم شرَّ ما يعلَمُهُ لهم**»[(١)] فلقد دلنا والله رسول الله ﷺ على كل خير ينفعنا في ديننا ودنيانا، وحذرنا من كل شر يضر بنا في ديننا ودنيانا.

وكما قال أبو ذر رضي الله عنه: «ما مات رسول الله ﷺ وطائر يحلق في السماء إلا وأعطانا عنه علمًا»[(٢)] أو كما قال.

وقد بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ﷺ وأشهد الله ثم الأمة على هذا البلاغ[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٣٦١-الرسالة)، و(٢١٤٣٩-الرسالة).

(٣) في حجة الوداع كما في «الصحيحين» البخاري في كتاب «الحج»، حديث [١٧٤١]، ومسلم في كتاب «الحج»، حديث [١٢١٨].

كيف يأتي أهل البدع ويبتدعون في دين الله في العقائد والعبادات والاقتصاد والسياسة وغيرها، فيشرعون في دين الله ما لم يأذن به الله ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١]، فيأتي أهل الأهواء ويضعون العقائد ويضعون العبادات والأعمال ويجدون لهم أتباعًا، فيصدق عليهم قول الله ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾.

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]، ونحن نقول هذا، ونحن لا نكفر إلا من قامت عليه الحجة، وإلا فقد وقع كثير من أهل البدع في شركيات وكفريات، ولولا جهلهم وغباؤهم وكثرة الشبهات التي نسجها لهم دعاة الضلال ورءوساء السوء، وقد يكون في بعضهم زندقة -نسأل الله العافية- فتراكمت الشبهات عليهم، فنحن نتعاون معهم بالرحمة والرفق، ولا نستعجل عليهم بالتكفير حتى نقيم عليهم حجة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ذكر القصة، وأنه لما أمر بقطع القيد عنه قطعه الحداد، فجاذبه عليه، وقال ليضعه في كمه وليلقى به الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ويقول يارب: سَل عبدك هذا لماذا فعل بي كذا وكذا وكذا؟

الله غني عن هذا، ولكن كأنه يريد أن يزعج ابن أبي دؤاد بمثل هذا التصرف ويخوفه، وقد يقصد أن يحمله على التوبة والرجوع إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

....

وفيما سبق قال: (يا خليفة رب العالمين)! وهذا لا يقال، وقد أنكرها أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)] ثم حملها زنادقة الصوفية -كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية- فصاروا يدعون أن الإنسان خليفة الله، وبيّن شيخ الإسلام هذه القضية بيانًا شافيًا في «الفتاوى الكبرى»[(٢)] وهي في «مجموع الفتاوى»[(٣)] وأن الخليفة لا يكون إلا عمن يغيب أو يموت، وأما الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فلا يغيب ولا يموت -تعالى الله وتقدّس عن الموت وتنزّه-.

والله لا يغيب عنّا أبدًا، ولا تخفى عليه خافية، فكيف يخلفه وينوب عنه البشر -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا-.

تمسّك بهذه اللفظة القبيحة «خليفة الله» الزنادقة، وفي عصرنا يرددها سيد قطب[(٤)] وأمثاله من الصوفية ومن الخرافيين ومن الروافض، ولم يستفد كثيرٌ من الناس من هذا الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ولم يزجرهم ذلك.

تبنى هذه الكلمة الصوفية الغلاة، وبنوا عليها عقائد فاسدة لا يعلمها إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وفيه: أن من يريد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يوفقه -ولو كان خليفة، ولو كان من أبناء الخلفاء- وإذا أراد الله به خيرًا يرجع إلى الحق، كما حصل لهذا المهتدي، وهو -إن شاء

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٨٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٤٣٣) رقم [٣٧٠٤٨]، وأحمد في «المسند» (١/ ١٠، ١١)، والخلال في «السنة» (١/ ٢٤٧) رقم [٣٣٤] والآجري في «الشريعة» (٤/ ١٧١٦-١٧١٧)، رقم (١١٨٥، ١١٨٦)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ٩٧١-٩٧٢).

(٢) «الفتاوى الكبرى» (٢/ ٥٥٣).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٤٤-٤٥).

(٤) انظر: «مقومات التصور الإسلامي» لسيد قطب، ص (٣٦١-٣٦٢).

الله- المهتدي على اسمه، وابن الخليفة الواثق، ولما رأى الحق دان به وآمن به وأثر ذلك في حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ

فليت كثيرًا من الأصاغر يتوبون إلى الله ويرجعون عن بدعهم وضلالاتهم، ليتهم يتأسون بمثل هذا الخليفة فيفيئوا إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

هذه قضية كبيرة، وتبناها المأمون وتبناها المعتصم وتبناها الواثق.

فآباؤه تبنوها وأهل البدع يعتبرونها من مفاخرهم، فلولا هداية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للمهتدي وللمتوكل لبقيت هذه الفتنة في الأمة، لكن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قذف في قلوب هؤلاء محبة الخير والنصح للأمة ولأنفسهم، فتابوا وأنابوا إلى الله، ونفع الله بتوبتهم، وحينما يتولى الحكام والكبراء هذه القضايا العظيمة ويستقيمون على الجادة، ينفع الله بهم الناس ويكونون أسوة حسنة لأتباعهم.

الآن لو أن بعض الرؤساء من رؤساء الصوفية ومن رؤساء الروافض ومن رؤساء الأحزاب والحكام يرجعون إلى الله عن الأباطيل التي بثوها في الناس وربَّوا عليها أجيالًا، لو رجعوا لوجدوا أتباعًا كثيرًا يرجعون معهم إلى دين الله الحق، أما إذا لم يرجعوا، بل أصروا على ضلالهم ودعوا الناس إلى هذا الضلال فليستبشروا بقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أجرُهَا وَأجرُ من عَمِلَ بها بَعدَهُ، من غَيرِ أن يَنقُصَ من أُجُورِهِم شَيءٌ، وَمَن سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كان عليه وِزرُهَا وَوِزرُ من عَمِلَ بها من بَعدِهِ، من غَيرِ أن يَنقُصَ من أوزَارِهِم شَيءٌ»** (١).

(١) أخرجه مسلم في «العلم»، حديث [١٠١٧]، وأحمد في مسنده، (٤/ ٣٥٧، ٣٥٩)، والنسائي في «الزكاة»، (٥/ ٧٥-٧٦)، حديث [٢٥٥٤].

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يأخذ بنواصي هذه الأمة -وعلى رأسها قادتها- إلى الحق والخير والهدى، إن ربنا لسميع الدعاء.



قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[١٩٤] وحدثنا أبو عبد الله القزويني أيضًا قال: حدثنا يحيى بن عبدك القزويني قال: «سمعت يحيى بن يوسف الزمي، يقول: بينا أنا قائل في بعض بيوت خانات مرو، فإذا أنا بهول عظيم، قد دخل علي، فقلت: من أنت؟ قال: ليس تخاف، يا أبا زكريا، قال: قلت: فنعم، من أنت؟ قال: فقمت وتهيأت لقتاله، فقال: أنا أبو مرة. قال: فقلت: لا حياك الله، فقال: لو علمت أنك في هذا البيت لم أدخل وكنت أنزل بيتًا آخر، وكان هذا منزلي حين آتي خراسان قال: قلت: من أين أتيت؟ قال: من العراق، قال: وقلت: وما عملت بالعراق؟ قال: خلفت فيها خليفة، قلت: ومن هو؟ قال: بشر المريسي، قلت: وإلى ما يدعو؟ قال: إلى خلق القرآن، قال: وآتي خراسان فأخلف فيها خليفة أيضًا. قال: قلت: إيش تقول في القرآن أنت؟ قال: أنا وإن كنت شيطانًا رجيمًا أقول: القرآن كلام الله غير مخلوق»[١].

[١٩٥] حدثنا أبو محمد عبد الله بن العباس الطيالسي قال: حدثنا بندار محمد ابن بشار، وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى قال: «كنا نقرأ على شيخ ضرير بالبصرة، فلما أحدثوا ببغداد القول بخلق القرآن قال الشيخ: إن لم يكن القرآن مخلوقًا، فمحا الله القرآن من صدري، قال: فلما سمعنا هذا من قوله تركناه وانصرفنا عنه، فلما كان بعد مدة لقيناه، فقلنا يا فلان ما فعل القرآن؟ قال: ما بقي في صدري منه شيء، قلنا: ولا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] قال: ولا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] إلا أن أسمعها من غيري يقرؤها»[٢].

....

(١) هذه القصة إسنادها صحيح.
(٢) هذه القصة إسنادها صحيح.

القصتـان صحيحتـان، وفيهـما عبرة لأولي الألبـاب، فهذا يحيى بن يوسـف الزمي حكـى هذه القصـة(١)، وحُكيت عنه بإسـناد صحيح، أن الشـيطان أتاه وهـو في مرو في خـان، يعني: كان له منـزل يشـبه الفندق ينـزل فيه الغربـاء والوافدون، قال: ليس تخاف منـي يـا أبا زكريا، قال: نعم من أنت؟ قال: أنا أبو مرة، أنا الشـيطان الأكبر! قال: فقمت وتهيأت لقتاله، فقال: أنا أبو مرة فقلت: لا حياك الله.

يعني: أنه ثابت قوي الجأش يمكن لو كان جبانًا كانت تخور قواه، وكذا يخاف كثير مـن الناس ما يقـدر على مواجهة الجن، كثيرٌ من الناس لما يـرى الجن يموت خوفًا بعض الناس، يستطيع أن يواجه الجن ويهزمها، ومنهم عمر بن الخطاب ما سلك فجًّا إلا سلك الشيطان فجًّا غير فجه(٢).

ومنهم أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمسـك الشـيطان وهو يحثو من الطعام ويسرق، أمسـكه ثلاث مرات(٣).

---

(١) ورواهـا ابن بشران في «أماليـه» [٤٠٧]، والخطيب البغدادي في «تاريخـه» (٧/ ٦٤-٦٥)، من ثلاث طرق عن يحيى بن يوسف الزمي.

(٢) كـما ثبـت في الحديث الصحيـح في البخاري في «بدء الخلـق»، باب: «صفة إبليـس وجنوده»، حديث رقـم [٣٢٩٤]، وفي «فضائل الصحابة»، باب: «مناقبُ عمرَ بنِ الخطابِ أبِي حفصٍ القرشي العَدَوِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، حديث رقم [٣٦٨٣]، ومسلم في «فضائل الصحابة»، باب: «من فضائلِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، حديث رقم [٢٣٩٦]، كلاهما من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخـاري بصيغـة التعليـق: في «الوكالـة» بـاب: «إِذَا وَكَّلَ رَجُـلًا، فـترك الوكيل شـيئًا، فأجازهُ المُـوَكِّلُ، فهو جائزٌ، وإن أقرضه إلى أَجَلٍ مسـمًّى جاز»، حديث رقم [٢٣١١]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ووصله النسـائي في عمل اليوم والليلة [٩٥٩]، والبيهقي في «شـعب الإيمان» (٢/ ٤٥٦) رقـم (٢٣٨٨-زغلـول)، و«الدعـوات الكبـير» [٣٥٥] وغيرهـم، انظـر: «فتح البـاري» لابن حجر (٤/ ٤٨٨).

المؤمن القوي لا يخاف لا من الجن ولا من الإنس، لا يخاف إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى خاصة الخوف الشركي -نعوذ بالله-، فبعضهم قد يخاف الخوف الشركي من الأموات ومن الشياطين، ونعوذ بالله من البلاء.

فهذا الرجل لم يخف، ثابت الجأش وقوي وقابل الشيطان هذه المقابلة، فقال الشيطان: «لو علمت أنك في هذا البيت لم أدخل» وهذا دليل أن الشيطان والجن لا يعلمون الغيب، كما قال الله في قصة سليمان ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سَبَإ: ١٤].

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ٢٢١ - ٢٢٣]؛ لأنه يسرق الأخبار في السحاب أو في السماء، فيخطف الكلمة وينزل إلى الأرض، فيقرها في أذن الكاهن أو الساحر، فيضيف إليها مائة كذبة، هذا الذي يضيف يقال: إنه الشيطان، ويقال: إنه الكاهن.

وعلى كل حال سواء أكان الكاهن أو الشيطان أو الساحر والكاهن اللذين يتلقيان من الشياطين الإفك والكذب كذابون، فإن من روى عن رسول الله حديثًا يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين[1].

قال: «لو علمت أنك في هذا البيت لم أدخل، وكنت أنزل بيتًا آخر، وكان هذا منزلي» يعني: هذا المنزل الذي أنت فيه أنا أنزل فيه «كنت أنزل فيه حين آتي خراسان قلت: من

(١) «مقدمة صحيح مسلم»، بَاب: «وجوبِ الرواية عن الثقاتِ وترك الكذابين والتحذيرِ من الكذبِ على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، ص: [٧]، وأحمد في مسنده، (٤/ ٢٥٠)، والطيالسي في مسنده، حديث [٦٩٠].

....

أيـن أتيت؟ قـال: من العراق» -والفتنـة محتدمة فيها «قلت: وما عملـت بالعراق؟ قال: خلفت فيها خليفة»- من الخلفاء، قد يكون الخلفاء شـياطين «قلت: ومن هو؟ قال: بشر المريسي» فدعاة البدع والضلال خلفاء الشـيطان، والعلماء ورثة الأنبياء وخلفاؤهم -إن شـاء الله-، ودعاة البدع والباطل والكفر والضـلال خلفاء إبليس وجنوده، فاحذروا أن يكون أحدٌ منكم من جند الشيطان أو من خلفائه.

نسـأل الله أن يحفـظ علينـا ديننـا، وأن يجنبنا الفتـن والبدع، وأن ينزهنـا من خلافة الشياطين.

«قلت: وإلى ما يدعو؟ قال: إلى خلق القرآن» هذه وحدها مكسـب كبير للشـيطان، وفيها معارك، هناك بدع أكبر منها -والعياذ بالله- يدعو إليها كثيرٌ من الناس، فتجد هذه واحـدة مـن مئات البدع من بدعه -مع الأسـف-، فهؤلاء أقـوى وأعرق في الخلافة من بـشر المريسي، وأنا قلته لبعض المنافحين عن بعض أهـل البدع المعاصرين، قلت له: ماذا تنقم على بشر المريسي وبماذا سـقط عند الأمة سنيها وبدعيها؟ قال: لأنه كان يقول بخلق القرآن.

قلت: فلان يشاركه في هذه القضية، وعنده مئات أخرى من البدع الكبرى أكبر من هذه، كيف ما تهزه؟

نعـوذ بـالله من العمـى والضلال، نعوذ بالله مـن البلاء، خاصـة إذا كان هؤلاء مع بلائهـم ينتمـون إلى المنهج السـلفي، فإن الكارثـة تتضخم جدًّا، والمصيبـة تعظم إذا كان أنصار البدع الكبرى ينتسـبون للمنهج السـلفي، فهذه والله كارثة على الأمة، وقد أضروا كثيرًا بأنفسهم وبمن تابعهم من الأغبياء والجهلة -نسأل الله العافية-.

«قال: وآتي خراسان فأخلف فيها خليفة أيضًا» لأن هذا المشرق كما يقول الرسول ﷺ: «**ألا إن الفتنة هاهنا، ألا إن الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان**»[1]، ففي العراق وما وراءه قرن الشيطان، بدعة الروافض والخوارج والمعتزلة والجهمية وغيرهم، ومنها: بدعة خلق القرآن نشأت من هذا المشرق -الذي نسأل الله تبارك وتعالى أن يكفَّ شره عن أمة الإسلام وعن الإسلام-.

«قال: قلت: إيش تقول في القرآن أنت؟»

إذا كان عندك هذا النشاط وخليفة هنا وخليفة هناك يخلفك في نشر هذه البدعة، أنت إيش رأيك فيها ماذا تقول؟ «قال: أنا وإن كنت شيطانًا رجيمًا أقول: القرآن كلام الله غير مخلوق».

يضحك على الناس ويضيعهم ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] نعوذ بالله.

بعض الدعاة يقول لك: هو ما يؤمن بهذا مثلًا، ما يقول بوحدة الوجود لكن يدعو إليها، هو مثل الشيطان يدعو إلى ضلالة لا يؤمن بها.

القصة الثانية: هذا إنسان أعمى ثم لما جاءت الفتنة هذه دخل فيها فقال: إن لم يكن القرآن مخلوقًا، فمحا الله القرآن من صدري، يعني: هو يقول القرآن مخلوق وإذا كان القرآن ما هو مخلوق فمحا الله القرآن من صدري، فمحا الله القرآن من صدره، والقصة صحيحة.

---

(١) أخرجه البخاري، حديث [٧٠٩٢]، ومسلم، حديث [٢٩٠٥].

....

قال: فلما سمعنا هذا من قوله تركناه، تركوه لأنه مبتدع ضال وقد يكون كافرًا، لأنها بدعة كفرية، فعاقبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ومحا القرآن من صدره، فسألوه: ما فعل الله بك؟ قال: «ما بقي في صدري منه شيء»، قالوا: حتى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ قال: حتى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فالله أكبر! الله قد يستجيب دعاء الكافر، والضال دعا على نفسه فاستجاب الله دعاءه، فاحذر -أيها المسلم- أن تدعو على نفسك أو على ولدك أو على مالك، فقد يستجيب الله دعاءك ولو كان بغير حق استدراجًا أو عقوبة لك -نسأل الله العافية-.

المهم أن المصنِّف: أطال النَّفَس في قضية القول بخلق القرآن، وما اشتق منها وبيَّن أصناف أهلها، وساق فيها أدلة من القرآن والأدلة من السنة ومن أقوال الصحابة ومن أقوال العلماء ومن أقوال أهل السنة، إلى أن ختم هذا الباب بهذه الروايات، رواية الأذرمي هذا شيخ أبي داود والنسائي، وهذه الروايات الثلاث وفي كلٍّ منها عِبَرٌ نستفيد منها.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يرزقنا وإياكم الفقه في دينه، وأن يحفظ علينا ديننا، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، إن ربنا لسميع الدعاء.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.



أسئلة

سؤال: قولهم: يا شيخ، حكى الله عن موسى، حكى الله عن إبراهيم؟

جواب: قصَّ الله قصة موسى، وقال فيها كذا؛ لأن من عبارات أهل البدع أن القرآن حكاية، الكلابية يقولون عن القرآن حكاية عن كلام الله ليس كلام الله، والأشعرية يقولون: القرآن عبارة عن كلام الله وليس كلام الله، فلنتجنب هذه الألفاظ ونقول: قال الله عن إبراهيم كذا وكذا، أو عن قصة إبراهيم، أو عن قصة موسى هكذا.

سؤال: يقول: ما الفرق بين شرك الطاعة وطاعة المخلوق؟

جواب: طاعة المخلوق، الأمير والأب والمعلم والمفتي والعالم في طاعة الله طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وطاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ومعصية الرسول معصية الله، ومعصية الأمير معصية لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعصية رسول الله معصية لله رب العالمين.

شرك الطاعة: أن تطيعه في تحريم الحلال، أو تحليل الحرام، هذا شرك تطيعه في التشريع في دين الله هذا شرك ﴿ اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]، فهذا شرك الطاعة أحلوا لهم، كما في حديث عدي: «**أحلوا لهم الحرام فأحلوه، وحرموا عليهم الحلال فحرموه**»[1]، فهذه طاعة في التشريع، طاعة شركية.

لكن إذا أمرك هذا المخلوق بطاعة الله فهذه لا تدخل في هذا الباب، بل هذا يجب أن تطيعه إذا أمرك بحق لا يجوز معصيته؛ لأن معصيته معصية لله عَزَّوَجَلَّ، فهذا تطيعه لأن

---

(١) سبق تخريجه.

طاعتـه طاعـة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكـن لا يجوز أن تطيعه في قتل نفـس، هنا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، هذه طاعة ما نسميها شركية، نسـميها ظلم ونسـميها كبيرة، طاعة في التشريع وتحريم الحلال وتحليل الحرام هذه طاعة شركية، تطيع أميرًا تطيع شـخصًا تطيع أبـاك تطيع أمـك في معصية الله عَزَّوَجَلَّ، قتل، زنا، سرقة، هذه طاعـة مخلوق، وهي معصية إلا إذا استحللت ذلك الشيء الذي أمر به وهو حرام، فإنك حينئذ تكفر، لا لأجل مجرد الطاعة، وإنما من أجل الاستحلال.

سؤال: يقول يا شـيخ: بناء على الخلاف في القلم أيهما أول العرش أم القلم، بماذا يجاب عمن يقول: إن السلف اختلفوا في الأصول، منها هذه المسألة؟

جواب: هذه ما تضر، هل أنكر العرش أو القلم أحد منهما؟ إذا أنكر الإنسـان العرش أو أنكر القلم ماذا يكون مصيره؟

لكنها مسـألة تاريخيـة، لكل واحد فهم، وهذا الفهم من نصـوص أيهما أقدم تاريخًا ووجـودًا، لكـن هذا أصل الإيمان بالعـرش أصل الإيمان بالقلم، أصـل إذا أنكر أحدهما نقول السلف اختلفوا؟

الذي ينكر واحدًا منهما كافر، ما نقول السلف اختلفوا، هذا المخالف ما هو سلفي هل فهمتم؟

فهذا الخلاف لا يضر هذا اختلاف ليس في شيء من أصول الدين، خلاف في شيء نسميه تأريخي، من ولِد أولًا أبو بكر أو عمر؟ مثلًا: قال واحد: أبو بكر، وآخر قال: عمر، واحد أخطأ وواحد أصاب، اختلاف في التأريخ، لكن لو أن شخصًا أنكر صحبة أبي بكر أو أنكر صحبة عمر، فهذا من الضلال، هؤلاء يلبسـون على الناس ليمرروا خلافاتهم في العقائد والأصول.

السلف ما اختلفوا في الأصول فهؤلاء ملبسون، لماذا؟ يريد أن نسكت عن خلاف الروافض وخلاف الجهمية وخلاف المعتزلة بناء على الزعم بأن الصحابة والسلف اختلفوا في الأصول، هذا من التلبيس والمكر لجر السلفي إلى حزبيتهم المميعة التي ضيعت الإسلام وضيعت الحق والمنهج السلفي.

سؤال: مسلم يصلي ويصوم ويحج ويسب الله عَزَّوَجَلَّ ويسب الدين جاهلاً بحكم السب ما حكمه؟

جواب:

هذا كافر وليس بمسلم؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يجهل عظمته لا يهود ولا نصارى ولا هنادك، فالكل يعرفون عظمة الله، وهذا الذي يسب الله ويسب الدين مستخف ولو كان يعظم الله ويعظم الدين ما سب الله ولا سب الدين، هذا كافر وبدون إقامة حجة، لأن الحجة قائمة بذاتها الأحكام الخفية، هل الله خفي؟ حتى نقيم الحجة؟!

الأمور الخفية التي يخفى حكمها وهي خفية في ذاتها لا يُكَفَّر بها حتى تقام الحجة، أما الأمور الواضحة كسب الله وسب الرسول وسب الدين، هذا كافر.

عظمة الله وجلالته موجودة حتى في قلوب الكفار، لها وقار، ولها وقع ولها منزلة، ما يسبه إلا مستخف.

سؤال: تكفره مباشرة؟

جواب: رأسًا، إما القتل وإما التوبة، مرتد.

سؤال: وإذا صدر منه السب في حالة غضب؟

جواب: في غضب ما يجد إلا الله يسبه؟! عنده الكفار واليهود والنصارى يسبهم ما وجد إلا الله جَلَّجَلَالُهُ يسبه؟! قبَّحه الله، هذا دليل على خبثه وسوء معتقده.

١٩- باب تفريع معرفة الإيمان والإسلام وشرائع الدين

قال الإمام محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله على كل حال، وصلى الله على سيدنا محمد النبي، وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

أما بعد: فاعلموا -رحمنا الله تَعَالَىٰ وإياكم- أن الله عَزَّوَجَلَّ بعث نبيه محمدًا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الناس كافة ليقروا بتوحيده، فيقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكان من قال هذا موقنًا من قلبه، ناطقًا بلسانه أجزاه، ومن مات على هذا فإلى الجنة، فلما آمنوا بذلك وأخلصوا توحيدهم، فرض عليهم الصلاة بمكة، فصدقوا بذلك، وآمنوا وصلوا.

ثم فرض عليهم الهجرة، فهاجروا وفارقوا الأهل والأوطان.

ثم فرض عليهم بالمدينة الصيام، فآمنوا وصدقوا وصاموا شهر رمضان.

ثم فرض عليهم الزكاة، فآمنوا وصدقوا وأدوا ذلك كما أمروا.

ثم فرض عليهم الجهاد فجاهدوا البعيد والقريب، وصبروا وصدقوا.

ثم فرض عليهم الحج، فحجوا، وآمنوا به.

فلما آمنوا بهذه الفرائض، وعملوا بها تصديقًا بقلوبهم، وقولًا بألسنتهم، وعملًا بجوارحهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

....

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا».

ثم بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته شرائع الإسلام، حالًا بعد حال، وسنذكرها -إن شاء الله تَعَالَىٰ-، وهذا - رحمكم الله تَعَالَىٰ - طريق المسلمين.

فإن احتج محتج بالأحاديث التي رويت: «من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة».

قيل له: هذه كانت قبل نزول الفرائض - على ما تقدم ذكرنا له-، وهذا قول علماء المسلمين ممن نعتهم الله بالعلم، وكانوا أئمة يقتدى بهم سوى المرجئة الذين خرجوا عن جملة ما عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وقول الأئمة الذين لا يستوحش من ذكرهم في كل بلد.

وسنذكر من ذلك ما حضرنا ذكره -إن شاء الله تَعَالَىٰ-، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الموفق لكل رشاد، والمعين عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

[١٩٦] حدثنا أبو بكر عمر بن سعيد القراطيسي قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن منصور الرمادي قال: حدثنا أبو صالح قال: حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ بعث نبيه محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

....

بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدق بها المؤمنون زادهم الصلاة، فلما صدقوا بها زادهم الصيام، فلما صدقوا به زادهم الزكاة، فلما صدقوا زادهم الحج، فلما صدقوا به زادهم الجهاد، ثم أكمل لهم دينهم، فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وكان المشركون والمسلمون يحجون جميعًا، فلما نزلت براءة نفي المشركون عن البيت الحرام، وحج المسلمون لا يشاركهم في البيت الحرام أحد من المشركين، وكان ذلك من تمام النعمة، أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾»[1].

[١٩٧] حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار قال: حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الصفار قال: حدثني محمد بن عبد الملك المصيصي أبو عبد الله قال: كنا عند سفيان بن عيينة في سنة سبعين ومائة، فسأله رجل عن الإيمان؟ فقال: قول وعمل، قال: يزيد وينقص؟ قال: يزيد ما شاء الله، وينقص حتى لا يبقى منه مثل هذه، وأشار سفيان بيده.

....

---

(١) إسناده حسن، فيه علي بن أبي طلحة، لم يرَ ابن عباس، قال الحافظ ابن حجر: «صدوق قد يخطئ»، وقال في «الأمالي المطلقة» (١/ ٦٢) في كلامه على حديث رُوي من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «قلت: رجاله موثقون؛ لكنهم قالوا: لم يسمع علي بن أبي طلحة من ابن عباس؛ وإنما أخذ التفسير عن مجاهد وسعيد بن جبير عنه.

قلت: بعد أن عرفت الواسطة وهي معروفة بالثقة حصل الوثوق به، وقد اعتد البخاري في أكثر ما يجزم به معلقًا عن ابن عباس في التفسير على نسخة معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة، هذا كما أوضحته في تغليق التعليق، والله أعلم».

قال الرجل: كيف نصنع بقوم عندنا يزعمون أن الإيمان قول بلا عمل؟

قال سفيان: كان القول قولهم قبل أن تقرر أحكام الإيمان وحدوده، إن الله عَزَّوَجَلَّ بعث نبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الناس كلهم كافة، أن يقولوا: لا إله إلا الله وأنه رسول الله، فلما قالوها عصموا بها دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله.

فلما علم الله عَزَّوَجَلَّ صدق ذلك من قلوبهم، أمره أن يأمرهم بالصلاة، فأمرهم ففعلوا، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم.

فلما علم الله عَزَّوَجَلَّ صدق ذلك من قلوبهم، أمره أن يأمرهم بالهجرة إلى المدينة، فأمرهم ففعلوا، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم.

فلما علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صدق ذلك من قلوبهم، أمرهم بالرجوع إلى مكة ليقاتلوا آباءهم وأبناءهم، حتى يقولوا كقولهم، ويصلوا صلاتهم، ويهاجروا هجرتهم، فأمرهم ففعلوا، حتى أتى أحدهم برأس أبيه، فقال: يا رسول الله هذا رأس شيخ الكافرين، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول، ولا صلاتهم، ولا هجرتهم، ولا قتالهم.

فلما علم الله عَزَّوَجَلَّ صدق ذلك من قلوبهم، أمره أن يأمرهم بالطواف بالبيت تعبدًا، وأن يحلقوا رءوسهم تذللًا ففعلوا، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول، ولا صلاتهم، ولا هجرتهم، واقتلهم آباءهم.

فلما علم الله عَزَّوَجَلَّ صدق ذلك من قلوبهم، أمره أن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم بها، فأمرهم ففعلوا، حتى أتوا بها، قليلها وكثيرها، فوالله

....

لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول، ولا صلاتهم، ولا هجرتهم، ولا قتلهم آباءهم، ولا طوافهم.

فلما علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الصدق من قلوبهم فيما تتابع عليهم من شرائع الإيمان وحدوده، قال الله عَزَّ وَجَلَّ قل لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

قال سفيان: فمن ترك خلة من خلال الإيمان كان بها عندنا كافرًا، ومن تركها كسلًا أو تهاونًا بها أدبناه، وكان بها عندنا ناقصًا، هكذا السنة، أبلغها عني من سألك من الناس»[1].

قال المؤلف: «باب تعريف معرفة الإيمان والإسلام وشرائع الدين»: يعني: بيانها وتفصيلها وتوضيحها، ولعله يأتي بالفرق بين الإيمان والإسلام وشرائع الدّين التي تقوم على هذه الأصول.

قال بعد حمد الله والثناء عليه: «أما بعد: فاعلموا -رحمنا الله وإيَّاكم- أنَّ الله تَعَالَىٰ بعث محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النَّاس كافَّة ليقرُّوا بتوحيده».

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أرسل محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النَّاس كافَّة، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ إلى النَّاس جميعًا عربهم وعجمهم وأسودهم وأبيضهم وأحمرهم، فرسالته عامَّة، تميَّز بها على سائر الرسل عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهذا من ميزاته وخصوصياته، إذ كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الناس عامَّة، من عهده إلى يوم القيامة[2]، فهذه الأمم بعده كلّها يلزمها الإيمان بهذا الرسول واتّباعه،

---

(١) حسن، رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٨٨٥) رقم [١١٥٦] مختصرًا.

(٢) كما ثبت في «الصحيحين» البخاري «التيمم»، حديث [٣٣٥]، ومسلم «المساجد»، حديث رقم [٥٢١]، من رواية جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

كما في الحديث الصحيح: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلَّا كان من أهل النار**»(١)، والله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كل نبي يبعث إلى قومه خاصَّة، أمَّا هذا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء، به ختمت الرسالات والنبوات، فلابدَّ أن تؤخذ رسالته هذا المأخذ، فتشمل الأمم كلَّها والشعوب كلَّها من عهد بعثته إلى يوم القيامة.

«ليقرُّوا بتوحيده».

أولًا- بتوحيد الله، بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم إلى النَّاس كافَّة، لماذا؟ ليقرُّوا بتوحيده الذي خلقهم من أجله سبحانه وتعالى بأن يعبدوه وحده، ويخلصوا الدين له، ويأتمروا بأوامره ويجتنبوا نواهيه، ويتبعوا رسله عليهم الصلاة والسلام فيقولوا: لا إله إلا الله.

هذه الكلمة التي بُعث بها جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما من نبيٍّ ابتعثه الله إلى أمَّة من الأمم إلا كان أوَّل ما يدعوهم إليه هذه الكلمة العظيمة التي ترجح بالسموات والأرض، لو وضعت في كفَّة ووضعت السموات بمن فيهنَّ سوى الله عز وجل والأرضين بما فيهنَّ في كفَّة لمالت بهنَّ لا إله إلا الله(٢) فهي كلمة عظيمة، وهي دعوة جميع الرسل

١) أخرجه مسلم في «الإيمان»، حديث [١٥٣].

(٢) كما في الحديث المرفوع الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه، حديث [٢٣٢٤]، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٢٨)، من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
وفي هذا الأثر شيءٌ من الضعف؛ ولكن يشدُّه وصيَّةُ نوح لابنه عليه السلام أوصاه عند موته قال: «**يا بُنَي آمُرُكَ بأن لا إله إلا الله؛ فإنَّها لو وضعت في كِفَّةٍ، ووضعت السموات السبع والأرضون السبع في كِفَّة، لمالت بهنَّ لا إله إلا الله**». وهذا حديث صحيح، رواه أحمد (٢/ ١٧٠ - ٢٢٥)، والحاكم (١/ ٤٨-٤٩)، وصححه الألباني: في الصحيحة برقم [١٣٤].

عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فيجب على المسلمين أن يعرفوا مكانة التَّوحيد ومكانة هذه الكلمة «لا إله إلا الله».

«محمد رسول الله» ﷺ كان يقال نوح رسول الله وهود رسول الله وصالح رسول الله، في كل أمَّة رسولها: من بُعِث إليها.

وهذه الأمَّة رسولها محمد ﷺ سواء أمَّة الإجابة، أو أمَّة الدعوة، رسولهم محمد ﷺ، وقد صدع فيهم بـ«لا إله إلا الله» وبلَّغ ذلك على أكمل الوجوه، بل سلَّ السيف على مَن لا يقولها كما جاء في الحديث الصحيح: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»[١].

قال المصنف: «فكان من قال هذا موقنًا من قلبه ناطقًا بلسانه أجزأه».

في أول الأمر كان الرسول لا يدعو إلا إلى التوحيد، ولم تشرع الصلاة وهي أول الشرائع وأصلها الثاني بعد لا إله إلا الله وعمود الإسلام، ولم تشرع هذه الصلاة إلا في السنة العاشرة للبعثة، كما ذهب إلى هذا جماعة من أهل العلم، وقبلها ما كانت من التكاليف، كان النبي ﷺ يصلِّي هو وأصحابه تطوعًا، لكن الفريضة جاءت في هذا الوقت بعد عشر سنوات، ينادي قومه إلى هذه الكلمة ليقولوها وحاربوه وآذوه وفتنوا أصحابه من أجلها، وقتلوا من قتلوا وعذبوا من عذبوا فقط من أجل هذه الكلمة، لأنَّها كانت عظيمة وكانت صعبة عليهم، وكان معناها تدمير آلهتهم وخلعها والانسلاخ من

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في «الإيمان»، حديث [٢٥]، ومسلم في «الإيمان»، حديث [٢١] من حديث أبي هريرة، وجابر بن عبد الله، وحديث [٢٢] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

عبادتها، وهناك رؤساء لهم مصالح في هذه الديانة الكافرة فناهضوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وألبوا عليه وحذروا منه ووصفوه بالسحر وبالجنون وبالكذب وبـ... وبـ... إلخ.

كما ابتلي الأنبياء قبله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من أجل هذه الكلمة، وورثة الأنبياء من الموحدين في كل مكان، ما يُؤذَون إلا من أجل تحقيق هذه الكلمة.

كثير من المسلمين يقولونها لفظًا ولا يحققون معناها، وهو أنه لا معبود بحق إلا الله، وإخلاص العبادة لله، والدعاء والذبح والنذر له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى آخر العبادات التي شرعها الله لعباده.

الشاهد: أن المصنف يريد أن يبيِّن كيف جاء الإسلام بالتدرج، وكان كلما جاء أمر من أمور الإسلام آمن به الصحابة وطبقوه، كما أراده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ففرض عليهم هذه الشهادة، فقالوها صدقًا ويقينًا، ودانت لها قلوبهم وخضعت لها رقابهم ونطقت بها ألسنتهم صادقين مخلصين موقنين بذلك، فكان هذا هو الإسلام.

من مات قبل أن تشرع الصلاة ولم يصلِّ ومات على الإسلام ومات على التوحيد، ثم فرض الله الصلاة في السنة العاشرة في الليلة التي أسري بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها إلى بيت المقدس وعُرِج به إلى السماء، ولقي الأنبياء في كلِّ سماء، لقي أبانا آدم في السماء الدنيا، وعيسى ويحيى في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة، تكريمًا لهذا النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثم تجاوز ذلك إلى أن وصل إلى سدرة المنتهى عندها جنَّة المأوى، وسمع صريف الأقلام وناداه ربَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وكلفه وأمته بخمسين صلاة، فلـمَّا رجع مرَّ على موسى فقال: «**ما فرض ربك على أمتك؟**»، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خمسين صلاة**»، قال:

ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم.

قال: فرجع إلى ربه فقال: رب خفف عن أمتي، فحطَّ عني خمسًا، فرجع إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: حطَّ عني خمسًا، قال: فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف.

فلم يزل يرجع بين ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى وبين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى قال له ربه: «**يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، كل صلاة بعشر، فتلك خمسون صلاة**».

ثم نزل إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخبره فقال: «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف»، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه**»(١).

ففرض الله هذه الصلاة على هذه الأمّة، وبيّن أوقاتها، ونزل في اليوم الثاني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وصلّى بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوّل صلاة، وهي الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء ثم الفجر، في أوائل هذه الأوقات، وجاء في اليوم الثاني فصلّى به في أواخر أوقاتها وقال: «**الصلاة بين هذين**»(٢) فبيّنها الله بيانًا كافيًا لهذا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبحدودها وأركانها وشروطها، فآمنوا بها والتزموها وطبقوها، فكانوا في هذه الحال ما عندهم إلا الشهادتين والصلاة، من مات في هذا الوقت ولم يقدم من أعمال الإسلام إلا الشهادتين والصلاة مات مسلمًا مؤمنًا.

---

(١) أخرجه البخاري في «المناقب»، حديث [٣٨٨٧]، ومسلم في «الإيمان»، حديث [١٦٢].

(٢) أخرجه مسلم في «المساجد»، حديث [٦١٣]، والنسائي في «المواقيت»، حديث [٥١٩]، والترمذي في «الصلاة»، حديث [١٥٢]، وابن ماجه في «الصلاة»، حديث [٦٦٧].

قال المصنف: «ثم فرض عليهم الهجرة، فهاجروا، وفارقوا الأهل والأوطان».

ثم فرض عليهم الهجرة، يعني: بعد فريضة الصلاة بسنة أو قريب منها أذِنَ الله لهم في الهجرة، فهاجر أصحاب النبي ﷺ تِبَاعًا، ثم لحق بهم بعد ذلك رسول الله ﷺ، يصحبه أبو بكر في رحلته هذه إلى المدينة.

من أجل دينهم تركوا أوطانهم وأموالهم وديارهم وأقرباءهم وآباءهم وأبناءهم من أجل لا إله إلا الله، من أجل التوحيد نصرةً لـ«لا إله إلا الله»، فشرعت الهجرة إلى يوم القيامة[1]، إذا كان المسلم في بلد كافر لا يستطيع أن يقيم شعائر دينه فعليه أن يهاجر، الهجرة مفروضة على المسلمين وشريعة قائمة إلى يوم القيامة إذا احتاج إليها المسلم.

إذا عجز في بلد ما عن إقامة شرائع دينه، فعليه أن يهاجر ويترك أمواله وأبناءه وعشيرته ووطنه لأجل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومع الأسف، المسلمون اليوم يهاجرون من أوطانهم إلى بلد الكفر، ويعيشون أذلَّاء لا يستطيعون أن يقيموا شعائر دينهم، وفي غاية الذل وفي المِهَن الدنيئة والحِرَف السَّاقطة،

---

(١) لما روى أحمد في مسنده (١/ ١٩٢)، والطبراني في «مسند الشاميين» [١٦٤٩] وغيرهما: عن مالك بن يخامر السكسكي عن عبد الله بن السعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لا تَنقَطِعُ الهِجرَةُ مَا دَامَ العَدُوُّ يُقَاتَلُ»، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ وَعَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ وَعَبدُ الله بنُ عَمرِو بنِ العَاصِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الهِجرَةَ خَصلَتَانِ: إِحدَاهُمَا أَن تَهجُرَ السَّيِّئَاتِ، وَالأُخرَى أَن تُهَاجِرَ إِلَى الله وَرَسُولِهِ، وَلا تَنقَطِعُ الهِجرَةُ مَا تُقُبِّلَت التَّوبَةُ، وَلا تَزَالُ التَّوبَةُ مَقبُولَةً حَتَّى تَطلُعَ الشَّمسُ مِنَ المَغرِبِ، فَإِذَا طَلَعَت طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلبٍ بِمَا فِيهِ وَكُفِيَ النَّاسُ العَمَلَ». ورواه أحمد (٥/ ٢٧٠)، والنسائي (٤١٧٢، ٤١٧٣)، وابن حبان (١١/ ٢٠٧) رقم [٤٨٦٦] عن عبد الله بن السعدي مختصرًا. انظر: «إرواء الغليل» للألباني: (٥/ ٣٣-٣٤)، الحديث رقم [١٢٠٨].

ثم بعد ذلك يتعرَّض أبناؤهم للتنصير والتكفير -والعياذ بالله-، والخروج من الإسلام إلى الإلحاد أو إلى ما شاء أعداء الله.

قال: «وفارقوا الأهل والوطن».

لأجل ماذا؟ لأجل هذا الدين لأجل «لا إله إلا الله» ولأجل الصلاة، وفي ذلك الوقت ما فرضت الزكاة ولا الصوم ولا الحج ولا شيء من أركان الإسلام، عندهم هذان الركنان: التوحيد والصلاة.

هاجروا والله من أجلهما وأوذوا وعُذبوا من أجلهما، كان أبو بكر يصلي في مكة فيتقصف إليه النِّساء والأطفال، ويصلي في بيته ويبكي فترقُّ النساء والأطفال فيدخلون في الإسلام، فآذوه واضطروه إلى الهجرة فخرج مهاجرًا إلى اليمن أو الحبشة.

قال ابنُ إسحاق: «وقد كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -كما حدثني محمد ابن مسلم الزهري عن عروة عن عائشة - حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الهجرة فأذن له.

فخرج أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مهاجرًا حتى إذا سار من مكة يومًا أو يومين، لقيه ابن الدغنة -أخو بني الحارث بن يزيد أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة- وهو يومئذ سيد الأحابيش.

فقال ابن الدغنة: إلى أين يا أبا بكر؟

قال: أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي.

قال: ولم؟ والله إنك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدوم، ارجع فإنك في جواري.

فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة، فلا يعرض له أحد إلا بخير، قال: فكفوا عنه.

قالت: وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جمح، فكان يصلي فيه وكان رجلا رقيقًا إذا قرأ القرآن استبكى.

قالت: فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته.

قال: فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة فقالوا: يا ابن الدغنة إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا، إنه رجل إذا صلى وقرأ يرق، وكانت له هيئة ونحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم، فأتِهِ فمُرهُ أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء.

قالت: فمشى ابن الدغنة إليه فقال: يا أبا بكر إني لم أجرك لتؤذي قومك، وقد كرهوا مكانك الذي أنت به، وتأذوا بذلك منك، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت.

قال: أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله.

قال: فاردد علي جواري.

قال: قد رددته عليك.

قال: فقام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش إن ابن أبي قحافة قد ردَّ علي جواري فشأنكم بصاحبكم».

خرج من ذمَّته وتحمَّل الأذى في سبيل دينه، وهو في وطنه وبين أهله وعشيرته تحمَّل الأذى حتى أذن الله بالهجرة، فهاجر مع رسول الله ﷺ.

قال المصنف: «ثم فرض عليهم بالمدينة الصيام فآمنوا وصدقوا وصاموا شهر رمضان».

التزموا هذه الشعيرة الجديدة وهذا الركن الإسلامي العظيم؛ التزموه وطبقوه.

قال المصنف: «ثم فرض عليهم الزكاة فآمنوا وصدقوا وأدوا ذلك، كما أمروا» كلما جاءتهم شريعة آمنوا بها وصدقوا بها وعملوا بها.

قال المصنف: « ثم فرض عليهم الجهاد فجاهدوا البعيد والقريب، وصبروا وصدقوا».

كلما أتتهم شريعة آمنوا بها وما تنصَّلوا منها، وما قالوا: شقَّت علينا، ليسوا كبني إسرائيل، كانوا يعاندون كلما جاءتهم شريعة تملَّصوا منها -والعياذ بالله- إلا من وفَّق الله منهم.

وقرأتم في سورة البقرة لما أمرهم الله بذبح بقرة كيف تعنَّتوا على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكذلك لما أعلن الجهاد كيف تعنَّتوا عليه وقالوا: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ فكانت أمة محمد خير أمة أُخرجت للناس، كما مدحها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذلك، فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال المصنف: «فلما آمنوا بهذه الفرائض، وعملوا بها تصديقًا بقلوبهم، وقولًا بألسنتهم، وعملًا بجوارحهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾... الآية.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

هذه ما من قضية تقريبًا إلا وخالف فيها المرجئة، فبعض المرجئة يقول: الإيمان هو المعرفة بالقلب فقط، ولا يلزم النطق باللسان ولا العمل بالجوارح، قبَّحهم الله، يعني: إبليس وفرعون وكلُّ الكفار عندهم مؤمنون، فهذا مذهب خبيث في غاية الخبث.

«تصديقًا بقلوبهم وقولًا بألسنتهم».

نوع من المرجئة -وهم مرجئة الفقهاء- يقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط والعمل ليس من الإيمان.

فالمصنف الآن يقول هذا الكلام، ويرتب هذا الترتيب، ليبين انحراف المرجئة على مختلف أشكالها.

فمنهم من يقول: الإيمان هو المعرفة فقط، ومنهم من يقول: الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان فقط والعمل ليس من الإيمان، لا صلاة ولا زكاة ولا صوم... ليست من الإيمان، هذه الأعمال وهذه الأركان وهذه الشرائع العظيمة التي يقول فيها النبيُّ ﷺ: «**بني الإسلام على خمس...**»[1] منها الشهادتان والأربع الباقية كلُّها أركان، هذه الأركان تسقط على هذا المذهب ولا تدخل في الإيمان، لكن هؤلاء الفقهاء وإن وافقوا المرجئة في إخراج العمل من تعريف الإيمان، إلا أنهم يرون وجوب العمل ويرون الذَّم لمن يقصِّر في هذه الأعمال، فيلحقه الذَّم ويلحقه الوعيد، فخالفوا أهل السنة

(١) سيأتي تخريجه.

في تعريف الإيمان -وهذه مخالفة شنيعة-، لكنهم التقوا مع أهل السنة في وجوب العمل، وأن من يقصر فيه يلحقه الذَّم والوعيد، فيتعرض للدخول في النَّار إن لم تشمله رحمة الله عَزَّوَجَلَّ.

«وعملًا بجوارحهم».

يعني: في هذا الظرف لما توفرت هذه الأمور وتمَّت هذه الشرائع، وكان بعد شرعيَّة الحج في السنة التاسعة على الصحيح، وحجَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة العاشرة، فلمَّا تكاملت هذه الأركان وهذه الشرائع، أنزل الله في حجَّة الوداع ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعرفات قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣][1].

لما تكاملت هذه الشرائع أنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هذه الآية مبينًا نعمته التي أكملها على هذه الأمة، وهو أنَّه أكمل لهم الدين وأتمَّ عليهم النعمة ورضي لهم الإسلام دينًا.

فمن لا يرى هذه الأعمال التي شُرِعت بعد الشهادتين، فهذا عند كثير من السَّلف كافرٌ.

بعض السَّلف كفَّر بترك الصلاة، يعني: إذا قام بالشهادتين على الوجه المطلوب وقصَّر في الصلاة فتاركها عندهم كافر، يعني: هم لا يكفرون بترك الزكاة ولا بترك الصوم ولا بترك الحج، وهي جرائم وكبائر عظيمة... الخ.

---

(١) انظر «الصحيحين»: البخاري في «الإيمان»، حديث [٤٥]، وفي مواضع أخرى، ومسلم في «التفسير»، حديث [٣٠١٧]، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه المصنف برقم (١٩٨، ١٩٩).

وقد يؤدِّي به تركها إلى النِّفاق والكفر، لكن لا يكفرونه، لأنَّ الصحابة -رضوان الله عليهم- لم يكونوا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة(١).

فبعضهم وافق الصحابة أو جلَّهم في تكفير تارك الصلاة ولم يكفروا تارك الزكاة أو الصوم أو الحج أو جميعها، لكن يقولون:هو مجرم ناقص الإيمان، وإيمانه ينقص إلى مثقال ذرَّة، بل إلى حدِّ الزوال(٢).

هذا عند أهل السنة والجماعة، خلافًا للمرجئة الذين لا يدخلون العمل في الإيمان ثم يتفاوتون، فمنهم من يقول: الإيمان قول باللسان فقط وهم الكرامية، فالمنافق عندهم مؤمن، لأنه قال بلسانه «لا إله إلا الله»، وعلى الطرف الآخر غلاة المرجئة، قالوا: الإيمان هو التصديق فقط، وبعضهم يقول: المعرفة فقط.

ويلزم على قولهم أن يكون أبو جهل وأبو لهب وفرعون وهامان وقارون وعلى رأسهم إبليس مؤمنون عندهم، لأنهم عرفوا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الكفار كانوا يعترفون بالربوبية لله ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥].

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

---

(١) روى هذا عنهم عبد الله بن شقيق العقيلي، أخرجه الترمذي في «جامعه» (٥/ ١٤) ح رقم [٢٦٢٢]، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة»، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٨) رقم [١٢].

(٢) هذا ما قاله الشيخ ربيع منذ أزيد من خمس سنوات؛ بل قاله قبل هذا التأريخ بسنوات، وقبل فتنة فالح والحدادية وكثيرًا ما يقوله إلى الآن، ومع ذلك يرميه الحدادية بالإرجاء؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار.

فالكفار عندهم -على هذا التعريف الباطل- مؤمنون، وهذه مصادمة لنصوص كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وما عليه أمة الإسلام، لهذا قال المصنف بعد أن ساق النصوص: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ والإسلام في الآيتين يشمل أعمال القلوب واعتقادها وقول اللسان وأعمال الجوارح.

الإسلام إذا انفرد دخلت فيه أعمال الإسلام والإيمان، والإيمان إذا انفرد دخلت فيه أعمال الإسلام والإيمان، يعني: أعمال القلوب واعتقادها وقول اللسان وأعمال الجوارح، فإذا اجتمعا في سياق واحد كما في حديث عمر في مجيء جبريل إلى النبي ﷺ وسؤال جبريل رسول الله عن الإسلام والإيمان والإحسان فقال: «**يا محمد: أخبرني عن الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت الحرام إن استطعت إليه سبيلًا، قال: صدقت، فعجبنا أنه يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. قال: صدقت، فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١).

في مثل هذا السياق الذي يفرق فيه بين الإسلام والإيمان، يكون للإسلام معنى وهو أعمال الجوارح، الأعمال الظاهرة، وللإيمان معنىً آخر وهو أعمال القلوب وأقوالها كالإيمان بالله و.. و.... إلخ.

---

(١) أخرجه مسلم في «الإيمان» حديث [١].

فالقاعدة في الإسلام والإيمان: أنَّهما إذا اجتمعا افترقا، يعني: لكلٍّ منهما معنى وأعمالًا يتناولها، وإذا افترقا يعني: انفرد ذكر الإيمان، شمل أعمال الإسلام والإيمان، وإذا انفرد ذكر الإسلام -كما في هاتين الآيتين- شمل كلَّ أعمال الإيمان وعقائده وأعمال الإسلام، ولهذا قال تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ دخلت فيه شرائع الإيمان ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ دخلت فيه شرائع الإيمان.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول لله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا»**[1].

يعني: لما تكاملت شرائع الإسلام أنزل الله تَعَالَى هذه الآية، وجاء جبريل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليعلِّم هذه الأمَّة دينها كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن انتهى جبريل من طرح أسئلته، وأجابه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذهب جبريل فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أتدرون من السائل؟»** قالوا: لا، قال: **«هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم»**.

فعلًا بيَّن لهم أصول الإسلام والإيمان والإحسان، فبيَّن لهم الدين، وهذه هي مراتب الدين، الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان.

الإحسان: هو استكمال النوافل بعد الفرائض، الإحسان: أن يأتي بالفرائض كلِّها ويتجنب المحرمات كلها، ويزيد على ذلك: التقرب إلى الله بالنوافل، فهؤلاء هم

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في «الإيمان»، حديث [٨]، ومسلم في «الإيمان»، حديث [١٦] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

السابقون، ويليهم أصحاب اليمين، وهم الذين يقومون بالواجبات ويتركون المحرمات ولا يستقصون النوافل ولا يتجنبون مثلًا كل المكروهات ولا يستوفون المستحبات، هؤلاء يسمون أصحاب اليمين ويسمون أبرارًا، كما في سورة الواقعة وسورة المطففين وسورة الإنسان، يعني: ميَّز الله بينهما.

أما في سورة فاطر: فقسمهم إلى ثلاثة أقسام فقال تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

فالذين ظلموا أنفسهم هم الذين قصروا في الواجبات ووقعوا في المحرمات فهؤلاء مسلمون خلافًا للخوارج، فإنهم يكفِّرون مرتكب الكبيرة، فهذه الآية من أقوى الأدلة في بيان بطلان مذهب الخوارج، فالله سمَّى الظالم لنفسه من المصطفين في الجملة.

﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ وهم الأبرار الذين أدوا الواجبات واجتنبوا المحرمات، ثم خففوا على أنفسهم شيئًا ما ولم يرتقوا إلى درجة السابقين، فيقصِّرون في النوافل، ويقعون في بعض المكروهات، لكن المحرمات لا يقعون فيها، لهذا سماهم الله أصحاب اليمين وسماهم أبرارًا.

أما السابقون بالخيرات، فهم الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات واستكملوا الطاعات بالتقرب إلى الله بأنواع القربات من نوافل الصلوات ونوافل الصيام والحج والعمرة والصدقات والبر والإحسان وصلة الأرحام وما شاكل ذلك استوفوها، فهؤلاء هم السابقون، ثم يتفاوتون في الدرجات في الجنَّة حتَّى إنَّ الرجل في الجنَّة ليرى مَن فوقه كما يرى النَّجم الدرِّي الغابر في الأفق، -أي: البعيد- لتفاوت منازلهم، قال الصحابة:

تلك منازل لا يلحقها إلا الأنبياء، فقال رسول الله ﷺ: «**بلى رجال آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين**»[1] نسأل الله أن يجعلنا وإيَّاكم منهم.

قال المصنف: «ثم بيَّن النبي ﷺ لأمَّته شرائع الإسلام حالًا بعد الحديث» يعني: الإسلام جاء بالتدريج خطوة خطوة، تربية من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورحمةً بهذه الأمَّة حتى تكامل الدِّين، وسنذكر ذلك إن شاء الله تَعَالَىٰ، وهذا رحمكم الله طريق المسلمين، يعني: طريق المسلمين من أول الوصف هذا إلى آخره، يؤمنون بالإسلام كلِّه، بدؤوا بالتدريج هكذا حتى تكامل الدِّين، فطبقوا الدِّين كاملًا، وعلى المسلمين أن يسيروا على نهجهم، لا يجوز أن ينقصوا منه شيئًا، فلا نحرِّم حلالًا ولا نحلِّل حرامًا ولا نخالف في شريعةٍ من الشرائع، بل علينا أن نعتبرها كلَّها من شريعة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ، فنحترمها ونطبقها ونذب عنها ونبيِّن صحيحها من سقيمها وما شاكل ذلك، حفاظًا على هذا الدين الذي وصفه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالكمال وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

ماذا يقول دعاة وحدة الأديان وحرية التدين ومساواة الأديان؟ عليهم من الله ما يستحقون.

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ وهم يقولون: الإسلام واليهودية والنصرانية سواء، وهذه ملة إبراهيم.

إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول الله تَعَالَىٰ في شأنه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ برَّأه الله تَعَالَىٰ من كلِّ الأديان الباطلة، من اليهودية

(١) أخرجه البخاري في «بدء الخلق»، حديث [٣٢٥٦]، ومسلم في «الجنة»، حديث [٢٨٣١].

والنصرانية والوثنيات بكل أنواعها، المجوسية والهندوكية وشرك العرب وكلها برَّأ الله إبراهيم منها، فيأتي هؤلاء الضلَّال فيقولون بوحدة الأديان وأخوة الأديان ومساواة الأديان... إلخ، والله تَعَالَىٰ يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وهؤلاء يناقضون نصوص الإسلام، فيعترفون بهذه الأديان ويسوونها بالإسلام دين الله الوحيد الذي لا يقبل دينًا سواه.

الإسلام القائم على التوحيد وعلى الإيمان بالنبوات كلها والرسالات كلها وقضايا الإيمان كلها، لكن الإسلام عند دعاة وحدة الأديان هو مثل اليهودية والنصرانية المحرفة المبدلة المليئة بالشرك والضلال، حرفوها من ديانات التوحيد والرسالات الإسلامية إلى كفر وإلحاد وزندقة، ثم يقول هؤلاء الضلَّال: هي والإسلام سواء!!

فالمؤلف يريد أن يبين منهج أهل السنة والجماعة في أن الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقادٌ لا قولٌ فقط كما يقوله بعض المرجئة، ولا اعتقادٌ فقط كما يقوله غيرهم، ولا قولٌ باللسان واعتقادٌ فقط مع نفي عمل الجوارح عن الإيمان كما يقوله مرجئة الفقهاء.

يريد أن يبيّن منهج أهل السنة والجماعة الذي دل عليه الكتاب والسنة أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، والقرآن مليء بهذه الأدلة والسنة كذلك ومنهج السلف الصالح على هذا، خلافًا لأهل البدع.

وبعض الفرق يرى أن الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقادٌ ولكنه يكفر بارتكاب الكبائر وما شاكل ذلك، هؤلاء هم الخوارج والمعتزلة[1] ومن سار سيرهم، وهذا غلوٌّ، ويقابلهم

(١) **المعتزلة يقولون:** إن مرتكب الكبيرة في منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر، هو فاسق، وحكمه في الآخرة الخلود في النار، فيلتقون مع الخوارج في الحكم.

المرجئة بهذه السلبية وهو أن الإيمان هو المعرفة أو القول باللسان مع اعتقاد القلب أو القول باللسان فقط مع إخراجهم العمل من الإيمان على اختلاف مذاهب المرجئة، وقول أهل السنة هو الحق وعليه تدل الأدلة والآثار السلفية.

ساق من هذه الآثار، أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «فإن احتج محتج بالأحاديث التي رويت: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» يعني: أنَّ هذا من غلاة المرجئة يكفي عنده من قال «لا إله إلا الله دخل الجنة» ما فيه عمل ولا اعتقاد - نسأل الله العافية - وقد حكينا لكم مذاهبهم الأخرى، والمصنف يرد الآن على هذه المقولة الفاسدة بما حكاه عن الزهريِّ وغيره.

«فإن احتج محتج بالأحاديث التي رويت: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة.

قيل له: هذه كانت قبل نزول الفرائض، على ما تقدم ذكرنا له، وهذا قول علماء المسلمين ممن نعتهم الله عَزَّوَجَلَّ بالعلم، وكانوا أئمة يقتدى بهم، سوى المرجئة الذين خرجوا عن جملة ما عليه الصحابة، والتابعون لهم بإحسان، وقول الأئمة الذين لا يستوحش من ذكرهم في كل بلد».

الكلام فيه تفصيل، إن كان يريد بهذا الكلام الرد على المرجئة بأنه يكفي المرء أن يقول لا إله إلا الله ويدخل بذلك الجنة، فهذا يرده أئمة السنة جميعًا، وإن كان يريد أنهم اتفقوا على هذا التفسير، أن هذه كانت قبل الفرائض، فالأمر بخلاف ذلك.

قال المعلق: «وهذا الحديث ممَّا يؤيد بدعة الإرجاء».

أقول: ما كان ينبغي أن يقول: يؤيد بدعة الإرجاء، وإنما يقول: تعلق المرجئة خطأً بهذا الحديث، وإلا هو لا يؤيد مذهبهم -ولله الحمد-؛ لأن كلام الرسول لا يكون إلا

حقًّا فلا يؤيد باطلًا أبدًا، لكن يصدق عليهم قول الله تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾.

وفي حديث عتبان: «يبتغي بها وجه الله»[1] فهذا دلَّ على شرط من شروط لا إله إلا الله، وهو الإخلاص.

أمَّا حديث معاذ: **«ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، إلا حرَّمه الله على النار»**[2] فهذا مطلق، لكنه مقيد بالنص الأوَّل وغيره.

يعني: هذا فيه اشتراط اليقين، لأن الشك ضده اليقين، وهناك أدلة أخرى فيها اشتراط اليقين، والحديث هذا ليس هو من حديث عبادة، وإنما هو من حديث أبي هريرة أو أبي سعيد، رواه مسلم من طريق الأعمش، فقال فيه عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد.

وهذا الحديث كان في غزوة تبوك لما نفدت أزوادهم، واستأذنوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينحروا ظهورهم لما أصاب الناس مجاعة، فقال عمر: يا رسول الله ادع بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، فقال: نعم.

قال: فدعا بنطع فبُسط ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الآخر بكف تمر ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع شيء يسير، فدعا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملئوه، قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال

---

(١) أخرجه البخاري في «الصلاة»، حديث [٤٢٥]، ومسلم في «المساجد»، حديث [٣٣].

(٢) أخرجه مسلم في «الإيمان»، حديث [٣٣].

رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة**»[١].

هذا هو الحديث حديث أبي هريرة أو أبي سعيد، شك فيه الراوي، ولا يضر الشك في الصحابي، لأنهم كلهم عدول، وورد من طرق أخرى مصرحًا به عن أبي هريرة رضي الله عنه.

من قال: «لا إله إلا الله» ثم مات، هذا شرط من الشروط، لو قال: «لا إله إلا الله» ثم مات على غيرها هذا لا يدخل الجنة، يموت كافرًا -والعياذ بالله-، فمن شروطها أن يموت عليها.

بعض العلماء نظم أبياتًا في ذكر هذه الشروط، فقال:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع	**محبة وانقياد والقبول لها**
وزيد ثامنها الكفران منك بما	**سوى الإله من الأوثان قد ألها**

يعني: تصير الشروط ثمانية منها:

١- **الكفر بالطواغيت:** ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ العروة الوثقى هي لا إله إلا الله، وبعضهم يرى أنه يمكن أن تكون الشروط أكثر من هذه مأخوذة من الكتاب والسنة.

٢- **العلم:** دليله ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ و﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

٣- **واليقين:** من أدلته قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم في «الإيمان»، حديث [٢٧].

ومنهـا: الحديـث هـذا حديـث أبي هريرة أو أبي سـعيد وفيـه: «لقـي الله وهو غير شـاك..»، وأيضًـا حديث: «**مـن قال لا إلـه إلا الله موقنًا بها**»(١) فهـذه من الأدلة على اشتراط اليقين.

٤- **والقبول:** القبول له أدلته الحسية والعقلية والشرعية.

قراءة وتعليق على «أدلة شروط لا إله إلا الله» من «معارج القبول» للعلامة حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«القبـول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسـانه» قال الشـيخ معلقًا على هذه الجملة: ليـس نطقهـا ولفظهـا فقط، بل لهـا مقتضيات فلابد من قبـول مقتضيـات لا إله إلا الله، ومقتضياتها: الصلاة والزكاة والصوم والجهاد والحاكمية...إلخ.

فلابد أن يقبل هذه الأشياء ويلتزم بهذه الأحكام، إذا لم يلتزم شيئًا من هذه الأصول فهـو كافـر، إذا رفض قبول الصلاة وما التزمها أو رفض قبـول حاكمية الله، وكذا الزكاة والصوم والحج وتحليل الحلال وتحريم الحرام، هذه مستلزمات لا إله إلا الله ومقتضياتها، فلابد من التزام هذه المقتضيات لتصح منه لا إله إلا الله.

قال الشيخ حافظ: «وقد قص الله عَزَّوَجَلَّ علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قَبِلَها وانتقامه ممن ردها وأباها».

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [النحل: ٣٦] الذيـن قبلوهـا هم ممن هدى الله، والذين لم يقبلوها هم ممن حقت عليهم الضلالة، لم يقبلوها فهم كفار.

---

(١) أخرجه مسلم في «الإيمان»، حديث [٣١].

قال الشيخ حافظ: «كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف: ٢٣ - ٢٥]».

أرسلوا بـ «لا إله إلا الله» ومقتضياتها، فكفر بها الكفار وبمقتضياتها.

قال الشيخ حافظ: «قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾».

ويهلك من كفر بالتوحيد وبلا إله إلا الله.

قال الشيخ حافظ: «وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣]».

جاءوا بالبينات، من الأدلة والمعجزات والبراهين على أنهم مرسلون من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بتوحيده عَزَّوَجَلَّ ومطالبة هذه الأمم بقبول هذا التوحيد، فرده الكافرون المجرمون فأهلكهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال الشيخ حافظ: «وكذلك أخبرنا بما وعد به القابلين لها من الثواب، وما أعده لمن ردها من العذاب كما قال تعالى: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات: ٢٢ - ٣٦]».

يعني: ردوا لا إله إلا الله وأصروا على كفرهم وعلى ما وجدوا عليه آباءهم من الكفر والشرك بالله.

قال الشيخ حافظ: «فجعل الله تَعَالَى علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله، وتكذيبهم من جاء بها، فلم ينفوا ما نفته ولم يثبتوا ما أثبتته، بل قالوا إنكارًا واستكبارًا ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾، وقالوا هاهنا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ فكذبهم الله عَزَّوَجَلَّ ورد ذلك عليهم».

يا إخوة، الذي يريد أن يرد الحق يأتي بعيوب لصاحب الحق، هذا ما عليه الكفار من اليهود والنصارى والوثنيون وأهل البدع.

أهل البدع قد يبارون الكفار في الكذب وتشويه أصحاب الحق، كما شوهوا ابن تيمية وأحمد بن حنبل وغيرهما من أئمة السنة، وكما شوهوا الإمام محمد بن عبد الوهاب: وكم ظلموه وافتروا عليه، فهم يضحكون على السذج والبلهاء بتشويه ما جاء من الحق، وتشويه من جاء به.

المشركون يقولون في رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو مجنون وكلامه كلام الشعراء، قاتلهم الله، وقالوا: كاهن، وقالوا: كذّاب، فما عندهم حجج، ما عندهم إلا الضلال، ويقول أهل الضلال مثل هذه الأقوال الخبيثة في أهل الحقّ، فيرمونهم بالفواقر والعظائم، فيقولون في أهل الحق: إنهم مشبهة ومجسمة، ويبغضون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويبغضون الأولياء، واليوم يقولون في أهل الحق: إنهم علماء حيض ونفاس وجواسيس وعملاء ومرجئة.. إلخ.

قال الشيخ حافظ: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾.

الحسنة هي لا إله إلا الله، التوحيد وما يتبعه.

قال الشيخ حافظ: وفي الصحيح عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضًا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم**»(1).

وفي طليعة ما علمه لا إله إلا الله وما يتبعها لكن على رأس عِلمِهِ علمُه بمعنى لا إله إلا الله.

قال الشيخ حافظ -متممًا للحديث السابق-: «ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

هذا الحديث عظيم جدًّا ومثلٌ عظيم، لكن الشاهد منه: «ومثل من عِلم وعلَّمَ» ويقابله: «وذلك مثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي جئت به» وعلى رأس هدى الله الذي جاء به هو التوحيد «لا إله إلا الله» فهذا من أدلة اشتراط القبول.

قال الشيخ حافظ: «**الرابع**- الانقياد لما دلت عليه المنافي للترك، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾».

هذا الانقياد ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ ﴾ أي: توبوا إلى ربكم وانقادوا له.

---

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري في «العلم»، حديث [٧٩]، ومسلم في «الفضائل»، حديث [٢٢٨٢].

قال الشيخ حافظ: «وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [لقمان: ٢٢] أي: بلا إله إلا الله ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾».

«أسلم وجهه لله» أي: انقاد لله عز وجل وهو مؤمن، انقاد لـ لا إله إلا الله وهو مؤمن، هذا هو الانقياد لله عز وجل.

قال الشيخ حافظ: «ومعنى يسلم وجهه أي: ينقاد وهو محسن موحد، ومن لم يسلم وجهه إلى الله ولم يك محسنًا، فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى، وهو المعني بقوله عز وجل بعد ذلك: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان: ٢٣ - ٢٤]».

قال الشيخ ربيع: هؤلاء لم يسلموا وجوههم لله ولم ينقادوا لله عز وجل فهم كفار يستحقون هذا الوعيد.

قال الشيخ حافظ: «وفي حديث صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»(١) وهذا هو تمام الانقياد وغايته».

الحديث فيه ضعف، ولكن تكفي هذه النصوص التي جاءت ويستأنس به.

أما هذا الحديث فبعضهم يصححه، وبعضهم يضعفه وعلى رأسهم الحافظ ابن رجب: في «جامع العلوم والحكم» وعلى كل حال هو صالح للاستئناس، يضاف إلى الأدلة التي فيها هذه الشروط التي فيها الانقياد.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٢)، رقم [١٥]، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/ ٣٧٨) رقم [٢٧٩]، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٣).

فقولـه: «تبعًا لما جاءت بـه» معناه: انقـاد لله عَزَّوَجَلَّ، يقدم رضـا الله على رضا أهل الدنيا كلها بما فيها من بشر ومخلوقات.

قال الشيخ حافظ: «الخامس: الصدق فيها المنافي للكذب، وهو أن يقولها صدقًا من قلبه، يواطئ قلبه لسانه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣]».

الشاهد من الآية قوله: صدقوا والكاذبون هم المنافقون، يقولها وهو كاذب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] لم يصدِّقوا بها ولم يصدقوا في قولها.

قال الشيخ حافظ: قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أفلح إن صدق»(١).

تعليقًـا عـلى حديث ضـمام: «أفلح إن صـدق»، التزم شرائع الإسـلام ومقتضيات لا إلـه إلا الله، فـإن صـدق في ذلك فقد أفلـح، فقيد النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفـلاح بالصدق، فهذا دليل على أن الصدق من شروط لا إله إلا الله.

قال الشـيخ حافظ: «السـادس- الإخلاص: وهـو تصفية العمل بصالـح النية عن جميع شـوائب الشرك، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾... الآية [البينة: ٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في «الإيمان»، حديث [٤٦]، ومسلم في «الإيمان»، حديث [١١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦]، وغير ذلك من الآيات.

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي: من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه**»(١).

وفي الصحيح عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله** عز وجل»(٢).

وفي جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصًا، إلا فُتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش، ما اجتنب الكبائر**» قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه(٣).

وللنسائي في «اليوم والليلة»(٤) من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصًا بها قلبه، يصدق بها لسانه، إلا فتق الله لها السماء فتقًا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحُق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله**».

---

(١) أخرجه البخاري في «العلم»، حديث [٩٩]»، وفي «الرقاق»، حديث [٦٥٧٠]، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٣٧٣)، والنسائي في «الكبرى» حديث [٥٨٤٢].

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «جامع الترمذي»، كتاب: «الدعوات»، حديث [٣٥٩٠]، والنسائي في «عمل اليوم والليلة»، ص: [٤٨٢]، رقم [٨٣٣].

(٤) «عمل اليوم والليلة»، ص: [١٥٠]، رقم [٢٨].

الله أكبر، جزاه الله خيرًا، جمع من شروط لا إله إلا الله ما لم يجمعه غيره، وإن سبقه غيره لكن هو جمع فيها نصوصًا، فجزاه الله خيرًا ورحمه وتغمده برضوانه.

قال الشيخ حافظ: «السابع- المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها... ».

انظر كيف أدخل موضوع الولاء والبراء في هذه الأمور التي يجهلها أهل الفتن وأهل البدع ولا يحتفون بها -نسأل الله العافية- .

وقال الشيخ تعليقًا على كلمة «لما اقتضته»: اقتضت الإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر والجنة والنار وشرائع الإسلام...إلخ.

على المسلم أن يحب كل هذه الأشياء ولا يبغض شيئًا منها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٩] إذا كره شيئًا مما جاء به محمد ﷺ من القرآن أو السنة، حبط عمله ويكون هذا كفرًا بالله وبما أنزل على رسوله ﷺ.

قال الشيخ حافظ: «... وبغض ما ناقض ذلك».

أقول: أهل البدع لا يلتزمون بهذه الشروط ولا يعرفونها.

قال الشيخ حافظ: «قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

فأخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ أن عباده المؤمنين أشد حبًّا له، وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحدًا، كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادًا يحبونهم كحبه.

وعلامة حب العبد ربه: تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة مَن والى الله ورسوله، ومعاداة من عاداه».

هـذه كلها مـن علامـات محبـة الله عَزَّوَجَلَّ أن تحب الله وتحب ما أوحاه إلى رسله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتحب من آمن بهذه الرسالة والتزم بها والتـزم شروطها، وتبغض من يبغضها وتبغض كل ما يبغضه الله، وتقدم كل ما يحبه الله على ما تحبه نفسك وتهواه... إلـخ، هـذه كلها شروط الـولاء لله عَزَّوَجَلَّ ولعبـاده المؤمنـين الذين توفـرت فيهم شروط المحبة.

قال الشيخ حافظ: واتباع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقتفاء أثره وقبول هداه.

وكل هـذه العلامـات، شروط في المحبـة، لا يتصـور وجـود المحبـة مـع فقـدان شرط منهـا، قـال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣]... الآيات.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

هذه كلها شروط في المحبة، أن تخالف هواك، وتقدم ما يحبه الله على ما تحبه أنت.

قـال الشـيخ حافظ: «فكل مَن عَبَدَ مع الله غيره، فهـو في الحقيقة عبدٌ لهواه، بل كل ما عَصى الله به من الذنوب فسببه تقديم العبدُ هواه على أوامر الله عَزَّوَجَلَّ ونواهيه».

المعاصي تنقص الإيمان، ومنشـأ المعاصي: اتبـاع الهوى وتقديمه على محبة الله واتباع أوامره.

قال الشيخ حافظ: «وقال في شأن الموالاة والمعاداة فيه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤] الآيات.

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ ... الآية [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾... [المائدة: ٥١] الآيات».

الموالاة تكون بالمودة وما شاكلها، هذا من شروط محبة الله عَزَّوَجَلَّ لابد أن تحب فيه، تحبه وتحب رسله وكتبه وما جاءوا به... إلخ وتحب من تلقى هذه الرسالة من المؤمنين والتزمها، وتبغض من يخالفها.

والمخالفة هذه قد تكون لأصل الإيمان، وقد تكون لشرائع الإيمان أو بعضها.

قال الشيخ حافظ: «وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣]... الآيتين.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] إلى آخر السورة، وغير ذلك من الآيات».

هذا استطراد على الشرط السابع وهو المحبة، دخل في باب الولاء والبراء وهي من مقتضيات لا إله إلا الله، لأنك تحب لا إله إلا الله، وتحب مقتضياتها، وتكره ما ينافي هذه المقتضيات، وتوالي على ذلك وتعادي، ولا تقدم على محبة الله أبًا ولا أخًا ولا عشيرة، ولا تواليهم إذا كانوا كافرين أو ضالين.

قال الشيخ حافظ: «وقال تَعَالَىٰ في اشتراط اتباع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣١ - ٣٢].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار»** أخرجاه[1] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات: ٧].

هذه طريقة أهل السنة، التأليف بين الأحاديث لا ردها، الخوارج وسائر أهل الأهواء يأخذون ما يوافق هواهم ويضربون صفحًا عمّا خالف هواهم، والمرجئة كذلك، بخلاف أهل السنة، فإنَّهم يجمعون ويألِّفون بين الأدلَّة وبين النُّصوص الشرعية، لأنَّ هذه مصدرها ربُّ العالمين ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، فكلام الله وكلام

(١) أخرجه البخاري في «الإيمان»، حديث [٢١]، ومسلم في «الإيمان»، حديث [٤٣] من طرق.

رسول الله ﷺ لا يتناقض؛ لأنَّه حقٌّ، ومن عند ربِّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي لا تخفى عليه خافية.

قال المعلق: «والاستدلال على كلِّ شرط بأدلَّة من الكتاب والسنة، فلا تنفع هذه الكلمة إلا بهذه الشروط الحاملة على القيام بالأوامر والانتهاء عن المحرمات.

وقد أجاب العلماء على مثل هذه الأحاديث بعدة أجوبة:

١- منها ما ذكره المصنف، وهو كونها قبل نزول الفرائض، واستدل بخبر ابن عباس وسفيان الآتيين، وهو ما ذهب إليه الزهري كما في «سنن الترمذي» (٥/ ٢٣) وغيره من العلماء».

الزهري يفسر هذا الحديث: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، أو حرم على النار**»، قال الزهريُّ: وغيره من السَّلف: إن هذه الكلمة كانت تنفع أصحابها قبل نزول الفرائض، أمَّا بعد نزول الفرائض، فهذا لا يكفي، فلابد من التزام الفرائض والقيام بها.

قال المعلق: «٢- **ومنها**: إن المراد أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد وإن عذبوا بها بذنوبهم، فإنَّهم لا يخلدون في النَّار».

يعني: ما المراد من قوله: «حرمه الله على النار» كما في الحديثين، هل هو تحريم مطلق أو تحريم مقيَّد؟

قالوا: إن المراد ألا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد وإن عُذِّبوا، فهذا معنى التحريم، **يعني**: أنهم لا يخلدون، تحريم تخليدهم في النَّار، لأن التوحيد ينفع صاحبه

ولـو وقـع فيها وقـع من الذنوب اسـتوجب بها دخول النـار ودخل النار فعـلًا، فإنَّه بهذا التَّوحيـد وفضلـه يخرج من النـار، مادام مؤمنًا بلا إلـه إلا الله ومخلصًا فيها ومسـتيقنًا بها ومات عليها مجانبًا للشرك بالله.

قـال المعلـق: «٣- ومنهـا: أنه من قالهـا مخلصًا لا يترك الفرائـض؛ لأن الإخلاص يحمل على أداء اللازم».

«**مـن قالهـا مخلصًا**» هذا المخلص لا يـترك الفرائض، هذا معنـى الحديث: «**من قـال لا إلـه إلا الله حرمه الله على النار**» يعني: قالها مخلصًـا، هذا الإخلاص يدفعه إلى القيام بالفرائض واجتناب المحرمات، وهذا كله فيه مراعاة لشروط لا إله إلا الله.

قـال المعلـق: «٤- ومنهـا: تحريم دخول النـار المُعـدة للكافريـن، لا الطبقة المعدة للعصاة».

هـذا الكلام سـاقه الحافظ ابن حجـر في فتح الباري ونقله...، **يعـني من الأقوال:** تحريـم دخول النار المعدة للكافرين، «**حرمـه الله على النار**» يعني: النار التي أعدها الله للكافريـن، فهناك نار أعدها الله للكافريـن ونار أعدها الله للعصاة، فالعصاة لا يدخلون النار التي أعدها الله للكافرين، وإنَّما يدخلون النَّار التي أعدَّها الله للعصاة.

قـال المعلـق: «٥- ومنها: تحريم دخول النار بشرط حصـول قبول العمل الصالح والتجاوز عن السيئ».

يعـني: تحريـم دخول النار بشرط قبـول العمل الصالح مَن قَبـل الله عمله الصالح ورجحت حسناته على سيئاته، فلا يدخل النار -إن شاء الله-.

قال المعلق: انظر: «فتح الباري» (١/ ٥٢٢)، وانظر: «تيسير العزيز الحميد»، (ص٨٧ فما بعدها)، حيث قال: وأحسن ما قيل في معناه: ما قاله شيخ الإسلام وغيره: إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها، كما جاءت مقيدة وقالها خالصًا من قلبه مستيقنًا بها قلبُه، غير شاك فيها بصدق ويقين؛ فإن حقيقة التوحيد: انجذاب الروح إلى الله جملة».

يعني: هذه الشروط مشترطة في صحة قول لا إله إلا الله وقبولها من قائلها، ولابد من ضميمة إليها، وهو أن يموت عليها، فقد يقول لا إله إلا الله بصدق، لكن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء «فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخل النار»[1]، فهذا قد يختم له بسوء وإن كان مؤمنًا صادقًا، لكن لحكمة من حكم الله ولسبب من الأسباب قد يموت على غير لا إله إلا الله، فهذه الحالة لا تتناولها هذه الأحاديث.

فمن الشروط الأساسية: أن يموت على لا إله إلا الله مخلصًا فيها مستيقنًا بمعناها صادقًا فيها، فهذا هو الذي يحرمه الله على النار، وهذا أحسن الأقوال وهو ما حرره شيخ الإسلام ابن تيمية، لأن مراعاة الموت على هذه الأمور هو المُعتبَر، لأنه قد يفوته شيء فيقع في ناقض من نواقض لا إله إلا الله أو يترك شرطًا من هذه الشروط فلا يستحق هذا الوعد.

---

(١) بمعناه حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في «القدر»، حديث [٦٥٩٤]، ومسلم في «القدر»، حديث [٢٦٤٣].

قال المعلق متممًا لكلام صاحب التيسير: «فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة، لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تَعَالَىٰ، بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحًا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك. انتهى».

إذا استوفى شروط لا إله إلا الله ومات على ذلك ملتزمًا بلا إله إلا الله وبمقتضياتها وثابتًا عليها.

فنسأل الله أن يثبت قلوبنا على الإيمان، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا.

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك**»، وقال الصحابة: يا رسول الله أتخاف علينا؟ قال: «نعم، إنَّ القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء»[1].

فلا يأمن الإنسان مكر الله عَزَّ وَجَلَّ فيكون دائمًا خائفًا من الفتن والانحراف، ويسأل الله تَعَالَىٰ الهداية والثبات عليها حتى يلقى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.



(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١١٢، ٢٥٧) والترمذي حديث [٢١٤٠] كلاهما من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسنه، وأخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٩٤، ٣٠١)، والترمذي [٣٥٢٢] كلاهما من طريق شهر ابن حوشب عن أم سلمة، وحسنه الترمذي، وقال: وفي الباب عن عائشة والنواس بن سمعان وأنس وجابر وعبد الله بن عمرو ونعيم ابن همار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.




٢٠ باب

معرفة أي يوم نزلت هذه الآية: قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية

[١٩٨] حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا عبد الجبار ابن العلاء العطار قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن مسعر وغيره، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب: إن رجلًا من اليهود قال لعمر رضي الله عنه: لو علينا أنزلت هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] لاتخذناها عيدًا، فقال عمر: «أنا أعلم أيَّ يوم أنزلت أنزلت يوم عرفة في يوم جمعة»(١).

[١٩٩] قال: وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، وأحمد بن عبد الجبار قالا: حدثنا عبد الله بن إدريس، عن أبيه، عن قيس، عن طارق بن شهاب قال: قال يهودي لعمر رضي الله عنه: لو أنَّا نعلم أيَّ يوم أنزلت هذه الآية لاتخذناها عيدًا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فقال عمر رضي الله عنه: «قد علمت اليوم الذي أنزلت فيه، أنزلت ونحن وقوف بعرفات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم»(٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في «الاعتصام»، حديث [٧٢٦٨]، ومسلم في «التفسير»، حديث [٣٠١٧].

(٢) مداره مع الذي قبله على طارق بن شهاب عن عمر رضي الله عنه.

في هاتين الروايتين تحريف يخالف الرواية التي اتفق عليها الشيخان، ويخالف أيضًا رواية الترمذي ...

[٢٠٠] قال: وأخبرنا إبراهيم بن موسى الجوزي قال: حدثنا يوسف بن موسى القطان قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن عمار مولى بني هاشم قال: قرأ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وعنده رجل من أهل الكتاب فقال: لو علمنا[1] في أي يوم أنزلت هذه الآية جعلناها عيدا فقال: «لقد أنزلت يوم عرفة يوم الجمعة»[2].

قال محمد بن الحسين: هذا بيان لمن عقل، يعلم أنه لا يصح الدين إلا بالتصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، مثل الصلاة، والزكاة والصيام، والحج، والجهاد، وما أشبه ذلك.

يريد المؤلف: أن يُعرِّف بنعمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى العظيمة التي تضمنتها هذه الآية وهي: إكمال هذا الدين.

والدين يشمل العقائد والشرائع الأعمال الظاهرة والباطنة، فهذه نعمةٌ عظيمةٌ أكمل الله لنا التشريع العقائدي والعبادي والسياسي والاجتماعي، وما ترك شيئًا نحتاج إليه في ديننا ودنيانا إلا وبيَّنه لنا في محكم كتابه وعلى لسان نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا اليهودي من أحبار اليهود أدرك مكانة هذه الآية ومنزلتها العظيمة وعظمة مضمونها فقال: لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي الرواية الثانية لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أو أنه يهودي آخر يقول: لو علينا أُنزلت هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

= والطيالسي والطحاوي؛ إذ رواية هؤلاء الأئمة الثلاثة توافق رواية الشيخين التي فيها: لو علينا أنزلت هذه الآية، فاليهود لا يفرحون بهذه الآية ولا بغيرها من القرآن والسنة، فكيف يجعلون يوم نزول آية على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عيدًا؟

(١) لعله: «لو علينا».

(٢) حسن، أخرجه الترمذي في «التفسير»، حديث [٣٠٤٤]، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» حديث [٢٧٠٩]، والطحاوي في «مشكل الآثار» حديث [٢٥٠٢].

﴿...لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] لاتخذناها عيدًا، عرف منزلة هذه الآية وعظمتها في الإسلام، وأنها نعمة عظيمة أكرم الله بها المسلمين، فقال عمر: «أنا أعلم أيَّ يوم أُنزلت، نزلت يوم عرفة» أي: في يوم عيد، فعرفة يوم عيد، ويوم الجمعة يوم عيد، فهي نزلت في يوم جمعة وفي يوم عرفة، أي: في يوم اجتمع فيه عيدان عظيمان، لكن هل عمل الرسول وأصحابه احتفالات كما يريد اليهودي؟ لا، عرفوا قدر هذه النعمة وقدّروها وعرفوا أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يطلب منهم القيام بهذا الدين الذي أكمله لهم وإعلاءه بالجهاد في سبيله دعوةً وجهادًا بالسيف والسنان والقلم والبيان، فقاموا بنشر هذه النعمة لتعُمَّ البشرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

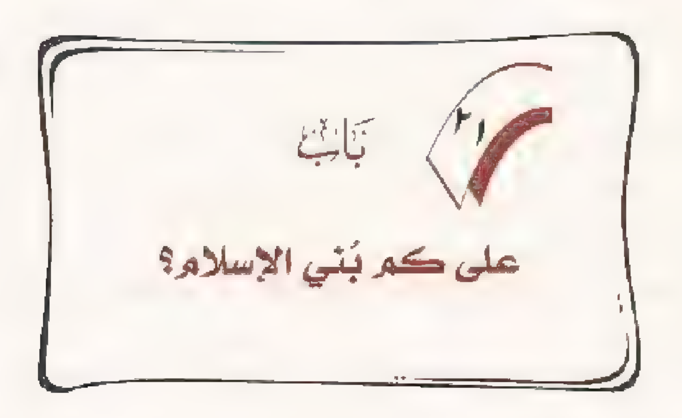
وما جعلوا ذلك اليوم يوم احتفالات ورقص وطبول كما يفعل أهل الجاهلية أو كما يفعل اليهود، والله نهانا عن اتباع أمثال هذا الخبيث لعله طمع في المسلمين أن ينخدعوا به فيتخذوا من هذا اليوم عيدًا على غرار أعياد اليهود والنصارى؛ لأنهم أهل كيد ومكر، ولكن عمر فطن له فقال: عرفنا متى نزلت وأيَّ يوم نزلت، ولكننا لا نحتفل كما تحتفلون، ربما يريد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا، وكذا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وكرر هذا بالإسناد الثاني وذكر أيضًا ما قاله اليهودي لابن عباس، وعلق على ذلك بقوله: «هذا بيان لمن عقل، يعلم أنه لا يصح الدين إلا بالتصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، مثل الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وما أشبه ذلك».

أي: من أنواع البر والخير واجتناب المحرمات والمكروهات وما شاكل ذلك، ولا يكون الدين كاملًا ونقوم به على وجهه الكامل إلا إذا قمنا به في هذه النواحي كلِّها، اعتقادٌ بالقلب وإقرارٌ باللسان وعملٌ بالجوارح.

وفي هـذا ردٌّ عـلى المرجئة الذيـن يقولون: إن العمل ليس مـن الإيمان، فالذي عنده عقل وإدراك يعلم أن العمل من الإيمان، وعلى رأسه الصلاة والزكاة والصوم و«**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى من الطريق**» وكلها إيمان وإسلام.





٢١ باب
على كم بُني الإسلام؟

[٢٠١] قال: حدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف بن زياد قال: حدثنا ابن أبي عمر العدني قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن سعير بن الخمس، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»[١].

[٢٠٢] قال: وحدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال: حدثنا محمد بن إسماعيل قال: حدثنا وكيع بن الجراح قال: حدثنا حنظلة بن أبي سفيان الجمحي، عن عكرمة بن خالد، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم شهر رمضان»[٢].

---

(١) في إسناده حبيب بن أبي ثابت: ثقة؛ لكنه كثير الإرسال والتدليس، ولكن له متابعات بعضها في الصحيحين.
أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٦) من طريق يزيد بن بشر عن ابن عمر، والترمذي حديث [٢٦٠٩] من طريق حبيب بن أبي ثابت ومن طريق عكرمة بن خالد، والحميدي حديث [٧٠٣].

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في «الإيمان»، حديث [٨] من طريق عكرمة بن خالد، ومسلم في «الإيمان»، حديث [١٦] من طرق منها طريق عكرمة بن خالد.

[٢٠٣] قال: وأخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي قال: حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني قال: حدثنا شبابة بن سوار قال: حدثنا عاصم، عن أبيه، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»(١).

[٢٠٤] قال: وحدثنا أبو جعفر محمد بن الحسين الأشناني الكوفي قال: حدثنا محمد بن علي الشقيقي قال: سمعت أبي قال: حدثنا أبو حمزة، عن جابر، عن عامر، عن جرير بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الإسلام بُني على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»(٢).

يريد الآجري: أن يُبيِّن لنا أن الإسلام يقوم على قواعد وعلى أصول، وهي هذه المباني العظيمة التي ذُكِرت في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: **«بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت».**

فالإسلام المراد به هنا: المبني على الإيمان، لأن الإيمان والإسلام يتلازمان، ويجتمعان إذا افترقا، ويفترقان إذا اجتمعا.

---

(١) حديث صحيح، أخرجه مسلم في «الإيمان» من طريق عاصم بن محمد بن زيد عن أبيه عن ابن عمر.

(٢) في إسناده جابر الجعفي؛ ضعيف رافضي.

وأخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٦٣) من طريق جابر هذا أيضًا، وأخرجه في (٤/ ٣٦٤) من طريق داود ابن يزيد الأودي، وهو ضعيف أيضًا، وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» حديث [٧٥٠٧] من طريق داود هذا، والطبراني في «الكبير» حديث [٢٣٦٣] من طريق سوادة بن الحكم وهو مجهول، عن عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت، وهو ثقة، عن الشعبي عن جرير رضي الله عنه، ولعله يرتقي بهذه الطرق إلى درجة الحسن، لاسيما وله شاهد من حديث عبد الله بن عمر كما ترى.

فالإيمان داخلٌ في هذا الحديث، لأنه لا تقوم هذه الأصول وترتكز إلا على أصلها الأصيل: توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والإيمان برسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله: هي الأصل، وذلك بأن تؤمن بأن الله رب هذا الكون وسيده وخالقه، وأنه هو المعبود بحق، وما سواه إذا عُبد إنما يُعبد بالباطل والضلال والكفر.

ويتضمن كذلك: الإيمان بأسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اللائقة بجلاله، والإيمان بشهادة أن محمَّدًا رسول الله، يعني: بذلك أن تؤمن بأن محمَّدًا رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسله الله بالهدى ودين الحق، ومع ذلك: تؤمن أنه واجب الطاعة وأنه يجب أن تنقاد لأوامره وأن تجتنب نواهيه ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

فالرسول له منزلة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، تؤمن به وتطيعه وتحبُّه وتوقره وتعزِّره وهذا مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله، ليس مجرد كلام، حب وطاعة واتباع وتوقير وتقديم أقواله وهديه على قول كل أحد، لو اجتمع من على البسيطة وخالفوا محمَّدًا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجب أن تأخذ بقوله وأن ترد أقوال الناس من أجله، وهذا مقتضى شهادة أن محمَّدًا رسول الله، ولهذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟».

فإذا كان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لا يرضى أن يُعارَض قولُ هذا الرسول الكريم صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقول أبي بكر وعمر، فكيف تُعارض أقوالُه بأقوال أناس آخرين مهما

عظمت منزلتهم أو انحطَّت منازلهم، وقد تجد أناسًا يتبعون أقوال أناس ضالين منحرفين يردون بها أقوال محمَّدٍ ﷺ وأفعاله وتقريراته -مع الأسف الشديد-.

فليست بالسهلة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، شهادة أن لا إله إلا الله تقتضي: بأن الله هو المعبود بحق وحده، وتقتضي ما قلناه من الإيمان بأنه خالق هذا الكون وربه وسيده ومالكه ومدبره، والإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا الواردة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ مع تنزيهه عن التعطيل والتشبيه -تعالى الله عما يقول المعطلون والمشبهون علوًّا كبيرًا-، فنؤمن بصفات جلاله اللائقة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على غرار إيمان الأنبياء وأتباعهم الكرام من سادة الصحابة والتابعين وكلُّهم سادةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لا على أهوائنا ولا على أهواء الجهمية والمعتزلة والخوارج والروافض والمشبِّهة بأصنافهم وأشكالهم، إنما على الوجه اللائق بالله وعلى الوجه الذي دان به رسولُ الله وصحابتُه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وبعد ذلك إقامة الصلاة، وفي حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن بيَّن له طريق الدعوة ومنهج الدعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الذي سار عليه الأنبياء وسار عليه رسول الله ﷺ طوال حياته إلى أن لقي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بعث معاذًا في آخر حياته قال: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا قالوها فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، وإن أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، فإن أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتقِ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[1].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في «الزكاة»، حديث [١٤٥٨]، ومسلم في «الإيمان»، حديث [١٩].

هـذه دعوة الرسـل الكـرام عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ودعـوة هذا الرسـول خاتـم النبيين الدعوة إلى توحيد الله، ثم بعد ذلك تقوم عليها هذه الأركان.

فهذه أركان الإسـلام وهي نفسها قائمةٌ على توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فالصلاة والزكاة والصوم والحج وسـائر الأعمال لابد أن يسـبقها إيمانٌ بالله ورسوله وشهادة لله بالألوهية والربوبيـة، وشـهادةٌ لمحمَّدٍ بأنه رسـول الله حقًّا، جـاء بالبينات والهـدى، فنؤمن به على بصيرة ونتبعه على بصيرة، لأنه جاءنا بالبينات والهدى.

والصـلاة هـي الركـن الثـاني بعد الشـهادتين، وهـي عمود الإسـلام، وأهـمُّ هذه الأركان، ومـن هنـا كفَّـر الصحابـة تاركها، وكانوا لا يرون شـيئًا من الأعـمال تركه كفر غير الصلاة.

كان الصحابـة -كـما ينقـل عبـدُ الله بن شـقيق- مـا كانوا يرون شـيئًا مـن الأعمال تركـه كفرٌ غير الصلاة، وهناك أقوال للعلماء وهي مأخـوذة، ولهم أدلة يُكفِّرون بها تارك الصـلاة، ومن أدلتهم: آيـات في القرآن وأحاديث نبوية منهـا: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»**[(١)].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما بين العبد وبين الشرك والكفر إلا ترك الصلاة»**[(٢)].

يعـني: ما دام يصلي فهو في دائرة الإسـلام، فإذا ترك الصـلاة انهار هذا الحاجز بينه وبين الكفر فدخل في الكفر.

(١) أخرجه النسائي في «الصلاة»، حديث [٤٦٣]، والترمذي في «الإيمان»، حديث [٢٦٢١]، وابن ماجه في «إقامة الصلاة، والسنة فيها»، حديث [١٠٧٩].

(٢) أخرجه مسلم في «الإيمان»، حديث [٨٢].

ومثل هذه الأحاديث: قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في حق الكفار: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

وقالوا: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علّق هذه الأخوة في الدين على الإيمان بالله ورسوله وعلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ أي: تابوا عن الشرك والكفر بمحمّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما جاء به ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، فلا يستحقون هذه الإخوة في دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلا بعد القيام بالإيمان بالله وبرسوله وبإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

ويا إخوة! أدلة القائلين بتكفير تارك الصلاة قوية جدًّا جدًّا، فلا يستهان بالصلاة، ولهذا ترى أكثر أهل الحديث تابعوا الصحابة في القول بكفر تارك الصلاة، ومنهم: أيوب السختياني وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل في قولٍ له رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

وهناك عددٌ من العلماء عندهم أدلة استندوا إليها في عدم تكفير تارك الصلاة إلا المستحل لتركها فإنهم يكفرونه، وكلٌّ من أهل السنة والجماعة، فلا نُهين هؤلاء ولا هؤلاء -رضوان الله عليهم-، لأنهم أئمة ومجتهدون ومخلصون وناصحون وبعيدون وبريئون من الأهواء -أهواء الخوارج المكفرين بالذنوب وأهواء المرجئة المميعين للإسلام-، وكلُّهم سائرون على منهج الله الحق، ويختلفون في اجتهاداتهم فيما تتجاذبه الأدلة.

فمن ذهب إلى تكفير تارك الصلاة -وإن كان قوله له أدلة تشدُّه وقوية-، فهو من أئمتنا وعلى رأسهم الصحابة، ومن قال بعدم تكفيره اجتهادًا منه وأخذًا ببعض

---

(١) انظر «تعظيم قدر الصلاة» للمروزي (٩٨٢، ٩٨٦، ٩٩٠)، و«السنة» للخلال (٣/ ٥٧٩)، رقم [١٠٠٠]، و«فتح الباري» لابن رجب: (١/ ٢٣).

النصوص على حسب اجتهاده، فهؤلاء -أيضًا- من أئمتنا ومن سادتنا، ونرفعهم فوق رءوسنا، ولا نقول فيهم إنهم مرجئة كما يقوله السفهاء السائرون على طريقة الخوارج، لأنه لما يحكمون على من لا يكفر تارك الصلاة بأنه مرجئ، يحكمون على أئمة من كبار أئمة الإسلام، بل على جماهير من علماء الإسلام، وهم مجتهدون يريدون بهذا التقرير وبهذه الأحكام وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لا يتبعون في ذلك أهواءهم وليسوا متهمين في دينهم -رضوان الله عليهم-، وليعلم أن هؤلاء يرون استتابة تارك الصلاة، فإن تاب فذاك، وإلا وجب قتله.

الشاهد: أن الصلاة مهمة جدًّا، وينبغي للمسلم أن يحسب ألف حساب لهذا التكفير فيَحفِزُه على القيام بهذه الأركان؛ لأن هناك أيضًا طوائف من علماء الإسلام كفَّرُوا من يترك ركنًا من هذه الأركان عمدًا، فلو ترك الصلاة عمدًا عندهم يكفر، لو ترك الزكاة عمدًا يكفر، لو ترك الصيام عمدًا يكفر، لو ترك الحج عمدًا يكفر[1].

فهذه الأمور وهذه الأركان يكفيها شرفًا ومنزلةً أن الرسول أخبرنا أن الإسلام ارتكز وبُنِي عليها «**بُني الإسلام على خمس**»، فهذه دعائم وأركان.

والصحابة ومن تابعهم في تكفير تارك الصلاة، أو من قال بتكفير واحد من هذه الأركان يقول: إذا هُدِم ركنٌ من البيت انهدم البيت، ولهم أدلة يستندون إليها، فينبغي للمسلم أن يراقب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ويقوم بهذه الأركان مخلصًا فيها لله، متقرِّبًا بها إلى الله جَلَّجَلَالُهُ ولا يتهاون في شيءٍ منها.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٧/ ٦١٠-٦١١)، و«فتح الباري» لابن رجب: (١/ ٢٠-٢٣).

والسلف -رضوان الله عليهم- كان من منهجهم التربوي في تربية الأمة، أنهم يسوقون نصوص الوعيد ولا يتأولونها، حتى تبقى لها هيبتها في النفوس فتدفعهم إلى القيام بها وعدم التقصير فيها، فلنحسب لأقوالهم ألف حساب؛ لأنها مستندة إلى علم وإلى أدلة.

إقامة الصلاة: إقامتها بالخشوع واستيفاء الأركان واستيفاء الشروط واستحضار عظمة الله والإخلاص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أن تعبد الله كأنك تراه، فتؤدي هذه الصلاة كأنك ترى الله، فإذا كنت في هذا المشهد وبهذه المشاعر الطيبة، لابد أن تخلص في هذه الصلاة، وأن تؤديها على أكمل الوجوه، وإذا دخلت في الصلاة وذهبت يمينًا وشمالًا وفي الأسواق وفي الدكاكين وفي المدارس تسرح وتمرح فهذا ليس من إقامة الصلاة.

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٤] علّق الفلاح على الخشوع، فإذا كنت ما تخشع في الصلاة وما تستحضر عظمة الله وما تدري أين أنت.. فبعضهم ما يشعر إلا والإمام يقول السلام عليكم، هذا ضياع.

فإقامة الصلاة: تسوية الصفوف، فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة، وسد الخلل، يعني: إذا كنت في جماعة -ولابد من الجماعة- لابد فيها من الخشوع واستحضار عظمة الله والإخلاص له، بهذا تكون أقمت الصلاة، ولهذا يقول الله: ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ولا يقول: «صلوا».

انتبهوا، فرقٌ بين صلَّى، وبين إقام الصلاة، وبين أقيموا الصلاة، وبين صَلُّوا، فرقٌ كبير، فإقامة الصلاة أمر مهم جدًّا، ومنها إقامة الصلاة في جماعة، وفي بيوت الله التي ينادى لها بالصلاة، هذا كله من إقامة الصلاة.

فعلى الأمة الإسلامية أن تهتم بهذا الركن العظيم، وبقية الأركان تؤديها لله في غاية الإخلاص، وتؤدي هذه الصلاة كأنك تراه، تزكي كأنك تراه، تتصدق كأنك تراه، في التطوع كأنك تراه، في أداء أيِّ واجب كأنك تراه، لأن هذا الشعور وهذا الإحساس النبيل يدفعك إلى الإخلاص لله وتأدية هذه الأعمال على الوجه الذي شرعه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الحديث الثاني: جاء به من طريق ابن عمر أيضًا، وأورده من طريق جرير بن عبد الله، وفي إسناده: جابر الجعفي، وهو ضعيف جدًّا ورافضي.

ورواه أحمد وأبو يعلى من طريق داود الأودي، وهو ضعيف أيضًا، لكنه يتقوى برواية داود هذا.

الأصل والعمدة عنده: حديث ابن عمر، وهو في «صحيح البخاري ومسلم»، وفي غيرهما من دواوين السنة، وأورد حديث جرير استئناسًا، والأصل عنده هو حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الأول.

الشاهد: أن هذا فيه ردٌّ على المرجئة الذين يقولون الأعمال ليست من الإيمان، لا صلاة ولا زكاة ولا حج ولا جهاد ولا أمرٌ بالمعروف ولا نهيٌ عن المنكر، هذا ضلالٌ بعيد، وردٌّ لنصوص الكتاب والسنة.

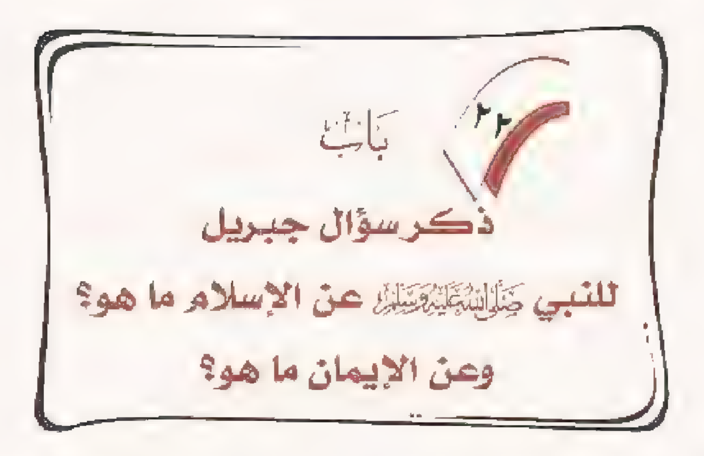
فهذه مباني الإسلام وأركانه ومباني الدين، فكيف نقول: إنها ليست من الإيمان وهي مبانيه ومن أعمدته العظام وعليها يقوم الإسلام؟

كيف تقول: إنها ليست من الإيمان؟

هذا ضلال -والعياذ بالله-، فهذا من بلايا أهل الإرجاء، ومع ذلك: فالخوارج شرٌّ منهم في نظر أئمة الإسلام.

فنعوذ بالله من فِرَق الضلال ومن طرقهم الضالة، ونسأل الله أن يثبتنا على الإسلام الحق الكامل الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وأن يجنبنا طرق الزيغ والضلال.





باب ٢٢

ذكر سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام ما هو؟ وعن الإيمان ما هو؟

[٢٠٥] حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: حدثنا النضر بن شميل قال: حدثنا كهمس بن الحسن قال: حدثنا عبد الله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر، عن عبد الله بن عمر قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينا نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يعرفه أحد منا حتى جلس إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبته، ووضع كفيه على فخذيه.

ثم قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، وما هو الإسلام؟

قال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»، قال: صدقت، فعجبنا أنه يسأله ويصدقه.

قال: فأخبرني عن الإيمان؟

قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره»، قال: صدقت.

....

قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك».

قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل».

قال عمر: فلبثت مليًا، ثم قال لي رسول الله ﷺ: «يا عمر، هل تدري من السائل؟» فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم».

[٢٠٦] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي قال: حدثنا معاذ بن معاذ قال: حدثنا كهمس بن الحسن، عن عبد الله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن، فلقينا عبد الله بن عمر، فقلنا: إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن ويبتغون العلم، يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف.

قال: فإذا لقيت أولئك، فأخبرهم أني منهم بريء وهم مني برآء، والذي يحلف به ابن عمر: لو أن لأحدهم أُحُدًا ذهبًا فأنفقه ما قبله الله تعالى منه حتى يؤمن بالقدر.

ثم قال: حدثني أبي عمر رضي الله عنه قال: بينا نحن عند النبي ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبته إلى ركبته، ووضع كفيه على فخذيه، فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال النبي ﷺ: «أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»، قال: صدقت، قال: فعجبنا له أنه يسأله ويصدقه.

....

قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت.

قال فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل».

قال: فأخبرني عن أمارتها قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان».

قال: ثم انطلق، فلبثت مليًّا، ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «إنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم»(١).

[٢٠٧] حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني قال: حدثنا عبد العزيز ابن أبي رواد الحراني قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يحيى بن يعمر قال: قلت لابن عمر: إن عندنا بالعراق رجالًا يقولون: إن شاءوا عملوا، وإن شاءوا لم يعملوا، وإن شاءوا دخلوا الجنة، وإن شاءوا دخلوا النار، ويصنعون ما شاءوا، فقال ابن عمر: أخبرهم أني منهم بريء، وهم مني برآء.

ثم قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد! قال: «لبيك».

---

(١) أخرجه مسلم في «الإيمان»، حديث [١] من طرق عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر رضي الله عنهما به، وأحمد في «مسنده» (١/ ٥٠)، والترمذي في «الإيمان» حديث [٢٦١٠]، كلاهما من طريق كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة به، ورواه غيرهما.

قال: ما الإسلام؟ قال: «أن تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتصلي الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم شهر رمضان، وتحج البيت».

قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال: «نعم» قال: صدقت.

قال: فما الإحسان؟ قال: «أن تخشى الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

قال: فإذا فعلت ذلك فأنا محسن؟ قال: «نعم»، قال: صدقت.

قال: فما الإيمان؟ قال: «تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث من بعد الموت والجنة والنار، والقدر كله».

قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟ قال: «نعم»: قال: صدقت[1].

[٢٠٨] أخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي قال: حدثنا حسن الزعفراني قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا العوام بن حوشب، عن محارب ابن دثار، عن ابن عمر قال: بينا رسول الله ﷺ جالس في المسجد، إذ أقبل رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرف، فأتى رسول الله ﷺ حتى جلس بين يديه فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «تشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا، وتغتسل من الجنابة».

قال: صدقت، فعجبوا منه أنه يسأله ويصدقه.

....

(١) في إسناده علي بن زيد ضعيف؛ لكنه يتقوى بما قبله.

قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار، والبعث والحساب، وبالقدر خيره وشره، حلوه ومره».

قال: صدقت، فعجبوا منه أنه يسأله ويصدقه.

قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل».

قال: صدقت، ثم ذهب.

فلما كان بعد ذلك قال رسول الله ﷺ لعمر: «يا عمر، تدري من الرجل؟» قال: الله ورسوله أعلم.

قال: «ذلك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم، وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها إلا في صورته هذه»[1].

أورد المؤلف: في هذا الباب هذا الحديث من عدد من الطرق، والحديث حديثٌ عظيم ومشهور ومعروف لدى المسلمين، وهو يشمل مراتب الدِّين كلِّها أو الثلاث المعروفة المشهورة وهي: الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان، فهو حديث جامع عظيم جامع لمراتب الدِّين وأركان الإيمان وأركان الإسلام، ولهذا اهتم به العلماء وقام بعضهم بشرحه مُفصَّلًا لأهميته ولاشتماله على هذه المباني العظيمة.

ويمكن أن يُؤخذ بعض الآداب من هذا الحديث، وهو أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء في صورة لا يُعرف فيها، واقترب من النبي ﷺ حتى أسند ركبتيه إلى ركبتيه، فيؤخذ من هذا: إيناس الشيخ للطالب، ولين جانبه له وتقريبه منه.

---

(١) إسناده صحيح، رواه مسلم من طريق كهمس حديث [١] عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وروى محمد بن نصر المروزي نحوه في كتاب «تعظيم قدر الصلاة» حديث [٣٧٤] من طريق العوام بن حوشب به، إلا أن ابن عمر يسنده إلى أبيه عن رسول الله ﷺ.

ويؤخذ منه: أدب الطالب، وهو أنه وضع يديه على ركبته تأدبًا وأسند ركبتيه إلى ركبتيه، وجعل يديه على فخديه تواضعًا وتأدبًا، هكذا يقول العلماء في هذه الآداب التي تؤخذ من لقاء جبريل للنبي ﷺ وسؤاله إياه.

وفي حديث يحيى بن يعمر الثاني أنه حدثت مشكلة في العراق، وهي أن قومًا من طلبة العلم يتقفرون العلم، أي: يتتبعونه ويقولون: إن الأمر أُنف، يعني: لا قدر، بمعنى: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يعلم أفعال العباد حتى يعملوها خيرًا كانت أو شرًّا، فليس هناك علم سابق من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بما يجري من أعمال العباد، ولا مشيئة له، ولا إرادة لهذه الأعمال، وهذا ضلال مبين.

بلغ يحيى بن يعمر وحُمَيد بن عبد الرحمن الحميري ذلك، فشدَّا الرحال إلى الحجاز لحج أو عمرة وللقاء أصحاب محمد ﷺ.

وفيه: إكرام الأمة لأصحاب محمد ﷺ وثقتهم فيهم وعرض مشاكلهم عليهم، حصل هذا ويحصل، وكان تُشدُّ الرِّحال من أقصى الآفاق إلى المدينة من أجل الحديث، ومن أجل حل المشاكل والمسائل الفقهية التي تطرأ في المجتمع الإسلامي، فيَشُدُّون الرِّحال إلى الصحابة يتعلمون منهم ويعرضون عليهم المشاكل فيَحُلُّونها لهم[1].

وليس هذا هو الوحيد الذي رحل إلى ابن عمر في هذه المشكلة، فقد ذكر الشعبي أنه حينما سُئل عن سؤال أجاب السائل وقال له: خذها فقد كانت تشد الرحال إلى المدينة

---

(١) فقد رحل سعيد بن جبير إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في مسألة توبة القاتل العمد كما في البخاري في كتاب «التفسير»، باب: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾، حديث رقم [٤٥٩٠].

فيما هو دون هذا[1]، فهذا أمر مألوف، شدُّ الرحال إلى الصحابة ثم إلى العلماء بعدهم هذا أمر معروف، وسنة عظيمة حفظ الله بها الإسلام ونشر بها العلم، وهي مأخوذة من قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

عرضا هذه المشكلة الخطيرة التي تتعلق بالعقيدة، وهي إنكار القدر وإنكار علم الله السابق بأعمال العباد، عرضوها على ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فعرف خطورتها وعرف ضلال أهلها وما تؤدي إليه هذه العقيدة من الدَّمار على أصحابها، قال: «**أخبرهم أنني منهم براء وأنهم مني برآء، والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحدٍ ذهبًا فأنفقه، ما نفعه ذلك حتى يؤمن بالقدر**».

فهذا من ابن عمر تكفير منه لمن ينكر هذا الركن العظيم من أركان الإيمان، الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، هذا الأصل العظيم دل عليه الكتاب ودلت عليه السنة المطهرة ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢].

﴿ ۞ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وهذا الكتاب سجَّل الله فيه كل ما كان وما يكون قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

(١) رواه البخاري في «العلم»، باب: «تعليمِ الرَّجُلِ أَمَتَهُ وَأَهلَهُ»، حديث رقم [٩٧]، ومسلم في «الإيمان»، حديث [١٥٤].

كما في حديث عبد الله بن عمرو: «**كتب الله مقادير كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»(١).

وقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وهو هذا الكتاب، فكل ما هو كائن وما كان فيما سبق وفيما سيأتي من أعمال العباد وغيرها من الدواب والحيوانات والحشرات والجبال والبحار بما فيها من حياة، كل ذلك علمه الله، ما من حركة في هذا الكون ولا ورقة تسقط ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا ويعلمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وقد علمه في الأزل وسجله في اللوح المحفوظ، فكل ما يحصل في الأرض يطابق ما قدره الله وكتبه في الأزل يأتي مطابقًا ويرتبط بمشيئة الله.

فلا يحدث في هذا الكون شيء من الأشياء إلا بإرادة الله ومشيئته والعباد عاملون ومسؤولون عن أعمالهم، العبد هو المصلي وهو الساجد وهو الراكع وهو الصائم، والعاصي هو العاصي زانيًا كان أو كافرًا أو فاسقًا أو أيِّ جريمة يرتكبها هو فعله، يفعله باختياره وإرادته، ولا يمنع ذلك أن يكون ذلك مرتبطًا بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩].

لأن الله رب هذا الكون وسيِّدُه ومالكُه، فلا يفتات عليه أحد ويفعل ما يريد دون إرادة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولكن هذه الإرادة منها الكوني ومنها الشرعي، فالإرادة

---

(١) أخرجه مسلم في «القدر»، حديث [٢٦٥٣]، وأحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٩)، والترمذي: حديث [٢١٥٦]، والبغوي في «شرح السنة» حديث [٦٧].

الكونية: تكون بها كل الأشياء أفعال العباد وغيرهم، **والإرادة الشرعية:** هي التي يأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها، **والإرادة الشرعية:** هي التي ترادف الأوامر بالأمور التي يرضاها الله ويحبها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فكل ما يفعله العباد من خير وشر وطاعة ومعصية، كل ذلك بتقدير الله أولًا وبمشيئته ثانيًا، والعباد مسئولون عن ذلك؛ لأنهم لهم عقول أعطاهم الله إياها وإدراكات ومشاعر واختيار، وهناك فرق بين المختار وبين المضطر.

حتى إن الحيوانات لتفرق بين الفعل الاختياري والفعل الاضطراري فضلًا عن البشر، والبشر والجن والإنس كلهم يفرقون بين الفعل الاضطراري والفعل الاختياري، فهذا الفعل الاختياري هو الذي يُحاسب عليه العبد ويُجازى عليه إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

الشاهد: أن الإيمان بالقدر ثابتٌ بالكتاب والسنة ودان بذلك الصحابة وغيرهم حتى نشأت هذه الناشئة ونبتت هذه النابتة، فجاءت بهذه الكارثة للأمة التي استمرت فيهم إلى يومنا هذا، حتى إن أغلب الفِرق وقعت في هذا البلاء -والعياذ بالله- وهؤلاء يصدق عليهم قول النبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من سن سنة حسنة كتب له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة كتب عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»**(١).

فمعبد الجهني هو أول من اخترع هذه البدعة، فهو يحمل أوزار من تبعه فيها إلى يوم القيامة، وكم من المشاكل والفتن جرت بين المسلمين بسبب هذا المذهب الرديء الخبيث، وبسبب غيره من المبادئ والمذاهب الرديئة التي نشأت في تلك القرون وما بعدها.

(١) أخرجه مسلم في «الزكاة»، حديث [١٠١٧].

مما نأخذ من هذا الحديث: أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من دأبهم ومن سنتهم الاستدلال بنصوص السنة ونصوص القرآن في قضايا العقائد وغيرها في الغيبيات وغيرها، لهذا ترون أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رغم أنه يعلم هذه الآيات في القرآن والمتعلقة بالقدر، ومع ذلك احتج بالسنة، فهذا فيه رد على أهل البدع والضلال الذين يقولون أخبار الآحاد لا يُحتج بها في العقائد، وفيه رد على القول بأن المسؤول إذا سُئل فأول ما يبحث فيه الكتاب، فإن وجد فيه أجاب، وإن لم يجد ففي السنة، فإن لم يجد فيجتهد.



ويحتجون بحديث معاذ[١] وفيـه كلام وتكلم عليه البخاري[٢] وتكلم عليه بعض المحدثين[٣]، وتكلم عليه الشيخ الألباني[٤] رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

هذا التصرف من ابن عمر وتصرفات أخرى للصحابة في قضايا خطيرة ومشـاكل مدلهمة يحتجون فيها بالسنة، ومن الأدلة على بطلان هذا الترتيب:

---

(١) رواه أحمـد (٥/ ٢٣٠، ٢٤٢)، وأبو داود في «الأقضية»، باب «اجتهاد الرأي في القضاء»، حديث رقم [٣٥٩٢]، والترمـذي في «الأحكام»، باب «مـا جاء في القاضي كيف يقضي»، حديث رقم [١٣٢٨]، من طريق شعبة عن أَبِي عون عنِ الحارِث بنِ عمرِو بنِ أخي المغيرة بنِ شعبة عن ناسٍ من أهلِ حمص مـن أصحابِ معـاذ بن جبلٍ عن معاذ أن رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حـين بعثه إلى اليمـنِ فقال: «**كَيفَ تَصنَـعُ إِن عَـرَضَ لَـكَ قَضَاءٌ؟**». قَـالَ: أَقضِي بِمَا فِي كِتَـابِ الله. قَالَ: «**فَإِن لَم يَكُـن فِي كِتَابِ اللهِ؟**». قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَـالَ: «**فَـإِن لَم يَكُـن فِي سُـنَّةِ رَسُـولِ اللهِ؟**». قَالَ: أَجتَهِـدُ رَأيِي لَا آلُو. قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدرِي ثُمَّ قَالَ: «**الحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ لِمَا يُرضِي رَسُولَ اللهِ**».

ورواه أحمد (٥/ ٢٣٦) وأبو داود [٣٥٩٢] والترمذي [١٣٢٧] مرسلًا ليس فيه معاذ.

قـال الترمـذي: «هذا حديث لا نعرفـه إلا من هذا الوجه، وليس إسـناده عندي بمتصـل، وأبو عون الثقفي: اسمه محمد بن عبيد الله».اهـ.

(٢) قـال البخـاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٧٧/ ت رقم ٢٤٤٩): «الحـارث بن عمرو بن أخي المغيرة ابـن شـعبة الثقفي، عن أصحاب معاذ عـن معاذ، روى عنه أبو عون، ولا يصـح ولا يعرف إلا بهذا، مرسل».

(٣) الحديث ضعفه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٧٨٥-٧٥٩)، وابن حزم في «الإحكام في أصول الإحـكام» (٦/ ٢٠٧-٢٠٩)، وأبـو الفضـل ابـن طاهر المقـدسي وغيرهم، حتى قال ابـن الملقن: في «البدر المنير» (٩/ ٥٤٣): «حديث ضعيف بإجماع أهل النقل فيما أعلم».

انظـر: «تحفـة الطالب في تخريج مختصر ابـن الحاجب» لابن كثـير، ص: (١٥١-١٥٥)، و«التلخيص الحبير» لابن حجر (٤/ ٤٤٦-٤٤٧).

(٤) انظر «السلسة الضعيفة» للألباني (٢/ ٢٧٣-٢٨٦) رقم [٨٨١].

....

مثال ذلك: أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما عزم على قتال أهل الردة، اعترض عليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قالوا: كيف تقاتل قومًا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وقد قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فقد عصم دمه وماله**»[1] احتجوا بالحديث مع أن مضمون الحديث موجود في القرآن وهو قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

وقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، فتخلية السبيل والعصمة عصمة الدم والمال لا تتم إلا بالقيام بهذين الركنين بعد الشهادتين.

الشاهد: أن الصحابة - عمر وابنه وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- إذا ورد عليهم إشكال وما يقتضي الإجابة على السؤال، أجابوا بما يحضرهم من كتاب الله أو من سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يُفرِّقون بين نصوص الكتاب والسنة، فالكتاب والسنة من حيث الاحتجاج والاستدلال سواء.

القرآن لا شك معجز ولا تصح الصلاة إلا به، فهذه من مزاياه، ولكن في ميدان الاحتجاج السنة والقرآن سواء، فلا فرق أن يحتج المسلم بنص صحيح ثابت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السنة أو بالآية القرآنية، قدَّم هذا أو ذاك، واكتف بهذا أو ذاك يكفي، لأن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هنا ما ذهب يسرد الآيات والأحاديث الأخرى والآيات كلها، اكتفى بهذا وأدان به هؤلاء الضلال وحكم بكفرهم وقال: «لو أنفق أحدهم مثل أُحُدٍ ما نفعه

(١) أخرجه البخاري في «الزكاة»، حديث [١٣٩٩]، ومسلم في «الإيمان» حديث [٢٠] بمعناه.

ذلك» ولم يسرد الآيات ولا الأحاديث، فيُكتفى في مقام الاستدلال بما تقوم به الحجة ولو بنصٍّ واحد.

في الحديث الأول: سأل جبريل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعد هذا التأدب والتواضع- عن الإسلام.

جبريل يَعلم هذا ورسول الله يعلم هذا، كلاهما يعلم هذا، فأجاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يبدو بخلاصة ما جاء في القرآن، لأن هذه الأمور واردة في القرآن في آيات كثيرة، الصلاة والصوم والزكاة والحج والإيمان بالقدر والإيمان بالملائكة والإيمان بالجنة والنار وما شاكل ذلك، كلها واردة في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وواردة في سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن هذا يدل على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوتي جوامع الكلم، ففي جلسة واحدة أجاب بإجابة شاملة استوفت مراتب الدِّين كلها.

جاءني مرة بعض الشباب يتلون عليَّ من كتاب في تعريفات الإسلام أكثر من مائتي تعريف للإسلام، فقلت: اذهبوا عني ما عندي استعداد لتضييع وقتي، جبريل أنزله الله من السماء ليُعلِّم هذه الأمة دينها من عهد الرسول إلى قيام الساعة، فأجابه في جلسة واحدة بإجابة واحدة ولخص الإسلام في كلمات جامعة شاملة، ما عندي استعداد أن أضيع وقتي، وأكتفي بإجابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وما عندي استعداد لأتهجى وأتعلم هذا التخبط، ولعل في هذه التعريفات تناقضات -نسأل الله العافية-.

فقال: «يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ قال: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**».

هذا أصل أصول الإسلام، ولا أحد يدخل في الإسلام إلا بهذا الأصل، فهذه هي بوابة الإسلام التي لا يستطيع أحدٌ الدخول في الإسلام إلا عن طريقها، ولا يكون مسلمًا إلا بها، وليس المراد التلفظ بها فقط، فقد قالها المنافقون فكذبهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فقال: ﴿إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، **فالمراد بها**: شهادة أن لا إله إلا الله بعد الإيمان بها والتصديق بها، لابد من هذا، **ولها شروط منها**: الإخلاص واليقين والعلم بمعناها، وقد تقدم استيفاء ذلك.

وشهادة أن محمدًا رسول الله: ليس معناها التلفظ بها أيضًا، لابد من الإيمان بها والالتزام بمقتضياتها، وطاعة هذا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل شأن من الشئون، هذا مقصود شهادة أن محمدًا رسول الله.

وإقام الصلاة: ليس معناه تصلي فقط، بل فيها خشوع وفيها إخلاص، ولها شروط ولها أركان لابد أن تستوفيها، فإذا استوفيتها أقمت الصلاة.

والزكاة: تستلزم أيضًا الإخلاص لله، وإرادة وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وتؤديها على الوجه المشروع، وإن طلبها منك الإمام فتعطيها، وللإمام إذا طلبها من الناس وأبوا أن يقاتلهم عليها، كما فعل الصحابة الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، قاتلوا الممتنعين عن أداء الزكاة الذين قالوا: لا نؤدي الزكاة إلا لمن صلاته طهرة وسكنٌ لنا، فهموا أن أداء الزكاة إلى الرسول خاص بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣] يقولون: ليس إلا لرسول الله، وهذه شبهة ضالة -والعياذ بالله- خالفهم فيها الصحابة عن علم وبصيرة، وقاتلوهم

وسلوا عليهم السيوف، فالإمام إذا طلب الزكاة من الناس أو من أحد وأبى فللإمام أن يأخذها، وإن كانوا جماعة يقاتلهم عليها، وإن كان واحدًا تؤخذ منه وشطر ماله، كما ورد في حديث آخر(١).

وصوم رمضان: وهو من أركان الإسلام وعبادة عظيمة، ولها من الشروط الإخلاص والامتناع عن الطعام والشراب والجماع وغير ذلك، مما يشترط في سائر العبادات.

وحج البيت: كذلك له أركانه وله واجباته، ويشترط فيه: الإخلاص، ويشترط له شروط، وله أركان وله واجبات يؤديها، وليس المراد: أن تؤم البيت فقط، يشترط في وجوب حج البيت الاستطاعة، والاستطاعة عرفها الناس بأنها الزاد والراحلة، فإذا وجد الرجل زادًا وراحلة، فهو مستطيع، فعليه أن يقوم بهذا الركن، فإن لم يقم به، فقد وردت آثار تُكفِّره، ومنها آثار عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من وجد مالًا يحج به ولم يحج فاضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢، ٤)، وأبو داود في الزكاة، برقم [١٥٧٥]، والنسائي في «الزكاة»، برقم (٢٤٤٤، ٢٤٤٩)، وغيرهم، من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جدِّه قَالَ: سَمِعتُ نَبِيَّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**فِي كُلِّ إِبِلٍ سَائِمَةٍ فِي كُلِّ أَربَعِينَ ابنَةُ لَبُونٍ لَا يُفَرَّقُ إِبِلٌ عَن حِسَابِهَا، مَن أَعطَاهَا مُؤتَجِرًا فَلَهُ أَجرُهَا، وَمَن مَنَعَهَا فَإِنَّا آخِذُوهَا مِنهُ وَشَطرَ مَالِهِ - وَقَالَ مَرَّةً: إِبِلِهِ - عَزمَةٌ مِن عَزَمَاتِ رَبِّنَا** تَبَارَكَ وَتَعَالَى، **لَا يَحِلُّ لِآلِ مُحَمَّدٍ مِنهُ شَيءٌ**».

(٢) رواه سعيد بن منصور كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٨٥)، والخلال في «السنة» (٥/ ٤٤) رقم [١٥٧١]، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٤/ ٩٢٣) من طريقين عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلا أنه منقطع.
ورواه ابن أبي عمر العدني في «الإيمان» [١٠٥] رقم [٣٨]، والبيهقي (٤/ ٥٤٦)، والإسماعيلي كما في «تفسير ابن كثير» (٢/ ٨٥) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥٢) من طريقين عن عبد الرحمن بن غنم أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: «مَن أَطَاقَ الحَجَّ فَلَم يَحُجَّ؛ فَسَوَاءٌ عَلَيهِ يَهُودِيًّا مَاتَ أَو نَصرَانِيًّا».
وصحح إسناده الحافظ ابن كثير، وكذا صححه الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٢/ ٢٢٣).

وهذا أمر خطير جدًّا، فالحج عبادة عظيمة وهو ركن من أركان الإسلام، وإن كان في المسألة خلافات ترد في تكفير من ترك ركنًا من هذه الأركان، وليس هذا مقام تفصيلها، لكن يجب على المسلم أن يستشعر في قرارة نفسه أهمية هذه الأركان وضرورتها، وأن ترك شيء منها خطير، قد قال السلف بتكفير تارك ذلك الركن سواء الصلاة أو الصوم أو الحج أو غير ذلك، فللسلف أقوال في تكفيره، وإن كان يُرجَّح عند بعض العلماء عدم التكفير، ولكن فليحتط المسلم لدينه، فلا يُخل بركن من هذه الأركان لعظمتها، ولأنها مباني الإسلام -كما سيأتي- والإسلام بني عليها.

قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: **«أن تؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»**.

هذه الأمور وردت في القرآن، وردت في أول سورة البقرة، ووردت في وسطها، ووردت في آخرها ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ١ - ٣]

والغيب هذا يشمل الإيمان بالله والملائكة والجنة والنار والميزان والصراط وغير ذلك من أمور الغيب ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ذكر من أركان الإسلام الصلاة والزكاة ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥].

وذكرها في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿۞لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ

....

وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، إلى آخر الآيات.

فذكر معظم أصول الإيمان، وذكر من أصول الإسلام الصلاة والزكاة وفي آخر سورة البقرة ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فهذه الأركان مذكورة في القرآن، والكفر بواحد منها كفر بالله.

والاختلاف في التكفير ورد في أركان الإسلام غير الشهادتين، أما أركان الإيمان فإذا كفر بواحدة منها فهو كافر، ولهذا ترى ابن عمر كفر من أنكر القدر، وإن كان إنكار القدر يتفاوت، فالمتقدمون كانوا ينكرون علم الله السابق، ولما ضغط عليهم أهل السنة وقرعوهم بالحجج والبراهين تراجعوا شيئًا ما، حتى صاروا يُعلنون للناس أنهم يؤمنون بعلم الله السابق، ولكن ينكرون أن الله يريد هذه الأعمال ويشاؤها، فانتقلوا من الكفر إلى كفر آخر دونه، ومن هنا اختلف الناس في تكفير الطبقة الثانية منهم، وهي التي تؤمن بعلم الله السابق وتقديره لكل شيء وكتابته لكل شيء، ولكنها تنكر إرادة الله ومشيئته لأفعال عباده، فهؤلاء اختلفوا في تكفيرهم.

أما بالمعنى الأول: فمن أنكر علم الله السابق فهذا كافر مكذِّبٌ للكتاب والسنة، ولهذا كان السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يقولون: ناظروهم بالعلم، فإن اعترفوا به خُصِموا، وإن أنكروه كفروا.

الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه هو الخالق والرازق والمعبود وحده.

والإيـمان بالملائكـة وأنهـم عبـاد لله مُكرَّمُـون، وكلفهم الله بشـتى الأعـمال، منهم المكلَّـف بالوحي ومنهم المكلَّف بالسَّـحاب ومنهم مكلَّف بالجبـال، ومنهم ملك الموت وأعوانـه، ومنهـم مكلف بأعمال كثـيرة، منهم مكلف بحفظ وكتابة أعمال العباد ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١١] إلى آخـر الأعـمال، ومنهـم خزنـة النـار ومنهم خزنة الجنة... وهم ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

والإيمان بالكتب: يعني: بالكتب التي أنزلها الله على رسله لهداية البشر، فهذا ركن مـن أركان الإيـمان، من كفر به أو بكتاب واحد من الكتب فهو كافر، فتؤمن بأن الله أنزل القرآن على محمد، والتوراة على موسـى، والإنجيل على عيسـى، والصحف على موسـى وإبراهيـم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأنـزل كتبًا لا نعلمها، كما قـال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨].

كما نؤمن بالرسـل ممـن قصهم الله علينا ومـن لم يقصصهم، كذلـك نؤمن بالكتب التـي ذكرها الله والتي لم يذكرها، فنؤمن بكل كتـاب أنزله الله عرفناه كالتوراة والإنجيل والقرآن والصحف، أو لم نعرفه فأنزل الله كتبًا وأرسل الله رسلًا لا نعلمها، لكن نؤمن بها بالجملة، ولا نكذب بشيء منها ورسل الله كثير ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤]، فما من أمة من الأمم إلا وبعث الله إليها رسولًا لهدايتها، عرفنا مَن عرفنا منهم بالتفصيل والتعيـين، ومـن لم نعرفـه نؤمن به على الإجمـال، وكذلك الكتـب، ما عرفنا منهـا آمنا به ومـا لم نعرفه نقول: آمنا بكل كتاب أنزله الله، وآمنا بكل نبي ورسـول أرسـله الله، هكذا يجب أن تكون عقيدة المسلم.

واليـوم الآخـر، نؤمن باليـوم الآخر؛ لأن الله مـا خلق السـموات والأرض باطلًا مـا خلقهـا إلا بالحق، ما خلقهـا إلا ليبتلي العبـاد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ١ - ٢]، فأوجـد الله السـموات والأرضـين، وأوجد فيها العقلاء مـن الملائكة والجن والإنـس، وكلَّفهم بأعمال ليقوموا بها من قام بها نجا ودخل الجنة ومن خالفها فهو عاصٍ، ولابد من حسابه والناس يرون أن هناك أناسًا مظلومين في هذه الحياة الدنيا ولا يجدون من يُنصفهم، فالله الذي خلق البشر وخلق هذا الكون لحكمة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يمكن أن يُهدر حقوق هؤلاء المظلومـين، فلابـد أن يأخـذ للمظلوم من الظالم، حتى إنه ليأخذ للشـاة الجماء من الشـاة القرناء[(١)].

والله يقـول: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]، فهـذا مقتـضى عظمـة الله وجلاله وحكمتـه وعدله ومقتضى خلقه لعباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أن يكون يوم آخر يبعث الله الناس فيه، ويحاسبهم على ما قدَّموا في هـذه الحيـاة، من أطاع الله فله الجـزاء العظيم وهو الجنة، ومن عصـاه بالكفر والشرك فجـزاؤه جهنـم خالدًا فيها، ومـن آمن وظلم بالمعـاصي دون الشرك والكفـر، فهو تحت مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والقدر خيره وشره: هذا الشاهد من سياق ابن عمر للحديث في إجابته على سؤال يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحميري.

---

(١) كما ثبت ذلك عـن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «صحيح مسـلم» في كتاب «البر والصلة والآداب»، باب «تحريم الظلم»، حديث رقم [٢٥٨٢]، وأحمد (٢/ ٢٣٥)، والترمذي في «صفة القيامة»، بَاب «مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الْحِسَابِ وَالْقِصَاصِ»، حديث رقم [٢٤٢٠] وقال: «حسن صحيح».

قال: «فأخبرني عن الإحسان» هذه أعلى مراتب الدين، المرتبة الواسعة: مرتبة الإسلام، والمرتبة التي تليها: مرتبة الإيمان، والمرتبة التي هي أضيق منها وأعلى: هي مرتبة الإحسان، وكل مؤمن مسلمًا وليس كل مسلم مؤمنًا، فقد يكون هذا المسلم متظاهرًا بالإسلام منافقًا، لكن نحن نأخذ بالظاهر، وقد يكون ضعيف الإيمان جدًّا غير كامل الإيمان، فيقال فيه: مسلم ولا يقال فيه: مؤمن؛ لأنه لم يستكمل حقائق الإيمان، وكل محسن مؤمن مسلم، لأن الإحسان يتضمن خصال الإيمان وخصال الإسلام.

والإيمان عند أهل السنة والجماعة يتناول كل الخصال، ولهذا عرَّفوا الإيمان بأنه قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

فالإيمان يشمل الأعمال كلها كبيرها وصغيرها واجباتها ومستحباتها، الإيمان يشمل كل هذه الأشياء، حتى ترك المعاصي إيمان، ولهذا يقول الرسول ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»[1]، فنفى عنه الإيمان، ونفي الإيمان عن هؤلاء العصاة دليل على أن ترك هذه الكبائر من الإيمان.

قال: «**الإحسان**: أن تعبد الله كأنك تراه» هذا الإحسان هو قمة الإخلاص وقمة استحضار مشاهدة العبد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فالإحسان يتضمن الإخلاص ويتضمن استشعار المشاهدة، وأن الله مُطلِّع على ما في قلبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويعلم أعمالَ العباد جميعًا ظاهرَها وخفيَّها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وورد في

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب «الأشربة»، حديث [٥٥٧٨]، ومسلم في كتاب «الإيمان»، حديث [٥٧].

هذا المعنى مثل قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

الشاهد: أن المؤمن يعبد الله أو يفعل ما فعل وهو مستحضر رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وموقن بأن الله عالم به مُطلِّع على ما يخفيه وما يُسرُّه، سواء كانوا أفرادًا أو كانوا جماعات، كما في الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ﴾ [المجادلة: ٧] هذا يُسمَّى مقام المراقبة ومقام المشاهدة؛ لأنه يعبد الله كأنه يراه مخلصًا له مستشعرًا بأن الله يراه، وذلك يدفعه إلى الإخلاص لله، وأداء هذه العبادة على الوجه الذي شرعه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فيُعَدُّ بهذا المعنى من المحسنين -إن شاء الله- والإحسان أعلى درجات الإيمان.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فلبث مليًّا» -قيل: ثلاثة أيام[1]-، ثم قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم**».

الله يرسل جبريل لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيظهر بمظهر طالب العلم، ويسأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لماذا؟ لأن كثيرًا من الناس قد لا يسأل مثل هذا السؤال، فبهذا

(١) كما في رواية أبي داود في «السنة» حديث [٤٦٩٥]، والنسائي في «الإيمان وشرائعه» حديث [٤٩٩٠]، والترمذي في «الإيمان» حديث [٢٦١٠]، وابن ماجه في «المقدمة» حديث [٦٣]، وانظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٢٤-١٢٥).

السؤال والإجابة عليه يعرف المسلم كل أركان الإسلام وأركان الإيمان ومرتبة الإحسان، جمعت له في سؤال واحد وإجابة واحدة، تعلَّموا دينهم عرفوا أركان الإسلام، عرفوا أركان الإيمان، عرفوا مرتبة الإحسان، عرفوا مراتب الدين كلها، هذا هو الدين وهو خلاصة ما جاء في القرآن والسنة، وهذا هو الذي يأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الأمة بالاعتصام به ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

لا تترك شيئًا من الإسلام وتقول هذا قشور وهذا لب، الآن العقيدة عند بعض الناس قشور، استهانوا بها فأهانهم الله -والله-، لا يرفع الله هذا الذل عن هذه الأمة حتى ترجع إلى هذا الدين الكامل الذي شمله هذا الحديث وغيره، لأن هذه أصول الإيمان والإسلام ولها فروع لم تذكر في هذا الحديث، فهذه مبانيه وأصوله، ولابد من مراعاة الأمور الأخرى.

هناك أشياء قلبية منها حب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولا يكون المرء مؤمنًا إلا إذا أحب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، هناك التوكل على الله، فلا يكون المرء مؤمنًا إلا إذا توكل على الله وحده ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

هناك الرغبة والرهبة والخوف من الله، ولا يكون المرء مؤمنًا إلا بهذه الأمور.

فهي أمور عظيمة دلت عليها تلك المباني العظيمة، تلك أصولها وهذه دعائم إلى جانبها وتقويها، وهذه الأعمال القلبية لابد منها ولا يكون المرء مؤمنًا إلا بها، وكذلك من الأعمال الظاهرة، هناك أمور مثل: بر الوالدين وصلة الأرحام وما شاكل ذلك، ولم تُذكر لكن لها اعتبارها.

هـذه الأركان من أركان الإسـلام ومـن أركان الإيمان المذكورة هنـا، إذا انهد ركن منها قد يخرج الإنسـان من الإسـلام، وبعضها قطعًا يخرج بها من الإسلام، وبعضها فيها خلاف، كما ذكرنا لكم في أركان الإسلام، أما أركان الإيمان فلا خلاف فيها، إذا ترك ركنًا منها فلا شك في كفره.

أسـأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يوفق الأمة الإسـلامية للتمسـك بدينها والرجوع إليه عند من قصر في شيء من الإسـلام أو ضيع شـيئًا من الإسلام، نسـأل الله أن يأخذ بنواصيهم ويعيدهـم إلى حظيرة الحق، وأن يُعزَّهم ويكرمهم بهذا الإسـلام، كما أكرم أسـلافهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، إن ربنا لسميع الدعاء.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم



الأسئلة

سؤال: هذا سائل يقول: هل يستفاد من قول ابن عمر رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا في أولئك القدرية أنه لا يشترط نصيحة المخالف؟

جواب: نصيحة المخالف ركز عليها الناس الآن كثيرًا من جملة ما يحاربون به من ينصحهم أنه ما نصحهم، نعم من ناحية أخلاقية ينصح الإنسان، من ناحية التألف، أما أن تكون واجبة عليه، لا، لا يجب عليه، إذا بلغه ما يُنكَر فعليه أن ينكر هذا المنكر، إن شاء مهَّد له بالنصيحة، وإذا كان هذا المنكر ينتشر فلا مانع من أن يرد عليه علانية، كما نشر ذلك أباطيله وأخطاءه فهذا عليه أن يعلن إنكار المنكر عليه، والمجاهر بالفسق والمجاهر بالبدعة والمجاهر بالخطأ والمعصية، هذا إذا جهر ونشر فساده هذا يرد عليه أيُّ مسلم بدون مقدمات ولا كرامة له.

سؤال: حفظكم الله، هل كتاب الحيدة والاعتذار عن القول بخلق القرآن صحيح النسبة لمؤلفه الكناني؟

جواب: بعضهم قال: لم يثبت عنه، لكن أهل السنة تلقوا هذا الكتاب بالقبول لما تضمنه من الحجج والبراهين التي تدحض أباطيل أهل القول بخلق القرآن، أباطيل المعتزلة ومن جرى مجراهم من الجهمية الذين يقولون: القرآن مخلوق، فيها حجج دامغة وفيها نصرة لسنة رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والذب عن دينه.

فجزى الله المؤلف خيرًا، ولعل المؤلف من كبار علماء السنة، ولا شك أنه عالم بارع، ولا نستبعد أنه من تلاميذ الشافعي، ولا يستبعد أنه هذا الكناني، لكن سواء أثبتناه لهذا الإمام أو لم نثبته، فإن كاتبه عالم ضليع ومتعمق في اللغة، ومتعمق في معرفة أسرار القرآن وطرق الاحتجاج به، فهذا مما يُنصر به الإسلام، فمن يطعن في هذا الكتاب أخشى أن فيه نزعة بدعية يريد أن يُوهن حجج أهل السنة والجماعة، فنحن نقول: هذا ألفه عالم

قد يكون ما استطاع أن يظهر اسمه، لأن السلطة كانت بأيدي الجهمية فخاف أن يُنال بالأذى بالقتل وغيره، كما أوذي أهل السنة وامتحنوا بالقول بخلق القرآن، فخشي على نفسه فألف هذا الكتاب، فإما أن يكون هو الكناني وإما أن يكون غيره، ولا شك أنه من علماء السنة ومن أئمتها النوابغ: وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

سؤال: أحسن الله إليكم، يقول: إذا نصح الإخوة على عدم مماشاة أهل البدع ومجالستهم أجاب بقوله: أنا مؤصَّل، ما قولكم حفظكم الله؟

جواب: أقول: لو كنت مؤصلًا ما مشيت معهم، لو كنت مؤصلًا وعرفت منهج السلف وعرفت المخاطر التي تتعرض لها وعرفت الضحايا من أمثالك الذين كانوا مغرورين مثلك -والله- لو كنت كذلك لما مشيت مع أهل البدع، ويمشي مع أهل البدع بحجة أن ينفعهم! يا أخي لا يستفيدون من العلماء كيف يستفيدون منك؟ يرفضون أقوال ابن باز وأقوال الألباني وابن عثيمين وغيرهم من أئمة الإسلام ويقبلون منك؟!! هذا هوس، والغالب من الظن أن تصبح من ضحاياهم.

سؤال:

أحسن الله إليكم، هذا سائل عبر الإنترنت يقول: إنه صلى في مسجد الحسين وفيه قبر وهو جاهل بالحكم فماذا عليه؟

جواب: على كل حال الصلاة في المساجد التي فيها قبور باطلة، والمسجد والقبر لا يجتمعان في الإسلام، أرى من الأحوط له أن يقضي هذه الصلاة.

سؤال: يقول: أنا أحب العلم وقد التزمت على الدين الصحيح، ولكن والدي أو والداي يحارباني ويحرقون كتبي فماذا أفعل؟

جواب: أقول: لا أدري ما هو مذهب والديك، أهما على السنة أم هما على الضلال،

أهما من اليهود والنصارى أو من الروافض؟ فأرجو أن تبين لي حالهما حتى إن كانا ممن يقبل النصيحة نوجه لهما النصيحة ليفسحا لك المجال لتتعلم العلم، إذا وصل بهما الأمر إلى إحراق الكتب فهذا أمر خطير، قد يحتاج الوالد لولده، يحب ولده ويحب أن يتعلم، لكنه مضطر إلى خدمة ولده، فإذا فارقه ضاع الوالد، فهذا الأمر فيه تفصيل.

إن كان هذا الولد قد علم فروض الأعيان فعليه أن يطيع أبويه ويبرهما ويجاهد فيهما، فقد جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد أن يبايعه على الهجرة والجهاد فقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هل لك أبوان؟**» قال: نعم. قال: «**ففيهما فجاهد**»[1] فإذا كانا يحتاجان إليك وهما مؤمنان ويحبان الإسلام، فلتبرهما ولتترك طلب العلم من أجلهما، كما أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا بترك الجهاد، وطلب العلم جهاد، هذا فرض عين وهذا فرض كفائي.

فتُترك فروض الكفايات لفرض العين، لأن القيام بحقوق الوالدين فرض عين، إذا لم يكن هناك من يقوم بحق الأبوين فيتعين عليه أن يقوم به، فيترك هذا الجهاد ليجاهد فيهما، والله أمر بالإحسان إلى الأبوين والصبر عليهما وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [لقمان: ١٥] إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ [لقمان: ١٥]، فيصاحبهما في الدنيا بالمعروف، وأعيد لوالديك النصيحة ألا يحرقا كتبك، وإذا استغنيا عنك أن يسمحا لك بطلب العلم، فهذا ما أجيب به على هذا السؤال.

سؤال: أحسن الله إليكم، يقول: ما الفرق بين القدرية والجبرية؟

جواب: هما متناقضان، القدري يرى أن العباد لا اختيار لهم ولا إرادة، وأن الفاعل لكل شيء هو الله وأن العبد مسلوب الإرادة والقدرة، بينما القدري يجعل من

---

(١) رواه البخاري في «الأدب»، حديث [٥٩٧٢]، ومسلم في «البر والصلة»، حديث [٢٥٤٩].

العبد ندًّا لله يفعل ما يريد دون إرادة الله عَزَّوَجَلَّ، ودون مشيئته -والعياذ بالله-، ولهذا سُمُّوا مجوس هذه الأمة، والجبري قد يكون أسوأ منه أحيانًا، لأنه يهدم أوامر الدين وعقائده ويخلي نفسه من المسئولية أمام الله من كل جريمة يرتكبها، فلو زنا أو سرق أو قتل يقول: أنا معذور، أنا مجبور، فهذا دين هدَّام أيضًا.

فهما متناقضان هؤلاء عندهم تشدد وتنطع، وهؤلاء فيهم إهمال وضياع.

سؤال: أحسن الله إليكم، يقول: وماذا نعني بأفعال العباد مخلوقة؟.

جواب: طاعة العبد ومعصيته كلها مخلوقة لله خيرها وشرها، الله خالق كل شيء فكل أفعال العباد مخلوقة خيرها وشرها طاعة ومعصية كلها مخلوقة لله عَزَّوَجَلَّ، والعبد فاعل بإرادته ومشيئته، وهذه الإرادة والمشيئة والعقل الأمور التي أعطاها هي مناط المسئولية والتكليف بها يثاب وبها يعاقب.

سؤال: هذا سائل من الكويت يقول: يا شيخ يقول: نحن مجموعة من الأشخاص عشرة نعمل في العمل العسكري، هل تجب علينا صلاة الجمعة وليس فينا عالم؟

جواب: إذا كان عمل العشرة يكفي فيه واحد فواحد يقوم بهذا العمل والبقية يجب عليهم أن يذهبوا ليصلوا مع جماعة المسلمين، وإذا كانت الأعمال موزعة هذا في منطقة وهذا في منطقة وكل منهم مكلف بعمل، لو تركه للحقت الأضرار بالمسلمين فهذا له عذر ويصليها ظهرًا، وأما إذا كان عملهم واحدًا ويكفي أن يقوم بالعمل واحد منهم، فعلى الباقين أن يذهبوا لأداء هذا الواجب العظيم صلاة الجمعة.

سؤال: حفظكم الله، هذا يقول: ما الفرق بين الحدادية والسلفية وكيف نفرق بينهما؟

جواب: الفرق بينهما أن الحداديين قادهم رجل صاحب هوى وصاحب حسد

وبغض واحتقار للعلماء، حياته وهو في مصر قبل أن يأتي لهذه البلاد معروف بطعنه في العلماء والإساءة إليهم، ولما جاء إلى الرياض أقام فيها سبع سنوات، بل أكثر، لم يقابل ابن باز ولا الفوزان ولا التويجري ولا غيرهم من علماء السنة أبدًا، ولم يأخذ منهم شيئًا لشدة حقده وكبره واستعلائه، ثم جاء إلى المدينة لقصد معين وهو إثارة الفتنة، فجاء متمسكنًا متلطفًا متخفيًّا حتى أخذ التزكية من أهل المدينة، ثم شرع يُجمِّع الأوغاد والهمج حوله، ما شعر أهل المدينة إلا بالثورة عليهم وعلى علماء المملكة علماء السنة في كل مكان ليس بالمملكة فقط في العالم كله حتى جميل الرحمن لاحقوه بالطعن بعد موته بعد استشهاده: نرجو أن يكون شهيدًا، فهم ثورة على أهل السنة وعلى منهجهم.

وناصحناهم -والله- لقد ناصحتهم وناصحتهم ولاطفتهم وناقشتهم بالأدب عساهم أن يرجعوا ما نريد فتنة -والله-، فأبوا إلا الثورة والفتن وشرعوا يُسقطون بالكلام الخبيث أهل السنة هذا كذاب هذا فاجر هذا كذا، وجعلوا من الطعن في ابن حجر والنووي والشوكاني سلمًا لإسقاطهم، وشغلوا السلفيين شغلة لا نظير لها، فذهب أحد السلفيين يناقشهم، يناقش بعض رسائل الحداد، فهب هذا الرجل بالأشرطة والكتب يخرب كتب أهل السنة ويذمهم ويحاربهم ويطعن فيهم رد عليه شاب.

تكلم في الشيخ محمد أمان وتكلم في الشيخ صالح السحيمي، ومحمد بن ربيع، وربيع بن هادي، وربيع بن هادي هو الذي أسندوا إليه أنه هو الذي ألف هذا الكتاب، ويقسم بالله هذا الحداد الكذاب أن الذي ألف الكتاب، هو ربيع فمن سيماهم الكذب والفجور وبغض العلماء ومحاولة إسقاطهم والكبر والاستخفاف، حتى قال بعضهم على فلان وفلان من كبار أهل العلم أن يذهب إلى زوجة الحداد فيجثوا بين يديها ليأخذوا منها العلم.

وصـاروا يحتقرون العلماء ويُجهلونهم، فمـن فيه هذه الصفات فهو الحدادي، الذي يثـور على العلماء ويطعن فيهم ويريد إسـقاطهم على الطريقة التـي ذكرتها فهو الحدادي، كانوا يكذبون ويطعنون ويطعنون.

فبيَّنا كذب شـيخهم وأخطاءه وضلالاتـه فزادوا فيه غلوا، فكل من يشـبه هؤلاء يغلوا في الأشـخاص ويرد الحجج والبراهين ويطعن في أهل السـنة هذا حدادي وأسـوأ مـن الحداديـة، والآن نرى ناشـئة في الإنترنت عـلى هذا المنوال يصفون أهل السـنة بأنهم حدادية وصفات الحدادية متوفرة فيهم، الغلو، الكذب، رد الحق، نفس الطريقة الحددايـة، فافهموا هذا اضبطوا هذه الصفات للحدادية فمن وجدت فيه فهو من الحدادية، أو شبيه بهم أو أسوأ منهم.

والمؤمـن يجـب أن يحترم دينه ويحـترم عقله، ويحترم هذا المنهج ويحـترم هذا الانتماء إلى السـلفية، ويحترم العلماء ما يضع عقله في أيدي السـفهاء يعبثون به وبدينه وبعقيدته، لا يُسلم دينه لأحد، لأن الطاعة المطلقة لله والولاء المطلق لله ولرسوله والولاء لأصحابه الكرام وللمؤمنين الصادقين، لأن الحق يدور حيثما دار الرسـول ﷺ، والصحابة يدور الحق حيثما داروا، وأما غيرهم فليسوا كذلك، يصيبون ويخطئون والغلو في دين الله مـن أخبث الصفـات، والغلو في الأشـخاص من أخبث الصفات، الرسـول ﷺ يقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، وإنما أنا عبد الله ورسوله فقولوا: عبد الله ورسوله**»[1].

إذا كان لا يسـمح أن يُطرى فيـه ﷺ، كيـف الآن يطـرى في الأقـزام -والعياذ بالله-؟! وينفخون في الشخص الهزيل فيجعلون منه عملاقًا وجبلًا... هذا من

---

(١) أخرجـه البخـاري في «أحاديث الأنبيـاء» حديث [٣٤٤٥]، والإمام أحمد في مسـنده (١/ ٢٣-٢٤)، والطيالسي في مسنده حديث [٢٤]، وابن حبان في «الإحسان» حديث [٦٢٣٩]، وغيرهم.

الكـذب على الله ومن الغلو في الأشـخاص ومن الغلو في الديـن -فنعوذ بالله - من هذه الصفات، هكذا الحدادية غلو في الحداد ورفعوه وهو رجل جاهل متخبط ظالم.

صدقوا -يا إخوة- يقول: إني من عشرين سنة أحذر من الإخوان المسلمين وأحذر مـن سـيد قطب ولم نـرَ له كتابًا ولم نسـمع له شريطًـا في محاربة هؤلاء، ولكـن بمجرد أن لمسـه السلفيون هبَّ كالأسـد الهصور يؤلف وينشر الأشرطة، وألف في الألباني كتابًا من أربعمائـة صحيفـة، مليئة بالأكاذيـب والفجور وسـماه (الخميس) أي: الجيش، المقدمة، المؤخرة، الميمنة، الميسرة، القلب.

طيـب، هذا الجيش لماذا لم تزحف به عـلى الروافض، ولم تزحف بهذا الخميس على الإخوان المسـلمين الذين تقول عنهم: إنك تحذر منهم من عشرين سـنة؟ لماذا ما زحفت بهذا الجيش العرمرم على هؤلاء؟!!

تزحف به على الألباني إمام من أئمة أهل السنة!!

الآن فيـه زحف شـديد، الألباني غير موجـود الآن، والزحف على غـيره من علماء السنة، فهذه علامات الحدادية.

الآن توجـد فئـة في (الإنترنـت) عندهم زحـف، عندهم الخميـس، خميس الحداد، يزحفون بالكتب وبالأشرطة وبالكلام.

ويسمون أهل السنة حدادية، رمتني بدائها وانسلتِ، فنحن ننصح هؤلاء أن يتوبوا إلى الله وأن يستسـلموا لله، وأن ينقـادوا لله وأن يحترموا هـذا المنهج، وأن يحترموا عقولهم وأنفسهم، وإلا فسنواجه بلاء جديدًا أخبث من بلاء الحدادية.

مـن علاماتهم: عدم الترحم، إذا ترحمت على مثل ابن حجر والنووي والشـوكاني قالـوا مبتدع، إذا قلت الحافظ قالوا مبتدع، إذا ما سـئلت عن ابن حجـر عن النووي وقلت

والله عندهم أشعرية يقولون لك لابد أن تقول مبتدع، إذا ما قلت مبتدع فأنت مبتدع، إذا قلنا أشعري معناه أن عنده بدعة مامعناها الإنسان ينبغي أن يتأدب في لفظه، اتصل علي أحدهم من أبها يقول: ما رأيك في ابن حجر قلت: عنده أشعرية قال: أنت ضال لابد تقول مبتدع، عندهم أشياء أخرى ما أستحضرها وسوف أبين ما هي خصال الحدادية ومن هم الحدادية وما هي أصولهم وما هي أهدافهم[١].

سؤال: يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

في إحدى محاضرات الإعداد المنهجي لمرحلة الماجستير ذكر أحد أعضاء هيئة التدريس في الجامعة أن المشاكل التي يعاني منها المسلمون في عصرنا الحالي يعود إلى وجود خلل في العقيدة والتوحيد عند كثير من الناس في بلدان العالم الإسلامي، مما نتج عنه ضعف المسلمين وتفرقهم وانتشار البدع والخرافات وارتكاب كبائر الذنوب وعدم الإقتداء بسنة النبي ﷺ حق الإقتداء.

إذن فلابد علينا ونحن نعيش في هذا البلد الذي تأسس على التوحيد ونبذ البدعة والخرافات، أن نحمد الله على ما نحن فيه من خير ونعمة، وأن نركز في برامجنا على الاهتمام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، والحث على التمسك بالكتاب والسنة قولًا وعملًا.

وفي أثناء هذا الحديث الجميل قام أحد الدارسين وهو معلم في إحدى المدارس معقبًا بكلام غريب، أثار بلبلة بين الدارسين داخل قاعة المحاضرات وخارجها، وهذا الكلام يحمل عدة أفكار سألخصها لك يا فضيلة الشيخ في النقاط التالية:

من الخطأ أن نقول: إن الشباب السعودي هم حماة التوحيد، وإذا كانوا كذلك فأين عاطفتهم اتجاه القضية الفلسطينية؟

---

(١) وقد وفق الله فبينتُ حال الحدادية وأصولهم في رسالتين.

ثانيًا- لابد أن نربي الناس في هذا البلد على الإيمان، لأن الإيمان يعتبر أهم من التوحيد، فالإيمان مفهوم أشمل من العقيدة والتوحيد.

ثالثًا- لم يكن مصطلح التوحيد في عهد النبي ﷺ ولا في عهد الصحابة، ولم يوجد هناك دليل صريح على تقسيم التوحيد، وإنما الذي جاء بهذا التقسيم ابن تيمية ومن جاء بعده.

رابعًا- أن البعض يجعل أمر العقيدة (شماعة) يفرق فيها بين الناس، فلابد أن نجتمع على ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، ويقول: إن هذه المقولة ذكرها علي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

فضيلة الشيخ، إن أحد الدارسين من الذين تعاطفوا معه يقول: إن جميع أقسام التوحيد تدخل ضمن قسم واحد وهو توحيد الألوهية، ونريد منكم يا فضيلة الشيخ التعليق والتوجيه حول مثل هذه الأفكار التي يحاول البعض أن ينشرها بين الناس، وجزاكم الله خيرًا.

جواب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد:

فشكرًا لهذا المحاضر الطيب الغيور الذي أولى العقيدة هذا الاهتمام العظيم وتكلم فيها بحق، وذكر أن الخلل والضياع الذي أصاب المسلمين والذل والهوان إنما هو بسبب التهاون في العقيدة والإخلال بها، فجزاه الله خيرًا وقال حقًّا.

فعلى الأمة الإسلامية جميعًا أن تهتم بالعقيدة في مدارسها وفي مساجدها وفي كل ألوان حياتها.

العقيدة أمر أساسي لابد منه، والعقيدة تشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد العبادة، وهذه الأقسام كلها لها ما يدل عليها من نصوص الكتاب والسنة لا تحصى، ومن أدلة الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية قول الله تبارك وتعالى في المشركين: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥] آيات وردت في هذا المعنى، ما كانوا ينكرون توحيد الربوبية، ولكنهم كانوا ينكرون توحيد الألوهية، وإذا دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى توحيد الألوهية سخروا منه وآذوه وكذَّبوه.

ومن الأدلة على الفرق بينهما: هو أن توحيد الألوهية هو موضع الصراع والخلاف بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين هؤلاء المشركين، قول والله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥]

وهذه دعوة إلى إخلاص الدين لله وإلى توحيد الألوهية وإلى هدم الأوثان التي يتعلق بها هؤلاء المشركون فهذا يغيظهم، وفي الآية الأخرى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥] فهم يخاصمون الرسول صلى الله عليه وسلم في توحيد الألوهية ويسلمون تسليمًا مطلقًا بتوحيد الربوبية ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] يؤمن بتوحيد الربوبية ويشرك بالله في العبادة.

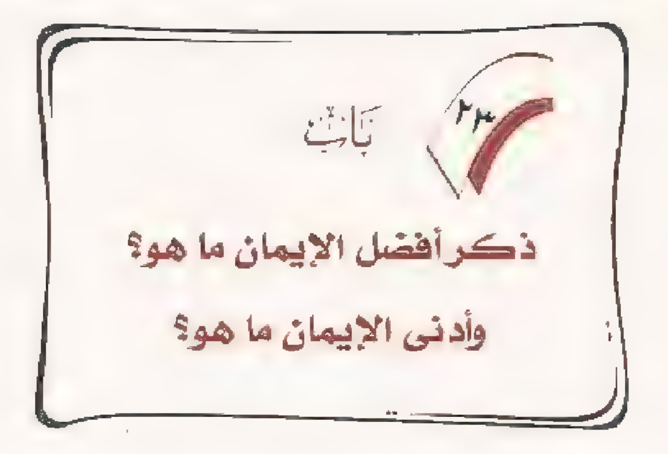
والآيات كثيرة والأحاديث كثيرة في الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات القرآن مليء به، وهذا اصطلاح للبيان، لأن الناس وقعوا في جهل فلابد من هذا البيان.

العلماء فصَّلوا الصلاة إلى أركان وواجبات ومستحبات للبيان وليفهم الناس، وفصلوا في الزكاة وفصلوا في الصوم وفصلوا في الحج وذكروا شروطًا وأركانًا وواجبات.

لو أخذنا بهذه القاعدة الخبيثة لألغينا كل الشروط والواجبات الواردة في الصلاة والصوم والزكاة والحج، وهذه إنما وضعها الفقهاء المجتهدون ليفهم الناس الإسلام، لأنهم ليسوا كالصحابة فيحتاجون إلى البيان والتفصيل والتوضيح، فكل أهل فن قاموا بواجبهم، التفاصيل في اللغة، في النحو، في المعاني، في البيان، في الفقه، في الحديث، في المصطلحات، في كل فن وضعوا مصطلحات، أهم شيء في الإسلام يبقى بدون مصطلحات وبدون بيانات.

فهذا الذي عارض أرى أنه جاهل وأنه يجمع بين التصوف والإخوانية، لأن الإخوان المسلمين هم الذين يقولون: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، وهم الذين يقولون: الإيمان، ولا يستطيعون أن يقولوا: التوحيد والشرك، لأن كلمة «إيمان» عندما يقولها بحضرة اليهود والنصارى وغيرهم لا يخجلون ولا يستاءون، الإيمان بالله الإيمان باليوم بالآخر الإيمان بالقدر يصدق اليهودي والنصراني ولا يغضب، لكن عندما يذكر المسلم توحيد الألوهية فيقول: عيسى عبد الله ورسوله، ليس ابن الله، فيغضبون ويحاربونك وينفضون عنك، أنت تريد أن تكسبهم فتقول: «إيمان» ولا تتعرض للعقيدة ولا تتعرض لتوحيد العبادة.

تأتي لأهل القبور تقول: إيمان إيمان، يصفقون لك، لكن قل: البدوي لا يُدعى، الرفاعي لا يُدعى، لا يذبح له، لا ينذر له، يحاربونك ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، هذه هي قاعدة قديمة ومستمرة في أهل الضلال، وإن كنا لا نكفر هذه النوعيات السيئة التي أساءت للإسلام وشوهته بمواقفها وفهومها الضالة الشركية وغيرها حتى تقام عليهم الحجة وتزال عنهم الشبه، وعلى صاحب هذا الموقف أن يتوب إلى الله، وأن يعود من جديد لدراسة الإسلام.

[٢٠٩] حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني قال: حدثنا خالد يعني الواسطي، عن سهيل بن أبي صالح، عن عبد الله ابن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمان بضع وستون، أو بضع وسبعون شعبة، أفضلها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(١).

[٢١٠] حدثنا حامد بن شعيب البلخي قال: حدثنا يحيى بن أيوب العابد قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن سهيل بن أبي صالح، عن عبد الله ابن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمان بضع وستون، أو بضع وسبعون شعبة أفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(٢).

---

(١) إسناده صحيح إلا أن الحماني اتهم بسرقة الحديث، ومع ذلك فهو شيعي بغيض، لكن متن الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في «الإيمان»، حديث [٩] مختصرًا من حديث عبد الله بن دينار، وأخرجه مسلم في «الإيمان» حديث [٣٥] مختصرًا ومطولًا عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا، وعن سهيل بن أبي صالح عن عبد الله بن دينار به.

(٢) إسناده صحيح.

[٢١١]وأخبرنا إبراهيم بن موسى الجوزي قال: حدثنا أحمد بن منيع، ويعقوب الدورقي، ومجاهد بن موسى- لفظه-، قالوا: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن سهيل بن أبي صالح، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الإيمان بضع وستون شعبة، أو بضع وسبعون شعبة، أفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[1].

فقد ترجم المصنف: هذا الباب بقوله: باب: أفضل الإيمان ما هو؟ وأدنى الإيمان ما هو؟

يريد بذلك: الرد على المرجئة الذين يقولون: الإيمان حقيقة واحدة، لا يزيد ولا ينقص، وهذا مذهبٌ باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك بالإضافة إلى هذا هم يقولون: العمل ليس من الإيمان، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، الجهاد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه الأعمال كلها ليست من الإيمان، وأهل السنة والجماعة يقولون: العمل من الإيمان، وأدلتهم كثيرة، وهو يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، فهذا هو الحق الذي دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن الأدلة على زيادة الإيمان: قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]، فالآية نصٌّ صريحٌ في أن الإيمان يزيد بأعمال القلوب وأعمال الجوارح لأنه تلاها ﴿ ٱلَّذِينَ

---

(١) إسناده صحيح.

﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٣-٤].

فهذه الآيات من الأدلة على أن الإيمان يزيد بأعمال القلوب، إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم، فبهذا الوجل وبهذا الخوف من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عند ذكر الله سواءً عند ذكر الطاعات أو المعاصي أو في أيِّ موقف بهذا الوجل يزداد الإيمان ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢] إذا قرءوا كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ زاد إيمانهم، آمنوا بالعقائد، آمنوا بالأحكام، فزاد إيمانهم بالحلال وبالحرام، بالأمر بالمعروف، بالنهي عن المنكر، بنصوص الجهاد، بنصوص الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، بالوعد بالوعيد، بالإخبار بأمور الآخر، كلما يمر شيء يؤمنون به فيزداد إيمانهم بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وربما يزيد حتى يصير أمثال الجبال.

وكذلك قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، والله هي حجةٌ قويَّة وليتهم يستحون من الله، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول عن المؤمنين: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ وهم يقولون: ما نزيد إيمانًا!

والله يشهد للمؤمنين بأنهم إذا أُنزلت آيات الله زادتهم إيمانًا، إذا تُليت عليهم آيات الله زادتهم إيمانًا، أنتم إيمانكم ما يزيد؟ إيمانكم تصديق فقط؟! أو تصديق وقول فهذه الآيات الصريحة في زيادة الإيمان عليهم من أكبر وأقوى الحجج، وليتهم -والله- يفهمونها ويخجلون منها.

وآيات أخرى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المدثر: ٣١]، فبيَّن في

آيـاتٍ عديدة أن الإيمان يزداد، تؤمن -يا أخي- بأن على النار تسعة عشر، الذين وكَّلَهم الله بالنار، خزنة النار تؤمن بهم يزداد إيمانك، وإذا لم تؤمن بهم تكون كفرت، لأنك كذَّبت بنص القرآن، فإذا آمنت ازداد إيمانُك، وإذا ما آمنت كفرت، كيف تفهم أيها المرجع هذه الآية وتقول الإيمان ما يزيد كيف هذا؟!

هـذا بـلاء وجهل، فليت هؤلاء حتى في هذا العصر يتوبـون من هذا العناد لكتاب الله ولسنة رسول الله ولمنهج السلف الصالح ولآثار السلف وأقوالهم ومواقفهم.

وساق هنا الحديث من عدة طرق أن «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق**».

فالإيـمان ليس شيئًا واحدًا، هو شُعَب متعـددة وليس شيئًا واحدًا فقـط ما يزيد ولا ينقـص، بل الإيمان قابل للنقـص وقابل للزيادة، والذي يقبـل النقص يقبل الزيادة، فالإيـمان ليس شيئًا واحدًا، بل هو أمور كثيرة، يأتي على رأسـها أقـوال وأعمال وعقائد، شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسـول الله من الإيمان، نطقها من الإيمان، وهي قول مقرون باعتقاد، ولا تصلح إلا بالاعتقاد، ليست مجرد قول.

هو شعب وخصال كثيرة، أدنى هذه الشعب: إماطة الأذى عن الطريق.

أنـت تحـب المؤمنين وترحمهـم، وتتقرب بذلـك إلى الله، فتزيل عنهـم الأذى، تزيل أذى يسـيرًا من الطريق يدخلك الله به الجنـة[1] فأنت تعمل هذا العمل من منطلق إيمان،

---

(١) فقد روى البخاري في «المظالم»، باب «مَن أَخَذَ الغُصنَ وَمَا يُؤذِي النَّاسَ فِي الطَّرِيقِ فَرَمَى بِهِ»، حديث برقـم [٢٤٧٢]، ومسـلم في «البر والصلة والآداب»، باب: «فَضلِ إِزَالَـةِ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» حديث [١٤١٩]، مـن حديـث أبي هريـرة رَضِيَ اللهُ عَنهُ: أَنَّ رَسُـولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَـالَ «**بَينَمَـا رَجُـلٌ يَمشِـي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصنَ شَوكٍ فَأَخَذَهُ، فَشَكَرَ الله لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ**» وفي لفظ لمسلم: «**مَرَّ رَجُلٌ بِغُصنِ شَجَرَةٍ**
=

تريد وجه الله فتزيل هذا الأذى من الطريق، زاد إيمانك وتكون مؤمنًا، وهذه خصلة من خصال الإيمان.

ويذكر الحافظ ابن حجر والنووي أن الناس اختلفوا في عدِّ هذه الخصال التي تتراوح ما بين أعلاها وأدناها، بين لا إله إلا الله وبين إماطة الأذى عن الطريق، فعدوها لكن استحسن الحافظ ابن حجر والنووي عمل ابن حبان، ابن حبان قام بمجهود عظيم، استعرض الطاعات فوجدها تزيد عن هذا العدد، استعرض سنة رسول الله ﷺ، الأعمال التي يعدها رسول الله من الإيمان فوجدها تنقص، فقرأ القرآن وتتبع الأعمال التي يسميها الله إيمانًا فوجدها تنقص عن هذا العدد، جمع بين ما ورد في القرآن والسنة وجد زيادة، عدَّ الزيادة أصبحت تسع وسبعون.

وهذا العدد بضع وسبعون ليس المراد به الحصر، لأن العرب تذكر العدد ولا تقصد نفي ما زاد على هذا العدد، تقول: عندي مائة درهم وأنت عندك مئتان، ما تقصد نفي ما زاد عن المائة، كذا إذا عدَّ خصال الإيمان التي هي بضع وسبعون يجوز أن تزيد عن السبعين، فإذا وجدنا بضعًا وسبعين أو بضعًا وستين.

فهذا هو ما قيل في عدد هذه الخصال وهي كثيرة، ومنها: الصلاة والزكاة والصوم والحج والبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وَعُدَّ من كل باب.

يعني: أعمال الحج بتفاصيلها وأعمال الصلاة بتفاصيلها والصدقات وأبواب البر يعني تصل إلى هذا العدد وتزيد[1].

= عَلَى ظَهرِ طَرِيقٍ فَقَالَ: وَالله لأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ المُسلِمِينَ لَا يُؤذِيهِم، فَأُدخِلَ الجَنَّةَ».

(١) انظر «المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج» (٢/ ٤-٥)، و«فتح الباري» (١/ ٥٢-٥٣).

هذا ما يمكن أن نقوله حول هذا الحديث العظيم، الذي فيه الدلالة الواضحة على أن الإيمان يزيد وينقص وأن شعب الإيمان كثيرة.

«**والحياء شعبةٌ من الإيمان**»: **الشعبة**: الخصلة، **يعني**: الحياء خصلة من خصال الإيمان.

ويقال: الحياء مشتَقٌّ من الحياة، فالذي عنده حياةٌ جيِّدة تجد عنده حياء، والذي حياته هزيلة، إيمانه وواقعه، ما تجد عنده حياء، فالحياء أمره عظيم، وفيما أُثر عن النبيين: «إذا لم تستح، فاصنع ما شئت».

فالحياء يحجز صاحبه من القبائح، لأن فيه حياة فيمنعه من القبائح، يمنعه من السرقة ومن الزنا ومن الفحش من الظلم ومن أشياء كثيرة، فيستحي من الله ويستحي من المؤمنين؛ لأنه عنده حياء يحجزه عن معصية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وبهذه المناسبة أذكر حديثًا في مسلم، أن عمران بن الحصين كان يحدث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فذكر في حديثه لمن حوله أن رسول الله يقول: «الحياء كله خير» وكان عنده بشير العدوي، وهو أحد المخضرمين ومن المسلمين، فقال: وجدنا في الحكمة أن منه حياء ومنه ضعفًا.

فقال: أحدثك عن رسول الله وتحدثني عن صحفك، فغضب، ثم أعادها عمران فأعادها، وجدناها في الحكمة أو في الكتب أن الحياء منه ضعف ومنه- في رواية- سكينة، ومنه حياء، فقال: أحدثك عن رسول الله وتحدثني عن صحفك، فغضب غضبًا شديدًا، وكان من حوله يسكتونه ويقولون: والله هذا أخونا، هذا منا، خافوا أن يتهمه عمران بالزندقة أو بالفجور أو بشيء من هذا، فقالوا هو من أهل الاستقامة ومنا ويهدءون الوضع[1].

(١) الحديث في مسلم في «الإيمان» حديث [٣٧].

....

لكن الشاهد: ما الذي أثار عمران وأغضبه؟ هو المعارضة لسنة الرسول ﷺ.

قال له: أنا أقول لك الرسول يقول: الإيمان خير كله، وأنت تقول لي: بعضه وبعضه؟

هذا اعتراض على الرسول، فغضب غضبًا شديدًا وخاف الجالسون أن يكون اتهمه بنفاق أو زندقة أو شيء فراحوا يهدئونه، لكن هذا يعطينا فكرة عن غيرة أصحاب محمد ﷺ على سنة رسول الله ﷺ، وأنه إذا قال المسلم: قال رسول الله كذا فلا ينبغي ولا يجوز للمسلم أن يأتي بشيءٍ يعارضه، لا من عقل ولا من كلام الناس ولا من شيء، بل عليه أن يسلِّم تسليمًا لهذا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

كذلك عبد الله بن عمر كان يحدث ابنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»[(١)] هو يتحدث عن إذن رسول الله للنساء إذا استأذنَّ أنه يؤذن لهن ليصلين في المساجد، فقال ابنه: والله لنمنعهن، يعني: عنده غيرة، قال له ابن عمر: أحدثك عن رسول الله وتقول: والله لنمنعهن وغضب عليه وسبَّه سبًّا شديدًا، وفي رواية لا أعرف ثبوتها أنه هجره.

وعبد الله بن مغفل كان يحدث وابن أخيه عنده فقال: نهى رسول الله ﷺ عن الخذف، فإذا به يخذف، فقال: أحدثك عن رسول الله أنه نهى عن الخذف وتخذف، لا أكلمك كذا وكذا[(٢)]، وفي رواية عند مسلم: لا أكلمك أبدًا.

---

(١) أخرجه مسلم في «الصلاة»، حديث [٤٤٢] مكررًا، والإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٦)، وابن ماجه في «المقدمة»، حديث [١٦]، وغيرهم، وأصله في البخاري.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في «الذبائح والصيد»، حديث [٥٤٧٩]، ومسلم في «الصيد والذبائح»،

الآن الواحد يخالف كتاب الله وسنة الرسول ببدع وضلالات وانحرافات، فترى الأمور عادية ولا تعترض فتنطرد، ودعنا فكلنا إخوان وإلى آخره، ونصحح ولا نجرح، وقاعدة: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

هناك روافض وصوفية وقبورية كلهم إخوان، أين الغيرة على سنة رسول الله وعلى دين الله؟

هذا الرافضي يخالف الكتاب من أوله إلى آخره، وهذا الصوفي الذي عنده ضلالات وشرك وبدع، يخالف كتاب الله وسنة الرسول، ما تنكر عليه؟!!

يعني: هؤلاء أصحاب محمد الثلاثة الذين ذكرناهم وغيرهم، عمر أغير منهم، والله عمر بن الخطاب أغير منهم، وغيره هؤلاء على خطأ، وأنت على صواب منهجك أحسن من منهج هؤلاء؟

نجد أناسًا يدورون في قاعدة «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه» ويحطِّمون كل الأساسيات والقواعد التي تحافظ على الإسلام، وتحول بين الإسلام وبين الأيدي المفسدة المخرِّبة المنجرفة، يهدمون كل هذه القواعد ويأتون بقواعد جديدة كلها تدور حول هذه القاعدة التي وضعها الماسون ليميِّعوا ويحطِّموا الحواجز بين المسلمين وبين اليهود والنصارى، وقال محمد رشيد رضا: أخذناها عن الماسون، ثم تاب الله عليه.

بنى محمد رشيد رضا على هذه القاعدة علاقة قوية مع الروافض، ثم بدأ ينشر مذهب أهل السنة الذي يعرفه هو في أوساط الشيعة، فإذا بأناس من الروافض يتحولون

=

حديث [١٩٥٤]، وأخرجه غيرهما.

إلى السنة، فهب الشيعة على محمد رشيد رضا يطعنون فيه ويشوهونه، فألف كتابًا يبيِّن مفاسدهم وفضحهم فضحًا[١] فما استمرت هذه القاعدة عنده.

لكن عند الإخوان المسلمين مستمرة، بل مددوها ووسعوها ووصلوا إلى أن عقدوا المؤتمرات لوحدة الأديان، فانظروا إلى الضلالات كيف تبدأ وكيف تنتهي، فلا نتساهل في الأمور -يا إخوة-، لا نتساهل في الشر، لا نتساهل في البدع، نعم نعالج بحكمة، لكن تميع إلى هذه الدرجة ووضع قواعد تهدم أصول الإسلام وتناقض أصول الإسلام، هذا والله هو الضلال.

«إن الحياء شعبة من الإيمان» «وإذا لم تستح، فاصنع ما شئت»[٢] والذين يضعون هذه القواعد -والله- لا يستحون، والله لا يستحون، فعليهم أن يستحوا من الله وأن يحترموا الإسلام وأن يحترموا أصول الإسلام وأن يحترموا منهج السلف، وأن يدرسوه، لأن كثيرًا منهم جهلة لا يعرفون منهج السلف، وقد يمر به ولكن لا يفهمه ولا يستعد لتطبيقه.

فيا أيها الدعاة، اتقوا الله في أمة الإسلام، والله ما تزداد بهذه القواعد وتطبيقاتها إلا ضلالًا وبعدًا عن الله عَزَّوَجَلَّ، فارجعوا إلى قواعد الإسلام وإلى نصوص الإسلام، ونادوا بالأمة من كل حدب وصوب أن يعودوا إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله حتى يرفع الله عنها هذا الذل.

---

(١) اسم كتابه «السنة والشيعة».

(٢) رواه البخاري في «الأدب»، حديث [٦١٢٠].

فإن هذا الذل لن يُرفع أبدًا، لأن هذا وعدٌ من الله صادق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧]، ما معنى نصر الله؟ نصر دينه الحق الذي جاء به محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشُرِع الجهاد لإظهاره وإعلائه.

الآن أنت مخالف في كثير من الأساسيات لهذا الدين فكيف ينصرك؟ لأن هذا وعدٌ مرتَّبٌ على شيء، بشرط أن تنصر دينه ينصرك، خذ الأسباب ومنها التمسك بهذا الدين، والسعي في الجهاد لإعلائه، أين العقل؟!

لا عقل ولا شرع فيما يقوله هؤلاء، يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم**»[1].

الجهاد الشرعي ليس الجهاد فقط، جهاد الغوغاء، «أل» عهدية، الجهاد الذي شرعه الله لإعلاء كلمته ودينه وتوحيده، أين التوحيد عند هؤلاء إلا عند النادر.

«وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلًّا» الجهاد الآن لأجل الوطنية والقومية والديمقراطية، وليس الجهاد الذي رفع رايته محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفاؤه الراشدون، الغاية تختلف والأسباب تختلف والوسائل تختلف تمامًا، أين النصر؟

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٢، ٨٤)، من طريق شهر بن حوشب عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال فيه الحافظ: «كثير الإرسال والأوهام»، وقال الذهبي في «الكاشف»: «وثقه أحمد وابن معين، وقال أبو حاتم: ليس بدون أبي الزبير»، وأخرجه أبو داود من طريق عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في «البيوع»، حديث [٣٤٦٢]، وأورده العلامة الألباني في «الصحيحة» من عدد من المصادر ومن طرق، انظر: «الصحيحة» رقم [١١]، فالحديث حسن أو صحيح بمجموع طرقه، وأطلق الألباني صحته بمجموع طرقه.

«تبايعتم بالعينة» وقعنا في الربا ووقعنا في الأشياء المحرمة! هذه إشارة فقط إلى كل المعاملات الفاسدة ربوية وغيرها، ليس التبايع بالعينة فقط -وهو نوع من أنواع الربا-، هذا إشارة إلى المخالفات في الاقتصاد الإسلامي كله، كل تعامل باطل ربا.

«ورضيتم بالزرع» أخلدنا إلى الحياة الدنيا، هذا إشارة إلى الإخلاد إلى الأرض وترك الجهاد، الجهاد المشروع الذي شرعه الله عَزَّوَجَلَّ.

«سلط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» هذا وعدٌ من الله صادق على لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يتخلف، يزول هذا الذل لكنه مشروط بشرط، فلا ينزع عنا هذا الذل أبدًا حتى نرجع.

لماذا ينصرك؟ من أجل هذا الدين.

لماذا سلط عليك الذل؟ لأنك خالفته.

متى ينزع عنك هذا الذل؟ لا ينزعه عنك حتى ترجع إلى هذا الدين الذي جاء به محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

انتبهوا لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُقبَضُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَتَبقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ التَّمرِ وَالشَّعِيرِ لَا يَعبَأُ الله بِهِم شَيئًا**»(١)، وهذا هو واقع المسلمين اليوم، ولذا لا يعبأ الله بهم شيئًا، ولو أذلهم اليهود والنصارى والشيوعيون والهندوك حتى يرجعوا إلى دينهم الحق عقيدة ومنهجًا وسياسة وأخلاقًا.

فاتقوا الله يا مسلمين، جاهدوا أنفسكم وادعوا هؤلاء المساكين للعودة إلى الدين قبل كل شيء، أهم من الأرض: الدين، الدين الحق أهم من الأرض وما عليها، كلمة

(١) رواه البخاري في «المغازي»، حديث [٤١٥٦].

تقولها ترضي الله خير من الدنيا وما عليها، كلمة من هذا الدين الذي يريد الله إعلاءه، والذي يأمر الله الناس بالعودة إليه، كلمةٌ منه خير من أراضي الدنيا كلها.

فنرجع إلى هذا الدين؛ لأنه أغلى شيء عندنا، وهو يؤهلنا لرضا الله في الدنيا ويؤهلنا للنصر ويؤهلنا لدخول الجنة ويبعدنا عن النار.

هذا الدين العظيم الغالي الذي أصبح رخيصًا أرخص من كل شيء، أصوله وفروعه عند كثير من الناس -مع الأسف الشديد-.

والله لو أدركوا عظمة هذا الدين الذي يأمر الله بالرجوع إليه، والله لهرعوا إلى هذا الدين راجعين، ولكن ما عرفوا، فهم يتكلمون بالهوى والجهل والسفه والمخالفات الواضحة لشروط الجهاد، افهموا هذه الشروط وغيرها.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يهيئ للأمة دعاة صادقين يدعونهم بمثل دعوة الأنبياء، إلى توحيد الله وإخلاص الدين له والتمسك بشرعه والجهاد لإعلائه وإظهاره على الأديان كلها، وأن يجعلنا أمةً قائمةً بهذا الدين، تستحق من الله كلَّ نصر وإكرام وإعزاز، وأن ينزع عنا كل ألوان الذل والهوان.





باب ٢٤

ذكر ما دل على زيادة الإيمان ونقصانه

[٢١٢] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا صفوان بن عيسى، عن ابن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل منها قلبه، فإن زاد، زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران، قال الله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤]»[١].

[٢١٣] وحدثنا أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال: حدثنا إسماعيل بن عياش: حدثني صفوان بن عمرو، عن عبد الله بن ربيعة الحضرمي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «الإيمان يزداد وينقص»[٢].

---

(١) إسناده حسن: فيه محمد بن عجلان صدوق اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه، وبقية رجاله ثقات.

أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٩٧)، والترمذي في «التفسير» حديث [٣٣٣٤]، وابن ماجه في «الزهد» حديث [٤٢٤٤]، وابن حبان في صحيحه حديث [٩٣٠]، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) ضعيف؛ فيه عبد الله بن ربيعة الحضرمي لا يُعرف.

[٢١٤] وحدثنا أيضًا الحلواني قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالا: «الإيمان يزداد وينقص»[١].

[٢١٥] وأخبرنا أبو بكر بن عبد الحميد قال: حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا أبو جعفر الخطمي، عن أبيه، عن جده عمير بن حبيب قال: «الإيمان يزيد وينقص، قيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عَزَّوَجَلَّ وحمدناه وخشيناه فذلك زيادته، فإذا غفلنا وضيعنا فذلك نقصانه».

[٢١٦] حدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا الفضل بن زياد قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن حنبل قال: حدثنا الحسن بن موسى قال: حدثنا حماد ابن سلمة، عن أبي جعفر الخطمي، عن أبيه، عن جده عمير بن حبيب قال: «الإيمان يزيد وينقص، فقيل: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه»[٢].

[٢١٧] وحدثنا جعفر قال: حدثنا الفضل قال: حدثنا أحمد بن حنبل قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أنا محمد بن طلحة، عن زبيد، عن ذر قال كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لأصحابه: «هلموا نزداد إيمانًا، فيذكرون الله تَعَالَى»[٣].

---

(١) ضعيف؛ فيه عبد الوهاب بن مجاهد ضعيف.

(٢) هذا الأثر والذي قبله لا ينزلان عن درجة الحسن، في إسنادهما عمير بن يزيد الخطمي أبو جعفر، قال فيه عبد الرحمن بن مهدي: «كان أبو جعفر وأبوه وجده قومًا يتوارثون الصدق بعضهم عن بعض»، انظر: «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٣٩٣)، و«تهذيب التهذيب» (٨/ ١٥١).

(٣) في إسناده ذر بن عبد الله المرهبي: ثقة عابد، رمي بالإرجاء لكنه لم يدرك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢١٨- وحدثنا جعفر، قال: حدثنا الفضل، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا وكيع، عن شريك، عن هلال، عن عبد الله بن عكيم، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول في دعائه: «اللهم زدني إيمانًا ويقينًا وفقهًا»[١].

أورد المصنف في هذا الباب ما سمعتم من الحديث الأول وأعقبه بالآثار التي مرَّت عليكم، وقصد المؤلف: أن يقرِّر هنا ذلكم الأصل العظيم من أصول أهل السنة: أن العمل من الإيمان، وأنه يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، هذا الأصل الذي يخالف فيه أهلُ البدع والضلال من المعتزلة والخوارج والجهمية والمرجئة[٢].

فمذهب أهل السنة قائمٌ على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ، وهو يمشي على التوفيق والتأليف والجمع بين الأدلة ولا يضرب بعضها ببعض، ولا يتتبعون المتشابهات كما يفعله أهل البدع والضلال فهم يتتبعون المتشابهات ويبتعدون عن التأليف بين نصوص الكتاب والسنة ويضربون بعضها ببعض.

بينما أهل السنة على هدى مستقيم وعلى الصِّراط الحق وهم الطائفة المنصورة -إن شاء الله- إلى يوم القيامة، لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي وعد الله، فهم في كل أبواب الدِّين التي اختلفت فيها الفرق دائمًا الحق إلى جانبهم، وخصَّهم

---

(١) في إسناده: شريك القاضي صدوق يخطئ كثيرًا لكن الحافظ ابن حجر قال في «الفتح» (١/ ٦٣): وفي «الإيمان» لأحمد من طريق عبد الله بن عكيم عن ابن مسعود أنه كان يقول: «اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا»، ثم قال: «وإسناده صحيح».

قلت: قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٢٥): وَقَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنبَلٍ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَن شَرِيكٍ عَن هِلَالٍ عَن عَبدِ الله بنِ عكيم قَالَ: سَمِعت ابنَ مَسعُودٍ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ زِدنَا إيمَانًا وَيَقِينًا وَفِقهًا».

قلت: مدار الإسناد على شريك.

(٢) هذه الفرق الضالة كلهم يقولون: الإيمان شيء واحد، لا يتجزأ ولا يزيد ولا ينقص.

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنهم أهل الحق، وتكلم عن الفرق الهالكة وأنها في النار وذمهم السَّلف الصالح، وبيَّنوا ضلالهم بالأدلة والبراهين.

هذا الحديث من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل منها قلبه، فإن زاد زادت حتى تعلوا قلبه، فذلك الرَّان الذي** قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]».

الشاهد فيه: أن الذنوب أولها يُحدث في القلب نكتةً سوداء، فإن تاب ونزع عاد قلبه إلى ما كان عليه من الصفاء والطهارة والنظافة، وإن أغرق في الذنب وتمادى فيه اتسعت دائرة هذه النكتة حتى تعلو قلبه، وذلك ما ذكره الله في كتابه ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] غطَّاها الباطل وغشَّاها حتى أعماها -والعياذ بالله-، وقد يصل إلى الكفر وقد يخرج من الإيمان -والعياذ بالله- بتماديه في الطغيان والظلم والأذى والشرور والمعاصي والبدع.

ويشبه هذا الحديث قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تُعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا، حتى تصير على قلبين، فأيما قلب أشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأيما قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، قلب أبيضًا كالصفاة** -يعني: الصخرة الملساء البيضاء- **لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض...**»؛ لأنه قلب حيٌّ ينكر الباطل وينكر الضلال وينكر الفتن، فهو في حماية من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويكافؤه الله بأن يثبته ويسدِّده إلى يوم القيامة فلا تضرُّه فتنة.

«**وقلب أسود مربادًا كالكوز مجخيًا...**» أسود يعني: على أخبث صور السَّواد، على أخبث صورة قبيحة مخلوطة بالحمرة أو بالبياض، فيصير كريهًا جدًّا.

«كالكوز مجخيًا» كالكوز منكوسًا فمه إلى أسفل، وأسته إلى أعلى، فمهما صببت عليه من المياه وغيرها ما يدخل فيه شيء، يأتي الحق إلى قلبه فيجده منكوسًا ما يقبله، ما عنده قابلية فقد استولى عليه الشر واستولى عليه الباطل.

«لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه»[(١)].

ونعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ولقد عايشنا أناسًا كانوا على سنة وهدى فيدخلون في الفتن فيصير هذا مآلهم، فنسأل الله أن لا يزيغ قلوبنا، وأن يثبِّت قلوبنا على الحق، ونسأل الله ألا يزيغ قلوبنا وأن يجنِّبنا الفتن.

والله لقد رأينا أناسًا على الحق ثم انتكسوا، فأصبحوا لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا إلا ما أشربوا من هواهم، فنعوذ بالله من هذه الفتن.

فهناك تشابه بين حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هنا وبين هذا الحديث، فلنحفظ يا إخوة مثل هذه الأحاديث، ولنفقهها، ولنحافظ على ما عندنا من دين صحيح وعقيدة صحيحة ومنهج صحيح، ولا تتخطفنا الفتن البرَّاقة الخلابة، التي يعيث فيها أهل الفتن ويصولون بها ويجولون في أوساط أهل السنة، فيصيبون من أصابوا بهذه الفتن والكوارث فيجتالونهم عن دين الله، وكما تجتال شياطين الجن، تجتال شياطين الأنس أناسًا كانوا على حق، فيحملون وزرهم ووزر من تبعهم وفُتن بهم إلى يوم القيامة.

وقوله: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «الإيمان يزداد وينقص»، أهل السنة يبنون عقائدهم ومناهجهم على كتاب الله وعلى السنة الصحيحة، ثم قد تأتي آثار فيها تأييد

---

(١) أخرجه مسلم في «الإيمان»، حديث [١٤٤].

وفيها ما يستأنس به لذلك المنهج بتلك العقيدة من أقوال أهل السنة ومن أقوال الصحابة، فهذه إيرادها لا يضر، ولا يقال: لماذا أوردها؟

الآجري محدِّث ويعرف ما في هذه هذه الآثار من ضعف، لكن من باب الاستئناس، القوي يزداد قوة، وإذا كان هناك ضعيف أو ضعفاء، فضعيفان يغلبان قويًّا.

فأصل ما يستدلون له صحيح ثابت بالكتاب والسنة، بخلاف أهل الضلال والبدع فإنهم ليس عندهم أصول صحيحة، ما عندهم أصول صحيحة ما عندهم مناهج صحيحة، فيتعلقون بالعقليات الفاسدة والنظريات الفاسدة والأدلة الباطلة والضعيفة والموضوعة، ويبنون عليها دينهم مع الفهوم الرديئة واتباع المتشابهات، مما سبَّب لهم انتكاس القلوب، بخلاف أهل السنة فإن أصولهم صحيحة ثابتة -والحمد لله-.

ثم إذا وجدوا من الآثار صحيحًا أو حسنًا مما يُحتج به أخذوا به وأسندوا به منهجهم ردًّا على المنحرفين، وإن كانت ضعيفة تقوَّت بتلك الأصول وانتهضت بتلك الأصول وقوَّى بعضها بعضًا، فإذا تكاثرت النصوص -ولو كان في أسانيدها بعض الكلام- فإنها تقوى بأصولها وتقوى بكثرة الآثار التي يؤيد بعضُها بعضًا، وإن كان في أسانيدها ضعف لكنها تحمل معانيَ صحيحة، ليست معاني فاسدة حتى نتنكر لها ونحاربها.

هنا أورد أثرًا من طريق عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس، وانظر إنصاف أهل السنة، عبد الوهاب بن مجاهد هو ولد الإمام المشهور بالتفسير ومن أئمة السنة، ومن أكبر وأفضل تلاميذ ترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وتفسير مجاهد يقال فيه: «**إذا وجدته، فعض عليه بالنواجذ**»[1]، هذا من أهل السنة ليس بجهمي ولا معتزلي

(١) رواه الطبري في «مقدمة تفسيره» (١/ ٩١) رقم [١٠٩] عن سفيان الثوري: معناه.

ولا رافضي ولا شيء، ولما ضعف في نقله أو في تصرفاته وهو من أهل السنة، ما قالوا: نحمل المجمل على المفصَّل، ما قالوا فيه: والله هذا ابن مجاهد والله من أهل السنة ونحن نحمل المجمل على المفصل، كما يقول بعض الناس -مع الأسف الشديد- الآن في هذا الوقت -نسأل الله العافية-، وله أمثلة كثيرة، هذا ابن إمام من أئمة السنة.

والله لا يجاملونه والله من أبناء أبي بكر ومن أبناء عمر ومن سلالات قريش وبني هاشم وغيرهم، والله ولو كان صاحب عقيدة إذا كان فيه نقص، بينوا، وإذا فيه عيب، بينوا، ما قالوا: والله هذا قرشي والله هذا من بني هاشم والله هذا سني، لا، أبدًا.

اللهم إذا كان إمامًا كبيرًا مجاهدًا مناضلًا وقع في زلة بيَّنوا خطأه واعتقدوا أن هذا القول منه خطأ، وما حملوا مجمله على مفصله، بل يعتقدون في صوابه أنه صواب وفي خطئه أنه خطأ، ومن قواعدهم: «كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ».

أما كل إنسان وكل ما هب ودب حتى ولو من أهل الباطل ومن أهل الضلال نحمل المجمل على المفصل بهذا الأسلوب والتأصيل الباطل، وهناك من أهل الباطل أناس ينادون بهذا الأصل، وأول من نادى به عبدالله عزام ليدفع وحدة الوجود عن سيد قطب، وقال: نحمل المجمل على على المقيَّد والناسخ على المنسوخ، فقلنا له: ما شاء الله! أهذا نبي يُعامل هذه المعاملة ؟!

وتبعه أبو الحسن المأربي وتبعه عدنان عرعور وتبعه أهل الباطل - مع الأسف الشديد-، لا يريدون بهذا الأصل إلا المحاماة عن أهل البدع، أما أهل السنة، فإذا كان هناك إمام حياته كلها جهاد ونضال، ثم وقع في خطأ وباطل، فنقول: والله هذا باطل، ولكن عرفنا من حياته وجهاده والتزامه بالسنة ونضاله عنها ودعوته إليها أن هذه زلة

ونغتفرها له، افهموا هذا، وإذا كانت من مسارح الاجتهاد نقول: له أجران فيما أصاب فيه، وأجر واحد فيما أخطأ فيه، كما بينت ذلك السنة، وعليه منهج أهل السنة، أما أهل الأهواء فلا يعاملون هذه المعاملة، لأنهم إنما يتبعون أهواءهم.

الشاهد: أن هذا عبد الوهاب بن مجاهد قيل فيه: متروك[١]، وقال فيه الثوري: كذاب[٢].

لكن هذا الأثر معناه صحيح، تسنده الأصول وتسنده الآثار الطيبة الصحيحة والحسنة، ويسنده منهج أهل السنة والجماعة الذي قامت عليه الطائفة المنصورة.

وهذا الأثر بعده الذي فيه حماد بن سلمة، قال: حدثنا أبو جعفر الخطمي، عن جده عمير بن حبيب، وفي الإسناد الثاني عن أبيه عن جده قال: «الإيمان يزيد وينقص، قيل له: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عَزَّوَجَلَّ وحمدناه وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا فذلك نقصانه».

هذا فيه شك، هل سمع هذا أبو جعفر الخطمي من جده عمير بن حبيب أو لم يسمع هذا؟ يحتاج إلى بحث، ولكن الضعف فيه ليس بشديد، والمعنى صحيح ومُستمد من كتاب الله ومن سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) انظر «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٦/ ٧٠)، و«الضعفاء والمتروكين» للنسائي (ص٢٠٨/ ٣٧٥)، و«الضعفاء» للعقيلي (٣/ ٧١-٧٣)، و«الكامل» لابن عدي (٥/ ٢٩٤)، و«المجروحين» لابن حبان (٢/ ١٤٦)، و«الضعفاء» لأبي نعيم الأصفهاني (ص١٠٤/ ١٢٦)، و«الضعفاء والمتروكين» لابن الجوزي (٢/ ١٥٨/ ٢٢١٣)، و«الميزان» للذهبي (٢/ ٦٨٢/ ٥٣٢٤)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (٦/ ٤٠٠/ ٨٣٩).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦/ ٧٠).

فالله نصَّ في آيات كثيرة على زيادة الإيمان وذكر الله عَزَّوَجَلَّ سبب الزيادة ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢] الخوف من الله ومراقبته عمل عظيم من أعمال القلوب، وسبب عظيم لزيادة الإيمان، وتلاوة القرآن وذكر الله بما في هذه النصوص وإدراك وعده ووعيده والإيمان بحلاله وحرامه، هذه من أقوى الأسباب في زيادة الإيمان، ولهذا قال: «إذا ذكرنا الله وحمدناه وخشيناه» هذا فيه إشارة إلى ما في هذه الآية التي تلوناها عليكم.

قوله: «وإذا غفلنا وضيعنا، فذلك نقصانه» والدليل على نقصانه أحاديث صحيحة في الصحيحين، أنه ينقص حتى يصل في نقصه إلى دينار، ثم إلى نصف دينار، ثم إلى درهم، ثم إلى نصف درهم، ثم إلى شعيرة، ثم إلى بُرَّة، ثم إلى مثقال ذرة، ثم إلى أدنى أدنى من مثقال ذرة، هذه كلها أحاديث صحيحة ثابتة عن النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من حديث أبي سعيد وأنس وغيرهما، ودان بذلك أهل السنة، فكلامه هذا وتفسيره للزيادة والنقصان له ما يدعمه من كتاب الله ومن سنة رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

والحديث الأخير مما قرأناه، قال في إسناده إلى أحمد بن حنبل: حدثنا الحسن ابن موسى قال: حدثنا حماد بن سلمة -أيضًا-، مداره على أبي جعفر الخطمي عن أبيه، قال هنا: عن جده، فيحتاج إلى دراسة في كتب الرجال وكتب المراسيل وما شاكلها، وأنا ما عندي وقت لدراسته فادرسوه لعلنا نجد فيه ما يرفع من شأن هذا الإسناد ويثبت لنا صحة سماعه عن أبيه، وإلا فقد قيل فيه وفي أبيه وجده: إنهم من أهل الصدق وتوارثوا هذا الصدق، فليس فيهم كذاب ولا متهم ولا ضعيف -والحمد لله-، إنما الخوف من أنه أرسله عن جدِّه، أو أن أبا جعفر الخطمي لم يسمع من أبيه.

هنا يأتينا أثر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه انقطاع، قال فيه: عن زبيد، عن ذرٍّ يعني: المرهبي، قال: كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لأصحابه: «هلموا نزداد إيمانًا، فيذكرون الله تَعَالَىٰ».

ما فيه كاذب ولا متهم -والحمد لله-، إنما علته هذا الإرسال، على أن المرسل يحتج به أئمة ومنهم مالك، فهذا يمشي في الرد عند من ينكر زيادة الإيمان ونقصانه من المالكية وغيرهم.

وهنا أيضًا أثر ابن مسعود وفيه كلام أيضًا، ولكن كما قلنا تُورد من باب الاستئناس وإذا تكاثرت قوَّى بعضها وبعضًا ودلَّ على أن لها أصولًا.

«اللهم زدني إيمانًا ويقينًا وفقهًا»: طلب من الله عَزَّوَجَلَّ أمر ثابت، ما هو تعدي في الدعاء ولا اعتداء في الدعاء، وإنما يدعو الله بأمر مشروع وأمر ثابت بكتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«اللهم زدني إيمانًا ويقينًا»: واليقين أعلى درجات الإيمان، وطلب من الله الفقه، و«من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين» فهو يطلب أمرًا مشروعًا ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فنسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يزيدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا وثباتًا على السنة، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، إن ربنا لسميع الدعاء.



قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[٢١٩] وحدثنا الفريابي، قال: حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب قال: حدثنا عبدالعزيز بن محمد الدراوردي، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للنساء: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لألباب ذوي الرأي منكن»(١).

[٢٢٠] وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا هشام بن عروة، عن عروة، عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن»(٢).

[٢٢١] حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني، قال: حدثنا علي بن الجعد، قال: أخبرنا شعبة، قال: حدثنا سفيان عن الأعمش، عن ذكوان، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد»(٣).

---

(١) إسناده حسن؛ لأن فيه سهيل بن أبي صالح لكن المتن صحيح.
أخرجه مسلم في صحيحه في «الإيمان»، حديث [٧٩] من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وحديث [٨٠] من حديث أبي هريرة وأبي سعيد إحالة، وقال بمثل معنى حديث ابن عمر عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٧٢) عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) صحيح، ورواه أحمد في «مسنده» (٦/ ١٣٩) من طريق ابن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير «ثقة»، عن أبيه عن عائشة ل مرفوعًا، وابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم [٣٩] من طريق ابن إسحاق عن يحيى بن عباد به.

(٣) إسناده صحيح، والمتن متفق عليه، رواه البخاري في «الحدود»، حديث [٦٨١]، ومسلم في «الإيمان»، حديث [٥٧] من طرق.

[٢٢٢] حدثنا إسحاق بن أبي حسان الأنماطي، قال: حدثنا هشام بن عمار الدمشقي، قال: حدثنا حاتم بن إسماعيل، قال: حدثنا محمد بن عجلان، عن القعقاع ابن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»(١).

[٢٢٣] وحدثنا ابن عبد الحميد، قال: حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا أبو داود - يعني: الطيالسي-، قال: حدثنا شعبة، قال: أخبرني فراس، قال: سمعت مدرك بن عمارة يحدث عن ابن أبي أوفى - يعني: عبد الله - أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»(٢).

[٢٢٤] حدثنا ابن عبد الحميد أيضًا، قال: حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: أخبرنا أبي، عن فضيل بن يسار، قال: قيل لأبي جعفر، في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»، قال: فدور دارة، فقال: هذا الإسلام، ثم دور جوفها دارة، فقال: وهذا الإيمان محصور في الإسلام، فإذا سرق أو زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرجه من الإسلام إلا الشرك(٣).

....

(١) إسناده حسن، والمتن صحيح متفق عليه -كما مرَّ-.

(٢) في إسناده: مدرك بن عمارة، ذكره ابن حبان في «الثقات» (٥/ ٤٤٥)، وأورده البخاري في «تأريخه» (٨/ ٢)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٨/ ٣٢٧)، ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا، فروايته -وهو تابعي- مما يستضاء بها، وتتقوى بما قبلها، لاسيما وقد روى عنه أربعة.
وقد أخرج هذا الحديث أبو داود الطيالسي في «مسنده» حديث [٨٢٣]، والإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٥٢-٣٥٣)، وابن أبي شيبة في «الإيمان» حديث [٤٠] كلهم من طريق مدرك به.

(٣) ضعيف؛ في إسناده الفضيل بن يسار، أورده الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٤/ ٤٥٤)، ونقل عن محمد بن نصر أنه قال: «كان الفضيل بن يسار رافضيًّا كذابًا».

[٢٢٥] حدثنا أبو نصر محمد بن كردي الفلاس، قال: حدثنا أبو بكر المروذي قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن حنبل، قال: حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا جرير بن حازم، عن الفضيل بن يسار، قال: قال محمد بن علي: هذا الإسلام، ودور دارة في وسطها أخرى، وهذا الإيمان الذي في وسطها، [مقصور] في الإسلام، قال: وقال النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن»، قال: يخرج من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرج من الإسلام، فإذا تاب: تاب الله عليه، قال: رجع إلى الإيمان(١).

قال محمد بن الحسين: ما أحسن ما قاله محمد بن علي رضي الله عنهما، وذلك أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، والإسلام لا يجوز أن يقال: يزيد وينقص.

وقد روي عن جماعة ممن تقدم أنهم قالوا: «إذا زنى نزع منه الإيمان، فإن تاب رده الله إليه»، كل ذلك دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، والإسلام ليس كذلك، ألا ترى إلى قول النبي ﷺ: «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة، فمن ترك الصلاة فقد كفر».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «إن الله تعالى قرن الزكاة في كتابه مع الصلاة، فمن لم يزك فلا صلاة له»(٢).

---

(١) ضعيف؛ في إسناده: الفضيل بن يسار.

(٢) في إسناده: الأعمش، وهو مدلس وقد عنعن في هذا الإسناد، قال علي بن المديني: «لا يثبت من أحاديثه عن مجاهد إلا ما قال فيه: سمعت؛ وإنما أحاديث مجاهد عنده عن أبي يحيى القتات»، انظر: «تهذيب التهذيب» (٤/ ٢٢٥)، وروى هذا الأثر عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم [٦٩٣]، عن سويد بن سعيد عن شريك عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[٢٢٦] حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني، قال: حدثني جدي، قال: حدثنا موسى بن أعين، عن عبيد الله بن عمرو، عن زيد بن أبي أنيسة عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: «إن الرجل إذا زنى نزع الله منه نور الإيمان، فإن شاء رده إليه، وإن شاء تركه».

[٢٢٧] وحدثنا عمر بن أيوب السقطي، قال: حدثنا أبو معمر القطيعي، قال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن مجاهد، قال: كان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يسمي غلمانه تسمية العرب، ويقول: «لا تزنوا، فإن الرجل إذا زنى نزع منه نور الإيمان»[1].

[٢٢٨] حدثنا أبو نصر محمد بن كردي، قال: حدثنا أبو بكر المروذي، قال: حدثنا أحمد بن حنبل، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن إبراهيم ابن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال لغلمانه: «من أراد منكم الباءة زوجناه، لا يزني منكم زان إلا نزع الله منه نور الإيمان، فإن شاء أن يرده عليه رده، وإن شاء أن يمنعه منه منعه»[2].

[٢٢٩] وحدثنا أبو نصر، قال: حدثنا أبو بكر المروذي، قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن حنبل، قال: حدثنا يزيد - يعني: ابن هارون - قال: أخبرنا العوام، قال:

....

(١) هذا الأثر والذي قبله مدارهما على الأعمش، وقد عنعن فيهما.
فهذه الأحاديث والآثار كلها تدل على أن الإيمان ينقص بالمعاصي، وأن الزاني حين يزني ينزع منه الإيمان، ثم يرده الله إن شاء، نعوذ بالله من سخطه.

(٢) في إسناده: إبراهيم بن مهاجر: صدوق لين الحفظ، ورواه ابن أبي شيبة في «الإيمان»، ص: [٢٢] رقم [٧٢]، بإسناده إلى عثمان بن أبي صفية عن ابن عباس بنحوه، وعثمان ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦/ ١٥٤)، وقال: «روى عن ابن عباس، مرسل روى عنه صالح بن حي وفضيل بن عزوان».

حدثني علي بن مدرك، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «الإيمان نزه، فمن زنى فارقه الإيمان، فإن لام نفسه وراجع، راجعه الإيمان»(١).

[٢٣٠]وحدثنا أبو نصر، قال: حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا وكيع، عن الفضل بن دلهم، عن الحسن قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ينزع الله منه نور الإيمان كما يخلع أحدكم قميصه، فإن تاب تاب الله عليه»(٢).

[٢٣١]وحدثنا أيضًا أبو نصر، قال: حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن أشعث، عن الحسن، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ينزع الله منه الإيمان، فإن تاب أعيد إليه الإيمان»(٣).

٢٣٢-قال: وحدثنا أبو بكر، حدثنا أحمد، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن عوف، قال: قال الحسن: «يجانبه الإيمان ما دام كذلك، فإن رجع راجعه الإيمان»(٤).

هذه الأحاديث والآثار ساقها الإمام الآجري للدلالة على أن الإيمان ينقص، وقد يزول بالمعاصي ثم يرجع وقد لا يرجع.

---

(١) رجاله ثقات غير شيخ المصنف، قال فيه الخطيب في «تأريخه» (١٦/ ٦٠٤) رقم [٧٧١٨]: «أبو نصر الفلاس صاحب أبي بكر المروذي، روى عنه أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن السماك»، وروى هذا الأثر ابن أبي شيبة في «الإيمان»، ص: [٧]، رقم [١٦]، قال: حدثنا يزيد بن هارون عن العوام عن علي بن مدرك عن أبي زرعة عن أبي هريرة به، وهذا إسناد صحيح، ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم [٧٥٣] عن أبيه عن يزيد ابن هارون به.

(٢) إسناده ضعيف؛ فيه أبو نصر، لا يُعرف، وفيه إرسال الحسن.

(٣) إسناده ضعيف كسابقه.

(٤) إسناده كسابقه؛ لكن أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم [٧٥٦] عن أبيه عن يحيى ابن سعيد عن عوف به، وهذا إسناد صحيح.

وفي هـذه الأحاديـث والآثـار رد عـلى المرجئة الذيـن يعتقدون أن الإيـمان لا يزيد ولا ينقص، متجاهلين الآيات الواضحة في زيادة الإيمان والأحاديث الصريحة في نقصانه إلى ألا يبقى منه إلا أدنى من مثقال ذرة، وقد يزول -والعياذ بالله-.



[٢٣٣] وحدثنا الفريابي، قال: حدثنا إسحاق بن راهوية، قال: حدثنا عبد الله بن إدريس، قال: حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»(١).

[٢٣٤] وحدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو قال: حدثنا أنس بن عياض، قال: حدثني محمد بن عجلان، عن القعقاع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»(٢).

[٢٣٥] وحدثنا الفريابي، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن سالم، عن ابن عمر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دعه، فإن الحياء من الإيمان»(٣).

[٢٣٦] وحدثنا أبو نصر محمد بن كردي، قال: حدثنا أبو بكر المروذي قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن الأعمش، عن خيثمة، عن عبد الله ابن عمرو قال: «يأتي على الناس زمان يجتمعون في المساجد ليس فيهم مؤمن»(٤).

....

(١) إسناده حسن، فيه محمد بن عمرو: صدوق له أوهام يعتبر بحديثه، والحديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٥٠) من طريق محمد بن عمرو، و(٢/ ٥٢٧) من طريق محمد بن عجلان عن القعقاع ابن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة به، فيرتقي إلى درجة الصحيح لغيره.

(٢) رجاله ثقات، ومحمد بن عجلان صدوق، إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويقويه ما قبله.

وهذا الحديث ساقه المؤلف للدلالة على زيادة الإيمان، ويؤيده آيات كثيرة.

(٣) إسناده صحيح، وقد تقدم حديث: «إن الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان».

(٤) في إسناده: أبو نصر، لم يذكر فيه جرح ولا تعديل؛ لكن يعضده ما يأتي، فقد رواه ابن أبي شيبة في «الإيمان»، ص: [٣٣]، رقم [١٠١] عن الفضيل بن عياض عن الأعمش عن خيثمة عن عبد الله بن عمرو به، وأخرجه الحاكم (٤/ ٢٤٢) من طريق سفيان عن الأعمش به، وصححه ووافقه الذهبي.

[٢٣٧] **حدثنا الفريابي، قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثنا فضيل ابن عياض، عن الأعمش، عن خيثمة، عن عبد الله بن عمرو، قال: «يأتي على الناس زمان يجتمعون في مساجدهم ليس فيهم مؤمن»[١].**

[٢٣٨] **وحدثنا الفريابي، قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ، قال حدثنا أبي قال: حدثنا شعبة، عن سليمان، عن خيثمة، عن عبد الله بن عمرو قال: «ليأتين على الناس زمان يجتمعون في مساجدهم، ما فيهم مؤمن»[٢].**

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **كل هذه الآثار تدل على زيادة الإيمان ونقصانه، وسنذكر من القرآن ما يدل على ما قلنا وهذا طريق من أراد الله به خيرًا.**

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ ﴾ [الفتح: ٤]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ [محمد: ١٧].

وقال تَعَالَىٰ **فيما أثنى به على أصحاب الكهف:** ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ [الكهف: ١٣-١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

---

(١) إسناده صحيح؛ لولا عنعنة الأعمش.

(٢) إسناده صحيح؛ لولا عنعنة الأعمش.

وقال تعالى: ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ [المدثر: ٣١]، وهذا في القرآن كثير.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

[٢٣٩]قال: حدثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي قال: سمعت أبا جعفر محمد بن سليمان لوين يقول: سمعت سفيان بن عيينة، يقول غير مرة: الإيمان قول وعمل[1].

قال ابن عيينة: فأخذناه ممن قبلنا: قول وعمل، وإنه لا يكون قول إلا بعمل.

قيل لابن عيينة: يزيد وينقص؟ قال: فأيُّ شيء إذن؟

[٢٤٠]قال: وحدثنا عمر بن أيوب قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي قال: حدثنا أبو الفتح نصر بن المغيرة قال: قيل لسفيان بن عيينة: الإيمان يزيد وينقص؟ قال: «أليس تقرءون القرآن؟ ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٧٣] في غير موضع، قيل: ينقص؟ قال: ليس شيء يزيد إلا وهو ينقص»[2].

[٢٤١]قال: وحدثنا عمر بن أيوب قال: حدثنا يعقوب الدورقي قال: حدثنا محمد بن القاسم الأسدي قال: «سمعت سفيان الثوري يقول: إن الإيمان يزيد وينقص، قال سفيان: وأقول: إن الإيمان يزيد وينقص، قال سفيان: وأقول: إن الإيمان ما وقر في الصدور وصدقه العمل»[3].

....

(١) صحيح. (٢) صحيح.

(٣) ضعيف؛ لأن في إسناده محمد بن القاسم أبو القاسم الكوفي، ويغني عنه ما يأتي عن الثوري.

[٢٤٢] قال: وحدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار قال: حدثنا أبو بكر ابن زنجويه قال: حدثنا عبد الرزاق قال: سمعت سفيان الثوري، وابن جريج، ومعمرًا يقولون: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»(١).

[٢٤٣] حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا سلمة بن شبيب قال: حدثنا عبد الرزاق قال: سمعت معمرًا، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن جريج، وسفيان ابن عيينة يقولون: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص».

[٢٤٤] أخبرنا خلف بن عمرو العكبري قال: حدثنا الحميدي قال: سمعت ابن عيينة يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: يا أبا محمد، لا تقولن: يزيد وينقص، فغضب وقال: اسكت يا صبي، بل حتى لا يبقى منه شيء»(٢).

[٢٤٥] أخبرنا أبو العباس أحمد بن موسى بن زنجويه القطان قال: حدثنا إبراهيم بن الوليد القرشي قال: حدثنا فديك -يعني: ابن سليمان- قال: سمعت الأوزاعي يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فمن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فاحذروه فإنه مبتدع»(٣).

[٢٤٦] وحدثنا ابن مخلد قال: حدثنا أبو داود قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»(٤).

---

(١) إسناده صحيح.

(٢) إسناده صحيح.

(٣) ضعيف؛ في إسناده فديك بن سليمان، لم أقف له على ترجمة إلا في «التقريب»، قال فيه الحافظ: «مقبول»، ورمز له بحرف «ي»، أي: روى له البخاري في رفع اليدين.

(٤) صحيح.

[٢٤٧] وحدثنا ابن مخلد قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا أحمد قال: حدثنا سريج بن النعمان قال: حدثنا عبد الله بن نافع قال: كان مالك يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»(١).

[٢٤٨] حدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا الفضل بن زياد قال: حدثنا أبو عبد الله - يعني: أحمد بن حنبل- قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: «ما نقصت أمانة عبد إلا نقص إيمانه»(٢).

[٢٤٩] قال الفضل: وسمعت أبا عبد الله وسُئل عن نقصان الإيمان فقال: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: «ما انتقصت أمانة عبد إلا انتقص إيمانه»، قال: وقال أحمد: قال وكيع: «الإيمان يزيد وينقص»(٣) وهو قول سفيان.

[٢٥٠] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا يوسف بن موسى القطان قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي الهيثم، عن سعيد بن جبير: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] قال: «ليزداد إيمانًا»(٤).

قال محمد بن الحسين: فيما ذكرت من هذا الباب مقنع لمن وفقه الله تعالى للرشاد، وسَلِمَ من الأهواء الضالة.

قد سبق لنا في هذا الباب ذكر ما يدل على أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص، والآيات والأحاديث في هذا كثيرة وآثار السلف كذلك كثيرة، وهذا أمر دان به أهل الحق

---

(١) إسناده صحيح.

(٢) صحيح، رواه ابن أبي شيبة في «الإيمان»، ص: [٦]، رقم [١٠]، وص: [٧]، رقم [١٣] بلفظ أوسع.

(٣) إسناده صحيح.

(٤) إسناده حسن؛ فيه أبو الهيثم المرادي الكوفي، قال الحافظ فيه: «صدوق».

أهل السنة والجماعة، وخالف فيه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والمرجئة وغيرهم من أهل الضلال، خالفوا فيما دلت عليه هذه الآيات وهذه الأحاديث وهذه الآثار.

فالإيمان عندهم: لا يزيد ولا ينقص، مع وضوح النصوص من القرآن والسنة ومن فقه السلف الصالح، يكابرون ويعاندون على امتداد تاريخهم وإلى يومنا هذا، وأن الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، ومع الأسف الشديد المرجئة منهم من يقول: إنه قول بلا عمل، ومنهم من يقول: هو قول واعتقاد بلا عمل، وهذه مصادمة للقرآن والسنة.

ساق المؤلف: الآيات التالية:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

فالآية تثبت أن الإيمان يزيد، الصحابة الكرام عندهم إيمان، ويزيدهم نزول الآيات إيمانًا على إيمانهم والمؤمنون كذلك كل يوم في ازدياد لمن هداه الله ووفقه بإيمانه الصادق وأعماله الصالحة وتعليم الخير وتعلمه ونشره والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا رافقها الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، ازداد الإيمان ونما حتى يصير مثل الجبال، وبالمعاصي ينقص، هذا الإيمان بالمعاصي الكبائر والصغائر ينقص الإيمان ويتناقص حتى لا يبقى منه إلا مثقال دينار، ونصف دينار، ومثقال درهم وأقل من الدرهم، ومثقال حبة شعيرة، ومثقال حبة من بُر، حتى يصل إلى أدنى أدنى من مثقال الذرة، وقد يزول -كما قال سفيان- حتى لا يبقى منه شيء.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]

أنزل السكينة في قلوب المؤمنين لماذا؟ ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم الأول.

هذا في غزوة الحديبية في السنة السابعة من الهجرة والصحابة مع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ منهم المهاجرون والأنصار، منهم من آمن به من أول يوم كأبي بكر وكعلي وعثمان ثم عمر وغيرهم من المهاجرين، وإلى هذا التاريخ من تاريخ الهجرة يزداد إيمانهم وينموا -رضوان الله عليهم- لعله يصير أكبر من الجبال عند الله عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ بإيمانهم وأعمالهم الصالحة يزيدهم هدى على هداهم.

الهدى هـذا يتضمن الإيمان ﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ أكد هذا الإيمان وهذا الاهتداء بأن منحهـم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ورزقهم تقـواه ومراقبته الإيمان، من فضـل الله على عباده والتقوى التي يمدُّهم بها فضل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مع اتقاء الشرك واتقاء مساخط الله في كل شأن من الشئون.

وقال تَعَالَى فيما أثنى به على أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف: ١٣-١٤].

وفي الآيـة إخبـار أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى اختصَّ هـؤلاء الفتية من قـوم كافرين مشركين، اختصهـم الله بالهدايـة والتوفيق فتركوا قومهم وفروا بدينهـم وأووا إلى كهف، فأثنى الله عليهم وعلى صبرهم وعلى هذا الإيمان وصمودهم تجاه الفتنة، فهداهم الله وزادهم هدى وربط على قلوبهم.

الشـاهد فيه قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ الهدى يشمل الإيمان وغيره ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم فازداد إيمانهم بهذا الوجل عند ذكر الله تبارك وتعالى، سواء يذكر الله عندما يريد المعصية، فيذكر الله فيكف عنها، أو حينما يؤدي الطاعة فيخاف أن لا تقبل منه، فهو يشمل النوعين -والله أعلم-.

وكلما يذكر الله يرتجف قلبه، يذكر جلال الله وعظمته وقوته سبحانه وتعالى وسائر صفاته، فيزداد إيمانًا، وإذا تليت عليهم آيات الله من القرآن الكريم ازدادوا إيمانًا.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وذكر لهم صفات أخرى منها: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ثم قال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤].

وقال تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١].

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]. **يعني**: جاء هذا الكتاب مطابقًا لما عندهم في ذكر عدد خزنة النار وأنهم تسعة عشر، هؤلاء الرؤساء وإلا هم كثير جدًّا، فيطابق ما في القرآن ما في التوراة والإنجيل، فيستيقن الذين أوتوا الكتاب من الذين أسلموا كعبد الله ابن سلام وإخوانه وكذا بعض النصارى الذين دخلوا في الإسلام، يستيقنون أن محمدًا رسول الله، وأن هذا الكتاب الذي نزل عليه من عند الله هذا الكتاب المصدق لما قبله من التوراة والإنجيل والصحف التي أنزلت على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل الكتب التي أنزلت على رسلهم عليهم الصلاة والسلام، يزدادون يقينًا بأن محمدًا رسول الله، وأن هذا القرآن منزل من عند الله عز وجل.

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾: المؤمن كلما جاءه أمر من الله عَزَّوَجَلَّ آمن به وزاد به إيمانًا، وأما الكفار فيضطربون ويشكون وينكرون ويُكذِّبون، فلا يزدادون إلا خسارًا، وأما المؤمن فلا يزداد إلا هدى ولا يزداد إلا إيمانًا ولا يزداد إلا ثباتًا، وهذا في القرآن كثير.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

تحذير الناس لهم وتخويفهم ما أثَّر فيهم، ما ازدادوا إلا ثباتًا وإيمانًا ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣] ما يخافون إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولا يخافون تهديدات الأعداء، بل يزدادون تمسكًا بدينهم وثباتًا عليه وإيمانًا به -رضوان الله عليهم- ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] الله يكفينا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قوة الله وقدرته وقهره سيقهركم وسيخزيكم، وسيخزي هؤلاء ويهزمهم.

ساق هذه الآيات: وجزاه الله خيرًا، وفيها من الدلالات على زيادة الإيمان ما عرفتموه من قبل.

هنا ساق بإسناده هذا الأثر: قيل لسفيان بن عيينة: الإيمان يزيد وينقص؟ بحذف أداة الاستفهام، أي: هل الإيمان يزيد وينقص؟ قال: أليس تقرءون القرآن؟ ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣] في غير موضع، يجيبهم بسؤال تقريري، فيقولون: نعم قرأنا هذا، قيل: ينقص؟ يعني: نحن سلمنا بأنه يزيد، فالقرآن يدل على الزيادة فكيف ينقص؟ قال: «ليس شيء يزيد إلا وهو ينقص».

هذا دليل عقلي، والأدلة الشرعية من السنة النبوية أن الإيمان ينقص وينقص وينقص إلى أن لا يبقى منه إلا مثاقيل الذر، كما في أحاديث الشفاعة، حديث أنس وحديث

أبي سعيد وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الشفاعة، وأنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار، أو نصف دينار، أو درهم أو نصف درهم، أو مقدار شعيرة، أو حبة بُر، أو مثقال ذرة، أو أدني أدنى من مثقال ذرة، فهذه الأدلة الثابتة في الصحيحين وغيرهما بالأسانيد الصحيحة الثابتة إلى رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في نقصان الإيمان والعقل، يؤيد ذلك، والقرآن يؤكد ذلك ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] متى قال هذا؟ متى تكامل؟ وإذا تكامل في هذا الوقت كان قبله ما وصل لهذه الدرجة.

فقال: ليس شيء يزيد إلا وهو ينقص، فالسنة والعقل والقرآن ومفاهيم القرآن تدل على أن الإيمان ينقص.

وهنا ساق بإسناده إلى الثوري -وهو إسناد صحيح- يقول: «إن الإيمان يزيد وينقص» قال سفيان: وأقول: «إن الإيمان ما وقر في الصدور، وصدقه العمل».

هذا القول معروف من قول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ(١).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «الإيمان» برقم [٩٣] وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، ص: [٢٦٣] من طريق جعفر بن سليمان: نا زكريا قال: سمعت الحسن يقول: «إن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني؛ إنما الإيمان ما وقر في القلب وصدَّقه العمل» وضعفه الشيخ الألباني: لحال زكريا. انظر: «الضعيفة» (٣/ ٢١٨)، تحت الحديث رقم [١٠٩٨].

قلت: لم يتفرد به زكريا لقد تابعه أبو بشر الحلبي عن الحسن؛ رواه الخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل»، ص (٤٢-٤٣) رقم [٥٦]، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٨٠-٨١) رقم (٦٦-زغلول) من طريقين عن عبيد الله بن موسى عن أبي بشر عن الحسن نحوه، وزاد: «من قال حسنًا وعمل غير صالح رده الله على قوله، ومن قال حسنًا وعمل صالحًا رفعه العمل؛ ذلك بأن الله تَعَالَىٰ قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]».

وأبو بشر هو عمران الحلبي، قال أبو داود عن أحمد: «لا بأس به». انظر: «سؤالات الآجري» (رقم ٣١١)، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبيه: «صالح»، انظر «الجرح والتعديل» (٦/ ٢٩٤)، =

....

ولكن الإيمان ما وقر في الصدر وصدقه العمل، الإيمان قول وعمل واعتقاد، يعني: يتمشى مع تعريف أهل السنة والجماعة، ومع مدلولات القرآن والسنة أن الإيمان ما وقر في الصدر وصدقه العمل، عمل القلب وعمل الجوارح.

وبإسناده إلى عبد الرزاق قال سمعت سفيان الثوري، وابن جريج، ومعمرًا يقولون: «الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص».

هؤلاء الثلاثة من أئمة الإسلام الكبار، الذين عرفوا الإسلام حق المعرفة، وقد فقهوا فيه حق الفقه، وقالوا هذا الكلام فيحتج بكلامهم المستمد من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وساق بإسناده إلى عبد الرزاق يقول: سمعت معمرًا، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن جريج، وسفيان بن عيينة يقولون: «إن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص».

وهذا عبد الرزاق ينقل عن هؤلاء الأئمة أنهم يقولون الإيمان يزيد وينقص، وقد نسب إلى مالك أنه يقول: إن الإيمان يزيد، وكان يسكت عن

= وذكره ابن حبان في «الثقات» (٧/ ٢٣٩).

وروى عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، ص: [٢٦٧]، بسند صحيح عن خالد بن شوذب قال: «رأيت فرقد السبخي وعليه جبة صوف، فأخذ الحسن بجبته ثم قال: يا ابن فرقد -مرتين أو ثلاثة-: إن التقوى ليس في هذا الكساء؛ إنما التقوى ما وقر في القلب وصدَّقه العمل والفعل». ورواه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس»، ص: [١٧٥] من طريق آخر عن خالد بن شوذب نحوه.

وخالد بن شوذب قال فيه البخاري في «تاريخه» (٣/ ١٥٥/ ٥٣٣): «فيه نظر»، وقال أبو حاتم الرازي: «لا بأس به». انظر: «الجرح والتعديل» (٣/ ٣٣٦)، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٦/ ٢٦١).

قال ابن القيم في «تهذيب السنن» (١٢/ ٢٩٤): «وَصَحَّ عَنِ الحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: لَيسَ الإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَلا بِالتَّحَلِّي؛ وَلَكِن مَا وَقَرَ فِي القَلبِ وَصَدَّقَهُ العَمَلُ، وَنَحوه عَن سُفيَانَ الثَّورِيِّ». اهـ

قولـه «ينقـص» لنظـرة فقهيـة عنـده[(١)]، ولكـن الثابـت عنـه والمستمر عليـه: أنـه يزيد وينقص[(٢)].

---

(١) قال ابن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان مالك يقول: الإيمان يزيد، وتوقف عن النقصان وقال: ذكر الله زيادته في غير موضع، فدع الكلام في نقصانه وكُفَّ عنه». ذكره القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (١/ ٨٩)، وذكـره ابـن عبد البر في «التمهيد» (٩/ ٢٥٢) مختصرًا، ونقله عنه شـيخ الإسـلام ابن تيمية في «كتاب الإيمان» -ضمن الفتاوى- (٧/ ٣٣١).

وقـال ابـن أبي زيد القيرواني في «الجامع في السـنن» (ص١٢٢): «قال بعض أهل العلـم: إنما توقف مالـك عـن نقصانه في هذه الرواية خوفًا من الذريعة أن يتأول أنه ينقص حتى يذهب كله فيؤول ذلك إلى قول الخوارج الذين يحبطون الإيمان بالذنوب .. ».

(٢) سـأل أحمد بن القاسـم: الإمام أحمد بن حنبل: فقال: يا أبا عبد الله تقول: الإيمان يزيد وينقص؟ قال: نعـم، قلت: وتقول: قـول وعمل؟ قال: نعم، قلت: فيكون ذلك من هـذا المعنى أن يكون الرجل إذا أتى هذه الأشياء التي نُهي عنها يكون أنقص ممن لم يفعلها ويكون هذا أكثر إيمانًا منه؟ قال: نعم، يكون الإيمان بعضه أكثر من بعض، هكذا هو.

فتذاكرنـا مـن قال الإيمان يزيد وينقص، فعَدَّ غير واحد ثم قال: ومالك بن أنس يقول: يزيد وينقص، فقلـت لـه: إن مالكًا يحكون عنه أنه قال: يزيد ولا ينقص، فقال: بـلى قد روي عنه يزيد وينقص، كان ابن نافع يحكيه عن مالك، فقلت له: ابن نافع حكاه عن مالك؟ قال: نعم. اهـ رواه الخلال في «السنة» [١٠٤٣].

وقال شـيخ الإسـلام ابـن تيمية : في «مجمـوع الفتـاوى» (٧/ ٥٠٦): «وكان بعض الفقهـاء من أتباع التابعـين لم يوافقـوا في إطـلاق النقصـان عليه؛ لأنهم وجـدوا ذكر الزيـادة في القـرآن، ولم يجدوا ذكر النقـص، وهذا إحدى الروايتين عن مالك، والرواية الأخرى عنه؛ وهو المشـهور عند أصحابه كقول سائرهم: إنه يزيد وينقص». اهـ

وقـال ابن رشـد : في «المقدمات» (١/ ٣٦-٣٧): «وقد روي عن مالك : أنـه كان يطلق القول بزيادة الإيمان وكف عن إطلاق نقصانه؛ إذ لم ينص الله تَعَالَىٰ إلا على زيادته، فروي عنه أنه قال -عند موته- لابن نافع وقد سأله عن ذلك: قد أبرمتموني؛ إني تدبرت هذا الأمر فما من شيء يزيد إلا وينقص، وهو الصحيح والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم». اهـ

وكل من نقل إجماع العلماء على زيادة الإيمان ونقصانه يذكر معهم الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

....

وساق المؤلف بإسناده عن ابن عيينة يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم ابن عيينة: يا أبا محمد، لا تقولن: يزيد وينقص، فغضب وقال: اسكت يا صبي، بل حتى لا يبقى منه شيء».

كأنه فهم من أخيه أنه ينكر النقصان لا الزيادة[1] لهذا قال: «اسكت يا صبي، بل حتى لا يبقى منه شيء»، يعني: قد ينقص بالمعاصي والذنوب و...و... إلى آخره ثم بعده يمكن أن تأتي الشكوك -والعياذ بالله-، ثم يأتي الكفر -نسأل الله العافية-.

وساق بإسناده إلى الأوزاعي أنه يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص فمن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص، فاحذروه فإنه مبتدع».

هكذا يقول الأوزاعي ويحكم على من يقول: «إن الإيمان لا ينقص» بأنه مبتدع ويحذر منه.

ونقل الإمام ابن أبي زيد عن الإمام مالك أنه يقول: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص».

ثم قال: «وفي بعض الروايات عنه: «دع الكلام في نقصانه، وقد ذكر الله زيادته في القرآن.

---

(١) لقد روى هذا الأثر الحميدي في «أصول السنة» (ص٤١)، والصابوني في «عقيدة السلف»، ص: (٢٦٤- بشرح الشيخ ربيع) من طريق محمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن إدريس المكي، وابن عبد البر في «التمهيد» (٩/ ٢٥٤) بسنده عن ابن سنجر ثلاثتهم عن الحميدي عن سفيان نحو رواية المصنف، إلا أنهم لم يذكروا من قول إبراهيم بن عيينة لفظ الزيادة.
وكذلك روى هذا الأثر محمدُ بن يحيى العدني في «الإيمان» (٩٤ رقم ٢٨)، وابن الأعرابي في «معجمه» [٤٢٦] عن سفيان، نحو رواية الحميدي.

قيل: فبعضه أفضل من بعض؟ قال: نعم.

قال بعض أهل العلم: إنما توقف مالك عن نقصانه في هذه الرواية خوفًا من الذريعة أن تتأول أنه ينقص حتى يذهب كله، فيؤول ذلك إلى قول الخوارج الذين يحبطون الإيمان بالذنوب، ولكن إنما نقصه عنده فيما وقعت فيه زيادة وهو العمل»[١].

وقال الخلال: «وأخبرنا أبو بكر المروذي أن أبا عبدالله قيل له: كان ابن المبارك يقول: يزيد ولا ينقص، فقال: كان يقول الإيمان يتفاضل، وكان سفيان يقول: ينقص حتى لا يبقى منه شيء»[٢].

وقال أيضًا: «أخبرني الحسن بن عبدالوهاب أن إسماعيل بن يوسف حدثهم قال: ثنا محمد بن أبان قال: قلت لعبدالرحمن بن مهدي: الإيمان قول وعمل؟ قال: نعم، قلت: يزيد وينقص؟ قال يتفاضل كلمة أحسن من كلمة»[٣].

ونقل الآجري بإسناده إلى أبي داود أنه قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص».

وهذا تقرر مرارًا من غير أحمد، ودلَّ عليه الكتاب والسنة.

وعن مالك يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص».

وهذا الإسناد صحيح إلى مالك، ونقل عنه القول الذي حكيته لكم[٤]، ونقل عنه أنه يشارك الأئمة سفيان وابن جريج وغيرهم في أنه يقول: «الإيمان يزيد وينقص».

(١) انظر: «الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ»، ص: (١٢١-١٢٢).

(٢) «السنة» للخلال (٣/ ٥٨٣) رقم [١٠١٨].

(٣) «السنة» للخلال (٣/ ٥٨٠) رقم [١٠٠٥].

(٤) أي: القول بالزيادة والتوقف في النقص.

فبعـض أهـل الأهـواء يقول: مالك يقـول: الإيـمان لا ينقص، الإيـمان يزيد، لكن يقول لا ينقص، ويُغفِلون مثل هذه الأقوال المسـندة إليه بالأسانيد الصحيحة، أنه يقول: «الإيمان يزيد وينقص».

فبعض الناس من المرجئة قد يغالطون أهل السنة، يقول: هذا إمام من أئمة الإسلام يقول: إن الإيمان لا ينقص، يزيد ولا ينقص، فهو يشاركنا في شيء من عقيدتنا ومنهجنا، فيقال: الثابت عنه بالأسـانيد الصحيحة أنه مع إخوانه من أئمة السـنة يقول: «إن الإيمان يزيد وينقص».

وبإسناده إلى وكيع قال: حدثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير -الإمام المشهور- قال: «ما نقصت أمانة عبد إلا نقص إيمانه».

الأمانة والحياء من خصال الإيمان، فإذا نقصت شـعبة من شـعب الإيمان وخصاله لابـد أن ينقـص، لابد أن يحصل نقص، والأمانة أصيلة في الإسـلام ويقـوم عليها الدين كلـه، فمـن نقصـت أمانته نقص إيمانـه، لأنه قد يخـل بالأعـمال بنقص أمانتـه، وقد يخل بأمانـات الناس من ودائع وشـهادات وغيرهـا فينقص إيمانه، فمن نقصـت أمانته نقص إيمانه، ومن نقص عمله نقص إيمانه الأمانة وغيرها.

بـل الخيانة من علامـات المنافقين، قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان**»(١).

وساق الإسناد مرة أخرى إلى عروة رضي الله عنه قال: «ما انتقصت أمانة عبد إلا انتقص إيمانه»، كما سبق وقال أحمد: قال وكيع: «الإيمان يزيد وينقص» وهو قول سفيان.

---

(١) رواه مسلم في «الإيمان»، حديث [٥٩].

يعني: وكيع يحتج بقول سفيان، سفيان الإمام وهو شيخه يقول: أنا أقول هذا وأقرره، وشيخي سفيان يقرره، وقد سبق لكم الأئمة الذين قالوا هذا.

وساق بإسناده إلى سعيد بن جبير في تفسيره لقول إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيما ذكره الله عنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ [البقرة: ٢٦٠] أي: أنا مؤمن يا رب، والله يعلم أنه مؤمن ﴿ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾؛ يعني: ليزداد إيماني وأزداد يقينًا، لأن إيمانه يزيد كل يوم، هو إيمانه كامل ولكن يزداد في الكمال.

قال محمد بن الحسين: فيما ذكرت من هذا الباب مقنع لمن وفقه الله تَعَالَىٰ للرشاد، وسَلِمَ من الأهواء الضالة.

إي والله، بعض ما ساقه يكفي ويشفي ويقنع من وفقه الله للرشاد وسلم من الأهواء الضالة، وأما من لم يوفقه الله، فلا تنفعه الأدلة الكثيرة، وفي أهل البدع عناد شديد والكفار فيهم عناد أشد، والله يقول في الكفار ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ ﴾ [الأنعام: ١١١] الله أكبر، كم لهم من الأقوال الخبيثة في مواجهة الرسول الكريم ومواجهة الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ونعوذ بالله من العناد الموجود عند أهل الأهواء وعند الكافرين.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لحب الحق واتباعه والاستسلام له، إن ربنا لسميع الدعاء.

❁ ❁ ❁

قال محمد بن الحسين: كل هذا يدل على أن الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان وعمل بالجوارح، ولا يجوز غير هذا ردًّا على المرجئة، الذين لعب بهم الشيطان، ميزوا هذا تفقهوا -إن شاء الله-.

وقال عَزَّ وَجَلَّ في سورة يونس: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ [يونس: ٤].

هذه الآيات ساقها المؤلف: لبيان أن الإيمان قول وعمل، قول بالقلب واللسان وعمل بالقلب واللسان والجوارح، وأن العمل من الإيمان، وأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى رضي عن المؤمنين ووعدهم بالجنة، إلى غير ذلك من الجزاء الذي يترتب على الأعمال الصالحة.

كل ذلك مبنيٌّ على الإيمان وعلى العمل الصالح، لا على الإيمان وحده، وهذا يدل على ارتباط العمل بالإيمان ارتباطًا وثيقًا لا يفصل بينهما إلا هؤلاء المرجئة على اختلاف أصنافهم.



فهرس الموضوعات